

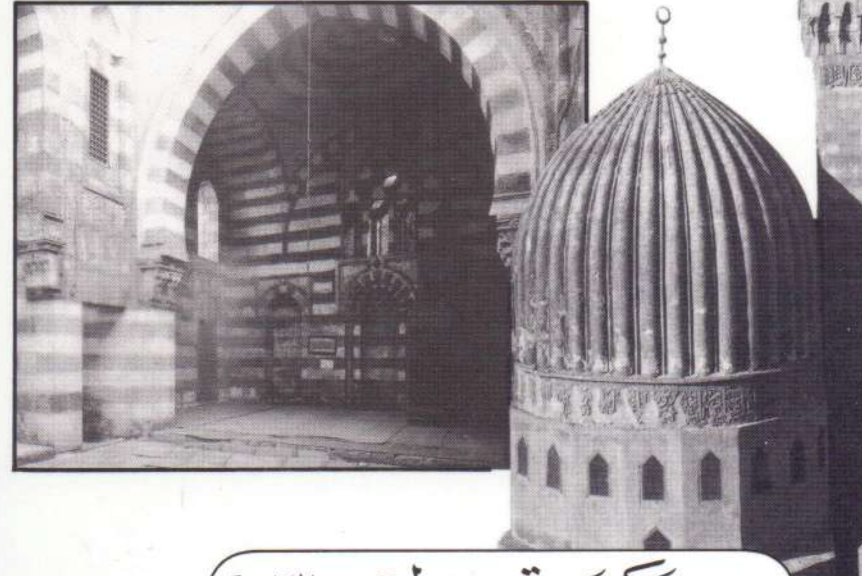
خانقاوات الصوفية في مصر

في العصرين الأيوبي والمملوكي

(٥٦٧ - ٩٢٣ هـ / ١١٧١ - ١٥١٧م)

الجزء الأول

تأليف : الدكتور عاصم محمد رزق



الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة



١ ـ فتح العرب لمصر
٢ ـ تاريخ مصر إلى الفتح العثماني
٣ ـ الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي
٤ ـ تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي
٥ ـ تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل
٦ ـ تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر
٧ ـ ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا
٨ ـ تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا (مجلد أول)
٩ ـ تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا (مجلد ثاني)
١٠ ـ فتوح مصر وأخبارها
١١ ـ تاريخ مصر الحديث مع فزلكة في تاريخ مصر القديم
١٢ ـ قوانين الدواوين
١٣ ـ تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث
١٤ ـ الحكم المصري في الشام
١٥ ـ تاريخ الخديوي محمد باشا توفيق
١٦ ـ آثار الزعيم سعد زغلول
١٧ ـ مذكراتي
١٨ ـ الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم
١٩ ـ وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر البطاركة
٢٠ ـ الجمعية الأثرية المصرية في صحراء العرب والأديرة الشرقية
٢١ ـ الرحلة الأولى للبحث عن ينابيع الب الأبيض (النيل الأبيض)
٢٢ ـ السلطان قلاوون (تاريخه ـ أحوال مص في عهده ـ منشآته المعمارية
٢٣ ـ صفوة العصر
٢٤ ـ المماليك في مصر
٢٥ ـ تاريخ دولة المماليك في مصر
٢٦ ـ سلاطين بني عثمان
٢٧ ـ محمود فهمي النقراشي
٢٨ ـ دور القصر في الحياة السياسية في مصر
٢٩ ـ مذكرات اللورد كيللرن
٣٠ ـ عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم
٣١ ـ خانقاوات الصوفية في مصر
٣٢ ـ فاروق وسقوط الملكية في مصر
٣٣ ـ تحفة الناظرين

مكتبة مدبولي
MADBOULI BOOKSHOP
٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة ـ ت: ٥٧٥٦٤٢١
6 Talat Harb SQ. Tel. : 5756421

خانقاوات الصوفية في مصر

في العصرين
الأيوبي والمملوكي

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

الناشر

مكتبة مدبولى

ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع

تليفون ٥٧٥٦٤٢١

صفحات من تاريخ مصر

(٣١)

خانقاوات الصوفية في مصر

في العصرين الأيوبي والمملوكي

(٥٦٧ - ٩٢٣ هـ / ١١٧١ - ١٥١٧م)

تأليف

الدكتور عاصم محمد رزق

الجزء الأول

مكتبة مدبولي

القاهرة

إهـــــداء

إلى أسرتى الصغيرة :

- زوجـــتى الـعـــزيزة المضـــحـــيـــة
- وولـــدى المـأمـــول مـــحـــمـــد
- وابنـتـــى الحـــبـــيـــبـــة عليـــاء

أهدى هذا الكتاب

تحيـــة عـــرفـــان وتقـــديـــر

لمـــا ينالهـــم منـــى مـــن تقصير

المؤلـــف

شكـــــر

لقد بدأت ارهاصات هذا العمل العلمى منذ ما يقرب من عشرين عاماً مضت، ظلت جذوته خلالها وأن خفتت كثيراً غير منطفئة وكانت انجازاته طوال هذه السنين رغم ضآلتها أحياناً، وتوقفها أحياناً أخرى، كبصيص من النور لا ينقطع، حتى قدر لهذا العمل فى النهاية أن يولد بعد جهد للتحقيق غير قليل، ومثابرة على استيفاء تشعباته بغير ملل.

وهنا لابد من أذكـر بالشكر والعـرفـان كل من سـاعـدنى فى انجـازه من الآثاريين والرساميين والمصورين والنساخ، ممن كان لمساعداتهم كل الفضل فى إخراجه بالصورة التى ادعها – بكل الامتنان لهم – بين يدى القارىء الكريم .

المـؤلـــف

بسم الله الرحمن الرحيم

"فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه
يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لاتلهيهم
تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار،
ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله
والله يرزق من يشاء بغير حساب"

صدق الله العظيم

النور ٣٦ - ٣٨

فهرس الموضوعات

الفصل الرابع : خانقاوات القرنين (٦ - ٧ هـ / ١٢ / ١٣م)

الفصل الخامس : خانقاوات النصف الأول من القرن (٨ هـ/١٤م)

الفصل السادس : خانقاوات النصف الثانى من القرن (٨هـ/١٤م)

تمهيد

كانت اعتبارات الكتابة في موضوع خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٥ - ٩٢٠ هـ / ١١٦٩ - ١٥١٦م) كثيرة ومتنوعة، أهمها أن ما كتب عن هذا الموضوع لذاته حتي الآن لا يتعدى كتاباً عربياً واحداً للدكتورة دولت عبد الله عنوانه «معاهد تزكية النفوس في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي» نشرته مطبعة حسان بالقاهرة سنة ١٩٨٠م ، أما ما كتب عن بعضه مختصرا مع آثار أخرى فأهمه ما أوردته الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر في الجزأين الثالث والرابع من كتابها الكبير المسمى «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» الذي نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة بين سنتي (١٩٧١ - ١٩٨٣م) وما جاء عن بعضه الآخر بشكل أكثر اختصاراً في ثنايا كتب عربية أخرى لم يكن يقصد منها أن تكون كتباً علمية بقدر ما كان يقصد منها أن تكون أدلة للزائرين مثلما فعل المرحوم الأستاذ محمود أحمد في كتابه المسمى «دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة» الذي طبع في بولاق سنة (١٩٣٨م) أو تخليداً لذكرى صلاة ميمونة أداها في هذه الخانقاة أو تلك ملك أو حاكم مثلما فعل المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب في كتابه المسمى «تاريخ المساجد الأثرية» الذي طبعته دار الكتب المصرية سنة (١٩٩م) أو مشاركة سطحية في الكتابة عن هذه الأبنية الأثرية مثلما فعلت وزارة الاوقاف في كتابها المسمى «مساجد مصر» الذي طبعته مصلحة المساحة المصرية سنة (١٩٤٨م).

يضاف إلى هذه المراجع بطبيعة الحال ما ورد عن هذه الخانقاوات في المصادر العربية لا سيما الخطط المقريزية والخطط التوفيقية، رغم أن مادة كليهما كانت لا تعنى بعمارتها وفنونها بقدر ما كانت تعنى بتواريخها وترجمة منشئيها مع ذكر بعض من أخبارها، وهي مادة لا تفي رغم اهميتها بعناصر البحث العلمي الاستقصائي المقارن الذي حاولنا تحقيقه في هذه الدراسة.

تلك هي أهم الكتب التي تناولت خانقاوات الصوفية في مصر بالحديث، وإذا كانت غالبيتها - فيما عدا الكتابين الأولين - قد تناولت الموضوع - كما قلنا - بصفة الأدلة تارة، وتخليد الذكرى تارة ثانية، ورغبة في مجرد الكتابة تارة ثالثة، فإن لنا على الكتابين المذكورين

عدة ملاحظات تجعل اعادة الكتابة فى هذا الموضوع أمراً لازم الانجاز لاستيفاء كثير من النقاط الهامة التى أغفلتها الدراسة فى كل منهما.

ويأتى على رأس هذه النقاط بالنسبة للكتاب الأول مثلاً أنه إلى جانب ما تعرض له من الحديث عن معنى الخانقاة وتاريخها وعمارتها، والحديث عن الرباط والزاوية والتكية، فإنه لم يتعرض لكثير من النقاط الأخرى التى كان من الواجب بحثها مثل المنشآت المختلفة التى كانت تتبع الخانقاة، ووظائف الخانقاة وموظفيها وعلوم التدريس بها، والكتب والمكتبات التى كانت تشتمل عليها، والأوقاف المختلفة من الأراضى والعقارات التى كانت موقوفة على هذه الخانقاوات للصرف من ريعها على البنايات نفسها وعلى الموظفين فيها، والتصوف فى غير الخانقاوات، والخانقاوات التى درست، والترميمات الكثيرة التى أجريت فيها للمحافظة عليها، إلى غير ذلك من النقاط التى سيرد ذكرها فى المقدمة المعمارية.

كذلك فإن هذا الكتاب لم يتعرض لكثير من النقاط الأخرى وثيقة الارتباط بالموضوع مثل علم التصوف وأصل مذهبه، معنى التصوف ونشأته، أصل كلمة صوفى، خرقة التصوف أو عهده، صفات الصوفية، أحوال الصوفية ومراحلها واصطلاحاتها، طرق الصوفية وطوائفها وطبقاتها، زى الصوفية ولباسها، عوائد الصوفية، أعلام الصوفية، أرزاق الصوفية، خوارج الصوفية ومجاذيبهم، أهم مصادر الصوفية، وهى النقاط التى سيرد الحديث عنها - بما يخدم الموضوع فى المقدمة الصوفية.

أما بالنسبة للكتاب الثانى فإن أهم ما تجب الاشارة إليه أن الحديث فيه لم يشتمل على كل الخانقاوات القائمة وإنما اشتمل على بعضها دون البعض، لأنه لم يكن كتاباً عن عمارة الخانقاوات فقط وانما كان كتاباً عن العمارة الإسلامية ككل، وكان ذلك سبباً فى أن ما ذكر فيه عن هذا البعض ينقصه الكثير، فالوصف المعمارى مثلاً لم يغط كل أجزاء الخانقاوات الموصوفة وانما اكتفى فيه - وصفاً وقياساً - بذكر عناصرها الرئيسية دون الجزئيات، كذلك فإن هذا الوصف لم يغط الكثير من التفصيلات الزخرفية المختلفة التى تملأ جنبات هذه الخانقاوات رغم ما لهذه الزخارف من أهمية فى أى وصف أثرى كامل، يضاف إلى هذه وتلك أنه أغفل

ذكر الكثير من الكتابات القرآنية والانشائية والدعائية المنقوشة بكثير على أجزاء مختلفة من هذه الخانقاوات، وأن ما جاء فيه عن بعض هذه الكتابات لا يعد كاملاً لأنه أسقط نصوصاً كاملة أحياناً، وكثيراً من الكلمات والجمل أحيانا أخرى، علاوة على اشتماله على بعض أخطاء فى القراءات أحيانا ثالثة.

ليس هذا فقط بل أن التقديمين – الوارد أولهما فى الصفحتين (٩، ١٠) من الجزء الثالث عن الخوانق فى العصر المملوكى، والوارد ثانيهما فى الصفحتين (١٤، ١٥) من نفس الجزء عن التصميم المعمارى للخانقاة لم يوفيا الموضوع حقه من النواحى اللغوية والدينية والتاريخية والأثرية المعمارية، فلم يشر فى ذلك من الناحية اللغوية مثلاً إلى شيء عن أصل الكلمة واشتقاقها وتطور معناها، ولم يشر فيه من الناحية الدينية إلى أن الإسلام لا يقر مبدأ أن تصبح الصوفية وظيفة ينقطع فيها المتصوف للزهد والعبادة دون عمل، ولم يشر فيه من الناحية التاريخية إلى أن صلاح الدين كان قد لجأ – كما هو معروف – إلى بناء المدارس فى مصر لنشر المذهب السنى رغبة فى القضاء على المذهب الشيعى، وكان ذلك يتفق فى نظرنا مع بدعة تخصيص الصلاحية للمتصوفة طمعاً فى التغلغل إلى نفوس الناس ولا سيما أهل الطبقات الدنيا التى كانت ولا تزال تعتقد فى الكثير من الموروثات الشعبية الشيعية.

كذلك فقد أشير فى هذا التقديم إلى أن صفة التدريس كانت قد أضيفت للخانقاوات اعتباراً من القرن (٨هـ / ١٤م) رغم أن أول الخانقاوات المعروفة كانت الخانقاة الصلاحية التى يرجع تاريخها إلى القرن (٦هـ / ١٢م) وكانت تشتمل على صحن وأربعة إيوانات خصصت لتدريس المذاهب الأربعة حتى قبل أن تختص الخانقاوات بتدريس هذه المذاهب، كذلك لم يرد فيما جاء عن هذه الخانقاوات بهذا الكتاب ذكر لأية ترميمات أو اصلاحات، رغم أن كثيراً من هذه الخانقاوات قد تناولتها لجنة حفظ الآثار العربية بالعديد من الأعمال الترميمية والاصلاحية التى أعادت بعضها إلى سابق عهده من الكمال والجمال، بينما تركت بعضها الآخر نهباً لعوادى الزمن فأتت عليه ولم تبق منه إلا القليل.

ورغم اشتمال نصوص الكتابات المنقوشة على هذه الخانقاوات على العديد من الألقاب والوظائف الخاصة بمنشيها مثل المولوى الأميرى الأجلى الكبيرى المخدومى الاستفهسلارى

الأستادار المهمندار الذخرى العضدى المشيرى السفيرى . . الخ فإن ما ورد عن هذه النصوص فى الكتاب المشار إليه لم يتناول شرح أى من هذه الألقاب رغم أن تفسير ذلك يعد عنصراً هاماً مكملاً لما جاء عنها كترجمة صاحب المنشأة تماماً، وهناك الكثير من المصادر والمراجع التى تناولت هذا الجانب بالشرح والتفصيل مثل معالم الكتابة ومغانم الإصابة لابن شيت المتوفى سنة (٧٤٨هـ) وصبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى المتوفى سنة (٨٢١هـ) والألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار للأستاذ الدكتور حسن الباشا الذى نشرته مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٧م، والفنون الإسلامية والوظائف لنفس المؤلف الذى نشرته دار النهضة العربية سنة ١٩٦٥م وغيرها.

ورغم الحديث عن الكثير من خانقاوات العصرين المملوكى البحرى والمملوكى البرجى فى هذا الكتاب بالصورة المشار إليها، فإن خانقاوات أخرى كثيرة قد أسقطت منه ولم يشر إليها مثل الخانقاة الصلاحية «سعيد السعداء» وخانقاة يونس الدوادار وخانقاة الأشرف برسباى بقرافة المماليك وخانقاة الأشرف إينال بصحراء قايتباى وخانقاة قوصون وخانقاة قرقماس السيفى بنفس الموقع، بالإضافة إلى ما ذكر منها فى فقرة واحدة مثل خانقاة سعد الدين بن غراب وخانقاة أيدكين البندقدارى.

ورغم أن التصوف لم يكن قاصراً فى الفترة موضوع البحث ولا قبلها ولا بعدها على الخانقاوات فقط، لأن وظيفة الخانقاة كانت قد أدتها - كما هو معروف - أبنية أخرى مثل الأربطة والزوايا والتكايا بل وبعض المدارس التى الحق بها منشئوها بعضا من المتصوفة، فإن شيئاً من ذلك لم ترد له إشارة فى أى من الكتابين المشار إليهما.

وأخيراً فإنه لم يشر فى أى من هذين الكتابين بشىء عن أوقاف هذه الخانقاوات من الأراضى والعقارات التى أوقفت على بعضها باستثناء ما أورده الكتاب الأول عن وثائقها، رغم أن جانباً هاماً من ذلك كان من الممكن العثور عليه فى بطون بعض المصادر العربية مثل الإنتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق، والتحفة السنية بأسماء البلاد المصرية لابن الجيعان وغيرهما، وقد وجدت فى هذه الكتب كثيراً من الأراضى والنواحى التى أوقفت على بعض هذه الخانقاوات للصرف من ريع أوقافها على أبنيتها من ترميم وصيانة، وعلى القائمين عليها من

المشايخ والمتصوفة والنظار ومدرسى المذاهب وكتاب الغيبة والخدم ونحوهم، مما أتاح لنا فرصة طيبة لاستخلاص الموقف المالى لما كان ينفق على المنقطعين فيها باسم الدين، وهو أمر لا خلاف على حرمته من الناحية الشرعية لأن الإسلام دين عمل لا دين رهبنة وكلنا يعلم أنه لا رهبانية فى الإسلام، وأن من يعول المنقطع فى المسجد أعبد منه، ليس هذا فقط بل أن عمر بن الخطاب (ر) كان يسأل عن الرجل فيقول : أله حرفة ؟ فإن قيل له لا سقط من عينه.

لكل هذا كان من الضرورى إعادة الكتابة فى هذا الموضوع بصورة تستدرك كافة النواقص المشار إليها، لتسد رمق الباحثين فيه بشكل أكثر تفصيلاً، وقد فرضت علينا المادة الوافرة التى أمكن جمعها من كل ما أتيح لنا الإطلاع عليه من المصادر والمراجع خاصا بموضوع خانقاوات الصوفية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى، أن يكون مدخل هذه الدراسة مسرحاً لعرض كثير من النقاط الهامة الوثيقة الصلة بالموضوع مما لم يرد معظمه مع دراسة سابقة حتى الآن، وقد أمكن حصر هذه النقاط بعد تصنيف مادتها فيما يلى :

١- معنى الخانقاة ووظائفها .

٢- تاريخ الخانقاة وأوقافها .

٣- الدراسة والمكتبة فى الخانقاة .

٤- تصوف فى غير الخانقاوات .

٥- أصل التصوف ومعناه .

٦- خرقة التصوف وعهده .

٧- صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم .

٨- أعلام الصوفية وخوارجهم .

٩- عمارة الخانقاة وخصائصها .

١٠- المنشآت التابعة للخانقاة .

١١- الخانقاوات الدارسة .

١٢-الرباط والزاوية والتكية .

وقد رؤى تبعاً لهذا التنوع فى المعلومات المجموعة أن تقسم هذا النقاط إلى ثلاثة فصول تكون بمثابة أرضية خصبة ورحيبة لهذا الموضوع الكبير يختص الفصل الأول منها بدراسة تاريخية تتناول النقاط الأربع الأولى (من ١-٤) ويختص الفصل الثانى بدراسة صوفية تتناول النقاط الأربع الثانية (من ٥-٨) ويختص الفصل الثالث بدراسة أثرية معمارية تتناول النقاط الأربع الأخيرة (من ٩-١٢).

ولكن يبقى مع ذلك ضرورة الاعتراف بأن كافة النواقص التى لوحظت على الكتب المشار إليها لا يمكن لها أن تقلل من قيمته العلمية شيئاً، لأنه لولا هذه الكتب ما كان لنا هذا الكم الهائل من المعلومات التى حاولنا من خلالها أن نعيد بحث الموضوع بهذه الصورة التى نرجو أن نكون قد وفقنا فيها، فإن كنا قد أصبنا ففضلاً من الله ونعمة، وإن كنا قد أخطأنا فما أردنا إلا الصواب ما استطعنا وما التوفيق إلا من عند الله، وفوق كل ذى علم عليم.

المؤلـــف

الفصل الأول
دراسة تاريخية

الفصل الأول
دراسة تاريخية

ينحصر حديثنا فى هذا الفصل عن دراسة الخانقاوات من الناحية التارخية فى أربع نقاط رئيسية هى :

١– معنى الخانقـاة ووظائفهـا.

٢– تاريخ الخانقـاة وأوقافـهــا.

٣– الدراسة والمكتبة فى الخانقاة.

٤– تصـوف فى غيـر خانقاوات.

١– معنى الخانقاة ووظائفهـا :

تحدث كثير من مؤلفى المصادر والمراجع العربية عن معنى الخانقاة ووظائفها، فذكر ابن بطوطة فى القرن (٨هـ /١٤م) أن أصل الخانقاة هو الزاوية حين قال «وأما الزوايا فهى كثيرة وهم يسمونها الخوانق واحدتها خانقة[1]» وقال المقريزى فى القرنين (٨–٩هـ / ١٤–١٥م) أن «الخوانك جمع خانكاة» وهى كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها «خونقاة» أى الموضع الذى يأكل فيه الملك، والخوانك حدثت فى الإسلام فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى[2].

أما محقق كتاب السيوطى الذى يرجع إلى القرنين (٩–١٠هـ / ١٥–١٦م) فقد اتفق فى اللفظ مع ما ذكره ابن بطوطة واختلف فيه مع ما أشار إليه المقريزى حين قال تعليقاً على ذكر السيوطى للخانقاة أن «جمعها خوانق» وهى معاهد دينية أنشئت لايواء المنقطعين للعلم والزهاد والعباد، والخانقاة لفظة فارسية معناها البيت، وهى حديثة فى الإسلام فى حدود الأربعمائة، وجعلت لتخلى الصوفية فيها للعبادة والتصوف[3].

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) وأعاد علينا ما ذكره المقريزى مختلفاً فى ذلك مع ما أشار إليه كل من ابن بطوطة ومحقق السيوطى حين قال «الخوانك مفردها خانكاة بالكاف وهى كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها خونقاة بالقاف أى الموضع الذى يأكل فيه الملك» [٤].

أما ما ورد عن معنى الخانقاة فى المراجع العربية فهو كثير، ومؤداه أن لفظ «خانقاة» هو لفظ فارسى معناه فى الأصل المائدة أو المكان الذى يأكل فيه الملك، ثم أطلق بعد ذلك على الخوانق أو الخانقاوات أو الدور التى قام على إنشائها المملوك والأمراء الراغبون فى عمل القرب والمبرات لأغراض كثيرة أهمها إيواء الغرباء من المسلمين الوافدين إلى ديارهم والقيام بمعيشتهم وتثقيفهم، ومع أن الصلوات الخمس المفروضة كانت تؤدى فى ايوان خاص للصلاة بهذه الخانقاوات إلا أن صلاة الجمعة لم تكن تقام فيها [٥].

ويغلب على الظن أن المقريزى وعلى باشا مبارك كانا على حق دون كافة من أشاروا إلى تعريف هذه اللفظة عندما قال كل منهما أن هذه المنشأة المعمارية الدينية كانت تسمى «خانكاة» وجمعها «خوانك» ففى بحث متخصص عن «الألفاظ الفارسية فى العامية المصرية» قيل أن لفظ «خانكة» مأخوذ من الكلمة الفارسية «خانكاة» التى عربت إلى «خانقاة» بمعنى محل اجتماع الدواوين، وهى لفظة مركبة من مقطعين هما (خانة + كاة) ثم دخلت العامية بمعنى المستشفى الخاص بالمجانين [٦].

ومن هنا نرى أن الخانقاة وهى بيت الصوفية كانت أشبه ما تكون بالمدرسة، لأنها كانت فعلاً مدرسة العامة ممن نذروا أنفسهم لحياة الزهد والتقشف، سواء كانوا من ابناء الشعب أو من أرباب الحرف والصناعات الذين عملوا على حمل مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الطرق والأسواق، فتشابهت الخانقاة بذلك مع المدرسة من حيث الشكل والوظيفة.

ومن المعروف أن أهل الصوفية فى المغرب كانوا يسمون (بالمرابطين) أخذا من الرباط الذى كانوا يرابطون فيه للجهاد فى سبيل الله حماية لحدود الدولة الإسلامية، وبذلك اختلفت الصوفية فى المغرب عنها فى المشرق، فهناك كانت عملاً ايجابياً يقره الدين تماماً، وهنا كانت عملاً سلبياً

لم يخرج عن مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٧].

ومن هنا أيضاً حدث الخلط بين المدرسة والرباط والخانقاة، لأن الرباط فى الأصل كان كما قلنا - هو المكان الذى خصص للمرابطة فى الثغور على حدود الدولة، وكان من الجائز أن يقوم الفقهاء بهذه المرابطة فى الربط لأن معنى المتصوف موجود فى الفقيه والعكس غير صحيح، ولذا كانت إقامة الصوفية فى الربط وتناول راتبها وجرايتها أمر جائزاً بعكس المدارس التى لم يكن من الجائز للمتصوف الاقامة فيها أو أخذ جرايتها[٨].

والخلاصة أن الخوانك فى الإسلام كانت عبارة عن دور للعلم والعبادة قامت بأدوار دينية اجتماعية وثقافية هامة فى حياة المجتمع الإسلامى منذ نشأتها فى غالب الظن فى القرن (٥هـ / ١١م)، فالثابت لدينا مما ورد فى كثير من المصادر العربية أنها كانت أولاً معاهد للمذاهب الفقهية والحديث والقراءات والتصوف وغير ذلك من العلوم الشرعية وما يتصل بها، وكانت ثانياً مواقع إيواء لكل وافد إلى الديار من البلاد الإسلامية الأخرى ممن لم يكن لهم مأوى، وكانت ثالثاً مراكز اشعاع ثقافى بما احترته بعض مكتباتها من الكتب المصنفة فى كثير من العلوم والمعارف، يدل على ذلك مثلاً أن خانقاة شيخو كانت تشتمل طبقاً لما ورد فى وقفيتها على أربعة دروس للمذاهب الفقهية إلى جانب درس للحديث النبوى ودرس لإقراء القرآن بالقراءات السبع، وجعل لكل درس من هذه الدروس مدرس وجماعة اشترط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف.

أما عن وظائف الخانقاة التى سيرد ذكرها بالتفصيل عند الحديث عن كل منشأة من هذه المنشأت فكانت كثيرة ومتعددة، منها شيخ الخانقاة وإمامها وناظر وقفها ومدرسو المذاهب ومعيدوهم والكحال والجرائحى والطبائعى وخازن الكتب وكاتب الغيبة والشاهد والمؤذن والمزملاتى ومشرف الحمام ومشرف المطبخ والطباخ وخادم الشيخ وخادم الربعات الشريفة والبواب والفراش وسواق الساقية والوقاد ونحوهم، وإن دل هذا الكم الهائل من الوظائف على شيء، فإنما يدل على حجم ما كان فى هذه الخانقاوات من وظائف متنوعة كان كل واحد من أربابها يتقاضى نظير عمله بالخانقاة أجراً نقدياً راعى فيه الوقف أن يتناسب مع ثرائه المالى ومقامه الاجتماعى، علاوة على ما كانوا جميعاً يشتركون فيه من أجر عينى انحصر فى المأكل من الخضروات واللحوم والأرز واللبن والعسل والحلوى ونحوها، وفى الملبس والصابون وغير ذلك من الأرزاق الوافرة التى كانت توزع

عليهم مما سيرد ذكره بالتفصيل كل فى موضعه.

٢ – تاريخ الخانقاة وأوقافها:

يقول المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ/١٤ – ١٥م) أن الخوانك فى الإسلام حدثت فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة، ثم أشار إلى أن زيد بن صوحان بن صبرة هو أول من اتخذ بيتا للعبادة فى عهد ثالث الخلفاء رضوان الله عليهم حينما عمد إلى رجال من أهل البصرة كانوا قد تفرغوا للعبادة وليست لهم تجارات ولا غلات، فبنى لهم دوراً وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من ملبس ومطعم ومشرب، ثم جاء يوماً لزيارتهم فإذا عبد الله بن عامر عامل عثمان بن عفان رضى الله عنه على البصرة قد دعاهم، فأتاه زيد وقال له يا ابن عامر ماذا تريد من هؤلاء القوم ؟ قال أريد أن أقربهم فيشفعوا فأشفعهم ويسألوا فأعطيهم ويشيروا على فأقبل منهم، قال زيد أتانى إلى قوم قد انقطعوا إلى الله تعالى فتدنسهم بدنياك وتشركهم فى أمرك، حتى إذا ذهبت أديانهم أعرضت عنهم فطاحوا لا إلى الدنيا ولا إلى الأخرة، ثم أشار إليهم بقوله قوموا فارجعوا إلى مواضعكم فقاموا فأمسك ابن عامر فما نطق بلفظه (٩)، ومعنى ذلك أن هناك فارقاً زمنياً كبيراً بين إرجاع المقريزى لحدوث هذه الخوانك فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة وبين أول خانقاة عملها زين بن صوحان – على عهد الخليفه الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه فى القرن الأول الهجرى، وقد نقل على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ / ١٩م) هذه القصة كاملة عن المقريزى، إلا إنه أضاف أن اسم الخانقاة لم يكن مستعملاً فى مصر على عهده وإنما استعمل بدله لنفس الغرض لفظ التكية والزاوية (١٠).

والواقع أن أول خانقاة فى مصر – طبقاً لما ورد فى كافة المصادر والمراجع بغير خلاف – هى الخانقاة الصلاحية التى كانت تعرف بدار سعيد السعداء، وهو الأستاذ قنبر أو عنبر عتيق الخليفة المنتصر بالله الفاطمى الذى قتل سنة (٥٤٤ هـ/ ١١٤٩م)، وقد حدث ذلك عندما استقل صلاح الدين بأمور مصر، فعمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية – طبقا لما سيرد ذكره تفصيلا عند الحديث عن هذه الخانقاة – ووقف عليها أوقافا كثيرة فكانت بذلك أول خانقاة عملت بديار مصر، وعرفت بدويرة الصوفية وكان أهلها يعرفون بالعلم والصلاح، ولا زالت بقايا هذه الخانقاة قائمة حتى الآن بحى الجمالية من القاهرة وتعرف بجامع الخانقاة (١١).

أما ما ورد عن تاريخ الخانقاة فى المراجع العربية فإنه يعود إلى الوراء قليلا ليشير إلى أن الكرامية (أصحاب محمد بن كرام) كانوا قد شيدوا قبل القرن (٤هـ/١٠م) عدد كبيراً من مجالس الذكر فى إيران وما وراء النهر وبيت المقدس، وكانت لهم محلة بالفسطاط(١٢) ومعنى ذلك أن ظهور الخوانق بمعناها المعروف فى شرق العالم الإسلامى خلال العصر العباسى فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى كان قد سبقه ما شيده الكرامية قبل ذلك بقرن من الزمان تقريبا(١٣).

وصفوة القول أن أول ظهور حقيقى للخانقاة كان – على ما يبدو – فى إيران خلال القرنين (٣ – ٤ هـ/٩ – ١٠م) حيث كانت هذه الأبنية قد وصلت إلى مرحلة متطورة التنظيم والتوجيه، فوضعت لها القوانين واللوائح المنظمة لأداء المهمة التى أنشئت من أجلها، وكانت الخانقاة فى هذه الفترة تنقسم من الناحية المعمارية إلى قسمين رئيسيين خصص أولهما لاجتماع الشيخ بمريديه وسمى بالفارسية «جماعت خانة» أودار الجماعة، وخصص ثانيهما لخلوات الصوفية والمطبخ ونحو ذلك من الأبنية اللازمة للاقامة الدائمة، واستكمل هذا التنظيم بالأحباس التى خصصت لهذه الخانقاوات فتطورت رسالتها فى أواخر القرن (٥ هـ/ ١١م) وأضيفت إليها مهمة تعليمية استهدفت علوم الدين ومذاهبه.

أما فى مصر فقد عرفت الخانقاة فى زمن متأخر نسبيا خلال العصر الأيوبى فى النصف الثانى من القرن (٦هـ/١٢م)، وكان ذلك بفضل صلاح الدين الأيوبى الذى نقل الخانقاة بنظمها ولوائحها وأحباسها، واختصت الدار الفاطمية سعيد السعداء بها بعد أن عدل كيانها المعمارى لتفى بالغرض الذى سعى إليه ولتؤدى من خلاله رسالتها التى أنيطت بها، إلى أن كان العصر المملوكى بشقية البحرى والبرجى فأصبحت الخانقاة عمارة مستقلة لها تخطيط خاص تعددت جوانبه واكتملت مقوماته حتى بلغ ذروته عندما اصبحت الخوانق شبه جامعات كبرى يفد إليها طلاب العلوم ولا سيما الدينية من كافة الأقطار الإسلامية بالشروط التى كانت تتفق مع نظمها ولوائحها التى وضعت من خلال شروط واقفيها.

ورغم ما قد يتبادر إلى الذهن من ضرورة خلو هذه الخانقاوات من أية مظاهر زخرفية بصفتها دور عبادة وزهد وتصوف، إلا أنها جاءت مشتملة على كثير من مظاهر العظمة المعمارية

والفنية التى تجلت فى واجهاتها الداخلية والخارجية وفى محاريبها وقبابها وأرضياتها وسقوفها، وفى كل ما اشتملت عليه من منابر وكتيبات وكراسي وغيرها، فزخرت هذه الأجزاء جميعاً بشتى آيات النقش الفنى ممثلاً فى كافة عناصر الزخرفة النباتيه والهندسية والكتابية التى عرفتها الفنون العربية الإسلامية بصفة عامة.

ويبدو أن صوفية هذه الخانقاوات – ولا سيما الرعيل الأول منهم – كانوا يشاركون مشاركة إيجابية فى حياة المجتمع العلمية، فكان شيوخها الأوائل من حملة علوم الشريعة يمتازون بعلوم التزكية وتصفية النفس مما جعل الأقبال على هذه الخوانق كبيراً إلى أن انحط أمرها فى آخر المطاف وسكنها الأراذل بعد الصفوة (١٤).

أما عن أوقاف هذه الخانقاوات فإنه يمكن القول بإختصار أن سلاطين المماليك كانوا قد اهتموا بها كثيراً وأوقفوا عليها الأوقاف السخية من العقارات والأراضى، فإذا تم بناء إحداها وكانت للسلطان افتتحها السلطان بنفسه فى حفل كبير بحضره رجال الدين والقضاة ومشايخ الصوفية، وقد حرصت معظم الحجج المتعلقة بهذه الأبنية على وضع الشروط الكفيلة بانقطاع الصوفية فيها للعبادة وعدم تغيبهم عنها أكثر من ثلاثة أيام فى الشهر الواحد لا يقطع لهم فيها معلوم، فإن غاب أحدهم أكثر من هذه الثلاثة أيام انقطع معلومه ووفرلجهة الوقف.

على أن الملاحظ لهذا الجانب من حياة أى خانقاة يكتشف أمرا هاماً حرص عليه صوفية كل منها ودافعوا عنه كثيراً، فلم يكن من مصلحتهم ووقف الخانقاة ثابت لا يتغير أن يزداد عددهم حتى لا تؤدى هذه الزيادة العددية إلى نقص فى رواتبهم وجراياتهم بما يؤدى بدوره إلى انخفاض مستوى معيشتهم، وكان من نتيجة هذا الحرص على ما يبدو أن ظهرت العصبيات الطائفية بينهم، ليس هذا فقط بل إن عملية انتقال مريد من شيخ إلى شيخ أو من خانقاة إلى أخرى كثيراً ما كانت تترجم إلى نزوع هذا المريد إلى الدنيا وترك الدين، خاصة وأن بعض هذه الخانقاوات كانت تتمتع بأوقات كثيرة تجعل حياة صوفيتها أكثر ليونة وسعة (١٥)، ومهما يكن من أمر فإن ادخال هذه المنشآت إلى مصر كان بمثابة انقلاب ثقافى فيها أدى إلى زوال صفة الهرطقة الشيعية منها وإلى تدفق الثقافات المختلفة عليها من جميع أنحاء العالم الإسلامى (١٦). وستـرد

الإشارة إلى هذه الأوقاف بالتفصيل عند الحديث عن كل خانقاة عثر لها على شيء من ذلك.

٣- الدراسة والمكتبة فى الخانقاة :

يرجع أصل التدريس فى الخانقاة إلى موضوع التدريس فى الإسلام الذى نشأ – على ما يبدو – بنشأة المجتمع الإسلامى الأول، فقد روى الإمام الغزالى أن جماعة من الصحابة كانوا يمارسون ذلك فى مسجد قباء على عهد الرسول ﷺ [١٧]. وكان من نتيجة ذلك أن استخدمت المساجد للدراسة منذ ذلك العهد. وكان مسجد الرسول بالمدينة هو أول جامعة للمسلمين، فيذكر ابن خلكان فى القرنين (٦-٧ هـ/ ١٢-١٣م) أن أبا عثمان بن ربيعة كان يجلس فى المسجد فيأتيه مالك والحسن وأشراف المدينة للأخذ عنه وكانت له فيه حلقة وافرة [١٨].

ومن هنا جاءت حلقة التدريس فى الإسلام فلا يكاد يخلو تاريخ شيخ من الشيوخ من الإشارة إلى حلقة كانت له بمسجد من المساجد، حتى انتشرت هذه الحلقات منذ العصور الإسلامية المبكرة فى المساجد الجامعة بمصر والشام والحجاز والعراق والقيروان وقرطبة وغيرها، وقد سمى المؤرخون الدرس فى هذه المساجد الجامعة «حلقة» لأن مريدى العلم كانوا ينتظمون فى حلقة تضيق وتتسع حول شيخها تبعاً لعدد الطلاب الدارسين عليه، ولعل خير ما ينقل فى هذا الصدد ما ذكره السيوطى فى القرن (١٠هـ/١٦م) من أن أبا بكر النعالى أمام المالكية فى مصر المتوفى سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) كانت حلقته فى الجامع العتيق (يقصد جامع عمرو بن العاص) تدور على سبعة عشر عموداً لكثرة من يحضرها [١٩].

وتأتى دورة الحلقة على الأعمدة لأن كل شيخ كما يقول ابن جبير فى القرن (٦هـ/١٢) والمقريزى فى القرن (٩هـ/١٥) كان يستند إلى سارية فى المسجد أو إلى اسطوانة أو عامود فيه، حتى أن هذه الأسطوانة كانت تظل وقفاً عليه ما دام قائماً بالتدريس وهو على قيد الحياة وكثيراً ما تنسب إليه بعد وفاته [٢٠] ومما لا شك فيه أن هذه الاسطوانة كانت موضع اعتبار كامل من الطلاب، وكان لها نظام مرعى منهم يدل على ذلك ما ذكره المقدسى فى القرن (٤هـ/١٠م) بقوله أن الشيخ إذا قدم لاسطوانته نادى أحد مريديه على الباقين بقوله «دوروا وجوهكم نحو المجلس» [٢١].

ومع ذلك فإن هذا النظام لم يمنع من أن يجلس بعض المدرسين فى محراب المسجد بدلاً من الجلوس إلى الاسطوانة أو العامود، بل لقد سميت الحلقة فى بعض روايات المؤرخين ولا سيما ابن جبير والمقريزى «زاوية»، يؤيد هذا ما ذكره ابن جبير فى القرن (٦هـ/١٢م) من أنه كان للمالكية بجامع دمشق الأموى زاوية للتدريس فى الجانب الغربى منه (٢٢)، وما ذكره المقريزى فى القرن (٩هـ/١٥م) من أنه كان بجانب عمرو بن العاص بالفسطاط «زوايا» يدرس فيها الفقه (٢٣).

والواقع أن هذه الحلقات لم تكن مقصورة – على ما يبدو – على علوم الدين فقط، بل جلس للتدريس فيها مشايخ علوم اللغة وعلوم النحو وعلوم التاريخ وغيرها من العلوم النقلية، وظل التدريس فى المساجد الجامعة بهذا الشكل مستمراً منذ القرن الهجرى الأول (القرن الميلادى السابع) وما زال مستمراً فى بعضها حتى عصرنا الحاضر (٢٤).

وهكذا كان أصل التدريس فى الإسلام، يستوى فى ذلك التدريس فى المدارس أو فى الخانقاوات، أما عن أجور المدرسين وسكن الطلاب، فتفيدنا المصادر والمراجع أن هذا التدريس كان مباحاً لكل من وجد فى نفسه القدرة عليه، تماماً كما كان الاستماع إلى الدرس مباحاً لكل من رغب فيه، فكان العلماء يعلمون والطلبة يتعلمون، كل على حسابه الخاص باستثناء ما كان يمنحه الخلفاء والأمراء ونحوهم من هبات، وكانت مسئولية حياة الشيوخ ومريديهم تقع فى تلك الحقبة المزهرة من تاريخ العلوم الإسلامية على عاتق جماعة المسلمين الذين اعتبروا بيت الله وما يدرس فيه مسئووليتهم، فقدموا للمدرسين والدارسين كل ما يعوزهم حتى يعينوهم على هذا العمل الجليل من الدرس والتحصيل.

وظل الأمر على ذلك قروناً عديدة حتى كانت أول خطوة من خطوات تدخل الخلفاء والولاة وأولى الأمر فى شئون التدريس، فأنشأوا له دور العلم وبيوت الحكمة التى سرعان ما عينوا لها المدرسين لقاء راتب محدود، ويذكر المقريزى أن أول درس بديار مصر من هذا النوع كان فى خلافة العزيز بالله الفاطمى ووزارة يعقوب بن كلس سنة (٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) عندما بنى العزيز دارا لجماعة الفقهاء بجوار الأزهر، وكان هؤلاء خمسة وثلاثون فقيهاً رتب الخليفة لكل منهم من المعلوم ما يكفيه (٢٥)، ويغلب على الظن أن هذا المعلوم كان يجرى على المدرسين والطلاب على السواء، وفى هذا ما يثبت أن بناء الدور العلمية للشيوخ والمريدين، وجراية الأرزاق عليهم، كان قد

أصبح حقيقة واقعة فى مصر منذ العصر الفاطمى على الأقل.

ثم جاءت الإشارة إلى الأجر المعلوم فى شرق العالم الإسلامى فى إيران فيما ذكره الإمام السبكى فى القرن (٨هـ/١٤م) من أن نظام الملك (الحسن بن على الطوسى) وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقى الذى توفى بعد العزيز بالله الفاطمى بقرن من الزمان كان يجرى المعاليم على الفقهاء والطلبة[٣٦]، وفى هذا يقول السيوطى فى القرنين (٩-١٠هـ/١٥-١٦م) أن هذا الوزير كان يحب الفقهاء والصوفية ويكرمهم ويؤثرهم فبنى لهم المدرسة النظامية فى بغداد سنة (٥٩هـ/١٠٦٦م)، واقتدى الناس به فى بناء المدارس، [٢٧] ومع ذلك فقد عاد السيوطى إلى القول نقلا عن الحافظ الذهبى فى تاريخ الإسلام أنه أنكر على من زعم أن نظام الملك كان أول من بنى المدارس مدللا على ذلك بكثير من المدارس التى بنيت قبل أن يولد نظام الملك نفسه، ومنها مدارس نيسابور الأربع (البيهقية والسعيدية والاستراباذية نسبة إلى إسماعيل بن على الاستراباذى الصوفى ومدرسة أبى اسحاق)[٢٨] وكانت هاتان الحالتان - على ما يبدو - سببا فى شيوع التدريس بأجر معلوم فى بقية أنحاء العالم الإسلامى منذ القرن (٥هـ/ ١١م)، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن جبير فى القرن (٦هـ/ ١٢م) من أنه شاهد عند زيارته للجامع الأموى فى دمشق سنة (٥٨٠هـ/١١٨م) فقيها إشبيليا عرف بالمراوى كان يستند إلى سارية من سوارى المسجد وكان لهذه السارية وقف معلوم يأخذه المستند إليها للتدريس والمذاكرة[٢٩].

ونعود إلى مصر لنجد المقريزى يقول أنه فى سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٥م) رتب المنصور قلاوون فى قبته درسا للحديث النبوى ودرسا للتفسير[٣٠]، وفى سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) رتب الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير دروسا للمذاهب الفقهية الأربعة ودرسا لاقراء الحديث فى مسجد الحاكم وجعل لكل درس مدرسا وعدة كثيرة من الطلبة [٣١]، ومما لا شك فيه أن تحديد الرواتب للمدرسين وتعيين الجرايات لهم كان بمثابة الخطوة التى اتخذها الخلفاء والولاة - كما قلنا - ذريعة للتدخل فى شئون التدريس بصفة عامة، إما تكريما لأحد أو تقريبا له دون أحد آخر، وإما تمييزا للبعض دون البعض لأسباب سياسية أو دينية، ويؤيد ذلك ما ذكره ياقوت فى القرنين (٦ - ٧هـ/ ١٢ - ١٣م) من أن الشيخ يحيى بن على الخطيب التبريزى كان قد أخرج من المدرسة النظامية التى رتب لتدريس النحو فيها لاتهامه بالتشيع[٣٢].

وطبقا لما أشار إليه القلقشندى في القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) فقد اعتبرت مشيخة الخوانق (التي لم تكن تختلف كثيراً عن مشيخة المدارس) من الوظائف التي يصدر بها مرسوم من ديوان الإنشاء السلطاني، واختلفت مكانه كل شيخ من شيوخ هذه الخانقاوات تبعا لأهمية الخانقاة التي يتولى مشيختها[٣٣] واشترط فيه أن يكون من جماعة الصوفية ممن عرف بصحبة المشايخ، وألا يكون قد أتخذ من التصوف حرفة[٣٤]، كذلك كان الحال بالنسبة للمدرسين، فقد ذكر القلقشندى أيضاً أن وظيفة التدريس بالمدرسة (أو الخانقاة) كانت جليلة القدر، يخلع السلطان على صاحبها ويكتب له توقيعا من ديوان الانشاء يختلف باختلاف المادة التي سيقوم بتدريسها، وفي هذا التوقيع يقدم النصح للمدرس بألا يبخل بمكنون علمه على الطلاب، وأن يقوم على الدرس طلق الوجه منشرح الصدر ليستميلهم إليه ويربيهم كما يربى الوالد ولده[٣٥]، وجرت العادة كما يقول الذهبي أن يعين لكل مدرس معيد أو أكثر تكون مهمته أن يعيد للطلبه ما ألقاه الشيخ حتى يزيد فهمهم له ويحسنوه[٣٦].

أما بالنسبة للطلبة فالراجح أنهم كانوا يتمتعون بحرية اختيار المواد التي يدرسونها، وكثيراً ما اعتمد هذا الاختيار على مكانة المدرس وشهرته العلمية، ويظل الطالب يدرس مع أحد المدرسين أو الشيوخ حتى يأخذ منه كفايته، ثم ينتقل إلى آخر وهكذا، فإذا أتم هذا الطالب دراسته وتأهب للفتيا والتدريس أجاز له شيخه ذلك وكتب له إجازة تشتمل على اسم الطالب وشيخه ومذهبه وتاريخ حصوله عليها إلى غير ذلك من التوثيق الذى يبيح له القيام بالفتيا والتدريس[٣٧] وكثيراً ما نصت شروط الوقف بالنسبة للخانقاوات على تفضيل الأفقر والأحوج من طلاب أهل البلاد، ثم يليهم في الأفضلية الفقراء المغتربون، علاوة على تقديم الأعزب دون المتزوج للمبيت في خلوات الصوفية بها حتى يكون منقطعا للعبادة متفرغا لها[٣٨].

ولم تخل هذه الدراسة كما يقول السخاوى في القرنين (٩–١٠هـ/١٥/١٦م) من ضروب الترويح عن النفس أحياناً، فكثيراً ما أقيمت الحفلات في مختلف المناسبات الدراسية كختم البخارى أو تصنيف كتاب أو نحو ذلك، حيث يقوم صاحب الحفل بإحضار مالذ وطاب من المأكول، فيجلس أهل المدرسة ومعهم الأعيان والقضاة في مناقشات علمية خفيفة حتى ينتهى الحفل الذى غالباً ما كان على نفقة صاحبه ونادراً ما كان على نفقة المدرسة[٣٩].

والحقيقة أن هذه الحياة العلمية لم تخل – على ما كان لها من حسنات ومزايا – من بعض الأمراض الاجتماعية التى زكاها التباغض والتحاسد بين العلماء والطلاب على السواء نتيجة تفضيل البعض، ونتيجة تشوق بعض الشيوخ فى ذلك العصر إلى المناصب، فبذلوا الأموال فى سبيل الوصول إليها، الأمر الذى كان له أسوأ الأثر بين العلماء والطلاب على السواء.

أما بالنسبة للمكتبات فى هذه الأبنية فقد أفادتنا بعض المراجع العربية أن غالبية هذه المدارس والخانقاوات كانت تلحق بها خزانة كتب تضم العديد من المؤلفات فى مختلف العلوم والفنون، يرجع إليها المدرسون والطلاب للاستزادة من البحث والاستقصاء كل فى مجال تخصصه، وكان يشرف على هذه الخزانة أمين للمكتبة يقال له خازن الكتب، كانت مهمته ترتيب هذه الكتب وتنظيمها وحفظها وحبكها وترميمها، بالإضافة إلى قيامه بإرشاد القراء إلى مايلزمهم منها، لذلك كان اختيار هذا الخازن امراً تحدد له شروط أهمها أن يكون فقيها عالماً يراعى فيه سعة العلم والأمانة [٤٠].

وقد وجدت خزائن هذه الكتب بالإضافة إلى المدارس فى كثير من الترب والربط والخانقاوات، فيذكر ابن خلكان فى القرن (٧هـ/١٣م) أنه عثر فى خزانة كتب التربه الأشرفية بدمشق على ديوان فى مجلد كبير للشاعر اسعد بن يحيى [٤١]، ويذكر ياقوت فى القرنين (٦ـ٧هـ/ ١٢ـ ١٣م) أنه شاهد المكتبة الضميرية فى خانقاة بمرور [٤٢].

وقد الحق بمعظم هذه الخزائن غرف للنسخ، يجلس فيها النساخ على مراتب مهيأة لهم ينسخون عليها الكتب التى يطلب منهم نسخها عن طريق موظف اختص بجلب هذه الكتب إليهم واعادتها إلى أماكنها بعد نسخها، كذلك كانت هذه الخزائن تزود بالبسط والسجاجيد والستائر وجميع ألوان الأثاث الذى يمكن رواد الخزانة من المطالعة المريحة، يؤيد ذلك ما ذكره المقريزى من أن دار الحكمة بالقاهرة لم تفتح للناس إلا بعد فرشت وزخرفت وعلقت الستائر على جميع أبوابها وممراتها [٤٣].

ويغلب على الظن أنه كانت هناك بهذه الخزائن غرف للمطالعة وأخرى للمناظرة والاجتماعات والمحاضرات، كما زودت الغرف المعدة لخزن الكتب بالأرفف الخشبية التى جعلت

فى بعض الخزائن مفتوحة دون مصاريع عليها، وذات مصاريع واقفال في بعضها الآخر لحماية كنوزها من أن تعبث بها أيدى العابثين، وقد درجت أغلب المكتبات على تزويد روادها بالأقلام والأحبار والأوراق وكل ما يساعدهم على النسخ[٤٤]، وكان يعهد بالإشراف على المكتبات الكبرى إلى ثلاثة أشخاص يأتى على رأسهم المشرف الأعلى ويسمى الوكيل، يليه أمين المكتبة ويسمى الخازن، يليه مساعد الأمين ويسمى المشرف، وقد ظلت المحافظة على هذا النظام الإشرافى الثلاثى قائمة مع مرور الزمن وإن تغيرت فيها المسميات.

٤– تصوف فى غير خانقاوات :

يذكر السخاوى وابن حجر وابن الغزى وغيرهم من مصنفى كتب التراجم العربية كثيراً من المعلومات التى يستفاد منها أن وظيفة التصوف كانت تباشر فى كثير من الأبنية الأثرية التى لم يرد لها ذكر فى أى من المصادر والمراجع التى تحدثت عن الخانقاوات ولا سيما المدارس والترب، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنه كان هناك تصوف فى كثير من المنشآت المعمارية المملوكية غير الخانقاوات، وقد أحصينا هذه الأبنية فوجدناها تزيد عن العشرة وهى المؤيدية ومسجد الطواشى علم دار والجامع الجديد الناصرى بمصر والصرغتمشية (بتربة الصحراء وبمدرسة حارة الديلم) والفخرية وتربة باب القرافة وتربة قايتباى والسنقرية.

وقد ذكر السخاوى فى القرنين (٩–١٠هـ/١٥–١٦م) فيما يتعلق بالتصوف فى المؤيدية تراجم عديدة منها ترجمة إبراهيم بن حجاج بن محرز بن مالك الدهان أبو اسحاق الأبناسى ثم القاهرى الشافعى الذى ولد بعد الثمانين وسبعمائة بأبناس (وهى بلدة بالوجه البحرى) وقال «ولم يكن باسمه من الوظائف سوى التصوف بالمؤيدية»[٤٥].

وترجمة سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مصلح النابلسى الأصل المقدسى الحنفى نزيل القاهرة الذى عرف بابن الديرى (نسبة إلى الدير الذى بحارة المرد او بين بيت المقدس) وقد ولد فى رجب سنة ثمان وستين وسبعمائة فحفظ واشتغل واجتمع بجماعة من مشايخ الصوفية كالشيخ محمد القرمى وعبد الله البسطامى وسعد الهندى وابى بكر الموصلى ثم قال «وولى مشيخة المؤيدية تصوفا وتدريسيا .. مات فى تاسع ربيع الآخر سنة سبع وستين وثمانمائة

بمصر العتيقة ودفن بتربة الظاهر خشقدم» (٤٦).

وترجمة عبد القادر بن الشيخ عمر بن حسين بن على بن شرف بن سعيد بن خطاب محيى الدين الزفتاوى الأصل القاهرى المقدسى الشافعى الأحدب الذى ولد بالقاهرة ونشأ بها فحفظ واشتغل إلى أن تنزل فى صوفية المؤيدية وغيرها إلى أن مات فى شوال سنة ثلاث وثمانين (وثمانمائة) (٤٧).

وترجمة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الجمال القاهرى الحنبلى ويعرف بابن هشام الذى ولد بعد التسعين وسبعمائة بالقاهرة ونشأ يتيما فحفظ القرآن وأخذ ولازم واشتغل إلى أن تنزل فى صوفية الحنابلة بالمؤيدية أول ما فتحت بتعيين شيخهم العز البغدادى إلى أن مات فى صفر سنة خمس وخمسين (وثمانمائة) ودفن عند أبيه وجده بتربة سعيد السعداء(٤٨).

وبالنسبة للتصرف فى مسجد الطواشى علم دار فقد ذكر السخاوى ترجمتين أولاهما ترجمة داود بن سليمان بن حسن عبيد الله ابى زيادة أبو الجود بن ابى الربيع البنبى ثم القاهرى المالكى البرهانى الذى عرف بأبى الجود، ولد سنة (٧٩٢هـ) ببنب من الغربية بالقرب من جزيرة بنى نصر، ثم انتقل إلى القاهرة فلازم الاشتغال إلى أن ولى مشيخة الصوفية بمسجد علم دار بدرب ابن سنقر بالقرب من باب البرقية .. مات فى ربيع الأول سنة ثلاث وستين (٨٦٣هـ)(٤٩).

وثانيتهما ترجمة زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الزينى الأنصارى السنيكى القاهرى الأزهرى الشافعى القاضى الذى ولد سنة (٨٢٦هـ) بسنيكة من الشرقية ثم تحول إلى القاهرة سنة (٨٤١هـ) وعرضت عليه إمامة المدرسة الزينية الأستادار أول ما فتحت بشرط أن يكون ساكنها فأبى واستمر به العلم بن الجيعان فى مشيخة التصوف بمسجد الطواشى علم دار بدرب ابن سنقر بالقرب من باب البرقية عوضاً عن زينب ابنة شيخه ابى الجود (٥٠) ولعل فى هذا خير دليل على أن مشيخة التصوف لم تكن قاصرة على مشايخ الصوفية من الرجال وانما كانت متاحة المجال لأن تتولاها الشيخات من النساء أيضاً.

وبالنسبة للتصوف فى الجامع الجديد الناصرى بمصر فقد ذكر السخاوى ترجمتين أولاهما ترجمة لرجل يقال له عبد الحميد لم يزد فيها على القول بأنه ولى مشيخة الصوفية بالجامع الجديد

بمصر إلى أن مات فى صفر سنة ثمان وعشرين (وثمانمائة) ذكره المقريزى هكذا فى عقوده[٥١].

وثانيتهما ترجمة عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد الوارث بن محمد بن يحيى المحيوى ابن النجم البكرى المصرى ثم الدمشقى قاضيها الذى عرف بابن عبد الوارث، ولد بمصر فى شعبان سنة (٨٢٤هـ) فحفظ واشتغل إلى أن «ولى مشيخة الصوفية بالجامع الجديد الناصرى ثم قضاء المالكية بدمشق وحمدت سيرته حتى مات فى جمادى الثانية سنة أربع وسبعين» [٥٢].

وبالنسبة للتصوف فى الصرغتمشية فلم نعثر على تراجم تشير إليه صراحة سوى ترجمة السخاوى لكافور الصرغتمشى الرومى الطواشى الزمام، احد عتقاء منكلى بغا الشمسى، أنشا تربة بالصحراء عرفت به «وعمل فيها خطبة وصوفية ووقف عليها عدة أوقاف، وكذا أنشا مدرسة بحارة الديلم من القاهرة وفيها أيضاً خطبة وصوفية» [٥٣].

وبالنسبة للتصوف فى المدرسة الفخرية فقد ذكر السخاوى ترجمة واحدة هى ترجمة عبد اللطيف بن عبيد بن أحمد العقبى الطلخاوى ثم الصحرواى القاهرى الشافعى، كان أبوه بواب التربة الناصرية فرج بالصحراء، حضر واستمع وأجيز له حتى «استنزل محمد بن الشمسى بن المرخم عن مشيخة الفخرية تصوفاً وتدريساً وباشرهما» [٥٤].

وبالنسبة للتصوف فى تربة باب القرافة فقد أورد السخاوى ترجمة واحدة هى ترجمة برقوق الظاهرى جقمق الذى كان من خواص السقاة، ثم تأمر فى الأيام الإينالية ورقاة الظاهر خشقدم وصار أحد المقدمين، جدد تربة بباب القرافة «وعمل فيها صوفية شيخهم ابن السيوطى بسفارة الموقع ابى الطيب السيوطى، ولى نيابة الشام ومات بحلب فى شوال سنة سبع وسبعين»[٥٥].

وبالنسبة للتصوف فى تربة قايتباى فقد ذكر الشيخ نجم الدين الغزى ترجمة واحدة هى ترجمة زكريا بن محمد بن زكريا الشيخ الإمام شيخ مشايخ الإسلام الأنصارى السنيكى (نسبة إلى بلدة من الشرقية) المصرى الأزهرى الشافعى، ولد سنة (٨٢٣هـ) «جاءه مرة رجل شريف أسود من صوفية تربة قايتباى فقال ياسيدى خطفت عمامتى مات فى جمادى الآخر سنة سبع وعشرين وتسعمائة» [٥٦].

أما بالنسبة للتصوف فى السنقرية فلم نجد إلا ترجمة واحدة ذكرها الغزى أيضاً هى ترجمة سنطباى الشيخ المتصوف الذى قال عنه «أخذ نظر السنقرية بالقرب من خانقاة سعيد السعداء وأخرج ما كان فيها من طلبة العلم والصلحاء ووضع فى خلاويها الجلابقية وكانوا مريدين له يسجدون له ويقرهم على ذلك، فرسم السلطان الغورى بنفية إلى القدس بعد أن زجره وقال له إنك تدعى إنك الصوفى المسلك وأنك زوكارى شيطان زغلى أخرج من مملكتى، وكان ذلك فى أوائل شوال سنة إحدى عشرة وتسعمائة»(٥٧).

الفصل الثانى
دراسة صوفية

الفصل الثانى
دراسة صوفية

كان من الضرورى ونحن نتكلم عن خانقاوات الصوفية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى أن نتحدث فى فصل من هذا الباب الذى خصصناه للدراسات التمهيدية وعرضنا فى فصله الأول لدراسة الخانقاوات من الناحية التاريخية أن يكون للناحية الصوفية فيه نصيب، لا سيما وأن هذه الناحية ذات علاقة لا تنفصم عمن عاشوا فى هذه الخانقاوات، وكان لهم من العموميات والخصوصيات ما لا يمكن فصله عن مذهب التصوف الذى اتخذوه منهجاً وسلوكاً ومعتقداً، فكان هذا المذهب رائدهم وموجه عاداتهم وإطار معتقدهم، وسينحصر حديثنا فى هذا المجال فى خمس نقاط رئيسية هى :

١- علم التصوف ونشأته.
٢- أصل كلمة صوفى .
٣- خرقة الصوفية وأزياؤهم وعوائدهم.
٤- صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم.
٥- أعلام الصوفية وخوارجهم.

١- علم التصوف ونشأته :

التصوف لغة مشتق من الفعل الماضى «تصوف» أى لبس الصوف، على وزن تقمص إذا لبس «القميص» ، وهو اصطلاحاً منهج مذهبى نهجته الحياة الروحية الإسلامية منذ بواكر نشأتها فى صدر الإسلام، وبهذا المعنى كان التصوف مرآة للحياة الروحية التى يخضع فيها المسلم نفسه لأنواع من الرياضة والمجاهدة، ويعد فيها قلبه لمعرفة الحقائق عن طريق الكشف والمجاهدة.

ويقوم هذا المنهج أصلاً عل ما اقتدى فيه المسلمون الأوائل بالنبى ﷺ من زهد ونسك، ويرد

مصدره إلى تحنثه صلوات الله وسلامه عليه فى غار حراء قبل البعثة، وإلى ما كان يأخذ به نفسه من عبادة وتهجد واعتكاف بعد البعثة، عندما كان يعتكف بمسجده فى المدينة المنورة فى العشر الأواخر من رمضان، وعندما كان يقيم الليل بالذكر والتعبد فى كل أوقات حياته حتى اعتبر الصوفية ذلك بأنه أعظم المنازل وأرفعها فى عشق الذات الالهيه وجعلوه ﷺ أول صوفى فى الإسلام.

ولكن هذا المنهج ما لبث بحكم دخول غير العرب فى الإسلام ولا سيما من الأمم ذات الحضارات القديمة أن اختلطت فيه عناصر دينية وفلسفية أحالت معها التصوف الذى كان يمثل الحياة الروحية الإسلامية الحقة ممثلة فى تصفية النفس وتطهير القلب إلى علم لبواطن الأمور ثم إلى فلسفة روحية استقت من مصادر شتى هندية وفارسية ويونانية ومسيحية حتى أنكر بعض علماء النفس التصوف من أساسه لأنه يقوم فى قسط كبير منه على إحساس ووجدان وكشف، وكل هذه أمور لا يمكن إدراكها على نحو ما صورها الصوفية أنفسهم لأنهم كثيراً ما لجأوا إلى الرمز والمجاز حتى كانت لهم لغتهم المستقلة التى لا يفهمها إلا الخاصة [٥٨].

ومع ذلك فقد تمضى فترة من الزمن إلى أن يكون لدينا تصور دقيق للجهود المبكرة التى مهدت لتصنيف كتب مستقلة فى الزهد والتصوف منذ منتصف القرن الثانى للهجرة، فعلى الرغم من أنه كان هناك اتجاه للزهد والتصوف فى صدر الإسلام، إلا أن قضية تدوين أقدم نصوص هذا الزهد لم تأخذ حقها من البحث والتحقيق بعد، باستثناء ما كتبه ماسينون [٥٩] وما أشار إليه ريتر من أقوال الحسن البصرى [٦٠] الذى كان واحداً من رواد التصوف الذين أطلق عليهم الزهاد الثمانية، وقد وصف أربعة من هؤلاء بالنساك والزهاد والعباد والبكاؤون بينما وصف الأربعة الآخرون بالفقهاء، ولم يذكر من هؤلاء وأولئك مؤلفاً إلا الحسن البصرى [٦١].

ورغم ما وصل الينا من بعض صحائف الزهد والتصوف للجيل الأول من هؤلاء العباد ممثلاً فيما ألفه زين العابدين على بن الحسين (ت: ٩٢هـ/٧١٠م) وما ألفه من الجيل الثانى الحارث بن أسد المحاسبى (ت: ٢٤٣هـ/ ٨٥٨م) والحكيم الترمذى (ت: ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) وغيرهما، فإن رسائل الحسن البصرى كانت ولا تزال هى أقدم ما نعرفه مما صنفه أولئك الصوفية الأوائل،

وكانت هذه الرسائل فى غالب الظن – عبارة عن مواعظ وخطب ووصايا وقصص ومسائل، ذكرها الجاحظ كمختارات من نصوص الزهد المبكرة في فصل مستقبل من كتابه المعنون باسم «البيان والتبين» [٦٢] ثم كان بعد رسائل الحسن البصرى فيما يتعلق بنصوص الزهد المتأخرة ما ألفه عبد الله ابن المبارك (ت: ١٨١هـ/ ٧٩٧م) بعنوان «كتاب الزهد» إلى أن كانت أكبر المصنفات فى هذا الصدد فيما ألفه أبو نعيم الأصفهانى بعنوان «حلية الأولياء» وما الفه ابن العربى فى الفتوحات المكية وغيرهم [٦٣].

أما فى العصور المتأخرة فيمدنا السخاوى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) ببعض هذه المصنفات الصوفية ومنها «العباد والصوفية» لأبى عبد الرحمن السلمى «والرسالة» لأبى القسم القشيرى التى تشتمل على معظم أعلام الصوفية حتى زمانه، «الوحيد فى سلوك أهل التوحيد» (فى مجلدين) لعبد الغفار القوصى، «كتاب الصوفية» فى مجلد لابن الملقن الذى قال أنه جمع فيه طبقات الأعيان وأوتاد الأقطاب من كل قطر، طبقات الصوفية لابن الشرج اليمنى، بهجة الأسرار ولوامع الأنوار فى حكايات الصالحين العلماء والأخيار والصوفية الحكماء الأبرار لأبى الحسين بن جهضم وغيرها [٦٤].

وقد أدت هذه الصورة غير الواضحة عن الزهد والتصوف فى عصوره الميكرة إلى إتاحة الفرصة لشطحات الفكر ببعض الكتاب الغربيين حتى قال أحدهم فيما نقله أدم متزأن أقدم الكتب الصوفية التى وصلت إلينا وهى مصنفات الحارث بن أسد المحاسبى (ت: ٢٤٣هـ/ ٨٥٨م) تدل على أنه تأثر بالنصرانية، وأن الحكيم الترمذى وهو من كبار شيوخ الصوفية الأوائل (ت: ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) كان يقول أن عيسى عليه السلام هو خاتم الأولياء، وأن المملكة الإسلامية كانت فى ذلك العصر مملؤة بالكثير من المتصوفة الذين ادعوا الوصول إلى الاتحاد بالله [٦٥].

وفى تعليق جيد لمترجم هذا الكتاب على ما ذكره المؤلف فى هذا الصدد ولا سيما فيما يتعلق بعيسى عليه السلام يقول نقلاً عن ابن العربى فى الفتوحات المكية أن عيسى عليه السلام سينزل فى آخر الزمان ويحكم بشريعة محمد ﷺ أو باطلاعه، وبهذه الصفة يكون عيسى فى رأى ابن العربى صاحباً أو تابعاً لخاتم النبيين محمد ﷺ وأفضل أمته [٦٦]، وقد نبه الحكيم الترمذى إلى

ذلك أيضاً فى كتابه «ختم الولاية» وشهد لعيسى عليه السلام بالفضيلة عن كبار الصحابة ثم قال المترجم «وقد ترجمت هنا كلام المؤلف لا بنصه بل بحسب الأصول العربية لأن ما يذكره من رأى الحكيم الترمذى فى مكانة عيسى بالنسبة لمحمد غير صحيح الأصول»(٦٧).

والغالب على الظن أن أول ظهور لطوائف الصوفية فى مصر كان كما قال الكندى والمقريزى وغيرهما فى نهاية القرن الثانى للهجرة حين ظهرت بالأسكندرية سنة (١٩٨هـ/٨١٣م) أول جماعة للصوفية كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ترأس عليهم رجل قيل له أبو عبد الله الصوفى(٦٨)، ويبدو أن هذه الجماعة هى التى كانت تحيط بعيسى بن المنكدر الذى ولى قضاء مصر على عهد المأمون فى العصر العباسى، فكانوا يأتونه وهو فى مجلس الحكم يشتكون من ضياع الإسلام فيترك المجلس ويمضى معهم لتفقد شكواهم ثم لم يزالوا به حتى جعلوه يكتب للمأمون بما لا يرضيه فخلعه(٦٩).

كذلك فقد أضافت بعض المراجع العربية فى هذا الشأن أن قرب مصر من الحجاز كان قد جعلها مقصدا للثوار العلويين من ناحية، كما كانت مقصدا لفقهاء الأمامية الواردين من الكوفة أمثال أبو الفضل الصابونى، محمد بن الأشعث الكوفى أعظم فقهاء الإمامية وغيرهما من ناحية أخرى، وكان لهذا وذاك أكبر الأثر فى قيام مذهب الشيعة الأمامية فى مصر خلال القرن (٣ هـ/ ٩م) الذى كان من أبرز أئمته على بن ساباط المصرى(٧٠).

ومهما يكن من أمر فإن ما لدينا من مادة لا بأس بها فيما يتعلق بعلم التصوف ونشأته يقول كما ذهب البكرى أن هذا العلم علمان: أولهما «علم الظاهر» وهو معرفة الحقيقة عن طريق الرياضة والمجاهدة، والغرض من هذه الرياضة أن تتغلب النفس على الحس فينكشف لها الحجاب لتعرف الحقائق وتطلع على المغيبات، ولهذا قيل أن أبا القاسم الجنيد فى سؤال عن تعريف العارف قال: من يعلم ما فى نفسك من غير أن تتكلم، وقيل أن من يحصل له الكشف يطلع على كل شئ ما بطن منه وما ظهر، وما كان فى الماضى والحال أو كان فى الاستقبال، فالشريعة شجرة والطريقة أغصانها والحقيقة أزهارها والمعرفة أثمارها(٧١).

وفى هذا يقول ابن خلدون أيضاً أن علم التصوف من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة

الإسلامية وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الناس والانفراد عن الخلق فى الخلوة للتعبد، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف رضوان الله عليهم، فلما اقبل المسلمون على الدنيا فى القرن الثانى للهجرة وما بعده اختص المقبلون على العبادة بالصوفية وأصبح إدراك الإنسان للعلوم على نوعين: أولهما إدراك العلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم ونحوه، وإدراك للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والحب والغضب والصبر والشكر ونحوه، ومن هذا صار علم الشريعة على صنفين صنف اختص به الفقهاء وأهل الفتيا وتعلق بالأحكام العامة فى العادات والمعاملات وسمى بعلم الظاهر، وصنف اختص به القوم (يعنى أهل الصوفية) وتعلق بالمجاهدات والمحاسبات والمراقبات والرياضيات وسمى بعلم الباطن، فلما كتب أصحاب العلم الأول فى الفقه والأصول وعلوم الكلام والتفسير وغير ذلك كتب أصحاب العلم الثانى فى المجاهدة والورع ومحاسبة النفس على الاقتداء فى الأخذ والترك كما فعل القشيرى فى الرسالة والسهروردى فى عوارف المعارف والغزالى فى الإحياء ونحوهم، ومن هنا أصبح التصوف علما مدونا بعد أن كان طريقة عبادة فقط (٧٢).

ومهما يكن من أمر فإن ما قيل عن التصوف بشكل يقبله العقل والمنطق أنه تخلق وتحقق وتعلق، فالذى يناسب العموم من ذلك هو الوقوف عند مرتبة التخلق فيكون الغرض منه فى هذه الحالة هو تعليم الناس الآداب الشرعية وحملهم على العمل بها بالكيفية المرضية، وأما ما يناسب الخواص فهو الحصول على مرتبتى التحقق والتعلق (٧٣).

وإنه مبنى على ثلاث خصال هى التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق والبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار، وهو استرسال النفس مع الله سبحانه وتعالى على ما يريد، وهو ذكر مع اجتماع، ووجل مع استماع وعمل مع اتباع، وهو الدخول فى كل خلق سنى، والخروج من كل خلق دنى، أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة وكله آداب لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن حفظ أدب الأوقات بلغ مبلغ الرجال من صنيع الأداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، مردود من حيث يرجو القبول (٧٤).

ويبدو أن مذهب الصوفية كان قد تأثر بمذهب المعتزلة حينما جعل الصوفية من مسألة

القدرية – وهى أهم النقاط عند المعتزلة – نقطة أساسية فى مذهبهم رغم قول المعتزلة بالقدر أو الجبر أو التوكل الذى لا اضطراب فيه، واعتماد القدر أو الجبر أو التوكل عند الصوفية على أنه ليس ذلك الاقتران الآلى بين الأسباب والمسببات، بل هو التوكل على الله والثقة المطلقة به وترك الأمر كله لمشيئته حتى أنهم قالوا أن العبد بين يدى الله عز وجل كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء فلا يكون له حركة ولا تدبير، فكان مذهب الصوفية يقوم من ثم على أربعة أحوال هى التوكل والصبر والرضا والرجاء[٧٥].

أما مسألة الولاية التى ادعى بعض المستشرقين فيما نقله آدم متزأنها مذهب نصرانى غنوسطى، فكانت من المسائل التى أدخلتها الصوفية فى الإسلام بشكل قوى ظاهر على يد أبو عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى المتوفى سنة (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) وكان من جرائها أن قوى اعتقاد الناس بالأولياء، يستوى فى ذلك من تقدم منهم ومن تأخر، وإن كانوا قد وضعوا الحسن البصرى على رأسهم جميعاً، ويبدو أن الصوفية بأصولها الثلاثة الكبرى ممثلة فى الاستسلام أو الجبر أو القدرية، وفى الولاية وإجلال الأولياء والمريدين والأتباع، وفى تعظيم النبى ﷺ والعمل بسنته، قد رسمت فى القرنين (٣– ٤هـ/ ٩–١٠م) اتجاه الحركة الإسلامية التى كانت ولا تزال حتى اليوم[٧٦].

وفى هذا يقول ابن خلدون أن سلف الصوفية كانوا مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة القائلين بالحلول وإلهية الأئمة مما لم يعرض لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر عند المتصوف القول بالقطب وهو رأس العارفين لا يساويه أحد فى مقامه حتى يقبض فيرثه فى هذا المقام قطب آخر وهكذا، وهنا يقول ابن خلدون تعليقاً على ما ذكره ابن سينا فى الإشارات بقوله «جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا واحد بعد الواحد» أن هذا الكلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعى، وإنما هو نوع من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما تقوله الرافضة بترتيب وجود الإبدال بعد هذا القطب وما يقوله الشيعة فى النقباء حتى أنهم لما أسندو خرقة التصوف ليجعلوها أصلاً لطريقتهم وتخليهم رفعوها إلى على رضى الله عنه، والمعروف أن علياً رضى الله عنه لم يختص من دون الصحابة بتخلية ولا طريقة فى لباس ولا حال، وكان الصحابة كلهم أسوة فى الزهد والمجاهدة،

وحتى سلف الصوفية الصالح لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب وما يتعلق بهذا النوع من الإدراك، إنما كان همهم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا، ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه فلا ينطلق به وهكذا يكون حال المريد (٧٧).

على أن نقطة يجب ألا تغيب عن الذهن ونحن نتناول مفاهيم الصوفية وهى خلافهم مع العلماء والفقهاء ولا سيما فيما يتعلق بعلم الفقه، وفى ذلك يقول المكى المتوفى (٣٨٦هـ/٩٩٦م) أن مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم نهر فلا هى تشرب الماء ولا هى تركته يخلص إلى الزرع، وكذلك علماء الدنيا قعدوا على طريق الآخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا العباد يسلكون إلى الله عز وجل، ومثل علماء السوء كمثل قناة الحسن ظاهرها حسن وباطنها نتن، ومثل القبور المشيدة ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى (٧٨).

وقد كان ذلك رداً على اتهام الفقهاء لهم بالكفر وفساد العقيدة والخطر على الإسلام مما حدا بالصوفية بالرد عليهم معتمدين فى ذلك على أصول العلم وفنون الجدل، فلجأوا إلى التأليف والتصنيف متخذين من العلم سلاحاً يردون به على أعدائهم ويدافعون من خلاله عن أنفسهم، كما اضطروا إزاء شدة اضطهاد الفقهاء ورجال الدين لهم إلى استعمال الرمز والإيحاء حتى لا يفهمهم إلا اتباعهم والراسخون فى علمهم (٧٩).

وقد فرق الصوفية بين المعرفة (أى علم الحقائق) وبين العلم (بمعنى العلوم المألوفة للناس)، يقول الحلاج المتوفى سنة (٣٠٩هـ/ ٩٢٢م) عجبا ممن لا يعرف شعرة من بدنة كيف تنبت سوداء أم بيضاء، كيف يعرف مكون الأشياء، من لا يعرف المجمل والمفصل، ولا يعرف الآخر والأول والتصاريف والعلل والحقائق والحيل لا تصح له معرفة من لم يزل (٨٠).

والذى لا شك فيه أيضاً أن مذهب الصوفية كان قد تأثر بمذهب الشيعة، يدل على ذلك ما أورده بعضهم من القول أن علياً رضى الله عنه كانت له من دون جميع أصحاب الرسول ﷺ خصوصية بمعان جليلة وإشارات لطيفة وألفاظ مفردة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم، وخصال شريفة للتعلق والتخلق التزم بها أهل الحقائق من الصوفية (٨١).

ليس هذا فقط بل لقد ورد فيما نقله الشعيبى عن القاشانى المتوفى سنة (٧٣٥هـ/١٣٣٥م) أنه كان لعلى كرم الله وجهه مقاماً سابقاً فى الزهد بين الخلائق، وكان ذلك سبباً فى تسمية كثير من العلويين مثل محمد بن يحيى ابن عبد الله بن محمد بن عمر ابن على ابن ابى طالب الذى قتله الرشيد محبوساً وأخوه إبراهيم الثائر بمصر سنة (٢٥٦هـ/٨٧٠م) الذى عرف بابن الصوفى، وزيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب الذى عرف بالزاهد الناسك، عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب الذى لبس الصوف، محمد بن جعفر الصادق الذى كان يخرج للصلاة بمكة فى مائتى رجل من الجارودية المتدثرين بثياب الصوف، بل لقد أخذ أوائل الصوفية عن أوائل الأئمة من العلويين، ومن ذلك إسلام معروف الكرخى المتوفى سنة (٢٠٠هـ/ ٨١٥م) على يد الإمام على بن موسى الرضا المتوفى سنة (٢٠٣هـ/ ٨١٨م)[٨٢].

ومن هذا يتضح أن علم التصوف - كما يقول ابن خلدون فيما سبقت الإشارة إليه هو من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل على سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين من العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة إلى أن نشأ الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى الهجرى وما بعده فسمى المقبلون على الله باسم الصوفية أو المتصوفة.[٨٣] فكان التصوف بذلك فى أصله تعبير عن الرغبة فى إيجاد الصلة بين الخالق والمخلوق بواسطة التقوى والورع والزهد والتقشف والإعراض عن الثورة والجاه مما يهتم به عامة الناس، والانطلاق من ثم إلى عالم الروح والفضيلة واتباع الهدى.

والواقع أن المناخ السياسى والدينى الذى ساد الدولة الإسلامية منذ القرنين (٦-٧هـ/١٢-١٣م) كان واحداً من أهم العناصر الأساسية التى ساعدت على انتشار الصوفية، بعد ما ابتلى العالم الإسلامى كله فى الشرق والغرب خلال القرنين المشار إليهما بنكبات متوالية يرجع السبب فى معظمها إلى تدهور نظم الحكم وضياع هيبتها ويأس الناس منها، فنزلهت بهذا العالم نكبات التتار من ناحية الشرق ونكبات المسحيين الغربيين من ناحية الأندلس، وظل الصليبيون قابعون فى منطقة الشرق الأدنى يمثلون خطرا مباشرا على البلاد الإسلامية، وتحول

عدوانهم في الأندلس وبلاد الشام من غارات إلى غزو واحتلال، ومن ثم إلى تكوين ممالك نصرانية على أرض إسلامية، ووقفت دول الإسلام فى المغرب عاجزة لاتستطيع القيام بشىء يصون أنفس المسلمين ويحمى أموالهم، أما فى المشرق فقد ضاع الحزم كلية ووقف السلاجقة أمام العدوان الصليبي موقف العاجز، واتضع أمر الخلافة حتى لم يعد لها فى العالم السياسى وزن يذكر، حتى الفاطميين فى مصر لم يدركوا حقيقة هذا الغزو إلا فى وقت متأخر وخرجوا من ميدان هذا الصراع كلية بعد استيلاء الصليبيين على آخر معاقلهم فى عسقلان ودخلت دولتهم فى طور الاحتضار[٨٤].

يضاف إلى ذلك كله كثرة الفتن والاضطرابات واختلال الأمن والمجاعات والأوبئة مما دفع الكثير من عامة الناس إلى الدخول فى دائرة التصوف، وشجع على ذلك سلاطين المماليك الذين شاركوا عامة الشعب فى الصوفية والعطف عليهم، وليس أدل على ذلك من كل هذه الخوانق التى أنشأوها وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة وأغدقوا منها الرواتب والجرايات على صوفيتها، مما كان له - على ما يبدو - أكبر الأثر فى صبغ الحياة المصرية بصبغة الزهد فى الدنيا والاتجاه للآخرة، وترتب على هذا الشعور فى النهاية نشر روح الاستكانة والقناعة والتذلل بين عامة الناس مما لا تزال بقاياه فى نفوس الكثيرين حتى اليوم[٨٥]، وأن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن الصوفية وغيرها من الأنشطة الدينية التى اتخذت الصبغة الدينية فى عصر المماليك مظهراً لها كانت فى الواقع الستر التى أخفى وراءه حكام هذه الدولة ما كان قد عظم من أمورهم السيئة فى شتى المجالات من السلب والنهب والمصادرة والرشوة والسخرة والعقوبات والزنا واللواط وغيرها من الجوانب التى لم تحظ بعد بكتابات هادفة جادة توفيها حقها من البحث والدراسة.

فمن هذا المناخ العام لدولة الإسلام شعر المسلمون أنهم يقفون فى عجز كامل أمام أعداء لا يرحمون، فاتجهت قلوبهم ونفوسهم إلى الله سبحانه وتعالى يسألون الغوث للإسلام وأهله، والتفت قلوبهم حول طوائف الصوفية ونحوهم من الزهاد والعباد والأولياء، فازدادت أهمية هؤلاء

الناس وتنوعت أشياعهم وأشكالهم، وكان لهم في ذلك ترتيب محكم أوله الأبدال (وهم أثنا عشر وليا) كلما توفي أحدهم استبدل الله سبحانه وتعالى به غيره، وثانيه الأقطاب (وهم رؤوس المعرفة ومفاتيحها) وثالثه الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ونشأ من هذا العصر الذهبي للتصوف(٨٦).

٢- أصل كلمة صوفي:

مما لا شك فيه أن هذه الكلمة كانت مصدر خلاف كبير بين الباحثين الذين تناولوا تلك النقطة في كتاباتهم بالبحث والدراسة واستوى في ذلك القدامى منهم والمحدثون.

يقول المقريزي في القرن (٩هـ/١٥م) نقلاً عن أبي قاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (٣٤٧هـ/١٤٠٥) أنه لم يكن للمسلمين على عهد رسول الله ﷺ من تسمية إلا «الصحابة» إذ لا فضيلة فوق صحبته صلوات الله وسلامه عليه، فلما كان العصر الثاني سمي من صحب الصحابة «بالتابعين» وهكذا، ولم ير هؤلاء وأولئك أشرف من هذه المسميات فاتخذوها(٨٧).

فلما اختلف الناس وتباينت المراتب عندهم ولا سيما بعد أن اتسعت مملكة الإسلام وأقبل الناس على الدنيا قيل لخواصهم ممن عنوا كثيراً بأمر الدين «الزهاد والعباد»، ثم ظهرت البدع الدينية وحصل التداعي بين الفرق فادعى كل فريق أن منهم زهادا وعباداً فانفرد خواص أهل السنة المراعون لأنفسهم مع الله سبحانه وتعالى الحافظون لقلوبهم عن ظواهر الغفلة باسم «الصوفية» واشتهر هذا الإسم لهؤلاء قبل المائتين من الهجرة(٨٨).

وغلبت هذه التسمية على تلك الطائفة من خواص أهل السنة الذين انقطعوا للزهد والتقشف فقيل للرجل «صوفي» وللجماعة «صوفية» ومن يتوصل منهم إلى ذلك يقال له «متصوف» وللجماعة «متصوفة» ورغم أنه لا يشهد لهذه الصفة من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، ورغم أن الأظهر فيه أنه كان كاللقب، إلا أنه يغلب على الظن أنه من الصوف من قولهم «تصوف» إذا لبس الصوف قياساً على قولهم تقمص إذا لبس القميص، وقد فصل البكري المتوفى سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) في كتابه «نشأة التصوف والصوفية» القول في هذا المجال فذكر ما قيل

من أن هذه التسمية نسبت إلى أهل الصفة فى مسجد رسول الله ﷺ وبين أن النسبة إلى الصفة لا تجيء على وزن «صوفى» وانما تجيء على وزن «صفى» ثم أورد ما قيل من أنها نسبت إلى «الصف المتقدم» بين يدى الله سبحانه وتعالى فبين أن النسبة إلى الصف لا تأتى على وزن «صوفى» وانما على وزن «صفى» وما قيل من أنها نسبت إلى «الصفوة» من خلق الله فأوضح أن النسبة فى هذه الحالة لا تأتى على وزن «صوفى» وانما تأتى على وزن «صفوى».

ليس هذا فقط بل لقد أورد ما قيل من أنها نسبت إلى صوفة بن بشر بن أدّ بن طابخة (وهى قبيلة من العرب جاورت بمكة فى الزمن القديم) ورد عليه بأن هذا السند ضعيف لأن هذه القبيلة لم تكن مشهورة ولا معروفة عند أكثر النساك، ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب فى زمن الصحابة والتابعين أولى، ولأن أغلب من تكلم فى الصوفية لا يعرف من هذه القبيلة أحداً ولا يعقل أن تنسب الصوفية إلى قبيلة جاهلية لا وجود لها فى الإسلام.

وانتهى البكرى فى ذلك إلى القول بأنها نسبت إلى لبس الصوف، وكان أول ظهورها فى البصرة لأن أول من بنى دويرة للصوفية هم بعض أصحاب عبد الواحد أبن زيد احد صحابة الحسن البصرى، والمعروف أنه كان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف ما لم يكن فى سائر الأقطار الإسلامية، حتى قيل «فقه كوفى وعبادة بصرية»، وخلص البكرى من ذلك إلى أن التصوف مأخوذ من لبس الصوف رغم انكار القشيرى نسبة الصوفية للصوف، ورغم عودته إلى القول بصواب ما قاله أبو الريحان البيرونى من أن التصوف مأخوذ من الكلمة الأعجمية «سوفيا» ومعناها الحكمة [٨٩].

ويغلب على الظن أن الجاحظ البصرى كان أول من استعمل هذه الكلمة عند حديثه عن النساك [٩٠] ثم عم استعمالها فى أواخر القرن (٢هـ/ ٨م) وأوائل القرن (٣هـ/ ٩م) حين شاعت الكلمة فى بلاد ما بين النهرين ولا سيما الكوفة، وسرعان ما عرف بها صوفية الإسلام بصفة عامة فى بلاد ما بين النهرين وفى غيرها، حتى أصبحت هذه الكلمة صفة يميز بها السالكون طريق الله من خواص المسلمين عن غيرهم من عامة المتدينين وعلماء الظاهر [٩١].

وهكذا يتضح أنه رغم أختلاف الباحثين فى أصل هذه الكلمة – كما أشرنا – إلا أن شبه

المتفق عليه أنها مشتقة من «الصوف» الذى اختص الصوفية بلبسه تمييزاً لهم عمن يلبسون فاخر الثياب ممن فتنتهم الدنيا، حتى قيل أن الصوفى هو من لبس الصوف على الصفا، وأطعم الهوى ذوق الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى (٩٢)، ومن هنا كان الصوف لباس المتقدمين من سلف الصوفية لكونه أقرب إلى التواضع والزهد من ناحية، ولكونه لباس الأنبياء عليهم السلام ومنهم موسى وعيسى ويحيى ومحمد من ناحية أخرى، والتزم التابعون من الصوفية بلبسه، بل كانوا يحرصون على ترقيعه لما عرفوه من أن النبى ﷺ كان يرقع ثوبه، وكذلك كان يفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى صارت المرقعة عنواناً عليهم (٩٣).

٣- خرقة الصوفية وأزياؤهم وعوائدهم:

يقول الشعرانى فيما يتعلق بخرقة التصوف أنه إذا ارتبط أحد من الصوفية بشيخ من مشايخها وأصبح من مريديه ألبسه الشيخ خرقة التصوف، ومن هنا تصبح العلاقة بين المريد وشيخه على صورة الميت فلا يقدر أن يتحدث بين يديه إلا بإذنه ولا يعمل شيئاً إلا بإذنه (٩٤)، وليت الأمر كان قد اقتصر عند هذا الحد، بل لقد بالغ بعض مشايخ الصوفية فى عصر المماليك بما لا يقبله عقل فى هذا الشأن، يدل على ذلك ما ذكره ابن الحاج من أن هؤلاء الشيوخ كانوا يشترطون على مريديهم ألا يبقى لهم مع شيوخهم تصرف فى مال ولا زوج ولا نفس (٩٥)، حتى أصبح إخلاص المريد لشيخه ينحصر كما يقول الشعرانى فى مدوامته على حضور مجلسه فإذا انقطع المريد يوما لزلة وقعت منه أو لأى سبب من الأسباب عد هذا الانقطاع طلاقاً رجعياً بينه وبين شيخه، وللشيخ أن يقبله إذا رجع لأن حرمته لا تزال باقية (٩٦).

ويبدو أن العلاقة بين المريد وشيخه بعد أخذ العهد وإلباس الخرقة كانت قد تخطت المرحلة الدنيوية إلى المرحلة الأخروية أيضاً، يدل على ذلك ما ذكره كل من السخاوى وابن تغرى بردى من أن كثيراً من الصوفية كانوا قد حرصوا على أن يدفنوا بجوار مشايخهم وأوصوا إلى أهليهم بذلك ومنهم من اتخذوا قرافات خاصة بهم أحاطوها بأسوار حتى لا يشاركهم فيها غيرهم (٩٧).

وقد فصل البكرى كيفية إعطاء العهد وإلباس الخرقة فقال أن الطالب أو المريد إذا جاء ليأخذ العهد على شيخه كان يؤمر بالوضوء ثم بصلاة ركعتين لله تعالى بنية التوبة والإنابة

الخالصة، ثم جلس المرشد أو الشيخ على سجادته مستقبلاً القبلة جاثيا على ركبتيه بكل الأدب والخشوع، ويجلس الطالب أو المريد أمامه فيقرأ الشيخ الفتحة ثلاثاً ويأخذ بيد المريد ثم يقرأ قول الله عز وجل «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً»، (٩٨) ثم يقول للمريد قل «استغفر الله العظيم» «استغفر الله العظيم» «استغفر الله العظيم» الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه، تبت إلى الله ورجعت إلى الله ونهيت نفسى عما نهى الله، ورضيتك شيخاً لى ومرشداً لطريقة سيدى القطب الولى (ويسميه) فهذا الطريق طريقى وهذا المنهج منهجى وهؤلاء الإخوان إخوانى والطاعة تجمعنا والمعصية تحول بيننا والعهد عهد الله واليديد سيدنا رسول الله ﷺ والبيعة بيعة شيخنا وسيدنا السيد العارف القطب (ويسميه) والله على ما نقول وكيل، فإذا ما انتهى الشيخ من ذلك والمريد يردده خلفه قال له وأنا أقمتك مريداً بهذه الطريقة فاسمع منى كلمة التوحيد بطريقة التلقين تلقفها منى كما تلقفتها من مشايخى، وحينئذ يغمض الشيخ عينه ويقول (لا اله إلا الله) ثلاثاً ثم يقولها المريد بعده ثلاثاً أيضاً، فإذا أتمها دعى له الشيخ بالتوفيق والإخلاص والبركة بما يفتح الله عليه من دعاء الخير ويختم دعاءه بالفاتحة (٩٩).

والذى لا شك فيه أن عهد التصوف وإلباس الخرقة لم يزل على الصلاح مازال السلف على جادة الطريق وصحته، ثم ما لبث أن انحدر من الحقائق إلى الظواهر حتى قال بعضهم نقلاً عن ابن الجوزى أن الزهد كان فى بواطن الأمور فصار فى ظواهر الثياب، وكان الزهد حرفة فصار اليوم خرقة، ويحك صوف قلبك لا جسمك وأصلح نيتك لا مرقعتك (١٠٠).

وقد امدنا كل من ابن بطوطة وابن حجر والسخاوى ببعض من لبسوا خرقة التصوف فيقول ابن بطوطة – فيما نقله الدكتور حسين مؤنس – بعد أن وصل إلى القدس الشريف ووصفه وصفاً مفصلاً وذكر مزاراته وأسماء من لقيهم فيه من الفضلاء ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن مصطفى من أهل أرزن الروم، وهو من تلاميذ تاج الدين الرفاعى الذى قال عنه «صحبته ولبست منه خرقة التصوف وكان ذلك على الطريقة الرفاعية (١٠١).

وذكر ابن حجر فى هذا الصدد مسعود بن عبد الرحمن بن صالح الجعبرى الذى لبس

خرقة التصوف من القطب القسطلانى وقال أنه عمر نحوا من تسعين سنة ولبس الخرقة منه جماعة من شيوخنا ومات بالجيزة سنة (٧٥٥هـ/١٣٥٤م) [١٠٢].

أما من ذكرهم السخاوى فمنهم إبراهيم بن محمد بن داوود بن شمس بن رستم بن عبد الله البرهان أبو اسحاق الشمبارى ثم المكى الشافعى الزمزمى (نسبة لبئر زمزم التى كان يلى أمرها كأبيه) ولد فى جمادى الأولى سنة (٧٩٧هـ/١٣٩٤م) بمكة وقرأ فى التصوف ولبس خرقته من الزين الحافى والغزالى وأذنا له فى إلباسها [١٠٣]، ومنهم أحمد بن محمد بن محمد الجلال أبو الطاهر بن شمس المدنى الحنفى الأخوى، ولد فى جمادى الأولى سنة (٧١٩هـ/١٣١٩م)، كان يدخل الخلوة الأيام البيض من كل شهر مدة سنتين ... لبس من العفيف المطرى وابن جماعة الخرقة الصوفية وهى فرجية من صوف أزرق [١٠٤]، ومنهم أحمد بن موسى بن أحمد ابن على الشهاب اليمنى المشرع ولد سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م) وتفقه قليلاً ثم صحب إسماعيل بن أبى بكر بن الشيخ إسماعيل الجبرتى ولبس منه الخرقة [١٠٥].

هذا فيما يتعلق بخرقة التصوف وعهده، أما فيما يتعلق بأزياء الصوفية وعوائدهم وأرزاقهم، فقد أمدتنا المصادر والمراجع العربية بكثير من المعلومات الهامة فى هذا الصدد ومنها فيما يتعلق بأزيائهم أنهم كانوا يعتمدون كما يقول ابن الجوزى إلى ثوبين أو ثلاثة كل واحد فيها على لون فيجعلونها خرقاً ويقطعون من كل ثوب قطعة ويخيطون هذه القطع بعضها مع بعض ويعملون منها ثوباً يسمونه مرقعة، ومنهم من كان يلبس الصوف تحت ثيابه ومن كان يلبسه فوق ثياب لينة على جسده، وبذلك تميزت طبقات الصوفية بلبس الثياب الصوفية المرقعة مع فوطة مدلاة على رؤوسهم، وكانوا يفضلون اللون الأزرق ربما لكونه لون حداد أو لكونه زياً يلائم الرجال أكثر من غيره من الألوان، أما الزهاد منهم فقد لبسوا الملابس الخشنة ذات الأشكال البسيطة واتخذوها من القماش الرخيص الثمن، وكان منهم من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة، ومنهم من لم يكن له سوى ثوب واحد زهداً فى الدنيا، وإن أمكن اتخذ ثوباً آخر للجمعة والعيدين، ومنهم من لبسوا الخفاف الحمر شهرة، وإن كان ذلك كله لم يمنع بعضهم من أن يلبس الثياب المرتفعة الثمن كما فعل أبو العباس بن عطاء الذى لبس المرتفع من البز والديبقى وسبح بمسبحة من اللؤلؤ [١٠٦].

ومنها فيما يتعلق بعوائدهم أنه كانت لهم داخل زواياهم آداب خاصة وقواعد مرعية ولا

سيما فى طعامهم وصلاتهم ومع الوافدين عليهم (من البلاد الخارجية) ويوم الجمعة، وانحصرت هذه العوائد فيما يختص بطعامهم – وفقاً لما أشار إليه ابن بطوطة – فى قيام خادم الزاوية أو الخانقاة بمقابلة الصوفية كل صباح ليعين له كل منهم ما يشتهيه من الطعام، فإذا اجتمعوا للأكل جعلوا لكل منهم خبزه ومرقه فى إناء على حده، وطعامهم مرتين فى اليوم ولهم الحلاوة من السكر فى كل ليلة جمعة، وفيما يختص بصلاتهم أن يجلس كل منهم على سجادة مختصة به، وإذا صلوا صلاة الصبح قرأوا سورة الملك وسورة عم، ثم يؤتى بنسخ القرآن مجزأة فيأخذ كل صوفى جزءاً ويختمون القرآن ويذكرون، ثم يقرأ القراء على عادة أهل المشرق، ومثل ذلك يفعلون بعد صلاة العصر، وفيما يختص بالقادمين عليهم من البلاد الخارجية أن يأتى القادم إلى باب الزاوية أو الخانقاة فيقف به مشدود الوسط وعلى كاهله سجادة وبيمناه العكاز وبيسراه الإبريق فيعلم البواب بمكانه فيخرج إليه ويسأله من أى البلاد أتى وبأى الزوايا نزل فى طريقه ومن شيخه، فإذا تأكد من صحة قوله أدخله الزاوية وفرش له سجادته فى موضع يليق به وأراه موضع الطهارة فيجدد الوضوء ويأتى إلى سجادته فيحل وسطه ويصلى ركعتين ويصافح الشيخ ومن حضر معه ثم يقعد مع الحاضرين، وفيما يختص بعوائدهم فى يوم الجمعة أن يأخذ الخادم جميع سجاجيدهم فيذهب بها إلى المسجد ويفرشها لهم هناك، ثم يخرج الصوفية من خانقاتهم مجتمعين ومعهم شيخهم، وعندما يأتون المسجد يصلى كل منهم على سجادته فإذا فرغوا من الصلاة قرأوا القرآن على عادتهم ثم ينصرفون مجتمعين مع الشيخ إلى زاويتهم مرة أخرى (١٠٧).

وقد لخص البكرى أعمال الصوفية فى عملين جليلين: أولهما هداية المسلمين بمعنى تعليمهم وإرشادهم، وثانيهما هداية غير المسلمين للإسلام بمعنى إدخالهم فى الدين، ولهذا وجب فى رأيه أن يكون فى الأمة رجال أقاموا أنفسهم معلمين ومرشدين، وهؤلاء هم الصوفية أصحاب هذا الشأن وفرسان هذا الميدان فى سائر الأصقاع والبلدان، ولهم فى ذلك على الخاصة والعامة الفضل والسلطان، وتراهم فى إفريقيا وأواسط آسيا وفى الأقطار الهندية وجزر المحيط والبلدان الصينية يدعون للإسلام ويدخلون الناس فيه أفواجاً (١٠٨)، ليس هذا فقط وانما كانت لهم داخل خانقاواتهم أعمال كثيرة منها التدريس والدراسة والنسخ والوعظ والقضاء والميقات والقراءة والشهادة ونحو ذلك (١٠٩).

من الأوقاف المرصودة لهذه الخانقاة أو تلك، ومنها وضع من يقوم بالتدريس فيها من المشايخ والفقهاء، فقد شرط صلاح الدين مثلا لنجم الدين الخبوشانى الذى تولى مشيخة الخانقاة الصلاحية ولمن يأتى بعده أربعين دينارا عن التدريس وعشرة دنانير عن النظر فى الوقف شهريا، بالإضافة إلى ستين رطلا من الخبز وراوتين من ماء النيل يوميا حتى اضطربت الأوقاف فخفضت هذه الأرزاق إلى الربع(١١٠).

كذلك فقد أشار المقريزى إلى أنه كان يصرف لكل صوفى فى اليوم رطلا من لحم الضأن المطبوخ، وأربعة أرطال من الخبز النقى، علاوة على أربعين درهما ورطلا من الحلوى ورطلين من زيت الزيتون ومثله من الصابون فى كل شهر، ليس هذا فقط بل كان يصرف لكل منهم ثمن الكسوة فى كل سنة، وتوسعة فى رمضان وفى العيدين ومواسم رجب وشعبان وعاشوراء، وكلما ظهرت فاكهة صرف له مبلغ لشرائها، يضاف إلى ذلك كله أنه كان بكل خانقاة خزانة للأشربة والأدوية يصرف منها مرضى الصوفية ما يصفه لهم أطباؤها من الطبائعيين والجرائحيين والكحالين(١١١).

كذلك كان يفرق عليهم أول كل رمضان كيزان الماء الجديدة والأشنان لتنظيفها وتنظيف قدورهم بعد تبيضها، كما يعين لهم بالحمام حلاق لتدليك أبدانهم وقص شعورهم، فكان المنقطع بذلك لا يحتاج إلى شيء آخر، وكفى بذلك شاهداً على ما أحدثته الخانقاوات فى المجتمع باسم الدين، وزاد الطين بلة أن انتشار الفقر والفاقة بين الناس فى أواخر عهد الدولة المملوكية أن أقبل كثير منهم على التصوف فضمت الخوانق كثيراً من الدخلاء الذين أقبلوا على هذه الحياة ليس رغبة فى الانقطاع للزهد والعبادة وإنما فراراً من قسوة هذه الحياة ورغبة فى بسطة العيش دون عناء، وهنا ظهر بين الصوفية من شغلتهم الدنيا فانصرفوا عن الذكر والعبادة إلى البحث عن المال والمتاع فى ظل الأوقاف الواسعة التى تمتعت بها الخوانق حتى وجد من هؤلاء الصوفية من ارتبط بأكثر من خانقاة طمعا فى المال دون غيره، حتى أصبح هؤلاء – كما قال المقريزى – «لا ينسبون إلى علم ولا ديانة وإلى الله المشتكى»(١١٢)، وهنا كانت الكارثة عندما اجتمع فى مجالس الصوفية الأراذل وأصحاب المغانى والملاهى فأخذوا أموال الوقف ليصرفوها فى اللهو والمسكرات حتى نسب إليهم قولهم (حشيشة الفقراء) فوقعت مسئولية نشر هذه الآفة الاجتماعية بين الناس على

كاملهم[١١٣].

٤- صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم :

لقد أمدتنا المصادر والمراجع العربية بكثير من المعلومات الهامة عن صفات الصوفية وأحوالهم وطرائقهم فيقول ابن خلدون أن للصوفية إدراكات وإدارات وأحوال ينشأ بعضها من بعض كما ينشأ العلم من الأدلة، فكل مريد فى مجاهدته وعبادته لابد أن ينشأ له عن كل مجاهدة حال إما أن تكون نوعاً من العبادة فتصبح مقاما للمريد، وإما أن تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور ونحوه، ويظل المترقى يرقى من حال إلى حال حتى ينتهى إلى التوحيد والمعرفة التى هى الغاية المطلوبة للسعادة، وإذا وقع خلل فى النتيجة فإن مرده لابد وأن يكون إلى تقصير حدث فى الحال الذى قبله ولهذا يحتاج المريد دائماً إلى محاسبة نفسه[١١٤].

وقد اتخذت الصوفية فى ذلك العصر اصطلاحات خاصة بهم منها مثلاً الروح الأعظم التى تشير إلى العقل الأول، وروح المضاف التى تشير إلى النفس الكلية، والرياضة التى تشير إلى تهذيب الأخلاق النفسية إلى غير ذلك من الاصطلاحات الكثيرة التى عرفت عنهم[١١٥]، حتى قيل أن الطريقة هى عبارة عن الفضائل المكتسبة التى هى المقامات، وأن أوضاع الصوفية هى الأحوال التى تبدأ بمرحلة إنكار الذات والفقر والصبر والتوكل على الله، لأن المريد هو الذى يضع أعمال القلب فوق أعمال الحواس وهو الذى يجعل النية فوق العمل[١١٦].

وغالباً ما كان يتبع المجاهدة كشف الحس – لأصحاب الخلوة والذكر والإطلاع – على عوالم من أمر الله، وهو ما يسمى بالكرامات، فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدركه سواهم، ويبدو أن الصحابة رضوان الله عليهم كان حظهم من هذه الكرامات – على ما كان لهم من المجاهدة – عظيم، لكنهم لم يهتموا بهذه الأشياء، إلا أن المتأخرين من الصوفية قد غالوا فى هذه الدائرة فذهبوا إلى القول بالحلول والوحدة مع الله سبحانه وتعالى كما فعل الهروى وابن العربى وابن سبعين وتلاميذهم مثل ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلى وغيرهم.

أما ابن جبير فيذكر مجمل ما كان يتصف به أهل الصوفية فى زمنه فيقول أنهم الملوك بهذه البلاد (أى البلاد التى زارها) لأن الله قد كفاهم مؤن الدنيا وفضولها، وفرغ خاطرهم لعبادته

من الفكر فى أسباب المعايش، وأسكنهم فى قصور تذكرهم بقصور الجنان، وهم على طريقة شريفة وسنة فى المعاشرة عجيبة[١١٧]، وسيرتهم فى التزام الخدمة غريبة، وعوائدهم فى الاجتماع للسماع جميلة، وهم أهل أدب ومعرفة وترتيب أمورهم عجيب لأن حياة الصوفى الحقة كانت قد قامت على أساس من التقشف فى الملبس والمأكل وغير ذلك من أمور الدنيا مما عبر عنه العارف بالله إبراهيم الدسوقى فيما ذكره الشعرانى بقوله «أن قوته الجوع ومطره الدموع ووطره الرجوع»[١١٨]، وقد نقل المقريزى عن السهروردى أن – الصوفى الحق هو الذى يضع الأشياء فى مواضعها، ويدير الأوقات والأحوال كلها بالعلم، ويقيم الخلق مقامهم ويقيم أمر الحق مقامه، ويستر ما ينبغى أن يستر، ويظهر ما ينبغى أن يظهر، ويأتى بالأمور فى مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص[١١٩]، وعلى أساس من هذه الأخلاقيات والعبادات عرفت قبور من دفن من أوائل الصوفية بقرافة مصر – كما قال ابن ظهيرة – باستجابة الدعاء لمن يدعو عندها ولا سيما ذى النون المصرى[١٢٠].

وعند الإمام الغزالى رحمه الله أن التصوف أمر باطن لا يمكن ضبط الحكم بحقيقته، بل يمكن ضبطه بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف، والتفصيل فيه أن الصوفى يتصف بخمس صفات هى الصلاح والفقر وزى الصوفية وألا يكون مشتغلاً بحرفة وأن يكون مخالطاً للقوم (الصوفية) بطريقة المساكنة[١٢١].

وإذا كنا نتفق مع بعض الصفات التى ذكرها الغزالى فى هذا الصدد ولا سيما الصلاح والمساكنة، فإننا نختلف معه فيما ذكره من الصفات الأخرى ولا سيما الفقر وانعدام الحرفة لأن الإسلام فى حقيقته لا يحبذ الفقر ولا يرضاه للإنسان المسلم إلا إذا كان قضاء من الله سبحانه وتعالى، لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ولنا أن نتصور حال أمة الإسلام لو كان كافة أهلها فقراء يعيشون عالة على بقية الأمم يتكففونهم مخالفين بذلك ما قاله رسولهم الأعظم ﷺ فيما نقله الزبير بن العوام رضى الله عنه من حديث يقول «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله به وجهه خير له أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[١٢٢]، وما روى عن ثانى الخلفاء عمر بن الخطاب رضوان الله عليه حين قال إذا عرفت الرجل سألت عنه أله حرفة فإن قالوا لا سقط من عينى.

فالإسلام فى حقيقته يدعو للعمل ويحبب فيه حتى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال فيما نقله المقداد بن معد يكرب ما معناه «ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده وأن نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده» (١٢٣) وقوله ﷺ من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفوراً له (١٢٤)، وفوق هذا وذاك فنحن نعرف أنه لا رهبانية فى الإسلام ولا انقطاع لعبادة بغير عمل، ومن هنا كان التصوف الذى عرفته خانقاوات مصر المملوكية ولاسيما فى عصرها المتأخرة ليس من الإسلام فى شئ، بل هو بدعه ابتدعها السلاطين والأمراء لحاجات فى أنفسهم، وساعدهم عليها مرتزقة لبسوا خرق هذا التصوف بين سواد من الخلق لا يعرفون الحقيقة فصدقوهم.

يؤيد ذلك ما قاله المقريزى فى هذا الصدد نقلاً عن السهر وردى رحمه الله من أن قوماً من المفتونين لبسوا ألبسة الصوفية لينسبوا إليهم وما هم منهم فى شىء بل هم فى غرور وغلط، يتسترون بلبسة الصوفية توقياً تارة ودعوة أخرى، وينتهجون مناهج أهل الإباحة، ويزعمون أن ضمائرهم خلصت إلى الله تعالى، وأن هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة، وتلك رتبة العوام والقاصرين فى الأفهام، وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والإبعاد، ثم أضاف إلى ما ذكره السهروردى قوله «ذهب والله ما هنالك وصارت الصوفية كما قال الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى :

ما شروط الصوفى فى عصرنا اليو	م سوى ستة بغير زيادة
وهى (..) العلوق والسكر والسط	لة والرقص والغناء والقيادة
وإذا ما هذى وأبدى اتحاداً	وحلولاً من جهلة أو إعادة
وأتى المنكرات عقلاً وشرعا	فهو شيخ الشيوخ ذو السجادة

ثم قال «وتلاشى الآن (أى على عهده فى القرن ٩هـ/١٥م) حال الصوفية ومشايخها حتى صاروا من سقط المتاع لا ينسبون إلى علم ولا ديانة وإلى الله المشتكى» (١٢٥).

هذا عن صفات الصوفية وأحوالهم، ولا سيما المتقدمين منهم والمتأخرين، أما عن طوائفهم

وطوائفهم فقد أمدتنا المصادر والمراجع العربية بكثير منها، فى مقدمته ما ذكره البكرى من أن مصر تشتمل على نحو من أربعين طريقة من الطرق الصوفية، واتخذ من ذلك مدخلاً لمحاولة الوصول إلى تعداد هؤلاء المتصوفة فى مصر بقوله أنه لو أن لكل طريقة نائب واحد فى كل مركز من المراكز التى لا يقلّ عددها عن مائة مركز، ولو كان لكل خليفة مائة مريد فقط لحصل من ذلك نحو أربعة ملايين نفس هم جمهور الصوفية فى مصر(١٢٦).

والحقيقة أن الصراع بين الفقهاء والمتصوفة فيما أشير إليه كان قد أسفر بالنسبة للصوفية عن تكون فرق كانت أشبه ما تكون بالأحزاب، ثم اتخذت كل فرقة من هذه الفرق لنفسها بعض الأسس والمبادىء والأصول، وكان من نتيجة ذلك أن ظهر لكل فرقة شيخ وأتباع، ومن هنا أصبحت الصوفية كما قال المناوى وغيره صوفية جماعية بعد أن كانت صوفية فردية(١٢٧). وبذلك كثرت أعداد فرق الصوفية وأصبح أتباعها يكونون قطاعاً هاماً فى المجتمع له تقاليده ونظمه وخصائصه، فكان ضرورياً من ثم أن تنشأ الخوانق لمثل هذه الجماعات والفرق.

وهكذا انقسم الصوفية فى مصر إلى فرق عديدة لكل منها كما ذكر ابن خلكان شيخها وشعارها فالأحمدية التى نسبت إلى السيد أحمد البدوى مثلاً كان شعارها اللون الأحمر، والرفاعية التى نسبت إلى ابى العباس أحمد الرفاعى كان شعارها العمائم السوداء (١٢٨)، وقد جرت العادة فى عصر المماليك أن تصدر تولية شيخ الطائفة الصوفية كما قال ابن إياس من السلطان، فيخلع عليه بالقلعة وينزل منها فى حفل كبير يحيط به سائر فقراء طائفته(١٢٩).

ولم يقتصر الأمر بالنسبة لطوائف الصوفية على الأحمدية والرفاعية وغيرهما فى مصر، بل كانت هناك طوائف أخرى كثيرة فى بلاد أخرى من العالم الإسلامى منها مثلاً السقطية والقادرية فى بغداد، أولا هما فى القرن (٣هـ/٩م) نسبة إلى السرى السقطى، وثانيتهما فى القرن (٦هـ/١٢م) نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى (ت: ٥٦١هـ/ ١١٦٦م)، والشاذلية فى شمال إفريقية فى القرن (٧هـ/ ١٣م) نسبة إلى الشيخ الشاذلى (ت: ٦٥٨هـ/١٢٥٨م)، والكرامية (نسبة إلى محمد بن كرام السجستانى المتوفى بالشام وغيرها) (١٣٠).

والخلاصة - كما قال البكرى فى نشأة التصوف - أنه كان لكل طريقة من هذه الطرق

الصوفية شيخ جاوز الخمسين لغة وبلغ رتبة أهل الفضل والكمال اصطلاحاً، وهو عند الصوفية المرشد وصفته أنه المربى الدال على الله بأقواله وأفعاله وأحواله، ولابد لتلقى الطريق لمن يريد عن الشيخ المرشد، حتى إنهم قالوا من لم يعرف له أبا فى الطريق فهو دعى، وشيخ المريد هو أبو الروح عنده وهو أفضل له من أبى الجسد، لأن أبا الجسد سبب الوفاة وأبا الروح سبب الحياة ولذلك قال بعضهم .

أفضل شيخى عن أبى فى حقوقه ... وإن كـــان بالإيجـاد لى قـد تسببا

فهذا إلى الدنيـا دعانى ودلنى ... وهذا إلى الأخرى هدانى وحببا (١٣١)

أما أعلى طبقات الصوفية شأناً فهو الولى وهو كما قال البكرى أيضاً ذو معنيين أولهما أن الله سبحانه وتعالى يتولى أمره فلا يكله إلى نفسه، وثانيهما أنه هو الذى يتولى عبادة الله سبحانه وتعالى وطاعته فيجريها على التوالى من غير عصيان، ومن شروطه أن يكون محفوظاً كما أن من شروط النبى ﷺ أن يكون معصوماً، حتى قيل أنه إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يوالى عبداً من عبادة فتح عليه باب الذكر، ثم فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الأنس، ثم أدخله فى دار الفردانية، ثم كشف له عن الجلال والعظمة فيما عرف بالكرامات التى أجازها أهل السنة وأنكرها أهل المعتزلة(١٣٢).

٥- أعلام الصوفية ومجاذيبهم :

مما لا شك فيه أن الصوفية هم أصحاب فن المناجاة الذى تمثل فى حب الذات الإلهية، ومن أروع ما يذكر فى هذا المجال تلك الصورة التى وصفها الصوفية لبكاء داوود عليه السلام وهو يناجى ربه، فذكروا أنه بكى أربعين يوماً وهو ساجد لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وغطى رأسه، وهنا ناداه الله سبحانه وتعالى بقوله: ياداوود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فنحب نحبة هاج لها العود فاحترق من حر خوفه، فأنزل الله عليه التوبة والمغفرة، فقال يارب اجعل خطيئتى فى كفى فصارت خطيئته فى كفه فكان لا يبسط يده لطعام أو لشراب إلا رآها فأبكته حتى قال له الله سبحانه وتعالى ياداوود اسمع منى والحق أقول: أطعتنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأمهلناك وأن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك(١٣٣).

والواقع أن صوفية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى كانوا قد وضعوا أسس نظرية التصوف وجملة طرقه وقواعده، وكان على رأس هؤلاء أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الذى عرف بذى النون المصرى (ت: ٢٤٦هـ/٨٦١م) وكان كما قال ابن ظهيرة أول من عبر عن علوم المنازلات وحدث عن مالك ابن أنس والليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم، فكان أوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً (١٣٤) وقد ولد ذى النون المصرى سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م) بأخميم من صعيد مصر من أب نوبى، ثم سار إلى مكة والشام يحاول الوصول إلى رياضة نفسه بالزهد والتصوف مع المحافظة على إطار أهل السنة فاجتمع له كثيرون من الأتباع والمريدين حتى خشى المتوكل الفتنة بسببه فقبض عليه وسجنه فى بغداد، ثم أطلقه وأعاده إلى مصر فاهتم بالطب والكيمياء حتى توفى سنة (٢٤٦هـ/٨٦١م) وقد قسم ذو النون المعرفة إلى ثلاثة أقسام أولها خط مشترك بين عامة المسلمين، وثانيها معرفة خاصة بالفلاسفة والعلماء، وثالثها العلم بصفات التوحيد، وهو خاص بالأولياء الذين يرون الله بقلوبهم، فجاء ذو النون بذلك إلى العالم الإسلامى بفكرة المعرفة (GNO-SIS)، وهى الإدراك الذى تتأتى منه حالة الوجد الإلهى مختلفة بذلك عن المعرفة الفكرية التى تتأتى من الدرس والعلم (١٣٥).

وعلى ذلك فقد ظل ذو النون المصرى قرابة قرن من الزمان قبلة متصوفى العالم الإسلامى، ولا سيما الإيرانيين منهم، حتى كانت أولى سياحات المتصوفة الإيرانيين إلى مصر على عهده(١٣٦).

ومما لا شك فيه أن كثيرين من مشايخ الصوفية فى المشرق العربى كانوا قد تأثروا بالتصوف المصرى الذى وضع ذو النون وأبو بكر الزقاق أساسه، وعلى ذلك نما مذهب الصوفية فى بغداد وكان نموه سريعاً متتابعاً على يد مجموعة من صوفيتها يأتى على رأسهم أبو حمزة محمد إبراهيم الصوفى البغدادى (ت: ٢٦٩هـ/٨٨٢م) الذى كان أول من تكلم فى اصطلاحات الصوفية المتعلقة بالذكر والمحبة والعشق والقرب والأنس ونحوها (١٣٧).

وفى أواخر القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى حمل تلاميذ السرى السقطى مذهب الصوفية البغداديين إلى كثير من أنحاء الدولة الإسلامية، فحملها موسى الأنصارى (ت:٣٢٠هـ/ ٩٣٣م) إلى خراسان، والروزبارى (ت: ٣٢٢هـ/٩٣٤م) إلى الفسطاط ومصر، وابو زيد الأدمى

(ت: ٣٤١هـ/٩٥٢م) إلى جزيرة العرب [١٣٨]، ومع ذلك فقد ظلت كل من بغداد والبصرة على طرفى نقيض فى أمر التصوف كما كانتا على طرفى نقيض فى أمر اللغة وعلم الكلام، فعلى حين ظلت بغداد أكبر مركز للصوفية بشكلها العام، ظلت البصرة أكبر مركز للزهاد والعباد الذين استطاعوا أن يضموا الحسن البصرى إلى صفهم، وقد ردوا علمه وزهده إلى حذيفة بن اليمانى ومن ثم إلى رسول الله ﷺ، وقد روى أن النبى ﷺ اختص حذيفة من بين الصحابة بعلوم منها علم معرفة النفاق والمنافقين وعلم خفايا اليقين [١٣٩].

وظل هذا الجيل المتقدم من الصوفية حاملاً لواء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بغيرة الأتقياء وحرصهم على حياة الجماعة الإسلامية مما جرهم إلى معارضة السلطان أحياناً، وامتاز عصر هؤلاء بازدهار الصوفية وذيوع صيت شعرائها من أمثال محمد بن سعيد البوصيرى (ت:٦٩٦هـ/١٢٩٦) الذى ذاعت بردته سائر أنحاء العالم الإسلامى وكان أعظم شعراء المتصوفة، عمر بن على بن مرشد بن الفارض (١١٨١-١٢٣٥هـ/١٧٦٧-١٨١٩م) وغيرهما [١٤٠]. كما امتاز هذ العصر بذيوع صيت بعض أقطابها فى البلاغة والبيان والآداب من أمثال ابن عطاء الله السكندرى والحلاج ومحيى الدين بن عربى والسهروردى وغيرهم [١٤١].

ثم جاء بعد هؤلاء الإمام الغزالى الذى استطاع بيراعته وصدق إيمانه أن يحبب التصوف لأهل السنة عندما جعل منه طريقا روحيا للمعرفة اليقينية والسعادة الحقيقية لأنه أرجع كل حركات الصوفية الظاهرة والباطنة إلى نور مشكاة النبوة الذى ليس وراءه على ظهر الأرض نور يمكن الاستضاءة به، فكان التصوف على يديه أسمى من علم الكلام الذى لايزيل شكا وأسمى من الفلسفة التى لاتحقق يقينا [١٤٢].

ومع ذلك فقد اختلط التصوف الذى انتهى على يد الغزالى إلى طريق المعرفة والسعادة مخالفا لطريق المكتلمين والفلاسفة ولاسيما فى القرنين (٦- ٧هـ/ ١٢- ١٣م) بعناصر كلامية وفلسفية، فاصطبغت الأذواق والمواجيد الصوفية الحقة بصبغة المذاهب الفلسفية، مما كان له أثر بالغ فى ظهور الفلسفة الصوفية التى نادى بها السهروردى فى حكمته الإشراقية، وابن عربى فى وحدته الوجودية، وابن الفارض فى حبه الإلهى ووحدته الشهودية، وابن سبعين فى وحدته المطلقية وغيرهم.

إلا أ نه أعقب هؤلاء الصوفية المتفلسفين طائفة أخرى وقفت بالتصوف عند حدود الشرح والتعليق على ما ورد فى مصنفات المتقدمين من أعلام الصوفية وكان على رأس هذه الطائفة عبد الغنى النابلسى وعبد الرازق القاشانى الذى شرح نصوص الحكم لابن عربى والتائية الكبرى لابن الفارض.

ثم اعقب هؤلاء طائفة ثالثة كان أبرز سماتها رغم تأثرها بالمتقدمين من سلف الصوفية أنها وضعت مذاهبهم فى صور جديدة وأضافت إليها عناصر مستحدثة لتساير بالمذهب التطور الذى كان قد حدث على العصر كما فعل عبد الوهاب الشعرانى وعبد الكريم الجيلانى وغيرهما(١٤٣).

وكان القرن (٧هـ/١٣م) من أكثر القرون التى شهدت نزوح كثير من الصوفية إلى مصر ولا سيما أبى الحسن الشاذلى وابى العباس المرسى والسيد أحمد البدوى وغيرهم (١٤٤).

وعلى الجملة فقد اشتهر بالصوفية – كما يقول البكرى – كثير من أئمة الإسلام وأعيان العلماء والسلاطين والملوك والوزراء والأمراء، فعرف من الصوفية من أهل العلم والفضل شيوخ الإسلام العز بن عبد السلام وابن حجر وبدر الدين بن جماعة وابن دقيق العيد وابن زكريا الأنصاوى وغيرهم، ومن الأئمة الحافظ المنذرى وابن الحاجب وابن الصلاح وابن شداد (شيخ صلاح الدين الذى جعل داره خانقاة للصوفية من بعده) والفيروزابادى (صاحب القاموس المحيط) وغيرهم، ومن مشايخ الأزهر الشريف الشيخ الحنفى والشرقاوى والعروسى والباجورى والمهدى العباسى وغيرهم، ومن الملوك والسلاطين صلاح الدين يوسف بن أيوب والظاهر بيبرس والظاهر برقوق والأشرف قايتباى وغيرهم (١٤٥).

ورغم ما كان للصوفية الأوائل من قيمة روحية ومكانة اجتماعية لحفاظهم على نهج الصوفية الحقة التى اتخذت من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هدفاً، ومن ترك الدنيا والعمل للأخرة منهجاً، ومن الزهد والتقشف ومجاهدة النفس سلوكاً، فقد جاء بعدهم من خرجوا على ظاهر القرآن بالتأويل البعيد لإثبات دعواهم، فاشتركوا فى ذلك مع الشيعة الذين حاولوا تأويل كثير من الأسماء التى وردت فى القرآن الكريم بأسماء اشخاص، فقالوا أن بقرة موسى هى عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها، وأن الجبت والطاغوت هما معاوية وعمرو بن العاص، فكان هؤلاء

وأولئك طبقاً لما ذكره ابن قتيبة هم الرافضة فى الإسلام (١٤٦).

ويبدو أن الأغانى الروحية العاطفية التى عرفها صوفية الصدر الأول كانت السبب الذى أدى فى القرن (٥هـ/١١م) إلى ازدياد الرقص والغناء أثناء الذكر عند اللاحقين من المتصوفة، حتى ظن عوام الصوفية أن مذهب التصوف يقتضى ذلك مما أدى إلى مخالطة هؤلاء للمجاذيب، وكان ذلك من أكبر آفات الصوفية فى عصرنا المتأخر، يؤيد هذا ما ورد فى بعض المراجع العربية من أن حياة الصوفية لم تلبث أن تغيرت فى أواخر عهد المماليك من الصلاح إلى الفساد فتخلى أصحابها عن النظم والآداب التى عرفوا بها بين الناس، فصارت أذكارهم – كما قال ابن الحاج – بصوت مسموع ومن ثم سميت السماعات (١٤٧) ولم تلبث أن أصبح الدف والمزمار والرقص والتصفيق من المظاهر الأساسية لتلك السماعات، فإذا دب مع المتصوف الطرب قليلاً حرك رأسه كما يفعل أهل الخمر، ثم إذا تمكن منه الطرب ذهب حياؤه ووقاره (١٤٨).

وكان من نتيجة ذلك أن نشأت طائفة المجاذيب أو الدراويش التى اشتهرت – كما تروى المصادر العربية بكثير من العادات والأفعال التى لم يكن لها من قبل وجود (١٤٩).

الفصل الثالث

دراسة أثرية معمارية

الفصل الثالث
دراسة أثرية معمارية

يشتمل حديثنا فى هذه الدراسة الأثرية المعمارية للخانقاوات على أربع نقاط رئيسية هى :

١– عمارة الخانقاة وخصائصها.

٢– المنشآت التابعة للخانقاة.

٣– الخانقاوات الدارسة.

٤– الرباط والزاوية والتكية.

١– عمارة الخانقات وخصائصها :

تكلمت المراجع العربية الحديثة كثيراً عن عمارة المدرسة فى الطراز المملكى، ورغم الفيض الهائل من المعلومات التاريخية والأثرية التى سجلتها تلك المراجع فى هذا الشأن ألا إنها ضنت علينا بما يشفى الغلة فيما يتعلق بالخانقاوات، ومع ذلك فإننا لا نجد اختلافا كبيراً بين تخطيط المدرسة وتخطيط الخانقاة لأن الشكل العام لكليهما كان واحدا تقريباً فيما عدا بعض الاختلافات المتعلقة بسكن الصوفية وبقية المنشآت الخدمية الصغيرة كالمطبخ والحمام وخزانة الأشربة والساقية ونحوها مما اعتاد منشئوا الخانقاوات بناءه لتلبى منشآتهم كافة الاحتياجات الحياتية للمنقطعين فيها.

والذى لاشك فيه أن عصر دولة المماليك (البحرية والبرجية) الواقع بين سنتى (٦٣٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م) كان من أزهى عصور التشييد والبناء فى مصر، حيث بنى هؤلاء المماليك خلاله العديد من الأبنية المختلفة الأغراض مثل المساجد والمدارس والخانقاوات والأضرحة والتكايا والوكالات والأسبلة ونحوها، وكلها أبنية تنوعت زخارفها فى شتى جزئياتها من واجهات ومنارات وقباب وغيرها، وتشابهت مخططاتها كثيراً حتى أن الفرق بين تخطيط المسجد والمدرسة والخانقاة لم يكن جوهريا، إذ كانت كلها تشتمل على صحن تحيط به أربعة إيوانات فى

الجهات الأصلية الأربعة معقودة متقابلة اختلفت كبرا وصغرا باختلاف العصر وما درج عليه معماريوه، وإن ظل إيوان القبلة فيها هو أكبر الإيوانات وأهمها.

والواقع أن التخطيط فى عمارة مساجد الإسلام الأولى الذى هو أصل كل التخطيطات فى العمارة الإسلامية تقريبا كان تخطيطا بسيطا روعى فيه أن يلبى فقط حاجة المسلمين لمكان يؤدن فيه صلاتهم، ويتدارسون فيه أمر دينهم ودنياهم ولم تكن تعنيهم فى هذا التخطيط أمور التعقيد المعمارى أو تضخيمه، ولا أمور تنميقه أو تزيينه، وظل الأمر على ذلك فى الغالب إلى أن جاء سلاطين السلاجقة فى القرن (٥هـ/١١م) بعمارة المدارس لتدريس علوم الدين على مذهب أهل السنة فأنشئت العمائر التى جمعت بين المسجد والمدرسة، وامتازت هذه العمائر عن المساجد الأولى بما أضيف إلى تصميمها من ملحقات شيدت لتكون سكنا للشيوخ والطلبة ممن كانوا يدرسون المذاهب الفقهية الأربعة فى هذه المداس كلها أو بعضها.

وقد روعى فى تصميم المدرسة الإسلامية بصفة عامة أن تشتمل على صحن مكشوف أو مغطى تحيط به أربعة إيوانات فى شكل متعامد، وكانت الأركان الواقعة بين ضلعى هذا الشكل تشتمل على المدخل والسلم الذى كان يوصل إلى الأدوار العلوية وما فيها من مساكن للشيوخ وللطلبة وملحقاتها، ونظرا لما أتى به هذا النظام فى المدارس من سهولة رؤية الإمام وسماع الخطب عنه فى المساجد ذات الأكتاف الضخمة مثل ابن طولون ونحوه، فقد راعى المعمار المسلم بعد ذلك أن يبنى المساجد على هذا النمط منذ القرن (٧هـ/١٣م) تقريبا [١٥٠]، وقد أدى ذلك إلى أن يزيد فى مساحة البناء ليكون مسجدا ومدرسة فى آن واحد حتى أصبح من العسير تماما على أى باحث أن يطلق على المبنى إحدى هاتين التسميتين دون الأخرى، وكثيراً ما كان يضاف إلى هذه وتلك ضريحا للمنشئ أو سبيلا وكتابا، وقد استخدم هذا النظام فى الخانقاوات أيضاً ولم يكن بينه فى هذه وتلك – كما قلنا – فارق جوهرى يذكر.

ويغلب على الظن – كما يقول كونل – أن مصر كانت قد عرفت نظام المدارس ذات الإيوانات الأربعة عن طريق الشام فى عهد صلاح الدين، كما عرفت الأضرحة ذات القباب عن طريق غرب التركستان فى عهد المماليك ثم انتفعت – على مايدو – بكل من هذين الطرازين فى تصميم المسجد والمدرسة والخانقاة دون تغيير يذكر فى عمارة المسجد التى كانت سائدة فيها قبل

دخول هذين العنصرين، إلا أنه عندما شاع تصميم المدرسة فى عمارة المماليك وسع المبنى تبعا لذلك حتى يمكن استعماله مسجدا ومدرسة فى آن واحد، وهو أمر كان من نتيجته – مراعاة لأهمية إيوان القبلة – أن تم تصغير الإيوانين الجانبيين حتى اصبحا مثل حنيتين بجانب الايوانين الشرقى والغربى(١٥١).

وقد أعطى لين بول تفسيرا طيبا لهذه الظاهرة حين قال أنه لم يكن فى مصر من المذاهب الأربعة سوى اثنين فقط هما المذهب الشافعى والمذهب الحنفى ومن ثم لم تكن هناك حاجة الى الاحتفاظ بأربع قاعات وأربع ايوانات وقد شاعت هذه الصورة المعدلة بهد ذلك الى حد كبير فى عمارة الشراكسة(١٥٢).

أما فيما يتعلق بالخانقاة فقد ورد فى بعض المراجع العربية أن تصميمها المعمارى يمكن أن ينقسم الى ثلاثة أنواع هى: الجامع الخانقاة، والمدرسة الخانقاة، والقبة الخانقاة، وأن الجامع الخانقاة كان يحتوى على صحن مكشوف أو مغطى حسب الحالة تحيط به أورقة من جميع الجهات أو بعضها على أن يكون رواق القبلة أكبرها، وتقع خلاوى الصوفية فى هذا الجامع الخانقاة خلف القبلة، وقد تشغل طابقا أو طابقين أو تصل الى أربعة طوابق، وأحسن أمثلة هذا الطراز خانقاة سعيد السعداء والبندقدارية والشيخونية والبرقوقية بجبانة المماليك(١٥٣).

أما بالنسبة للمدرسة الخانقاة فقد ورد أن طراز العمارة الاسلامية كان قد شهد منذ العصر الايوبى ميلاد طراز معمارى جديد هو طراز المدرسة التى لاءم تخطيطها أداء وظيفتين هما تدريس المذاهب الأربعة وتأدية شعيرة الصلاة، لذلك وجد المعمار نفسه مضطرا لترك الأروقة الأربعة لكى يلتقى كل شيخ بتلاميذه فى واحد منها، وعلى هذا الاساس وافق نظام المدارس المعمارى الخانقاوات تمام الموافقة خاصة وأن هذه الخانقاوات كانت قد أصبحت منذ العصر المملوكى معاهد دراسية الى جانب كونها دورا للصوفية، وكانت خلوات المتصوفة تكتنف الايوانات الأربعة فى طوابق عليا مثلما كان الحال فى الخانقاة الجاشنكيرية ببيبرس، أو تكتنف ايوانا واحدا أو أكثر من ايوان مثلما كان الحال فى الخانقاة البرقوقية بالجمالية، أو تكون منفصلة عنها تماما بواسطة صحن كبير غير صحن المدرسة مثلما كان الحال فى الخانقاة الاينالية بقرافة المماليك(١٥٤).

أما بالنسبة للقبة الخانقاة فقد ورد أن هذا الطراز من الخانقاوات كان قليل الوجود فى العصر المملوكى، وكان من الممكن أن تسمى نماذجه بالزاوية لولا أنها كانت تشتمل على خلاو للصوفية، ومن المعروف أن القباب كانت قد اقيمت أصلا على المقابر والأضرحة فى سامرا منذ القرن (٣هـ/٩م) خلال العصر العباسى ثم انتقلت إلى غيرها من بلاد العالم الإسلامى، أما فى مصر فقد أقيمت القباب منذ العصر الفاطمى على أضرحة آل البيت (رضوان الله تعالى عنهم) التى عرفت بالمشاهد، إلا أن القبة فى العصرين الأيوبى والمملوكى كانت قد أصبحت ظاهرة معمارية مكملة للجامع أو المدرسة لما اعتاده منشئوا هذه الأبنية من إقامة أضرحة لهم فيها، ثم انفصلت بعض هذه القباب أو المدافن عن الجامع والمدرسة منذ القرن (٨هـ/١٤م) لكى تلحق بها مجموعة من الخلوات للصوفية حتى تكون خانقاة بذاتها مثلما كان الحال فى خانقاة خوند طغاى الناصرية[١٥٥].

أما ما ذكر عن المدرسة الخانقاة من أن خلوات الصوفية فيها كانت تكتنف إيواناتها الأربعة أحيانا، أو تقع خلف إيوان واحد منها أو أكثر أحيانا أخرى، أو تكون منفصلة عنها بواسطة صحن كبير غير صحن المدرسة أحيانا ثالثة، فإننا نضيف إليه أن هذه الخلوات كانت تقع أحيانا رابعة فى دور أرضى أسفل المدرسة فلا تعلو ولا تجانب مثلما كان الحال فى المدرسة الخانقاة التى أنشأها بحارة برجوان القاضى أبو بكر مزهر الأنصارى سنة (٨٨٤هـ/١٤٧٤م)، والمدرسة الخانقاة التى أنشأها بميدان القلعة – الأمير جوهر اللالا سنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) وغيرهما.

أما بالنسبة لما ورد عن القبة الخانقاة فمن المعروف أن الصلاة لا تجوز فى الأضرحة أو القباب شرعاً، وخير دليل على ذلك أن الأضرحة والمشاهد الفاطمية لم تكن مكانا تقام فيه شعائر الصلاة رغم اشتمالها جميعا على كثير من المحاريب حتى فى المشهد الواحد وبذلك تكون تسمية «الزاوية الخانقاة» أكثر انطباقا وتلاؤ ما من تسمية «القبة الخانقاة» لأن الزاوية هى فى الواقع مسجد صغير ولا يمنع فى هذه الحالة أن تلحق بها قبة للمنشئ وخلوات للصوفية أو لا تلحق، أما القبة فهى فى الأصل ضريح لأن كل الأضرحة المعاصرة كانت تغطى بقبة حتى طغى الجزء على الكل وأصبح ذكر القبة يعنى ضمنا وجود ضريح فيها.

والخلاصة أن الخانقاوات كانت منشآت معمارية خصصت لإقامة أعداد من الصوفية والأساتذة والمشرفين (تكثر أو تقل حسب إمكانية المنشىء) لفترات زمنية طويلة تكاد تكون شبه دائمة، وقد راعى المعمار المسلم ذلك جيدا عند تخطيط الخانقاة فجعل منها ملحقات أساسية لا غنى لأية خانقاة عنها، وأخرى إضافية ذات صلة بالمهمة التى أنشأت من أجلها، ومع ذلك فلم يمنع هذا من وجود بعض الاختلاف فى التخطيط المعمارى للخانقاة، فنجد فى بعض الخانقاوات عناصر وملحقات قد لا نجدها فى خوانق أخرى، ومهما يكن من أمر فالذى لاشك فيه أن مساكن الصوفية كانت من أهم أساسيات تخطيط الخانقاة وقد روى فيها أن تكون بمنأى عن الطريق العام كسبا للهدوء وكانت تتألف من طباق متراصة فى صفوف متوازية أطلق عليها «رباط أو ربط» وكانت غالبيتها من النوع المعروف بالطباق الحبيس أى الغرفة التى لافتحات فيها وإن لم يمنع هذا من وجود بعض الفتحات أحيانا فى بعضها تغشيها مصعبات من خشب الخرط أو من الأرماح والخرزات الحديدية.

هذا فيما يتعلق بعمارة الخانقاة وتخطيطها، أما فيما يتعلق بخصائصها الفنية فهى كثيرة، وقد أفاضت علينا المراجع العربية فى هذا الشأن بفيض من المعلومات الهامة مؤداه أن المميزات الفنية لعمارة الخانقاة وغيرها من منشآت المماليك كانت تنحصر بالنسبة للواجهات فى استمرار ما بدأه الفاطميون من ظاهرة تتابع مداميك هذه الواجهات الأفقية باللونين الأحمر والأصفر مما عرف بنظام المشهر أو من تتابعها باللونين الأسود والأبيض مما عرف بنظام الأبلق، وفى وجود حنايا أو تجاويف رأسية طويلة تحيط بالأبواب والشبابيك وتنتهى بقرنصات عملت على ما يبدو لإحداث التوازن الفنى بين هذه الخطوط الأفقية، وفى وجود أشرطة من الزخارف والكتابات القرآنية والتاريخية، وفى تتويج هذه الواجهات بشرافات مسننة أو مورقة، ليس هذا فقط، بل لقد حرص المعمار المسلم فى كثير من الحالات – حتى لا يكون التنظيم العمودى أقوى تأثيرا – ألا يكون مدخل المدرسة أو الخانقاة فى وسط واجهتها وانما جعلهما فى ركن من أركان هذه الواجهة حتى لا يطغى أى منهما عليها[١٥٦].

وقد امتازت واجهات الخانقاوات كغيرها من عمائر المماليك بخاصية وضع المداخل الخارجية داخل تجويفات رأسية شاهقة عميقة تنتهى عادة بطاقية مخوصة ذات عقد ثلاثى

الفصوص محمولة على مقرنصات أحيانا أو على نصف قبة مخموسة أحيانا أخرى، وغالبا ما كانت تمتد هذه التجويفات إلى نهاية ارتفاع الواجهات ونادرا ما كانت تزيد عليها، كما كان من المعتاد أن يكتنف هذا الباب مكسلتان (مصطبتان) حجريتان مزخرفتان تذكران بما عرف عن مداخل عمائر قونية بصفة خاصة أو مداخل العمائر السلجوقية فى آسيا الصغرى بصفة عامة[١٥٧].

أما المآذن التى كانت واحدة من أهم ما ميز واجهات العمائر المملوكية بما فى ذلك الخانقاوات، فالذى لا شك فيه أن هذه المآذن كانت قد أصبحت أكثر رونقا وجمالا عن ذى قبل سواء من حيث التفاصيل المعمارية الدقيقة التى امتازت بالرشاقة وجمال النسب أو من حيث الزخارف البديعة المختلفة، يدل على ذلك من الناحية المعمارية مثلا أن المعماريين أدمجوا هذه المآذن بالواجهات بحيث لا يكون لها وهى قائمة فى إحدى زاويتى الواجهة أو كليتهما قاعدة، ويدل عليه من الناحية الفنية ذلك القسط الوافر من التوفيق الذى أصابه المعماريون حينذاك فى تجميل هذه المآذن بالطاقات والحنايا والمقرنصات والخوذات المضلعة أو المستديرة التى تحملها أكتاف أو أعمدة رشيقة، بالإضافة الى كسوة قمتها أحيانا بالقاشانى أو تلبيس بدن دورتها الأولى بالرخام، يضاف إلى ذلك ما نشأ فى مصر منذ النصف الثانى من القرن (٨هـ/١٤م) من منارات ذات رؤوس مزدوجة مثل مئذنة الغورى بالجامع الأزهر وغيرها[١٥٨].

وعلى عكس المآذن التى لم يبالغ فى ارتفاعها كانت القباب العظيمة الرابية فوق هذه المنشآت المملوكية مما ساعد على تدرج الصورة الظلية خارج المنشأة وداخلها، على أن صغر حجم هذه القباب يؤكد أن نية معماريى هذه الحقبة لم تكن موجهة – على ما يبدو – إلى الاقتراب من شكل القباب الكبيرة الهائلة المتسلطة فى مركز البناء بقدر ما كانت موجهة لتحقيق ما يوحى للنفس المتعبدة بالهدوء والسكينة، والمعروف أن القبة الصغيرة التى كانت تبنى فوق المحراب أو فوق المدخل كانت – فى غالب الظن – هى أقصى ما استطاع المعمار قبل عصر المماليك أن ينجزه باستثناء القبة العظيمة التى بناها الأيوبيون فوق ضريح الإمام الشافعى رضوان الله عليه[١٥٩].

واذا ما انتقلنا من الحديث عن خصائص الواجهات والمداخل والمآذن والقباب فى عمارة المماليك من المساجد والمدارس والخانقاوات الى خصائص أى من هذه المنشآت الفنية الداخلية،

لقلنا أنها امتازت بالعديد من الزخارف، فكان للإيوانات ذات السقوف المسطحة عوارض خشبية مذهبة ذات أفاريز من الجص المنقوش بشتى العناصر الكتابية والزخرفية، ولم يعد المحراب ينقش بالخشب أو الجص كما كان قبل المماليك وإنما أصبح يغشى بأشرطة الرخام الملون أو بقطع الفسيفساء الجميلة التى تكون غالبا العديد من عناصر الزخرفة الهندسية، كذلك فضل للمنبر أن يصنع أحيانا من الرخام ليرتبط بالبناء ارتباطا وثيقا، وقد استتبع ذلك التغيير فى خامات بناء العناصر المعمارية الداخلية تغييرات أخرى حيث لعب الرخام الملون دوره باقتدار فى تغشية الحوائط ولا سيما الوزرات، وتطورت أشغال النجارة فظهر إلى جانب الأويمة الدقيقة الخرط والتطعيم بالسن والعاج والصدف والأبنوس والزرنشان فى المنابر والأبواب والشبابيك والكتيبات، بل لقد لعبت التغشية برقائق المعادن ذات الكتابات والزخارف النباتية والهندسية دورا هاما فى زخرفة أبواب هذه المنشآت(١٦٠).

كذلك كانت المقرنصات أو الدلايات (stalactites) من أكثر عناصر زخرفة هذه العمائر داخليا وخارجيا، وكانت هذه عبارة عن حلية معمارية تشبه خلايا النحل، وترى فى هذه العمائر مدلاة فى طبقات مصفوفة بعضها فوق بعض، وكانت تستعمل أحيانا أخرى للتدريج من شكل إلى آخر ولا سيما من الشكل المربع إلى الشكل الدائرى الذى غالبا ما قامت فوقه القباب، كما قامت فى أحيان أخرى مقام الكوابيل حين تتخذ أسفل دورات المؤذن فى المنارات، وقد بدأ استخدام هذه الحلية المعمارية فى العمارة الإسلامية اعتبارا من القرن (٥هـ/١١م) وزاد الإقبال عليها بعد ذلك حتى أصبحت من أهم مميزات هذه العمارة، واختلفت أشكالها باختلاف الزمان والمكان حتى بلغت أوج عظمتها فى قصر الحمراء بغرناطة، وكان الأصل فى هذه الحلية هى الطاقية المقعرة فى ركن كل حجرة مربعة يراد أن يبنى فوقها رقبة، ثم تطورت المقرنصات بمضاعفة عدد حطاتها حتى وصلت فى عمائر المماليك أحيانا إلى تسع حطات، وهو تطور لم نصله فى عمارة مصر من قبل(١٦١).

وأخيرا كانت خلوات المتصوفة فى عمارة الخانقاوات – كما قلنا – عبارة عن حجرات صغيرة تفرش ببلاطات من الحجر الجيرى وتغطى بعد ذلك بالحصير، وقد تحتوى بعض هذه الخلوات على مصاطب ترتفع أرضيتها بعض الشيء، أما عن سقوفها فكانت تتألف أحيانا من أقبية نصف دائرية وتستعمل جلسات نوافذها المنخفضة كمصاطب للقراءة، وغالبا ما كانت توجد فتحة أعلى بابها ذات حاجز من خشب الخرط للتهوية والإنارة كما كانت تلحق بهذه الخانقاوات ولا سيما فى الطوابق العليا قاعات للشيوخ وغرف للمدرسين ومسئولى الإدارة(١٦٢).

وقد جرت العادة عند الفراغ من بناء الخانقاة أو المسجد أو المدرسة أن ينزل إليها السلطان أو الأمير فى جمع حافل من الأمراء والفقهاء والقضاة والأعيان، ويمد سماط زاخر بمختلف الأطعمة ليأكل الجميع منه ثم يخلع السلطان أو الأمير (صاحب المنشأة) على كل من أسهم فى البناء من المهندسين والمعلمين والبنائين بل والفعلة، ويعين للخانقاة أو المسجد أو المدرسة موظفيها من الشيوخ والمدرسين والفقهاء والمؤذنين والقراء والفراشين ونحوهم (١٦٣).

وقد أدت كثرة هؤلاء الموظفين أحيانا إلى نهب أموال أوقاف هذه المنشآت ولا سيما الخانقاوات، يؤيد ذلك ما ذكره ابن الصيرفى فى القرن (٩هـ/١٥م) من أن مباشر أوقاف الظاهرية برقوق (فى شهر جمادى الآخرة سنة ٨٧٥هـ) كان قد «ظهر فى جهته للوقف ألف دينار فتوزعها هو وشمس الدين الانبابى وإمام الأمير الذى هو ابن إمام الشيخونية وصيرفى المدرسة وهو فى الترسيم وقاسى أضعاف ما فعل بابن البلقينى والجزاء من جنس العمل»(١٦٤) ليس هذا فقط بل إنه مما أشار إليه فى ذكره لحوادث نفس الشهر أن القاضى عز الدين البلقينى الشافعى «ضرب من الأمير جانى بك الظاهرى أمير آخور علقة على مقاعده لأنه كان باسمه تصوفا بالظاهرية برقوق وأن مباشرى الوقف كانوا يصرفون لمن يختارون من الصوفية ويمنعون من ذلك من يختارون فطلبه الأمير إلى القلعة فكلمه القاضى بكلام فيه إساءة ففعل فيه ما ذكر»(١٦٥).

٢ – المنشآت التابعة للخانقاة :

الواقع أن ما لدينا من مادة أثرية تاريخية يثبت أن عمارة الخانقاوات لم تقتصر فى عصر المماليك على كتلة الخانقاة ذاتها، وإنما اشتملت على كثير من المنشآت الأخرى ذات الأغراض المتعددة مما كن له ارتباط وثيق بمتطلبات المنشئ ممثلا فى القبة الضريحية ومتطلبات الصوفية ممثلا فى خلواتهم وخزانة أشربتهم وأدويتهم وحمامهم وساقيتهم ومطبخهم، بالإضافة إلى متطلبات الصدقات الجارية التى حرص عليها منشئوا هذه الخانقاوات، ولا سيما الأسلبة والكتاتيب.

أ – القبة الضريحية :

قال رسول الله ﷺ – فيما رواه البخارى ومسلم «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١٦٦) وقال «أولئك النصارى اذا كان فيهم الرجل الصالح (أى مات) بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا تلك الصور (يعنى الأقونات) أولئك شر الخلق عند الله يوم القيامة»(١٦٧) وقد اتفق أهل السنة على أن النهى عن اتخاذ القبر مسجدا يلزم منه النهى عن بناء المسجد عليه، لا فرق فى ذلك بين بناء المسجد على القبر أو إدخال القبر فى المسجد، فالكل حرام لأن المحذور واحد، فلو بنى إنسان مسجدا بقصد أن يدفن فى بعضه دخل فى اللعنة، ومعنى ذلك أن الدفن فى بعض المسجد حرام، وإن شرط المنشئ أن يدفن فى مسجده لا يصح شرطه لما فى ذلك من مخالفة صريحة لما نهى عنه الرسول ﷺ، وبهذا يمكن القول أن المسجد والقبر لا يجتمعان فى الإسلام شرعا لأن النهى صريح عن بناء المساجد على القبور حتى ولو كان دفناؤها من الأنبياء والصالحين، واتفقت المذاهب الأربعة على تحريم ذلك، بل ذهب الشافعية الى أنه كبيرة من الكبائر(١٦٨).

كانت تلك مقدمة ضرورية للحديث عن القباب أو الأضرحة التى قل أن نجد مسجدا أو مدرسة أو خانقاة من عمائر العصر الذى نتحدث عنه دون أن يكون بها ضريحا للمنشئ، وقد وقعوا بذلك فيما حذر منه الرسول ﷺ رغم أنهم قصدوا منه أن يكون رحمة لهم ومغفرة لخطاياهم وقربة إلى الله سبحانه وتعالى.

ويغلب على الظن أن أصل القبة فى الإسلام كان قد أخذ عن القباب الساسانية فى إيران والقباب البيزنطية فى الشام، ثم أقبل المسلمون على استخدامها فى الأضرحة بشكل رئيسى منذ

القرن (٣هـ/٩م) حتى طغت تسمية الجزء على الكلل وصار لفظ القبة يعنى ضريحا[١٦٩].

وأقدم المدافن التى عرفت فى الإسلام هو مدفن الصليبية فى سامرا الذى دفن فيه المنتصر بالله العباسى المتوفى سنة (٢٤٥هـ/٨٦٢م) ثم تلاه مدفن اسماعيل السمانيد المتوفى سنة (٣٠٣هـ/ ٩٠٧م) فى بخارى وغيرهما، أما فى مصر فكان أول مدافنها هو مدفن آل طباطبا الذى يرجع تاريخه الى سنة (٣٣٤هـ / ٩٤٣م) فى العصر الإخشيدى وتلاه مدفن السبع بنات (٤٠٠هـ / ١٠١٠م) ثم صار المدفن فى العصرين الأيوبى والمملوكى عبارة عن بناء مستقل له مدخل يقابل المحراب مثلما حدث فى مدفن الإمام الشافعى (٦٠٨هـ/ ١٢١١م) ومدفن الخلفاء العباسيين (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) ومدفن شجرة الدر(٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) وغيرها، إلى أن جمع المدفن مع المدرسة لأول مرة فى مدرسة الصالح نجم الدين (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩ – ١٢٥٠م) وق أدى هذا الاهتمام المتزايد بالمدفن إلى إظهاره عن بقية العناصر الأخرى بالمنشأة كما حدث فى مدرسة السلطان حسن (٧٥٧ – ٧٦٤هـ/ ١٣٥٦ – ١٣٦٢م) وغيرها.

وانتشر نموذج القباب ذات الضلوع المحدبة من الخارج والمقعرة من الداخل فى النصف الثانى من العصر الفاطمى وبخاصة فوق الأضرحة التى كثر بناؤها آنذاك فى كل من القاهرة والوجه القبلى، بينما كانت تبنى القباب فى المساجد فوق مربعة المحراب، وبانتشار بناء المدارس ذات الإيوانات تبعا لانتشار التخطيط السنى للعمارة فى مصر اعتبارا من عهد الناصر صلاح الدين، انتشرت ظاهرة بناء ضريح لصاحب المسجد أو المدرسة أو الخانقاة يغطى بقبة، وقد غلب الحجر على بناء هذه القباب فى العصر المملوكى وكانت تبنى إما ملساء وإما بضلوع متجاورة رفيعة أو ذات تكوينات زخرفية محفورة أو بارزة تتألف من عناصر نباتية وهندسية وكتابية[١٧٠].

وقد عرفت مصر فى عصر المماليك أنواعا مختلفة من القباب مثل القبة نصف الكروية والقبة المضلعة والقبة البيضاوية، بل والقبة الكبيرة التى تنتهى فى أعلاها بمنور فوقه مثمنة تحمل قبة صغيرة مضلعة مثل قبة الشيخ عبد الله المنوفى بالقرافة الشرقية التى ترجع إلى القرن (٧ – ٨هـ/ ١٣ – ١٤م)، كذلك فقد عرفت مصر خلال عصر الأيوبيين القبة الخشبية المكسوة بالرصاص، ولعل فى قبة الإمام الشافعى التى بناها السلطان العادل سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م) أحسن الأمثلة الدالة على ذلك، ولم يقف تجميل هذه القباب عند زخرفتها من الداخل ولا سيما

بأبدع أشكال المقرنصات، وإنما كانت تنقش بشتى أنواع الزخارف المشار اليها من الخارج أيضا، وأحيانا ما كانت تكسى فى بعض أجزائها أو كلها بالقاشانى البديع[١٧١].

ورغم كل ما امتازت به قباب الأضرحة الإسلامية فى مصر من عظمة البناء وجمال الزخرف، يطلع علينا كونل برأى يقول فيه «أنه ليس فى هذه القباب ما يميز بعضها عن بعض فخطوطها الرئيسية واحدة، ومع كثرة عددها لم يطرأ عليها فى وقت تال تغيير يذكر»[١٧٢]، وإذا كانت قباب هذا العصر قد تميزت بصغر الحجم فعلا إلا أن المعمار المسلم كان قد أسرف فى زخرفتها من الداخل والخارج – كما قلنا – بزخارف نباتية وهندسية وكتابية وعناصر أخرى من خطوط مجدولة أو حلزونية، حتى كان المماليك – كما قال لين بول – هم سادة بناء القباب الجميلة التى ازدانت بها القاهرة وما زالت تضفى على مبانيها صبغة فنية خاصة حتى اليوم[١٧٣].

ب – خلوات الصوفية :

كان من الضرورى أن تلحق بالخانقاة خلوات لإقامة من تقرر نزولهم فيها من الصوفية حسب شروط الواقف، بالإضافة الى مساكن أخرى لشيخ الخانقاة ومدرسى المذاهب وغيرهم ممن أنيطت بهم مهمة القيام بأمور الخانقاة إشرافا وتدريسا.

وكانت هذه الخلوات – كما قلنا – عبارة عن حجرات صغيرة متجاورة على جانبى استطراق ضيق، ذات أرضيات مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى المغطى بالحصير، وقد تحتوى بعض هذه الخلوات عى مصاطب ذات ارتفاع أكبر قليلا من الأرضية بما يقرب من درجة واحدة، وذات سقف كان مسطحا أحيانا وعبارة عن قبو نصف دائرى أحيانا أخرى، أما نوافذها المنخفضة فكانت تستخدم كثيرا كمصطبة للقراءة، وغالبا ما وجدت نافذة أعلى الباب ذات مصبعات من خشب الخرط بغرض التهوية والإنارة[١٧٤].

جـ – خزانة الأشربة والأدوية :

مما لا شك فيه أن منشئى الخانقاوات كانوا قد حرصوا على توفير كافة الضروريات اللازمة لمن ينزلونهم فى خانقاواتهم من الصوفية حتى يغنونهم عن العالم الخارجى فيتفرغوا من ثم للزهد

والعبادة والتصوف، فخصصوا للكثير من هذه الخانقاوات من الأطباء طبائعيا وجرائحيا وكحالا، وقد استتبع هذا ضرورة أن تنشأ بالخانقاة خزانة للأشربة والأدوية، حتى يصرف منها المرضى ما يوصف لهم بمعرفة هؤلاء الأطباء من عقاقير، يدل على ذلك مثلا أن حجة وقف السلطان الغورى كانت قد نصت على تخصيص طبيب يتفقد مرضى صوفية خانقاته، وجعلت له خمسمائة درهم كأجر شهرى يتقاضاه نظير مراعاته لهؤلاء الصوفية وكتابة ما يلزم من أدوية للمرضى منهم، ليس هذا فقط بل لقد نصت الوقفية على ضرورة أن يحسن هذا الطبيب معاملتهم وأن يعمل فى ذلك بما يرضى الله والضمير(١٧٥).

د – السبيل والكتاب :

عنى سلاطين المماليك وأمراؤهم ووجهاء عصرهم ببناء أسبلة تعلوها كتاتيب إما ملحقة فى أركان مساجدهم ومدارسهم وخوانقهم وإما منفردة عن هذه وتلك كما فى أسبلة الناصر محمد وشيخو والوفائية وقايتباى ونحوها(١٧٦).

والأسبلة مشتقة من «أسبل الماء» أى صبه، ويقال أسبل المطر «أى هطل»(١٧٧)، والسبيل منشأة اجتماعية إسلامية اتصلت باستخدام الماء للشرب، وهو عبارة عن مبنى جرت عادة المسلمين على إقامته داخل المدن لسقاية المارة وإروائهم من باب التقرب الى الله تعالى، ثم انتشرت سقاية الماء عن طريق الأسبلة فى مختلف العصور الإسلامية، ويتكون السبيل عادة من طابقين أولهما صهريج لتخزين الماء فى باطن الأرض فوقه مزملة أو حجرة سبيل بصدرها سلسبيل هو عبارة عن لوح من الرخام فيه زخارف محفورة ينساب عليهما الماء ليبرد ثم يوزع على أحواض الشبابيك ليشرب منه الناس.

وجرت العادة أن يبنى السبيل – فى هذه المنشآت المشار اليها – بجوار المدخل ويفتح مباشرة على الدركاة أو يكون له باب بالدهليز المؤدى الى الصحن حتى يكون نقل المياه بالقرب اليه أمرا سهلا وميسورا، ولعل أقدم أمثلة الأسبلة والكتاتيب الملحقة فى عمارة المماليك هو سبيل الجاى اليوسفى الذى يرجع تاريخه الى سنة (٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)، وكانت أرضية السبيل تفرش بالرخام

الملون المرصوص فى فصوص بديعة تكون أشكالا هندسية ونباتية، أما حوائطه فكانت تؤزر بوزرات رخامية ملونة.

وقد حاول المعمار المسلم أحيانا أن يبرز السبيل والكتاب فى المسجد أو المدرسة أو الخانقاة كمنصر من عناصر المنشأة، فجعل حوائطه فى تلك الأحيان مخالفة لحوائط باقى المبنى كأن يكسوها بالرخام الأبيض والأسود (الأبلق) كما فى سبيل مسجد الناصر فرج بن برقوق الذى يرجع تاريخه الى سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م) مع تغيير شكل فتحات المبنى، وإبراز شرافات الكتاب فى كثير من الأمثلة عن طريق الزخارف الخشبية بهدف حماية فتحاته من الأمطار، وقد أطلق على الكتاب فى كثير من الوثائق «مكتب السبيل» تعبيرا عن الارتباط العضوى بين الإثنين[١٧٨] وكانت العادة أن يخصص للكتاب مؤدب اشترطت الوثائق فيه أن يكون متزوجا عطوفا لا يضرب الضرب المبرح ويحبب الأولاد فى التعليم ويحضهم عليه.

هـ – الحمام:

كان للحمامات دور بارز فى عمارة مصر الإسلامية نظرا لأهميتها بالنسبة للعامة فى التطهير والنظافة، وقد حرص المعمار المسلم علس بنائها وفقا لنظام يتيح للمستحم أن ينتقل تدريجيا بين المغاطس الباردة والحارة دون أن يصاب بأذى، ولذا كان كل حمام يشتمل على ثلاثة مغاطس تتدرج سخونتها من مغطس إلى آخر، وكانت عملية تسخين هذه المغاطس تتم عن طريق إيقاد النار تحت أرضها أو تسخينها بواسطة أنابيب من الفخار تمر تحت هذه الأرضية أو تجرى فى جدران تلك الحمامات، وكانت تزين هذه الجدران أحيانا بالصور والنقوش كما كان الحال فى بقايا الحمام الفاطمى الذى عثر عليه فى الفسطاط[١٧٩]، وقد راعى منشئو بعض هذه الخانقاوات أن يلحقوا بالحمام حلاقا لتدليك الأبدان وحلق الرؤوس، وبذلك يوفروا لصوفية خانقاواتهم النظافة والتطهير والتدليك وقص الشعر.

و– المطبخ :

كان من الضرورى لمنشأة معمارية خصصت لإقامة مجموعة من الصوفية بصفة دائمة بالليل والنهار أن تشتمل على مطبخ لإعداد الوجبات اللازمة لهؤلاء المتصوفة، وكان هذا المطبخ عبارة عن حجرة كبيرة بارتفاع طابقين ذات سقف معقود بقبو نصف دائرى أو مدبب، وذات أرضية مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى.

وكان من المعتاد أن يجهز هذا المطبخ بحوض كبير من الحجر تتصل به داخل الجدران مواسير المياه اللازمة لمده بها، كما كان يوجد فى بعض المطابخ مصطبة خصصت لجلوس العاملين فيه، وقد راعى المعمار أن يكون هذا المطبخ بجوار كل من باب الخدمة الملحق بالخانقاة ودورة المياه، ولعل من أبرز أمثلة هذه المطابخ التى ألحقت بالمدارس والخانقاوات هو مطبخ مدرسة وخانقاة الظاهر برقوق بالنحاسين التى بنيت فيما بين سنتى (٧٨٦ – ٧٨٨هـ/ ١٣٨٤ – ١٣٨٦م) ومطبخ خانقاة الناصر فرج ابن برقوق بالقرافة الشرقية التى بنيت بين سنتى (٨٠١ – ٨١٣هـ/ ١٣٩٩ – ١٤١١م)[١٨٠].

ز– الساقية :

أخر المنشأت التى كانت تلحق بالخانقاة هى الساقية، وكان الهدف من إنشاء هذه السواقى بالخانقاوات والمدارس والمساجد أن يرفع الماء بواسطتها من البئر الى الصحن أمام إيوان القبلة، ومن ثم الى الفسقية التى تتوسط هذا الصحن، ومنها الى الميضأة التى كانت تجهز لوضوء المصلين بالخانقاة أو المدرسة أو المسجد، وقد حددت شروط الوقف الخاصة بهذه المنشأت كيفية الإنفاق على هذه المرافق وغيرها مما تحتاج إليه من الأطباق والسلاسل والأباريق والجرار ونحوها[١٨١].

٣ – الخانقاوات الدارسة :

لم تكن خانقاوات القاهرة التى سنتحدث عنها فى هذه الدراسة مما لا زال بعضه قائما شامخا متكامل العمارة والزخرف أو ناقصا فى أحدهما أو كليهما نتيجة الإهمال تارة وعبث العابثين تارات، لم تكن هذه وتلك هى كل خانقاوات القاهرة التى تكلمت عنها المصادر والمراجع

العربية، فهناك العديد من الخانقاوات الأخرى التى درست وأصبحت أثرا بعد عين، والواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية وردت فى العديد من هذه المصادر والمراجع يوضح لنا بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الخانقاوات (الدارسة) كانت كثيرة وتنحصر فى خانقاوات فعلية أنشئت لكى تكون كذلك وفى أبنية أثرية لم تنشأ لكى تكون خانقاوات أصلا وإنما أضيفت إيها وظيفة التصوف فيما بعد، وفيما يلى عرض سريع لهذه الخانقاوات.

أ- الخانقاة الطيبرسية (٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) :

يقول المقريزى فى القرنين (٨-٩هـ/ ١٤-١٥م) أن هذه الخانقاة كانت «من جملة أراضى بستان الخشاب فيما بين القاهرة ومصر على شاطئ النيل، أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش فى سنة سبع وسبعمائة (٧٠٧هـ/ ١٣٩٧م) بجوار جامعه وقرر بها عدة من الصوفية وجعل لهم شيخا وأجرى لهم المعاليم»[١٨٢].

وقد ظلت هذه الخانقاة عامرة - كما يقول المقريزى أيضا- حتى سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م) عندما نقل حضور التصوف منها الى المدرسة الطيبرسية بجوار الجامع الأزهر[١٨٣]، وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على أن الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار كان قد أنشأ فى أرض الخشاب خانقاة مستقلة ظلت عامرة حتى خربت فى بداية القرن (٩هـ/١٥م) فنقل صوفيتها الى المدرسة التى كان قد جعلها نفس المنشئ مسجدا لله تعالى زيادة فى الجامع الأزهر، وقرر فيها درسا لفقه الشافعية وأنشأ بجوارها ميضأة وحوضا لسقاية الدواب[١٨٤].

وكان الأمير علاء الدين طيبرس بن عبد الله الوزيرى هذا من مماليك الأمير بدر الدين بن بيليك مملوك الخازندار الظاهرى نائب السلطنة، ثم انتقل إلى مماليك الأمير بدر الدين بيدرا، وتنقل فى الخدمة حتى تقلد المنصور لاجين مقاليد الحكم فولاه نقابة الجيش سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، وله من الآثار الجميلة الجامع والخانقاة بأرض بستان الخشاب مطلان على النيل، ولم يزل فى نقابة الجيوش الى أن مات فى العشرين من ربيع الآخر سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) ودفن بتربته فى المدرسة المشار اليها[١٨٥].

أما عن علي باشا مبارك فقد نقل في القرن (١٣هـ/١٩م) ما ذكره المقريزى فيما يتعلق بهذه الخانقاة تماما، إلا أنه أضاف أن «على شط النيل خلف سراى الإسماعيلية الصغيرة جامع صغير يعرف بالأربعين فيحتمل أنه هو جامع الطيبرس ويحتمل أنها خانقاهه»(١٨٦).

وقد أيدت بعض المصادر العربية روايتى المقريزى وعلى باشا مبارك فيما يتعلق بالطيبرسية، يدل على ذل ما ذكره ابن حجر العسقلانى فى القرن (٩هـ/١٥) عند – ترجمته – لمحمد بن عقيل البالسى المعدى الفقيه الشافعى الذى ولد سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م) حين قال أنه حفظ واشتغل وسمع بالقاهرة من ابن دقيق العيد ولازمه وناب فى الحكم عنه وولى قضاء بلبيس عن ابن جماعة ثم بالحسينية، ودرس بالطيبرسية بمصر وبعدة أماكن الى ان مات فى المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة(١٨٧)، وما ذكره فى ترجمته لعمر بن ابى الحزم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقى المصرى الشافعى الذى ولد سنة (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) وولى الشرقية ودمياط ثم الغربية، كما ولى تدريس المنكوتمرية والإعادة بالقراسنقرية والحديث بالقبة المنصورية ثم ولى مشيخة خانقاة طيبرس إلى أن عزل منها ومات فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة رحمه الله وسامحه(١٨٨).

ب – الخانقاة الناصرية بسرياقوس: (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)

كانت هذه الخانقاة كما يقول المقريزى خارج القاهرة من شماليها فى أول تيه بنى إسرائيل بسماسم سرياقوس، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون وبدئ فى عمارتها عندما ركب السلطان الى هذه الناحية فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة واختطها مع عدة من المهندسين على قدر ميل، وبنى بها مسكنين جعل أحدهما لشيخ الصوفية وأهله وأولاده، وجعل الآخر متصوفا لهذا الشيخ ينزل فيه من يشاء، كما ألحق بها وحدتين سكنيتين لإقامة متصوفيها البالغ عددهم أربعون صوفيا، وأضاف لها حماما ومطبخا ألحق به مجموعة كبيرة من الحواصل لخزن ما يلزم من الطعام، كما جعل لها حوشان أحدهما لدفنه ودفن مشايخ خانقاته، والآخر لدفن الفقراء المتنزلين بها، وعمل بعد كل هذا حديقة كانت تتقدم الخانقاة والحوش(١٨٩). فلما كملت عمارتها سنة خمسة وعشرين وسبعمائة خرج إليها السلطان بنفسه ومعه الأمراء والقضاة ومشايخ الخوانك ومدت الأسمطة العظيمة بداخل الخانقاة فى يوم

الجمعة سابع جمادى الآخرة من السنة المشار اليها وعقد مجلس السماع بتصدر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى، فلما انقضى هذا المجلس قرر السلطان أن يتولى الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد الأقصراى مشيخة هذه الخانقاة ولقبه بشيخ الشيوخ بعد ما كان لا يلقب بهذا اللقب إلا شيخ الخانقاة الصلاحية، وأحضرت التشاريف السلطانية، فخلعت على الحضور وفرق بها السلطان ستين ألف درهم فضة وعاد الى قلعة الجبل(١٩٠).

وكان بناء هذه الخامقاة سببا فى تعمير الموقع، فبنى الناس من حولها الدور والحوانيت والخانات والحمامات حتى سارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاة سرياقوس، عمل فيها سوق عظيم يوم الجمعة تباع فيه سائر البضائع التى لا يؤخذ عليها مكسا احتراما للخانقاة.

وكانت معاليم هذه الخانقاة - كما يقول المقريزى - من أجل معاليم الخانقاوات فى مصر، حيث كان يصرف لكل صوفى من صوفيتها فى اليوم رطل من لحم الضأن، أربعة أرطال من الخبز النقى ورطل من الحلوى ورطلين من زيت الزيتون، ومثل ذلك من الصابون، بالإضافة إلى أربعين درهما فضة عنها ديناران، وتوسعة فى رمضان والعيدين ومواسم رجب وشعبان ورمضان وعاشوراء، وثمن كسوة فى كل سنة، ليس هذا فقط، بل لقد ألحق المنشئ بالخانقاة خزانة للأشربة والأدوية بها طبائعى (طبيب أمراض باطنة) وجرائحى (طبيب جراح) وكحال (طبيب أمراض عيون) علاوة على حلاق يصلح الشعر ويدلك الأبدان، ثم استجد بها بعد سنة تسعين وسبعمائة حمام آخر برسم النساء، وقد ظلت هذه الخانقاة على حالها الزاهر الى أن كانت المحن سنة ستة وثمانين فبطل الطعام منها وصار ثمنه يصرف لصوفيتها نقدا(١٩١).

وقد ذكر كل من ابن الجيعان فى القرن (٨هـ/ ١٤م) وابن دقماق فى القرن (٩هـ/ ١٥م) أن قرية منى جعفر (مفردة من سرياقوس) عبرتها خمسة آلاف دينار، وهى جارية فى الأوقاف الناصرية محمد بن قلاوون الصالحى على خانقاته هناك(١٩٢).

وصاحب هذه الخانقاة هو الملك الناصر محمد بن قلاوون ولد فى قلعة الجبل للنصف من المحرم سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، وولى الملك ثلاث مرات أولاها بعد مقتل أخيه الأشرف خليل فى المحرم سنة (٦٩٣هـ / ١٢٩٣م) وعمره تسع سنين، وظل خلالها فى الملك سنة إلا ثلاثة أيام،

وخلع بمملوك أبيه كتبغا المنصورى فى المحرم سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)، وثانيتها بعد مقتل المنصور لاجين فى جمادى الأولى سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) وظل خلالها فى الملك عشر سنين وخمسة أشهر وستة عشر يوما الى أن عزل نفسه وسار الى الكرك، فولى مقاليد الحكم بعده الملك ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وثالثتها عندما ذهب من الكرك الى الشام وجمع العساكر ورجع الى مصر فترك له الجاشنكير السلطنة فى رمضان سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) وظل فى الملك خلالها من غير منازع الى ان مات بقلعة الجبل فى الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) وعمره سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وعشرين يوما، وكانت جملة إقامته فى السلطنةثلاث وأربعين سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام[193].

وقد ترك الناصر محمد من الأولاد اثنى عشر ولدا ذكرا وثمان بنات، ولم يكن له عند موته نائب بديار مصر ولا وزير ولا صاحب، وكان إذا كبر أحد أمرائه قبض عليه وصادره وولى مكانه أحد الأمراء الصغار ليأمن شر هؤلاء الأمراء، وقد شره فى آخر أيامه لجمع المال فصادر كثيرا من الدواوين والولاة وغيرهم، وكان محبا للعمارة فبنى الكثير منها، وحفر عدة من الخلجان والترع، وراك ديارمصر والشام، وقطع كثيرا من الجند عن الخدمة، وفتح كثيرا من الجزر مثل أرواد سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) وملطية سنة (٧١٥هـ/ ١٣١٥م) وأناس سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) وعدة من بلاد الأرمن سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) وضرب السكة باسمه فى شوال سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)[194].

وقد أمدتنا كتب التراجم العربية بأكثر من ترجمة لبعض مشايخ هذه الخانقاة وخدمها وصوفيتها، فيذكر ابن حجر العسقلانى (فى القرنين (٨–٩هـ/ ١٤–١٥م) أن موسى بن احمد ابن محمود الأقصرى شيخ الخانقاة بسرياقوس كان قبل ذلك شيخا لخانقاة ابن بيليك المحسنى التى أقامها بالاسكندرية، ثم قرر بعدها فى مشيخة خانقاة كريم الدين بالقرافة، ثم نقل أخيرا الى الخانقاة الجديدة الناصرية، ومات فى ربيع الأول سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) وقد زاد عن السبعين[195].

ويذكر السخاوى فى القرنين (٩–١٠هـ/ ١٥–١٦م) أن احمد بن محمد الشريف الذى عرف بابن كندة كان خادما لشيخ الصوفية بالخانقاة السرياقوسية، ومات فى ربيع الأول سنة

(٨٩٠هـ/ ١٩٨٥م) وقد قارب الأربعين[١٩٦]، وأن احمد بن محمد الشهاب العجمى كان صوفيا بالخانقاة السرياقوسية ومات بعد الستين (يقصد بعد سنة (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م)[١٩٧].

جـ – خانقاة بكتمر: (٧٢٦هـ/ ١٣٢م)

كانت هذه الخانقاة – كما يقول المقريزى – بطرف القرافة فى سفح الجبل (يقصد جبل المقطم) مما يلى بركة الحبش، أنشأها الأمير بكتمر الساقى وابتدأ حضور الصوفية بها فى رجب سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) وكانوا عشرين صوفيا لكل منهم فى الشهر ثلاثين درهما علاوة على الطعام والخبز فى كل يوم، والدراهم والحلوى والزيت والصابون فى كل شهر، وقرر فى مشيختهم شمس الدين الرومى ورتب له فى الشهر مائة درهم عن معلوم المشيخة وخمسيين درهما عن معلوم الإمامة[١٩٨].

وكان من نتيجة بناء هذه الخانقاة أن عمرت الناحية وظلت عامرة إلى أن حدثت المحن سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) «فقل منها الطعام والخبز وانتقل سكانها إلى القاهرة وغيرها فاندثر الحمام والبستان وتمزق ما كان فيها من الفرش والكتب والربعات، وتخربت منها قناديل النحاس المكفت وقناديل الزجاج المذهب وغير ذلك من الأمتعة، وصار يصرف لأرباب وظائفها مبلغا من نقد مصر»[١٩٩] وتدل عبارة المقريزى القائلة «وتمزق ما كان فيها من الفرش والكتب والربعات» على أنه كان بهذه الخانقاة مكتبة عظيمة تشتمل على العديد من المؤلفات التى كانت مرجعا لكل من اشتغل فيها بالعلم والدراسة[٢٠٠].

وما تجب الإشارة إليه هنا أن كثيرا من هذه الخانقاوات كانت تصبح بعد فترة من الزمن عبئا على الدولة لنفاد أوقافها فيخصص لصوفيتها وموظفيها – كما يقول المقريزى – مبلغا من نقد مصر (أى من ميزانية دولتها) ويقال أن ذلك بسبب المحن مرة أو بسبب التحاريق والتشاريق مرة، أو بسبب ضياع أوقافها وتلاشيها مرة، إلى غير ذلك من الأسباب التى لا تخفى على كل ذى عقل، فكثيرا ما كانت تسند وظائف النظارة فى هذه الخانقاوات الى أناس غير أمناء فيبددون الأوقاف ويضيعون الإيراد، أو تعطل هذه الأوقاف من قبل السلطان أو أمرائه ويستولى عليها لحسابات أخرى، وتكون العاقبة فى كل ذلك أن يتحمل نقد مصر عملية الصرف على هؤلاء

المنقطعين ممن لا شغل لهم، ويتم ذلك للأسف باسم الدين.

ومنشئ هذه الخانقاة – كما يقول ابن حجر – هو الأمير أبو سعيد سيف الدين بكتمر الساقى الملكى الناصرى، كان من مماليك المظفر بيبرس الجاشنكير، فلما عاد الناصر محمد من الكرك واستولى على مقاليد السلطة فى مصر للمرة الثالثة دخل بكتمر هذا ضمن مماليكه وتنقل فى خدمته وعظم قدره حتى أن الناصر لم يكن يفارقه ليلا أو نهارا، وقد رفعه ذلك الى مرتبة جعلت المماليك جميعا يهادونه تقربا إليه، وقيل أنه كان أشقر اللون أسود اللحية، يركب بين يديه إذا ركب مائتا عصابة قبب، وقد عمر له الناصر اصطبلا على بركة الفيل وجعل به مائة سايس، أما قصره فكان بسرياقوس قبالة قصر الناصر، حج مع السلطان فى تجمل هائل، ثم تنكر عليه الناصر حتى مات فى أوائل سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)[٢٠١].

ومع أن المقريزى يحكى هذه السيرة شبه كاملة بأسلوب آخر، إلا أنه أضاف إليها وعدل بعضا مما ورد فيها، من ذلك قوله أن السلطان زوجه جاريته ومحظيته فولدت له ابنه احمد الذى اعتقد الناس أنه ابن السلطان لكثرة ما يطيل حمله وتقبيله، وأن السلطان عمر له قصرا (لا اصطبلا) على بركة الفيل وصار هو الدولة إذا ركب كان بين يديه مائتان عصا نقيب (لا قبب) وأنه مات بطريق الحجاز سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) وليس سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) فأمر السلطان بحمل جثته وجثة ولده احمد الذى مات قبله فى طريق العودة من الحجاز بثلاثة أيام ألى خانقاته هذه فدفنا بقبتها.

ثم زاد المقريزى على ذلك (بما لم يشر إليه ابن حجر) بالحديث عن ثروته ومخلفاته فقال«وخلف من الأموال والقماش والأمتعة والأصناف والزردخاناة ما يزيد على العادة والحد ويستحى العاقل من ذكره، فأخذ السلطان من خيله أربعين فرسا وبيع الباقى بمبلغ ألف ألف درهم، وأنعم السلطان بالزردخانة والسلاح خاناة التى له على الأمير قوصون بعد ما أخذ منها سيفا واحدا وسرجا قيمتها ستمائة ألف دينار، وبيع له من الصينى والكتب والختم والربعات ونسخ البخارى والدوايات الفولاذ والمطعمة والبصم بسقط الذهب وغير ذلك، ومن الوبر والأطلس وأنواع القماش السكندرى والبغدادى وغير ذلك شئ كثير ودام البيع لذلك عدة شهور[٢٠٢].

د - خانقاة أرسلان : (٧٢٢هـ/ ١٣٢٦م)

كانت هذه الخانقاة - طبقا لما ذكره المقريزى - من جملة أراضى منشأة المهرانى على شاطئ النيل بين القاهرة ومصر، أنشأها الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصرى، كان من رجال الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة، فلما قدم الناصر محمد بعساكره من الشام يريد العودة الى السلطنة للمرة الثالثة وعسكر بالريدانية، علم أرسلان أن جماعة (من رجال سلار) يريدون أن يقاتلوه يوم العيد، فذهب إليه (أى إلى الناصر) وأخبره بما علم فقام الناصر بفتح باب سر الدهليز وصعد الى القلعة وجلس على سرير الملك ورعى لأرسلان هذا النصح، فلما استقرت الأمور رتب له وظيفة الدودارية عندما أخرج منها الأمير عز الدين أيدمر.

وقد أنشأ بهاء الدين هذه الخانقاة خلال توليته لوظيفة الدوادارية (الناصرية محمد)، وكان ينزل اليها من القلعة كل ليلة ثلاثاء ويبيت فيها، ويحتفل الناس بحضوره إليها، حتى مات فى رمضان سنة (٧١٧هـ/ ١٣١٧م) ووجد فى تركته طبقا لما ذكره المقريزى ألف ثوب أطلس وكثير من النفائس[٢٠٣].

وكان أول من ولى مشيخة هذه الخانقاة هو تقى الدين أبو ا لبقاء محمد بن جعفر الشريف الحسينى القنائى الشافعى جد الشيخ عبد الرحيم القنائى الصالح المشهور الذى ولد سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) ومات فى جمادى الأولى سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) ودفن بالقرافة، فتداول مشيختها القضاة الإخنائية الى أن صارت بيد شيخ المقريزى وقاضى قضاة مصر صدر الدين عبد الوهاب بن أحمد الإخنائى فلما مات سنة (٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) قرر فى مشختها عز الدين بن العاص ثم وليها من بعده ولده شمس الدين محمد[٢٠٤].

ويضيف ابن حجر فى القرنين (٨-٩هـ/ ١٤-١٥م) والسخاوى فى القرنين (٩-١٠هـ/ ١٥-١٦م) إلى من ذكرهم المقريزى من مشايخ هذه الخانقاة بعض الشخصيات الأخرى فيقول ابن حجر أن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الرحيم القنائى الشريف تقى الدين الشافعى الذى ولد سنة نيف وأربعين وستمائة حدث بالقاهرة ودرس بالمسرورية وقال الشعر الحسن وولى مشيخة خانقاة أرسلان حتى مات فى جمادى الأولى سنة(٧٢٧هـ)[٢٠٥].

ويقول السخاوى أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل البرهان بن الزينى المغربى ابى هريرة بن الشمس الذى ولد فى تاسع رمضان سنة (٨٣٥هـ) ولى مشيخة الصوفية الأرسلانية بالمنشية ونظرها[٢٠٦]، ويدل هذا ليس فقط على أن مشيخة الخانقاة كانت حقيقة قائمة، بل أيضا على أنه كان لهذه الخانقاة وقف ونظارة وقف، وهما الوظيفتان اللتان جمع بينهما إبراهيم بن عبد الرحمن المقرى المشار اليه.

هـ – خانقاة بشتاك : (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)

كانت هذه الخانقاة – كما يقول المقريزى – خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقى تجاه جامع بشتاك، وقد أنشأها الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى وافتتحها فى الأول من ذى الحجة سنة (٧٣٦هـ) وقرر فى مشيختها شهاب الدين القدسى مع عدة من الصوفية أجرى لهم الخبز والطعام فى كل يوم، واستمرت هذه الأرزاق مدة ثم بطلت فصرف لأربابها عوضا عنها بعض النقد فى كل شهر، وظلت هذه الخانقاة عامرة إلى عهد المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) ونسب إليها جماعة من المشتغلين بالتصوف منهم بدر الدين محمد بن إبراهيم الذى عرف بالبدر البشتكى نسبة إلى الأمير صاحب الخانقاة[٢٠٧].

وكان المسجد والخانقاة فى خط واحد هو خط قبوالكرمانى على بركة الفيل، وقد كان هذا الخط – كما يقول المقريزى – سكنا لجماعة من الفرنج والأقباط، كانوا يرتكبون من القبائح ما لا يليق، فلما عمر بشتاك الجامع والخانقاة فى هذا الخط تحولوا منه وتركوه، وقيل أن المنشئ كان قد عمل ساباطا يتوصل به من الجامع إلى الخانقاة ومنها إليه[٢٠٨].

وكرر على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ما ذكره المقريزى فيما يتعلق بموقع هذه الخانقاة حين قال«وهى التى فى محلها الآن (أى على عهده السبيل والمكتب الكائنان بدرب الجماميز اللذان أنشأتهما الست المرحومة والدة المرحوم مصطفى باشا أخى الخديوى اسماعيل تجاه جامع بشتاك المعروف اليوم بجامع مصطفى باشا»[٢٠٩].

أما فيما يتعلق بتراجم بعض مشايخ وصوفية ونزلاء هذه الخانقاة فقد أمدنا كل من ابن حجر والسخاوى بمعلومات هامة فى هذا الصدد، فذكر ابن حجران «أحمد بن سلامة القدسى ثم

المصرى شهاب الدين الواعظ كان شيخا بالخانقاة وخطيبا بالجامع كلاهما لبشتاك وكان عليه قبول فى وعظه ثم تعصب عليه بعضهم فخرجت عنه الخانقاة فعوضه الله خانقاة سرياقوس فباشرها إلى أن مات سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) وصنف كتابا فى الصوفية»[٢١٠].

وذكر السخاوى أن عمر بن محمد التركى الأصل القاهرى الحنبلى الذى عرف باب مظفر كان بيده وظائف فتنزل فى صوفية الأشرفية الحنابلة من الواقف وفى خانقاة بشتاك وغيرهما ومات قريبا من الستين[٢١١]، وأن محمد بن ابراهيم محمد البدر أبو البقاء الأنصارى الدمشقى الأصل المصرى الشاعر الذى عرف بالبدر البشتكى (وهو الذى أشار اليه المقريزى أيضا) نشأ بخانقاة بشتاك وكان أحد صوفيتها[٢١٢].

و- خانقاة أقبغا: (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)

تثبت المادة التاريخية التى بين أيدينا أن الأمير آقبغا كان قد أنشأ خانقاتين أولاهما بالقرافة والأخرى بمدرسته فى الجامع الأزهر، يؤيد ذلك ما ذكره المقريزى بقوله أن خانقاة آقبغا «كانت موضعا من المدرسة الآقبغاوية بجوار الجامع الأزهر أفرده الأمير آقبغا عبد الواحد وجعل فيه طائفة يحضرون وظيفة التصوف وأقام لهم شيخا وأفرد لهم وقفا يختص بهم وهى باقية إلى يومنا هذا (أى على عهد المقريزى فى القرنين ٨ - ٩هـ/ ١٤- ١٥م) وله أيضا (أى للأمير آقبغا) خانقاة بالقرافة[٢١٣].

ومعنى ذلك أن خانقاة آقبغا التى كانت لا تزال بالقرافة حتى عهد المقريزى كانت قد تلاشت من الوجود تماما قبل مجئ القرن (١٣هـ/ ١٩م)، يدل على ذلك ما ذكره على باشا مبارك بقوله «الآقبغاوية أيضا خانقاة بالقرافة لم تقف لها على أثر[٢١٤]، أما الآقبغاوية بالأزهر فهى من الآثار التى لازالت قائمة حتى اليوم وقد أنشأها الأمير آقبغا عبد الواحد سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) وقرر فى جزء منها طبقا لما ذكره المقريزى فيما سبقت الإشارة إليه عدة من الصوفية[٢١٥].

وصاحب هاتين الخانقاتين (الآقبغاوية بالقرافة والآقبغاوية بالأزهر) هو الأمير علاء الدين آقبغا عبد الواحد، ذلك المملوك الذى أحضره إلى القاهرة التاجر عبد الواحد بن بدال فاشتراه الملك

الناصر محمد بن قلاوون وضمه إلى مماليكه ولقبه باسم تاجره الذى أحضره فترقى فى خدمته إلى أن جعله شاد عمائره، ثم عمله استادارا بعد الأمير مغلطاى الجمالى فى المحرم سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) ورقاه إلى مقدم المماليك فزادت حرمته حتى خافه – كما يقول المقريزى – سائر من فى بيت السلطان، فلما مات الناصر وتولى ابنه المنصور أبى بكر قبض عليه وعلى ولديه وأحيط بماله وسائر أملاكه فبيع موجوده من الخيل والجمال والجوارى والقماش والأسلحة والأوانى ونحوها.

فلما خلع أبيى بكر من السلطنة بمساعدة الأمير قوصون وتولى أخوه الأشرف كجك أخرج آقبغا وولديه من القاهرة إلى الشام فى ربيع الأول سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) فلما حدثت الفتنة بين ولدى الناصر محمد بالكرك وبين أخيه الصالح اسماعيل بالقاهرة اتهم آقبغا بأنه بعث مملوكا من مماليكه إلى الكرك يخبر الناصر أحمد بن الناصر محمد أن أمراء الشام قد دخلوا فى طاعته فأرسل الصالح إسماعيل من قبض على هؤلاء الأمراء جميعا وكان آقبغا من جملة من قبض عليهم وحمل مقيدا من دمشق الى الاسكندرية حيث قتل بها فى آخر سنة (٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م)[٢١٦].

ز – خانقاة طغاى النجمى : (٧٤٨هـ/ ١٤٤٤م)

كانت هذه الخانقاة – كما يقول المقريزى – بالصحراء «خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر، أنشأها الأمير طغاى تمر النجمى، فجاءت من المبانى الجليلة، ورتب بها عدة من الصوفية، وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى، وبنى بجانبها حماما وغرس قبليها بستانا، وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسبيل ترده الدواب، ووقف على ذلك عدة أوقاف»[٢١٧].

ولم يمض وقت طويل حتى تعطل كل من الحمام والحوض عن أداء المهمة التى أنشئ من أجلها وظل الأمر على هذا الحال من التعطل إلى أن ماتت أرزباى زوجة القاضى فتح الدين فتح الله كاتب السر سنة (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) فدفنها زوجها خارج باب النصر ورغب فى البناء على قبرها ليوقف عليه الأوقاف اللازمة لاستمراره، إلا أنه عدل عن هذا الرأى – كما يقول

المقريزى - ونقلها الى قبة خانقاة طغاى النجمى هذه، وأدار الساقية وملأ الحوض، ورتب لقراء هذه الخانقاة معلوما، وعمل على تجديد ما كان قد تشعث منها، وأدار حمامها، ثم عاد بعد ذلك وأنشأ تربة بجانب هذه الخانقاة ونقل رفات زوجته للمرة الثانية إليها، وجعل أملاكه وقفا على هذه التربة الجديدة[٢١٨].

وفى ملحق لعدد الحوليات الإسلامية التى أصدرها المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة سنة (١٩٨٧م) وردت دراسة لنشر وتحقيق وقفية فتح الله بن معتصم بن نفيس التبريزى رئيس الأطباء وكاتب السر فى القرن (٩هـ/ ١٥م)[٢١٩]، وتقول هذه الدراسة أنه ولد سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م) وكان يهودى الأصل ثم أتى إلى مصر وهو طفل خلال حكم السلطان الناصر حسن (٧٤٨ - ٧٦٣هـ/ ١٣٤٧ - ١٣٦١م) حيث كان جده الأكبر قد أسلم وعمل طبيبا للأمير شيخو.

أما ما ورد بالوقفية فإنه يشير الى ان الواقف (فتح الدين فتح الله) كان قد قرر أن يتحمل وقفه تكاليف ملأ أحد الصهريجين الكبيرين اللذين هما بالخانقاة المعروفة بالمقام المرحوم السيفى طغيتمر النجمى المظفر الدوادار الصالحى الكائن بخارج باب البرقية بما فى ذلك تكاليف السواق المرتب بالساقية المركبة على البئر التى من حقوق التربة السيفية طغيتمر النجمى (زيادة على المقرر له بالخانقاة المذكورة) وتكاليف إجراء الماء الى الحوض الذى من حقوق التربة المذكورة حتى يصير مملوءا ليلا ونهارا لينتفع الناس به فى سقى دوابهم وغسل هدمهم على العادة فى مثل ذلك ما مبلغه فى كل سنة كاملة ألفا وخمسمائة درهم، ويصرف من هذا الوقف فى كل سنة كاملة ثمن قنطارين من زيت الزيتون أو غيره برسم الرقود بالخانقاة المذكورة بالتربة المستجدة المنسوبة للواقف المذكور بالفا ثمن ذلك ما بلغ (زيادة على ما هو مقرر بالخانقاة المذكورة من ربع وقفها) ويصرف منه برسم فتايل القناديل بالخانقاة المذكورة وبالتربة المستجدة المذكورة على عادة مثله ما مبلغه كل سنة كاملة عشرون درهما(زيادة على المقرر لذلك من وقف الخانقاة المذكورة) ويصرف منه كل سنة كاملة للقائم بالخانقاة المذكورة (زيادة على المقرر له بالخانقاة المذكورة من ربع وقفها) مائة وعشرون درهما من النقد المتعامل به يوم ذاك، ويصرف منه لشيخ الخانقاة المذكورة كل سنة كاملة ما مبلغه ستمائة درهم (زيادة على معلومه المقرر له من ربع وقف الخانقاة المذكورة)، ويصرف منه

للصوفية المنزلين بالخانقاة المذكورة الذى عددهم ثلاثون نفرا فى كل سنة كاملة ما مبلغة سبعة ألاف ومائتى درهم، لكل منهم كل سنة كاملة مائتى وأربعون درهما (زيادة على ما هو مقرر لهم من ريع وقف الخانقاة المذكورة) على أنهم عند فراغهم من وظيفة التصوف بالخانقاة المذكورة يتوجهون والشيخ المذكور إلى المقصورة التى بالرواق الغربى من حقوق الخانقاة المذكورة المدفونة فيها السيدة المرحومة أرزباى المرأة زوجة الواقف المذكور ويقرأون (فيها القرآن) ويصرف منه كل سنة كاملة لعشرة من الصوفية الثلاثين المذكورين المقيمين بالخانقاة المذكورة الذين ليس لهم سكن غير الخانقاة يرتبهم الناظر فى هذا الوقف بالتربة المستجدة المذكورة ويشترط عليهم أن يحضروا مع الشيخ يقرأون من الربعة الشريفة، ويصرف للشيخ المذكور الذى جعله الواقف المذكور بالتربة مع العشرة المذكورين على أن يفعل ما ذكر أعلاه فى كل سنة كاملة ما مبلغة ستمائة درهم.. .. ..(٢٢٠).

ومن نص هذه الوثيقة يتضح أن فتح الدين فتح الله بن نفيس المشار اليه كان قد وقف أوقافه على الخانقاة التى بين أيدينا بعد أن دفن زوجته فيها، وقد ساعد هذا ليس فقط على استمرار مرافقها من الساقية والحمام والصهريج ونحوها فى القيام بكامل وظائفها، بل أيضا على استمرار صوفيتها ومشايخها والمقرئين فيها فى وظائفهم حتى القرن (٩هـ/ ١٥م)، كل ذلك عن طريق ما أضافته إمكانيات هذا الوقف الجديد الى إمكانيات وقف الخانقاة الأصلى الذى كان قد أوقفه منشئوها طغيتمر النجمى.

وطغيتمر النجمى هذا صاحب الخانقاة المذكورة هو أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون ثم أصبح دودارا لإبنه الملك الصالح اسماعيل، فلما مات الصالح بقى على حاله فى عهد أخويه الكامل شعبان والمظفر حاجى وكان أول دوادار يأخذ إمرة مائة وتقدمه ألف فى دولة المظفر هذا، واستمر فى الدوادارية حتى أخرج إلى الشام سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧) مع الأمير نجم الدين محمود الوزير والأمير سيف الدين بيدمر البدرى بعد أن لعب بهم أغرلو أثناء واقعة الأمير ملكتمر الحجازى والأمير آقسنقر وأدركهم فى الطريق عند غزة الأمير منجك وقتلهم(٢٢١).

ح - خانقاة الجبيغا المظفرى: (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)

يقول المقريزى أن «هذه الخانقاة خارج باب النصر فيما بين قبة النصر وتربة عثمان بن جوشن السعودى، أنشأها الأمير سيف الدين الجيبغا المظفرى وكان بها عدة من الفقراء يقيمون بها، ولهم فيها شيخ يقيمون معه فى كل يوم وظيفة التصوف، ولهم الطعام والخبز»(٢٢٢)، ويقول على باشا مبارك أنه كان بجانب هذه الخانقاة حوضا لشرب الدواب وسبيلا لشرب الناس يعلوه كتاب يتعلم فيه الأيتام من الأطفال القراءة والكتابة ومبادئ علوم الدين، ولهم فيه فى كل يوم الخبز وغيره، وقد ظلت الخانقاة على هذه الحال إلى أن أخرج الأمير برقوق أوقافها فتعطل حوضها ومكتب سبيلها وأقام بها جماعة من الناس مدة ثم تلاشى أمرها كلية وإن ظلت باقية بغير سكان(٢٢٣).

ومنشئ هذه الخانقاة هو الجيبغا المظفرى الخاصكى الذى علا شأنه فى أيام المظفر حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون حتى أصبح لا يشاركه أحد فى مرتبته، فلما تسلطن الناصر حسن أقره على رتبته وصار أحد أمراء المشورة إلى أن أختلف أمراء الدولة فأخرج إلى دمشق فى ربيع الأول سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، ثم نقل منها إلى طرابلس عوضا عن الأمير بدر الدين مسعود بن الخطيرى، فظل فى نيابتها إلى سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) وكتب إلى الأمير أرغون شاه نائب دمشق يستأذنه فى التصيد فأذن له، وسار من طرابلس وأقام على بحيرة حمص أياما، ثم ركب ليلا بمن معه إلى خان لاجين بظاهر دمشق ومنه ليلا أيضا إلى أن طرق أرغون شاه وهو بالقصر الأبلق وقبض عليه وقيده فى ثالث عشرى ربيع الأول من السنة المذكورة واستدعى الأمراء بسوق الخيل فى الصباح وأخرج لهم كتاب السلطان بإمساك أرغون شاه فأذعنوا له واستولى على أمواله.

وفى رابع عشرية (رابع عشرى ربيع الأول المشار إليه) وجدوا أرغون شاه مذبوحا وأشاع الجيبغا أنه ذبح نفسه، فأنكر الأمراء ذلك عليه وثاروا لحربه فركب إليهم وقاتلهم وانتصر عليهم وأخذ الأموال وخرج من دمشق متوجها إلى طرابلس فأقام بها إلى أن وردت الأخبار من مصر تستنكر ما حدث وتطلب الإمساك به فخرجت عساكر الشام إليه ففر من طرابلس إلى أن أدركه عسكرها عند بيروت وحاربوه حتى قبضوا عليه وحمل إلى عسكر دمشق فقيد وسجن بقلعتها هو

وفخر الدين إياس، ثم وسط هو ورفيقه بمرسوم السلطان تحت قلعة دمشق بحضور عساكرها وعلقا على الخشب فى ثامن عشر ربيع الآخر سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) وعمره دون العشرين سنة، وكان كما يقول المقريزى «ماطر شاربه وكانه البدر حسنا والغصن اعتدالا»(٢٢٤).

ط – الخانقاة الشرابيشية : (ق ٨هـ/ ١٤م)

كانت هذه الخانقاة – كما يقول المقريزى – «فيما بين الجامع الأقمر وحارة برجوان فى آخر منحر الخلفاء (الفاطميين) فيما يعرف إليوم بالدرب الأصفر، كان يتوصل منها إلى هذا الدرب تجاه خانقاة بيبرس، وكان بابها الأصلى من زقاق ضيق بوسط سوق حارة برجوان، والذى أنشأها هو الصدر الأجل نور الدين على بن محاسن الشرابيشى وكان من ذوى الغنى واليسار وله عدة أوقاف على جهات البروالقربات»(٢٢٥).

ولما جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) كانت هذه الخانقاة قد تلاشت – على ما يبدو – من الوجود تماما وأصبحت أثرا بعد عين لأنه قال «وقد زالت هذه الخانقاة إليوم وفى محلها الآن (أى على عهده) الدار الكبيرة المعروفة بدار السحيمى التى بداخل الدرب الأصفر»(٢٢٦).

ى – الخانقاة الخروبية : (قبل٨٢٢هـ/ قبل١٤١٩م)

الواقع أنه ليس لدينا من الأخبار التاريخية عن هذه الخانقاة سوى ما ذكره المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) حين قال أنها كانت فى الأصل منظرة عظيمة بساحل الجيزة تجاه المقياس، أنشأها ركن الدين أبو بكر بن على الخروبى كبير التجار بمصر، ثم توارثها من بعده أبناؤه وأحفاده، فظلت بأيديهم إلى أن نزلها السلطان المؤيد شيخ فى رجب سنة (٨٢٢هـ/ ١٤١٩م) ورأى بعد الإقامة فيها أن يجعلها خانقاة فاستدعى له ابن الخروبى وعرض عليه المؤيد شراءها فتبرع ابن الخروبى له بما يخصه وصار إليه باقيها.

فأشار المؤيد إلى الأمير سيف الدين أبى بكر بن المسروق الأستادار بعملها خانقاة، فبدأ فى عمارتها حتى كملت فى آخر السنة المشار إليها، وقرر فى مشيختها الشيخ شمس الدين محمد بن

الحمى الدمشقى الحنبلى، وخلع عليه سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) ورتب له فى كل يوم عشرة مؤيدية، عنها مبلغ سبعين درهما فلوسا، سوى الخبز والسكن، وقرر عنده عشرة من الفقراء لكل منهم مع الخبز مؤيدى واحد فى كل يوم(٢٢٧).

ك – خانقاة جامع المقياس: (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)

كما انحصرت معلوماتنا عن الخانقاة الخروبية فيما ذكره المقريزى، فقد انحصرت معلوماتنا عن هذه الخانقاة فيما ذكره على باشا مبارك، وخلاصته أن جامع المقياس فى الزاوية الغربية من قلعة الروضة تجاه الجيزة بناه فى أول الأمر أبو النجم بدر الجمالى بأمر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله سنة (٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) ثم عمره الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم هدمه الملك المؤيد شيخ المحمودى ليعيد بناءه ويوسعه سنة (٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) إلا أنه مات قبل أن يتمه، فأكمله من بعده الظاهر چقمق ووقف عليه أوقافا، وكان به حينذاك ثمانية وثلاثون عمودا ومنبرا وثلاثة عشر شباكا مطلة على النيل، وارتفاع منارته أربعة وعشرون مترا وفيه سلالم موصلة إلى النيل عدتها ثمانية عشر درجة ربما كانت تجعل مقياسا للنيل فى الأزمان السابقة (٢٢٨).

وظل هذا الجامع تحت نظر بنى الرداد خدمة المقياس حتى تخرب بأعتداء الفرنسيين عليه وانتهاكهم لحرمته، فظل متخربا إلى أن جدده المرحوم حسن باشا المنسترلى، فجاء الجامع بعد تجديده هذا أصغر مما كان عليه، فعرف الجامع به بعد أن دفن فيه وقيل له جامع المنسترلى.

وما يهمنا فيما يتعلق بهذا الجامع هو ما أورده على باشا مبارك من مقتطفات من وقفية للسلطان الغورى مؤرخة بسنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) بعد أن قام هذا السلطان بتعمير الجامع، وفيها يذكر أن الغورى وقف عليه جميع البناء بخط مكاسة الحطب بقرب سوق دار النحاس بالإضافة إلى الحديقة والإصطبل اللذين كانا هناك، وثلث الفندقين المعروفين بالمكارم، والرباع والمخازن والحوانيت بخط صناعة الزكايب والقماحين، وأرض زراعية بالروضة تعرف بالميدان، والبرك بقرب جامع الريس ومساحتها عشرون فدانا بالقصبة الحاكمية، وأرضا فى جزيرة الطائر بالجيزة، وجزيرة تجاه ديرالطين، وجزيرة الصابونى، وأرضا بناحية شوشة بالبهنساوية، وعقارا بمصر القديمة بخط دار النحاس وآخر بشاطئ النيل.

ونص فى هذه الوقفية على أن يصرف لإمام الجامع شهريا خمسمائة درهم نحاس شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، وللمرقى مائتى درهم شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، ولسبعة عشر صوفيا مع شيخهم خمسة آلاف وأربعمائة درهم شهريا، وللقارئ فى المصحف بالجامع ثلاثمائة درهم شهريا وثلاثة أرغفة يوميا، ولسبعة ميقاتية ثلاثة آلاف درهم شهريا واثنين وعشرين رغيفا يوميا، وللوقاد كذلك، وللكناس والفراش معا ستمائة درهم. ولسواق الساقية سبعمائة درهم وأربعة أرغفة، وللرشاش سبعمائة درهم وثلاثة أرغفة، ولا ثنين بوابين ألفا ومائتى درهم شهريا وستة أرغفة يوميا، ولنجار الساقية ثمانية دراهم وثلاثة أرغفة، وللمباشر ستمائة درهم وأربعة أرغفة، وللشاهد خمسمائة دهم وثلاثة أرغفة، وللشاهد مثل المباشر وللجابي مثل الشاهد(٢٢٩).

ومن كل هذا يتضح أن السلطان الغورى كان قد وفر لهذا الجامع بما أوقفه عليه وما قرره له كل مقومات وظائف التصوف التى عرفت عن الخانقاوات فيما سبقت الإشارة إليه.

ل – خانقاوات متفرقة :

بالإضافة إلى كل ما ذكر من خانقاوات دارسة وصل عددها إلى إحدى عشرة خانقاة، كانت هناك ست خانقاوات أخرى لم ترد عنها معلومات كافية فى المصادر والمراجع العربية، وما جاء عن كل منها لا يتعدى خبرا ذكره مصدر أو مرجع، وقد آثرنا ذكرها قبل ان ينتهى الحديث فى هذا الفصل حتى لا نهمل الإشارة إليها.

وأول هذه الخانقاوات الست هى الخانقاة المجاهدية، وقد أورد ذكرها ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨–٩هـ/ ١٤–١٥م) حين قال فى ترجمة محمد بن ابى بكر الرقى شهاب الدين بن العدنية أنه كان «شيخ الخانقاة المجاهدية» حدث ومات فى ذى القعدة سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)(٢٣٠).

وثانيتها هى الخانقاة الناصرية الجديدة، وما لدينا من معلومات عنها ينحصر فيما ذكره ابن حجر العسقلانى أيضا عندما ترجم لمجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقصرى شيخ الخانقاة بسرياقوس وأنه قدم أولا من الاسكندرية حيث كان شيخا للخانقاة التى أقامها بيليك المحسنى، ثم

قرر فى مشيخة الخانقاة الجديدة الناصرية وكان الناصر يعظمه، مات فى ربيع الأول سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) وقد أناف على السبعين)[٢٣١].

وثالثها خانقاة كريم الدين بالقرافة، وقد ورد ذكرها فيما أشار إليه ابن حجر عند ترجمته لموسى بن احمد بن محمود الأقصرى المشار إليه فى الخانقاة الناصرية الجديدة، حيث قال ثم قرر فى مشيخة خانقاة كريم الدين بالقرافة، مات فى ربيع الأول سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م)[٢٣٢].

ورابعتها خانقاة منجك اليوسفى وقد جاءت الإشارة إليها فى كتاب جامع الكتابات العربية عند الحديث عن نص إنشاء تربة منجك إليوسفى وقد جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا قبر المقر الأشرف الصالح المولوى السيفى منجك كافل المملكة الشريفة الإسلامية توفى يوم الخميس بعد عصر تاسع عشرى شهر ذى الحجة الحرام سنة ست وسبعين وسبعمائة ودفن بكرة يوم الجمعة من شهر ذى الحجة غفر الله له ولمن ترحم عليه»[٢٣٣]، وفى حاشية على هذا النص يقول المصنف تكملة لذلك «ودفن صبيحة يوم الجمعة بتربته التى أنشأها عند جامعه وخانقاته خارج باب الوزير بالقرب من قلعة الجبل»[٢٣٤].

وخامستها الخانقاة الخاتونية بالربوة، وقد ذكرها ابن حجر عند ترجمته لمحمد بن على أبى بكر المنصرى فقال «شيخ الخانقاة الخاتونية بالربوة مات فى أواخر شهر رمضان سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)[٢٣٥].

وسادستها الخانقاة المؤيدية عند باب زويلة، وقد ورد بحجة منشئها أنها كانت قد زودت بمائتى مسكن للصوفية، وأن هذه المساكن (الخلوات) كانت تقع خلف الإيوان الغربى[٢٣٦]، ومن ذلك يتضح أن جملة خانقاوات القاهرة التى درست كانت قد بلغت سبع عشرة خانقاة، وهو عدد إذا أضفناه إلى جملة الخانقاوات التى لازالت باقية مما سنتكلم عنه فى الفصول التالية وعددها ثلاث وثلاثون خانقاة، منها إحدى عشرة خانقاة مملوكية بحرية واثنتى عشرة خانقاة مملوكية برجية لا تضح لنا أن جملة خانقاوات القاهرة كانت قد بلغت فى عصرى الأيوبيين والمماليك خمسون خانقاة.

٤ – الرباط والزاوية والتكية :

كان الرباط والزاوية والتكية على علاقة لا تنفصم مع الخانقاة، لأن وظيفة التصوف كانت قد مورست فى كل من هذه الأبنية جميعا، فجاء الرباط سابقا على الخانقاة وجاءت الزاوية والتكية لاحقتين عليها.

والرباط كما وردت تعريفاته فى الموسوعات والمراجع هو نوع من المبانى العسكرية التى خصصت لمرابطة المجاهدين فى سبيل الله بثغور الحدود، وكانت عبارة عن مبان ذات تخطيط مستطيل يتألف من صحن أوسط تحيط به أبراج فى الأركان، بالجانب القبلى للصحن مصلى وبالجوانب الأخرى حجرات صغيرة بغير نوافذ للمرابطين، ولا يؤدى إلى الرباط إلا مدخل واحد[٢٣٧].

وقد رأى البعض – تأثرا بأفكار بعض الغربيين الذين شبهوا الأربطة بالأديرة المسيحية المحصنة – أن تصميم الرباط كان يشبه التحصينات البيزنطية[٢٣٨]، على حين رأى البعض الآخر – وهو الأرجح تصديقا – أن مخطط الرباط ما هو إلا نظام معمارى مقتبس من القصور الأموية التى بنيت فى بادية الشام منذ القرن (٢هـ/ ٨م)[٢٣٩].

أما فى قواميس اللغة فقد ورد أن الرباط بالكسر ما تشد به الدابة والقربة وغيرهما، والجمع ربط، والرباط أيضا يعنى المرابطة وهى ملازمة ثغر الحدود وهو واحد الرباطات المبنية[٢٤٠].

وأضاف المقرى إلى نفس تعريف الرازى أن الرباط أيضا هو الذى يبنى للفقراء وهو مولد (أى من الألفاظ المشتقة) ويجمع فى القياس ربط بضمتين ورباطات[٢٤١]، ولا ندرى لم ابتعد هؤلاء وأولئك عن أصل الكلمة الذى ورد فى القرآن الكريم فى موضعين يقول الحق تبارك وتعالى فى أولهما «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»[٢٤٢] ويقول عز من قائل فى ثانيهما «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطو واتقوا الله لعلكم تفلحون»[٢٤٣] وفى هذا ما يشير صراحة إلى أن المرابطة فى سبيل الله كانت أمر واجبا بنص القرآن الكريم.

هذا عن الرباط تعريفا وتفسيرا، أما عن تاريخ الرباط فقد أفاضت علينا المراجع العربية بالكثير من المعلومات الهامة فى هذا الصدد، وتشير هذه المعلومات إلى ان أصل الرباط – كما قلنا – هو بناء صغير حصين أعد لمرابطة المجاهدين فى الثغور لحمايتها، ثم زالت عنه بعد استتباب أمن الدولة الإسلامية واستقرارها صفته الحربية، واتخذ بيتا للتقشف والعبادة يسكنه الصوفية(٢٤٤)، وهنا تبرز العلاقة بين الرباط والخانقاة، فتشير بعض المراجع العربية إلى أن نظام الخانقاة كان قد أخذ ترجيحا – عن الرباط، حيث كان المرابطون يؤهلون دينيا وروحيا بجانب تدريبهم عسكريا، وقد ظهر الرباط قبل الخانقاة بكثير، مثل رباط المنستيربتونس ويرجع إلى سنة (١٧٩هـ/ ٧٩٥م) ورباط سوسة على خليج جابس بشمال افريقيا ويرجع تاريخه الى سنة (٢٠٦هـ/ ٨٢١م) ورباط أبى شوتران فى ايران ويرجع تاريخه الى سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م)(٢٤٥)، ويغلب على الظن أن من هذه الأربطة نشأت دعوة المرابطين الذين سيطروا على المغرب والأندلس فى القرن (٥هـ/ ١١م).

وقد ورد أن من شروط أهل الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بما يجرى عليهم من الأرزاق، وحبس النفس عن المخالطات، واجتناب التبعات، ومواصلة الليل والنهار بالعبادة، والاشتغال بحفظ الأوقات وملازمة الأوراد وانتظار الصلوات، واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطا مجاهدا(٢٤٦).

ولهذا كانت مهام مرابطى هذه الثغور تنحصر فى قيام بعضهم بمنارات هذه الأربطة لمراقبة أية تحركات للأعداء، وبقاء بعضهم الآخر مستعدا على أسطحها أو على صهوة جيادها، على حين انشغل الباقون بإعداد السلاح والطعام والشراب، وكان من هؤلاء الطبيب والمعلم والنساخ والكفاؤون (صانعوا الورق) والمشرفون على الحمام الزاجل، والوقادون الذين كانوا يتخاطبون ليلا مع الأربطة الأخرى عن طريق النار باصطلاحات يعرفونها فيما بينهم، ومع أن الدولة كانت تنفق عليهم دائما فإن هذا لم يمنع من تبرع المحسنين لهم بالأراضى والإقطاعات التى حبسوها عليهم(٢٤٧).

وقد شطح الفكر ببعض الكتاب الغربيين فقال أحدهم «وكل ما كان لهم (أى للمسلمين) بيوت صغيرة للذكر فى ظاهر المدن سموها رباطات .. ولكن يظهر أنه كان يعيش فى

هذه البيوت المنعزلة بعض العباد فى ذلك العصر، فيحكى عن على بن ابراهيم الحصرى الصوفى (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) أنه كبرت سنه فصعب عليه المجئ الى الجامع فبنى له الرباط المقابل لجامع المنصور»(٢٤٨)، وهو قول ليس له من المنطق أو الدين سند فلا يعقل بناء رباط لمسلم واحد لا يستطيع المجئ إلى المسجد.

وقد أكثر المسلمون من إقامة الربط على حدود دولتهم ولا سيما فى الشام والمغرب والأندلس، وكان أهل الرباط يجمعون بين حياة الجهاد والحياة الدينية، وهو أمر لا غرابة فيه لاسيما وأن حياتهم فى هذه الثغور المنعزلة على حدود الدولة كانت تساعدهم على التعبد والتقشف، إلا أنه بعد أن ضعف خطر الصليبيين على الإسلام فى المشرق، أخذ الرباط يفقد طابعه الحربى – كما قلنا – وتغلبت عليه الصفة الدينية، وقد ساعد انتشار التصوف فى هذا العصر على خلق المبرر لبقاء الأربطة وتحويلها إلى دور للصوفية(٢٤٩).

ولم تقتصر الأربطة فى الإسلام على أربطة الرجال فقط وإنما كان هناك من الأربطة ما خصص للنساء، وكانت هذه بمثابة دور لكفالة البنات والنساء من اليتامى والأرامل والمطلقات اللائى لم يكن لهن عائل، ومع أن النسوة فى هذه الأربطة كن يحاكين الرجال فى لبس المرقعات من الصوف، إلا أن أربطة النساء كانت – كما يقول ابن حجر والسخاوى – بمثابة «ملاجئ لهن»(٢٥٠).

ووجود هذه الأربطة للنساء أمر فى الحقيقة لا غرابة فيه لأن ما ورد فى المصادر والمراجع العربية يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن شيخة الرباط أو «صاحبة الرباط» أو «الصوفية» كانت من الوظائف التى ما رستها المرأة فى مصر ولا سيما فى العصر المملوكى، يدل على ذلك أن بيبرس الجاشنكير كان قد أنشأ مع خانقاته سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) رباطا للأرامل والمطلقات، وقد زال هذا الرباط فيما بعد وأقيمت فى موضعه وفى بعض مواضع الخانقاة مثل مساكن الصوفية وحظائر الدواب والخبز الوكالة التى أنشأها سليمان أغا السلاحدار – سنة (١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م)(٢٥١) ليس هذا فقط بل كان هناك من أربطة النساء بالإضافة إلى رباط الجاشنكير، رباط زوجة السلطان إينال بالخرنفش ورباط البغدادية الذى أنشأته الأميرة تذكارباى إبنة السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٨٥م) للشيخة زينب إبنة أبى البركات المعروفة بالبغدادية

ومعها النساء المطلقات وغيرهن ممن طلبن الأنفراد وترك العالم، وقد ظل هذا الرباط باقيا حتى عهد المقريزى في القرن (٩هـ/ ١٥م) ثم آل أمره الى الاضمحلال حتى تلاشي من الوجود تماما وأصبح أثرا بعد عين[٢٥٢].

ولعل من أبرز الأربطة في مصر رباط الآثار الذى كان قريبا من بركة الحبش وقد بدأ في إنشائه الأمير تاج الدين محمد بن الصاحب وأكمله إبنه من بعده وكان ذلك بين سنتى (٦٤٠ – ٧٠٧هـ/ ٢٧١ – ١٣٠٧م)، وسمى هذا الرباط فيما بعد باسم مسجد أثر النبى لاحتوائه على قطعتين إحداهما من الخشب والأخرى من الحديد قيل أنهما كانتا للنبى ﷺ اشتراهما تاج الدين بن الصاحب من بنى ابراهيم في ينبع (من الحجاز) بستين ألف درهم وأودعهما فيه، وقد ألحقت بهذا الرباط خزانة كتب[٢٥٣] كان من أهمها ربعة شريفة أوقفها المقر الأشرف الكريم العالى الناصرى الجمالى أبو المحاسن يوسف ناظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة، وجاء على كل جزء منها أن «هذه الربعة الشريفة وعدتها ثلاثون جزءا قد أوقفت على الفقراء القاطنين بالرباط المعروف بإنشاء الصاحب بهاء الدين بن حنا بمصر المحروسة الذى به الآثار الشريفة النبوية والمترددين إليه، ينتفعون به الانتفاع الشرعى، وشرط ألا يخرج منه بوجه من الوجوه وأشهد على نفسه الكريمة بذلك في الخامس والعشرين من جمادى الأولى عام ست وخمسين وثمانمائة»[٢٥٤] وقد أجرى السلطان الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج أعمالا ترميميه في هذا الرباط، ودليل ذلك لا يزال قائما على أحد الأعمدة المثمنة بدهليز الرباط ممثلا في نص يقول «الناصر ناصر الدنيا والدين فرج» وقد أثبتت هذا النص لجنة حفظ الآثار العربية منذ معاينتها للرباط سنة (١٩٠٠م)[٢٥٥].

وبالإضافة إلى أربطة القاهرة المذكورة ممثلة في رباط الآثار والجاشنكير والبغدادية كان هناك رباط الزينى في شارع بين السورين قريبا من الموسكى، وقد عرف هذا الرباط بضريح الشيخ أبى طالب نظرا لوجود نص محفور في الحجر على عتب الشباك المجاور للمدخل يقول «هذا ضريح الشيخ الصالح سيدى أبو طالب نفعنا الله ببركته بمحمد وآله»[٢٥٦] أما الأصل فيه فهو رباط أنشأه المقر الأشرف العالى الأميرى الكبيرى الزينى (يحيى) أستادار العالية في صفر سنة ست وخمسين وثمانمائة وخصصه لسكن صوفية خانقاته الزينية العشرين[٢٥٧].

ليس هذا فقط بل كان هناك أيضا رباط العلائى الذى عرف بخانقاة المواصلة ورباط الناصر محمد بخانقاة سرياقوس الذى أنشأه لسكن صوفية خانقاته الأربعين، ورباط الأشرف برسباى الذى كان ملحقا بخانقاته بالتربيعة وخصص لسكن صوفية خانقاته الخمسة والستين وغيرها من الأربطة التى درست ولم يعد لها وجود.

أما عن الزاوية فقد قصد بها فى الأصل أن تكون مسجدا صغيرا تقام فيه الصلاة، ولا تزال تطلق هذه التسمية في مصر حتى اليوم على بعض المساجد الصغيرة إلا أن اللفظ كان قد تطور معناه فى المغرب الإسلامى فأصبح يقصد به الخانقاة أو منزل الصوفية[٢٥٨].

وقد وردت الزاوية في قواميس اللغة بمعنى «واحدة الزوايا» ومؤنث «الزاوى» وهى ركن لبيت، والمسجد غير الجامع ليس فيه منبر، ومأوى المتصوفين والفقراء[٢٥٩]، ويغلب على الظن أن انتشار هذه الزوايا كان قد أدى إلى شيوع التصوف وتعدد طوائفه، ومن ثم إلى دخول أمور مستحدثة لم يقرها المتدلون من السلف من أهل الخوانق، وقد انتشرت هذه الزوايا فى جميع أنحاء العالم الاسلامى فكانت هناك مثلا زاوية الشيخ عبد الكبير الحضرمى فى مكة وقد أوقف المماليك عليها الأوقاف وخصصوا لها من الذهب الناصرى مائة دينار، وزوايا الطوائف فى الشام وآسيا الصغرى، والزوايا السنوسية فى المغرب والزوايا التيجانية فى السودان والزوايا القادرية فى غرب افريقية، وكانت كل هذه الزوايا إما فردية عرفت باسم ساكنها أو منشئها وإما جماعية احتفظت بالطابع الدينى الأول فتشابهت بذلك مع المدارس والخانقاوات فى مهمتها.

وهكذا تداخلت اسماء الخانقاة والرباط والزاوية لا سيما بعد ما تشابهت وظائفها فى مصر على عصر سلاطين المماليك، فاختلط الأمر على البعض، ولم تعد التفرقة فيما بينها واضحة لديهم، وقد زاد من صعوبة هذا التداخل تضارب الآراء التى وردت فى المصادر العربية خاصة بهذا المعنى ولا سيما ما ذكره ابن الحاج من أن الرباط هو ما عرف فى عرف معناه عند العجم بالخانقاة[٢٦٠]، وما ذكره ابن بطوطة من أن الزوايا فى مصر كثيرة وهم يسمونها الخوانق (جمع خانقاة)، ويتنافس الأمراء فى بناء هذه الزوايا، وكل زاوية منها معينة لطائفة من الفقراء، وأكثرهم الأعاجم، وهم أهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف، ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب أمورهم

عـجيب(٢٦١)، وما أشار إليه ابن إياس من أن السلطان قايتباى كان قد أنشأ زاوية بالمرج فسميت لذلك بمرج الزاوية(٢٦٢) أما ما ذكره المقريزى فقد فرق فيه بين الخانقاوات والأربطة والزوايا وتحدث عن كل منها بذاته وإن لم يخرج حديثه فيها عن معنى واحد هو أنها جميعا سميت «بيت الصوفية»(٢٦٣).

ومع ذلك فقد كان هناك من الفوارق ما يميز حتى بين الأربطة بعضها وبعض فكان منها الأربطة التى أنشئت على حدود الدولة أو فى ثغورها وكانت مخصصة للدفاع عن حدود الوطن، والأربطة التى خصصت لاستقبال الغرباء الوافدين من البلاد الخارجية، والأربطة التى كانت ملحقة بالخانقاوات وقد ساعدت كل هذه العوامل دون شك على تضارب الآراء والمفاهيم حول هذه المنشآت جميعا.

والواقع أن ما ذكره بعض المستشرقين من تسمية هذه المنشآت بالملاجئ هو قول لا يبعد عن الحقيقة كثيرا، لأن بيوت الصوفية فى ذلك العصر سواء كانت خانقاوات أو أربطة أو زوايا أو تكايا لم تكن بيوت عبادة فحسب بل كانت مأوى لكل مريد أو صاحب عاهة أو كبير سن أو فاقد بصر، فضلا عن اليتيمات والمطلقات والأرامل.

أما عن التكية فإن ما ورد بشأنها فى قواميس اللغة يقول أنها «خانقاة الدراويش يمر فيها المريدون بطورى الرضاع والفطام، وجمعها تكايا»(٢٦٤)، وقد أنشئت التكايا فى العصر العثمانى فى مصر لتحل محل الخانقاة وإن كانت تختلف عنها كثيرا فى تخطيطها المعمارى، لأن التكية كانت عبارة عن صحن به حديقة وفسقية تحيط به من الجهات الأربع إيوانات تفتح على هذا الصحن بعقود محمولة على أعمدة، وتغطى هذه الإيوانات بقباب كروية صغيرة، وتنتظم من حولها قاعات الدراويش المعقودة بنفس القباب، وكان من المعتاد أن يلحق بكل تكية من هذه التكايا مسجد صغير وسبيل(٢٦٥).

وقد جرت العادة أن يدفن الدراويش فى التكية أسوة – على ما يبدو – بما كان متبعا من دفن الصوفية فى حوش الخانقاة، ولا زال بالقاهرة حتى الآن خمس تكايا هى التكية المولوية التى

الحقت بمدفن حسن صدقة وتاريخها (٧١٥ – ٧٢١هـ/ ١٣١٥-١٣٢١م)، وتكية المغاورى التى تعرف باسم التكية البكتاشية للمذهب البكتاشى وتاريخها (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)، وتكية الكلشنى للمذهب القادرى وتاريخها (٩٢٦-٩٣١هـ/ ١٥٢٤م)، والتكية السليمانية وتاريخها (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) وأخيرا تكية السلطان محمود وتاريخها (١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م)[٢٦٦].

حواشي وتعليقات فصول

الدراسات التاريخية والصوفية

والأثرية المعمارية

حواشى وتعليقات فصول

الدراسات التاريخية والصوفية والأثرية المعمارية

١ — ابن بطوطة : الرحلة : ص٣٧٠

٢ — المقريزى : الخطط : جـ٢ ص٤١٣.

٣ — السيوطى : حسن المحاضرة : جـ٢ ص ٢٥٦ ج ١.

٤ — على باشا مبارك : الخطط التوفيقية : جـ٦ ص٤٨.

٥ — عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى :

— ج١ ص١٠٥.

— سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحياؤها : ص ٧٢.

— صالح لمعى مصطفى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر : ص١١٨.

— الموسوعة العربية الميسرة : ص٧٥٠.

— كمال سامح : العمارة الإسلامية فى مصر : ص١٠.

— زكى محمد حسن : فنون الإسلام : ص٢٧-٢٨.

— خليل الجر وآخرون : المعجم العربى الحديث : «لاروس» ص٤٧٩.

— محمد كرد على : خطط الشام : جـ٦ ص١٣٠.

— عبد الجليل عبد المهدى: المدارس فى بيت المقدس : جـ١ ص٤٠٠-٤٠٢.

٦ — محمد نور الدين عبد المنعم : بحث فى الألفاظ الفارسية فى العامية المصرية ورد فى دراسات فى الحضارة الإسلامية : ص٢٠٧-٢٤٣.

٧ — سعد زغلول عبد الحميد : العمارة والفنون فى دولة الإسلام : ص٤٧٧.

٨ — حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية : جـ١ ص١٣٥.

٩ — المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص٤١٤.

— سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون : جـ١ ص٢٥-٢٦.

١٠ — على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٦ ص٤٨-٤٩.

١١ — المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص١٣.

- جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى : جـ١ ص٢٠٢.
- سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحياؤها : ص٥٠.

١٢ - أدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : جـ٢ ص٢٩-٣٠.

١٣ - سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون : جـ١ ص٢٥-٢٦.
- لين بـول : سيرة القاهرة : ص١٩١-١٩٣.

١٤ - دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى : ص٢٣-٢.

١٥ - سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك : ص١٧٠-١٧٢.
- فريد شافعى : العمارة العربية : ماضيها وحاضرها ومستقبلها : ص١٢٤.

١٦ - لين بول : المرجـع السابق : ص١٦٧.

١٧ - الغـزالى : إحياء علوم الدين : جـ١ ص٧.

١٨ - ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : جـ١ ص٢٥٧-٢٥٨.

١٩ - السيوطى : حسن المحاضرة فى ملوك مصر والقاهرة: جـ١ ص ٢١٢.

٢٠ - ابن جبير: الرحلة : ص ٢٥٨.،
- المقريزى المصدر السابق: جـ٢ ص٣٤١.

٢١ - المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم: جـ١ ص ٢٠٥.

٢٢ - ابن جبير: المصدر السابق : ص ٢٦٠.

٢٣ - المقريزى: المصدر السابق جـ٢ ص ٢٥٥.

٢٤ - أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها «العصر الأيوبى» ص ١٤٣ - ١٤٦.

٢٥ - المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٣٤١.

٢٦ - السبكى: طبقات الشافعية الكبرى: جـ٣ ص ١٣٧.

٢٧ - السيوطى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٥٥.

٢٨ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٢٥٥.

٢٩ - ابن جبير: المصدر السابق: ص ٢٦٠.

٣٠ - المقريزى : المصدر السابق: جـ٣ ص ٣٨٠.

٣١ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٢٧٨.
٣٢ - ياقوت الحموى: معجم البلدان: جـ٥ ص ٤١٥.
٣٣ - القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا: جـ١ ص ٣٧٠.
٣٤ - حجة بيبرس الجاشنكير رقم ٢٣٠ - محكمة شرعية.
٣٥ - القلقشندى: المصدر السابق: جـ١١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧.
٣٦ - الذهبى: تاريخ الإسلام: جـ٣ ص ١٦٤.
٣٧ - سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٤٤ - ١٤٦.
٣٨ - نفس المرجع: ص ١٧٠.
٣٩ - السخاوى: التبر المسبوك فى ذيل السلوك: ص ٢١٦.
٤٠ - سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٤٥ - ١٤٦.
٤١ - ابن خلكان: المصدر السابق: جـ١ ص ١٩٣.
٤٢ - ياقوت الحموى: المصدر السابق: جـ٨ ص ٣٦.
٤٣ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٣٣٧.
٤٤ - محمد ماهر حمادة: المكتبات فى الإسلام: ص ١٥٠.
٤٥ - السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: جـ١ ص ٣٧ - ٣٨ ترجمة رقم٣٧.
٤٦ - نفس المصدر: جـ٣ ص ٢٤٩ - ٢٥٣ ترجمة رقم ٩٣٩.
٤٧ - نفس المصدر: جـ٤ ص ٢٨١ - ٢٨٢ ترجمة رقم ٧٤٧.
٤٨ - نفس المصدر: جـ٥ ص ٥٦ -٥٧ ترجمة رقم ٢٠٩.
٤٩ - نفس المصدر: جـ٣ ص ٢١١ - ٢١٢ ترجمة رقم ٧٩٤.
٥٠ - نفس المصدر: جـ٣ ص ٢٣٤ - ٢٣٨ ترجمة رقم ٨٩٢.
٥١ - نفس المصدر: جـ٤ ص ٤٠ ترجمة رقم ١٢٤.
٥٢ - نفس المصدر: جـ٤ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ترجمة رقم ٧١٤.
٥٣ - نفس المصدر: جـ٦ ص ٢٢٦ ترجمة رقم ٧٦٥.
٥٤ - نفس المصدر: جـ٤ ص٣٣٠ - ٣٣١ ترجمة رقم ٩١٣.
٥٥ - نفس المصدر: جـ ٣ ص ١٢ - ١٣ ترجمة رقم ٤٩.

٥٦ – الغزى: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: جـ١ ص ١٩٦ – ٢٠٧.
٥٧ – نفس المصدر: جـ١ ص ٢١١.
٥٨ – السخاوى: تحفة الأحباب: ص ١٨٠،
– ابن الحاج: المدخل : جـ٢ ص ١٤١،
– الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٥ – ٥٢٦،
– دولت عبد الله: المرجع السابق.
Abdur Raziq (a.): La femme : P . P . 77 79.
٥٩ – دائرة المعارف الإسلامية: الطبعة الأوربية الأولى: جـ٤ ص ٧٣٩ – ٧٤٠.
٦٠ – Ritter (H.) Studien zurGeschichte der Islamischen Frommigkiet , Islam 21 , 1933, P . P . 1-63.
٦١ – أبو نعيم الأصفهانى: حلية الأولياء: جـ٢ ص ٧٩ – ٩٨، ١٠٢ – ١٦.
٦٢ – الجاحظ: البيان والتبيين: جـ٣ ص ١٢٥ – ٢٠٢.
٦٣ – فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربى: جـ٤ م١ ص ٩١ – ٩٣.
٦٤ – السخاوى: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ص ١٠٤ – ١٠٥.
٦٥ – أدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٢٠ – ٢١.
٦٦ – ابن العربى: الفتوحات المكية: جـ١ ص ٢٠٦.
٦٧ – أدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٢١ حاشية ٢.
٦٨ – الكندى: الولاة والقضاة ص ١٦٢،
– المقريزى: المصدر السابق.
– كامل الشعيبى: الصلة بين التصوف والتشيع: ص ٢٣٢.
٦٩ – اليعقوبى: تاريخ: جـ٣ ص ١٧٤ وأنظر أيضا:
– آدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٢٢ – ٢٣.
٧٠ – مصطفى الشعيبى: المرجع السابق: ص ٢٣٥.
٧١ – محمد توفيق البكرى: نشأة التصوف والصوفية: ص ٧٠٦،
– الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦ – ٥٢٧.

٧٢ – ابن خلدون: المقدمة: ص ٣٧١ – ٣٧٢، وانظر أيضا:
– الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦.
٧٣ – البكرى: المرجع السابق: ص ٧.
٧٤ – راجع: يوسف بن اسماعيل النبهانى: كتاب: جامع كرامات الأولياء وبهامشه كتاب: نشر المحاسن الغالية فى فضل مشايخ الصوفية لسيدى عبد الله بن أسعد اليافعى: جـ٢ هامش ص ٣٤٠ – ٣٤٢.
٧٥ – آدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٤٢ – ٤٣.
٧٦ – نفس المرجع: جـ٢ ص ٤٨ – ٥٧.
٧٧ – ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٣٧٥ – ٣٧٦.
٧٨ – أبو طالب المكى: قوت القلوب: جـ١ ص ١٤١.
٧٩ – سعاد ماهر: مساجد مصر: جـ٣ ص ١٠ – ١١،
– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٣٣.
٨٠ – الحلاج: كتاب الطواسين: ص ٢٣ – ٣٠.
– أدم متز: المرجع السابق: جـ١ ص ٣٥٢ – ٣٥٣.
٨١ – كامل الشعيبى: المصدر السابق: ص ٣٤٣ وأنظر أيضا:
– فتحية النبراوى: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية: ص ٢٠٣.
٨٢ – كامل الشعيبى: المصدر السابق: ص ٣٤٣ – ٣٤٥.
٨٣ – ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٣٧٠ – ٣٧١ وانظر ايضا:
– صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٥.
٨٤ – حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته: ص ٢٧ وانظر ايضا
– عبد الجليل عبد المهدى: المدارس فى بيت المقدس: جـ١ ص ١١٠ – ١١٣،
– توماس أرنولد: تراث الإسلام: ص ٣٣٣،
– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٢ – ١٦٣.
٨٥ – نفس المرجع: ص ١٦٧ – ١٦٨،
– سعاد ماهر: مساجد مصر: جـ٣ ص ١١ – ٢٢،

- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٣٥ – ٣٦.

٨٦ – حسين مؤنس: المرجع السابق: ص ٢٧ – ٢٨،

- توماس أرنولد: المرجع السابق: ص ٣٤٦.

٨٧ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٣ وراجع أيضا:

- القشيرى: الرسالة: ص ٧ – ٧،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ١ ص ٢٥، ١٣٠، جـ٣ ص ٩ – ١٠.

٨٨ – راجع: اليافعى: المصدر السابق: هامش ص ٣٤٥ – ٣٤٧،

- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٥،

- آدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٢٣ – ٢٤.

٨٩ – راجع : محمد توفيق البكرى: المصدر السابق: ص ١ – ٥،

- المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٣،

- اليافعى: المصدر السابق: هامش ص ٣٤٣.

٩٠ – الجاحظ: المصدر السابق: جـ١ ص ١٩٥.

٩١ – أنظر: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٩ – ٣٠.

٩٢ – راجع الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦.

٩٣ – راجع: ابن حبيب: درة الأسلاك: جـ٢ ص ٢٦٠،

- ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٥٢٢،

- المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٣،

- كامل الشعيبى: المصدر السابق: ص ٢٦٠،

- زكى مبارك: التصوف: جـ١ ص ٦٤،

- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٩،

- توماس أرنولد: المرجع السابق: ص ٣٠٦،

- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٥،

- فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٣.

٩٤ – الشعرانى: لواقح الأنوار: جـ١ ص ٢٤٢.

٩٥ - ابن الحاج: المصدر السابق: جـ٣ ص ٢٠٧.

٩٦ - الشعراني: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٧٦.

٩٧ - السخاوى: تحفة الأحباب: ص ١٩ - ٣٢،

- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة: جـ٩ ص ٢٩٥.

٩٨ - سورة الفتح: آية ١٠.

٩٩ - البكرى: المصدر السابق: ص ٢٥ - ٢٧.

١٠٠ - فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٣.

١٠١ - حسين مؤنس: المرجع السابق: ص ٥٥.

١٠٢ - ابن حجر: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة: جـ٤ ص ٣٤٩ ترجمة رقم ٩٥٠.

١٠٣ - السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: جـ١ ص ٨٦.

١٠٤ - نفس المصدر: جـ٢ ص ١٩٤ - ٢٠١ ترجمة رقم ٥٣٠.

١٠٥ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ترجمة رقم ٦٤٣٤.

١٠٦ - ابن الجوزى: تلبيس إبليس: ص ٢٩٢ - ٢٠٥ وما ذكره البكرى عن الزى الأخضر والأحمر فى نشأة التصوف والصوفية ص ١٦ - ١٧.

١٠٧ - ابن بطوطة: المصدر السابق: ص ٣٧-٣٩،
سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٢.

١٠٨ - البكرى: المصر السابق: ص ٨ - ١٠.

١٠٩ - راجع القاضى مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: جـ ٢ ص ١٩٤ - ١٩٥،

- عبد الجليل عبد المهدى: المرجع السابق: جـ١ ص ١١١.

١١٠ - السيد الباز العرينى: مصر فى عصر الأيوبيين: ص ٢٢٦.

١١١ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٤.

١١٢ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٤١٣ وراجع أيضا:

- توفيق ا لطويل: التصوف فى مصر: ص ١٥١ - ١٥٢،

- عبد اللطيف ابراهيم: دراسات تاريخية وأثرية: جـ١ ص ١٥٩ - ١٦٠،

- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٤ – ١٧٥،
- سعاد ماهر: القاهرة القديمة وأحياؤها: ص ٧٣.

١١٣ – أنظر أيضا: سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٤.

١١٤ – ابن خلدون: المصدر السابق: ص ٣٧٠ – ٣٧١.

١١٥ – سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٣ – ١٦٤.

١١٦ – توماس آرنولد: المرجع السابق: ص ٣١١ – ٣١٢.

١١٧ – حسين مؤنس: المرجع السابق: ص ٣٨ وأنظر أيضا:
- السيد الباز العرينى: المرجع السابق: ص ٢١٨ – ٢١٩.

١١٨ – الشعرانى: المصدر السابق: جـ١ ص ٢٣٤،
- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٥.

١١٩ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٣.

١٢٠ – ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة: ص ١٩٣.

١٢١ – الغزالى: المرجع السابق: جـ٢ ص ١٥٣ وأنظر ايضا:
- فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٢.

١٢٢ – ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى: جـ٣ ص ٢٦١.

١٢٣ – منهاج الصالحين: حديث رقم ٣٠٠ ص ٢٠٩.

١٢٤ – نفس المصدر: حديث رقم ٣٠٥ ص ٢٠٩.

١٢٥ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٤.

١٢٦ – البكرى: المصدر السابق: ص ١٠ – ١١.

١٢٧ – المناوى: الكواكب الدرية: جـ ص ٢٠٩،
- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٣٣.

١٢٨ – ابن خلكان: المصدر السابق جـ١ ص ٣٤،
- سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٣.

١٢٩ – ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور: جـ٣ ص ٧٨.

١٣٠ – راجع فى ذلك: الكلاباذى: التعرف لمذهب أهل التصوف: ص ٥٧، ٧٢،

- آدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٢٩ – ٣٠،
- صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٥،
- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦.

١٣١ – راجع هذا القول وغيره فى: البكرى: المصدر السابق: ص ٢٣ – ٢٥.

١٣٢ – راجع فى ذلك: البكرى: نفس المصدر: ص ١٣ – ١٥.

١٣٣ – راجع: فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٥.

١٣٤ – ابن ظهيرة: المصدر السابق: ص ١٩٣.

١٣٥ – أنظر: توماس آرنولد: المرجع السابق: ص ٣١٢ – ٣١٣،
- السيد الباز العرينى: المرجع السابق: ص ٢١٧ وراجع ايضا:
- ابن النديم: الفهرست: ص ٣٥٨،
- أبو نعيم: المصدر السابق: جـ٩ ص ٣٣١،
- الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد: جـ٨ ص ٣٩٣ – ٣٩٧،
- ابن خلكان: المصدر السابق: جـ١ ص ١٢٦،
- ابن العماد: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب: جـ٢ ص ١٠٧.

١٣٦ – راجع مقال الدكتور ابراهيم الدسوقى شتا عن «دور المتصوفة الإيرانين فى ميدان التصوف الإسلامى» فى كتاب «دراسات فى الحضارة الإسلامية ص ٢٤٥ – ٢٧٠،
- الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٣٦.

١٣٧ – راجع: ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٧،
- آدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٢٥ – ٢٧.

١٣٨ – آدم متز: نفس المرجع: جـ٢ ص ٢٧ – ٢٨.

١٣٩ – نفس المرجع: جـ٢ ص ٢٧ – ٢٨.

١٤٠ – راجع: ابن خلكان: المصدر السابق: جـ١ ص ٤٨٣،
- ابن العماد: المصدر السابق: جـ٢ ص ٧٤١،
- عبد الرحمن زكى: القاهرة – تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ص ٧٨ – ٨٠،

– السيد الباز العرينى: المرجع السابق: ص ٢١٦ – ٢١٧.
١٤١ – راجع: فتحية النبراوى: المرجع السابق: ص ٢٠٤ – ٢٠٥.
١٤٢ – راجع: الموسوعة العربية الميسرة: ص ٥٢٦.
١٤٣ – نفس المرجع: ص ٥٢٦.
١٤٤ – راجع: سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٢ – ١٦٣،
Abdur - Raziq (A.) : op. Cit . P. 78.
١٤٥ – البكرى: المصدر السابق: ص ١٨ – ٢٢.
١٤٦ – راجع ابن قتيبة: مختلف الحديث: ص ٨٤ وما بعدها.
١٤٧ – ابن الحاج: المصدر السابق: جـ١ ص ١٠٤.
١٤٨ – نفس المصدر: جـ٢ ص ٢ – ٦.
١٤٩ – راجع: السخاوى: الذيل على رفع الإصر: ص ٣٧،
– الشربينى: هز القحوف: ص ٧٦،
– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٦.
١٥٠ – أنظر: زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٣ – ٢٤،
– محمود وصفى: دراسات فى الفنون والعمارة العربية الإسلامية: ص ٤١ – ٤٢،
– أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى: ص ٢٠٢ – ٢٠٤.
١٥١ – إرنست كونل: الفن الإسلامى: ص ١٠٥ ١٠٧.
١٥٢ – لين بول: المرجع السابق: ص ٢٠٨.
١٥٣ – سعاد ماهر: مساجد مصر: جـ٣ ص ١٤.
١٥٤ – نفس المرجع: جـ٣ ص ١٥.
١٥٥ – نفس المرجع: جـ٣ ص ١٥.
١٥٦ – زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٧٩ – ٨٠،
– أنور الرفاعى: تاريخ الفن عند العرب والمسلمين: ص ٨٠،
– كمال سامح: المرجع السابق: ص ٣٦،
– أبو صالح الألفى: المرجع السابق: جـ ٢٠٣،

– إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١٠٨،
– لين پول: المرجع السابق: ص ١٩٤.
١٥٧ – إرنست كونل: نفس المرجع: ص ١٠٨.
١٥٨ – زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ١٤٤ – ١٤٨،
– لين بول: المرجع السابق: ص ١٩٤،
– إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١٠٨،
– كمال سامح: المرجع السابق: ص ٣٦.
١٥٩ – لين پول: المرجع السابق: ص ١٩٤،
– إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١٠٨.
١٦٠ – أبو صالح الألفى: المرجع السابق: ص ٢٠٤،
– أنور الرفاعى: المرجع السابق: ص ٨١،
– كمال سامح: المرجع الابق: ص ٣٦،
– إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١١٠.
١٦١ – زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ١٥٢.
١٦٢ – صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٩.
٦٣ – راجع: المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك: جـ٣ ص ٤٦٤،
– ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ٥ ص ٣٨١،
– ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر: جـ١ ص ٧٧٢،
– ابن حبيب: المصدر السابق: جـ٣ ص ١٥٩،
– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٤٣.
١٦٤ – ابن الصيرفى: إنباء الهصر بأبناء العصر: ص ٢٣٩ – ٢٤٠.
١٦٥ – نفس المصدر: ص ٢٣٨ – ٢٣٩.
١٦٦ – صحيح البخارى: جـ٢ ص ٤٢٢،
– صحيح مسلم: جـ٢ ص ٧١.
١٦٧ – صحيح البخارى: جـ١ ص ٤١٦.

١٦٨ – الألباني: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: ص ١٤.
١٦٠ – زكي محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٥ – ٢٦،
– محمود وصفي: المرجع السابق: ص ٣٩،
– حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية: ص ١٦٧.
١٧٠ – فريد شافعي: المرجع السابق ص ١٧٧ – ١٨٩،
– صالح لمعي: المرجع السابق: ص ٢٩ – ٣٢.
١٧١ – راجع: زكي محمد حسن: المرجع السابق: ص ١٥٣ – ١٥٤،
– فريد شافعي: المرجع السابق: ص ١٨٩،
– كمال سامح: المرجع السابق: ص ١٠٦ – ١٠٨،
– ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية: ص ١٣٨.
١٧٢ – إرنست كونل: المرجع السابق: ص ١٠٦.
١٧٣ – لين بول: المرجع السابق: ص ١٩٤.
١٧٤ – صالح لمعي: المرجع السابق: ص ٢٩.
١٧٥ – راجع: حجة رقم ٨٨٣ أرشيف وزارة الأوقاف وأنظر أيضا:
– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٢.
١٧٦ – زكي محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٨.
١٧٧ – حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٢٠٧ – ٢١٠.
١٧٨ – صالح لمعي: المرجع السابق: ص ٣٣ – ٣٦.
١٧٩ – زكي محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٨،
– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٢١٠ – ٢١١،
– محمود وصفي: المرجع السابق: ص ٤٠.
١٨٠ – راجع: صالح لمعي: المرجع السابق: ص ٤٣٠ – ٤٤.
١٨١ – راجع: النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: جـ٣٠ س ٣٤١،
– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٥٠.
١٨٢ – راجع: المقريزي: الخطط: جـ٢ ص ٤٢٥.

١٨٣ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٤٢٥.

١٨٤ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٣٨٢.

١٨٥ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٣٨٢.

١٨٦ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥١ وراجع أيضا:

- نفس المصدر: جـ٥ ص ٤١ ، ٥١،

- عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٢٩ - ١٣٠.

١٨٧ - ابن حجر: الدرر الكامنة: جـ٤ ص ٥٠ ترجمة رقم ١٤٩.

١٨٨ - نفس المصدر: جـ٣ ص ١٦١ - ١٦٤ ترجمة رقم ٣٨٢.

١٨٩ - دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٣.

١٩٠ - المقريزى: الخطط: جـ٢ ص ٤٢١.

١٩١ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٤٢١ - ٤٢٢،

- ابن تغرى بردى: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى: جـ١ ص ٨١ ح٦،

- عبد الله حمزة: المرجع السابق: جـ١ ص ١٠٨،

- سعاد ماهر: القاهرة القديمة: ٧٢.

١٩٢ - راجع: ابن الجيعان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية: ص ١٣،

- ابن دقماق: الإنتصار لواسطة عقد الأمصار: ق ٢ ص ٥٠.

١٩٣ - المقريزى: الخطط: جـ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

١٩٤ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٣٠٤.

١٩٥ - ابن حجر: الدرر الكامنة: جـ٤ ص ٣٧٣ ترجمة رقم ١٠١٤.

١٩٦ - السخاوى: الضوء اللامع: جـ٢ ص ٢١٥ ترجمة رقم ٥٨٩.

١٩٧ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٢١٧ ترجمة رقم ٦٠١.

١٩٨ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٢.

١٩٩ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٤٤٢،

- ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ٤٨٦ ترجمة رقم ١٣٠٨.

٢٠٠ - أنظر أيضا: عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق: ص ٢٠.

٢٠١ - ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ ترجمة رقم ١٠٣٨.

٢٠٢ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٣.

٢٠٣ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٤٢٢.

٢٠٤ - نفس لمصدر: جـ٢ ص ٤٢٢.

٢٠٥ - ابن حجر: المصدر السابق: جـ٣ ص ٤١٥ - ٤١٦ ترجمة رقم ١١٠٤.

٢٠٦ - السخاوى: الضوء اللامع: جـ١ ص ٥٩ - ٦١.

٢٠٧ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٨.

٢٠٨ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٣٠٨.

٢٠٩ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٣ ص ١٠، جـ٦ ص ٤٩.

٢١٠ - ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ١٤٠.

٢١١ - السخاوى: لمصدر السابق: جـ٦ ص ١١٨.

٢١٢ - نفس المصدر: جـ٦ ٢٧٧ وراجع أيضا:

- النقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٨.

٢١٣ - المقريزى: نفس المصدر: جـ٢ ص ٤٢٦.

٢١٤ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٩.

٢١٥ - أنظر أيضا : عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٣٠.

٢١٦ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

٢١٧ - نفس المصدر: جـ٢ ص ٤٢٤،

- على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥١،

Hautcoeur (L.) et wiet. (G.): Les Mosquees du caire, 1.P.P.200 - 270.

٢١٨ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤.

٢١٩ - دار الوثائق القومية - سجل حجج الملوك والأمراء رقم ٣٥٥/ ٥٣ مؤرخة فى ٢٥ ربيع الأول سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م).

٢٢٠ - Supplement aux Annales Islamiques, cahier No 10, I. F. A. O, 665, le Caire, 1987, P.P.27 - 30.

Fath Allah and Abu zakariyya, physicians under Mamluks, By: Doris Behrens Abouseif.

٢٢١ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٢٣،
– المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤،
– على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥١.
٢٢٢ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٠.
٢٢٣ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥٠.
٢٢٤ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ص٤٢٠ – ٤٢١،
– على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥٠،
٢٢٥ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٧.
٢٢٦ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥٠.
٢٢٧ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٦،
– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٣٨.
٢٢٨ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٥ ص ٢٧٨.
٢٢٩ – نفس المصدر: جـ٥ ص ٢٧٩.
٢٣٠ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ٤ ص ٦٠ ترجمة رقم ١٦٧.
٢٣١ – نفس المصدر: جـ٤ ص ٣٧٣ ترجمة رقم ١٠١٤.
٢٣٢ – نفس المصدر: جـ٤ ص ٣٧٣ ترجمة رقم ١٠١٤.
٢٣٣ – Van Berchem (M.): II, P. 208, text, 153.
٢٣٤ – نفس المرجع: جـ٢ ص ٢٠٩ ح ٣.
٢٣٥ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ٤ ص ٦٠ ترجمة رقم ١٦٨.
٢٣٦ – راجع حجة المؤيد شيخ: أرشيف وزارة الأوقاف رقم ٩٣٨ وانظر أيضا:
– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٢٣٨ – ٢٤٠.
٢٣٧ – الموسوعة العربية الميسرة: ص ٨٦١،
– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٧٠.

٢٣٨ – زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ١٠٧.
٢٣٩ – أنور الرفاعى: المرجع السابق: ص ١٠٧.
٢٤٠ – الرازى: مختار الصحاح: ص ٢٢٩.
٢٤١ – المقرى: المصباح المنير: ص ٢٩٣.
٢٤٢ – سورة الأنفال: آية: ٦.
٢٤٣ – سورة آل عمران: آية ٢٠.
٢٤٤ – زكى محمد حسن: المرجع السابق: ص ٢٦ – ٢٨.
٢٤٥ – صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٥،
– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٧٠.
٢٤٦ – السيد الباز العرينى: المرجع السابق: ص ٢١٨ – ٢١٩.
٢٤٧ – أنور الرفاعى: المرجع السابق: ص ١٠٨،
– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٤٥.
٢٤٨ – آدم متز: المرجع السابق: جـ٢ ص ٣٠ – ٣٢.
٢٤٩ – سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ٤٤.
٢٥٠ – ابن حجر: إنباء الغمر: جـ١ ص ٣٧٦،
– السخاوى: الضوء اللامع: جـ١٢ ص ٢٥ وانظر ايضا:
– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٦٩،
– سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٧٣.
٢٥١ – راجع: المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٧،
– ابن تغرى برد: النجوم الزاهرة: جـ١٢ ص ١٤٢،
– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٤٦،
– Abdur-Raziq (A.): op. Cit: P. P. 72 - 74.
٢٥٢ – راجع: كرسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠٠م) ص ١٢١.
٢٥٣ – راجع: المقريزى: المصدر السابق: جـ ص ،
– الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار: جـ٤ ص ٩٩،

- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٤٨،
- كراسات لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠٠م) ص ١١٧.

٢٥٤ - راجع كراسة لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠٠م) ص ١١٩.

٢٥٥ - نفس الكراسة : ص ١١٩.

٢٥٦ - Van Berchen (M.): Op. cir. p. 393, text.

٢٥٧ - كراسة لجنة حفظ الآثار العربية عن سنة (١٩٠٠م) ص ١٢٠،
- دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٤٨ - ٤٩.

٢٥٨ - سعيد عاشور: المرجع السابق: ص ١٦٩.

٢٥٩ - راجع: الرازى: المصدر السابق: ص ٢٧٩،
- خليل الجر وآخرون: المرجع السابق: ص ٦١٧.

٢٦٠ - ابن الحاج: المصدر السابق: جـ٣ ص ١٨٥.

٢٦١ - ابن بطوطة: المصدر السابق: جـ١ ص ٧١ وانظر أيضا:
- حسين مؤنس: المرجع السابق: ص ٤٢.

٢٦٢ - ابن إياس: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٣٩.

٢٦٣ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٧١ - ٣٠٠.

٢٦٤ - خليل الجر وآخرون: المرجع السابق: ص ٣٣٠.

٢٦٥ - صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٦.

٢٦٦ - نفس المرجع: ص ٢٧.

الفصل الرابع

خانقاوات القرنين السادس والسابع الهجريين

الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

١ – الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء

٥٦٩هـ / ١١٧٣م

أثر رقم ٤٨٠

لا شك أن الخانقاة الصلاحية كانت واحدة من أكثر خانقاوات القاهرة التى نالت اهتمام المؤرخين القدامى ولا سيما المقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى وابن ظهيرة وغيرهم، وكان من نتيجة هذا الاهتمام أننا وقفنا على كثير من تاريخها وأخبارها، ولا غرابة فى ذلك فهى أول خانقاة للصوفية فى مصر استحدثها صلاح الدين الأيوبى وجعلها دارا للصوفية.

وطبقا لما لدينا من مادة تاريخية وردت فى كثير من المصادر والمراجع فان حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل على خمس نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة.

٢ – أوقاف الخانقاة.

٣ – منشئ الخانقاة.

٤ – موظفوا الخانقاة.

٥ – وصف الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة:

لعل المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ / ١٤ – ١٥م) كان من أكثر المؤرخين عرضا لتاريخ هذه الخانقاة، إذ يقول أن موقعها بخط رحبة باب العيد من القاهرة، وأنها كانت دارا تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء (وهو الأستاذ قنبر أو عنبر أو بيان) أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر الفاطمى عتيق الخليفة المستنصر بالله، قتل فى سابع شعبان سنة أربع وأربعين

وخمسمائة ورمى برأسه من القصر، ثم صلبت جثته بباب زويلة من ناحية الخرق[١].

وكانت هذه الدار تقابل دار الوزارة، فلما سكنها العادل رزيك بن الصالح طلائع عمل سردابا تحت الأرض يوصل بينهما[٢] ثم سكنها بعد العادل بن رزيك الوزير الفاطمى شاور بن مجير الدين السعدى ثم ابنه الكامل، فلما استقر الأمر للناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى السلطنة بعد موت الخليفة العاضد غير رسوم الدولة الفاطمية وعمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية القادمين من الشام وأوقفها عليهم سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)[٣]، ولذلك فقد عرفت هذه الخانقاة بالناصرية والصلاحية نسبة إليه.

ويضيف السيوطى إلى ذلك فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) أنه لم يكن بمصر زمن العبيدية شئ من المدارس لأن مذهب الشيعة والرافضة لم يكن يعنى بما كان يدرس فى مثل هذه المدارس، فلما ملك صلاح الدين بنى مدرسة بالقرافة الصغرى مجاورة للإمام الشافعى ومدرسة بالقاهرة مجاورة للمشهد الحسينى، وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء الفاطميين خانقاة للصوفية كما بنى دار عباس الوزير العبيدى مدرسة للحنفية عرفت بعد ذلك بالمدرسة السيوفية، وللشافعية مدرسة عرفت بالشريفية، وللمالكية مدرسة عرفت بالقمحية[٤]، ثم أفاض السيوطى بعد ذلك فى الحديث عن هذه الخانقاة وعن رفعة قدرها وقدر شيخها وصوفيتها قائلا «ويقال لها تاج المدارس، وهى أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعى، ولأن بانيها أعظم الملوك، ليس فى ملوك الإسلام مثله لاقبله ولا بعده، بناها السلطان صلاح الدين بنأيوب رحمه الله تعالى سنة أثنتين وسبعين وخمسمائة»[٥] ويقول فى موضع آخر «وقفها السلطان صلاح الدين بن أيوب .... على الصوفية فى سنة تسع وستين وخمسمائة ورتب لهم كل يوم طعاما ولحما وخبزا وهى أول خانقاة عملت بديار مصر، ووصف شيخها بشيخ الشيوخ فاستمر ذلك بعدهم وما زال يتبع إلى أن بنى الناصر محمد بن قلاوون خانقاة سرياقوس فدعى شيخها بشيخ الشيوخ فاستمر ذلك إلى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة وضاعت الأحوال وتلاشت الرتب تلقب كل شيخ خانقاة بشيخ الشيوخ وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم»[٦].

ورغم ما أفاض به السيوطى علينا من حديث عن هذه الخانقاة إلا أن أقواله قد تضاربت –

كما رأينا – فيما يتعلق بتاريخها حين قال في موضع من مصنفه أنها بنيت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وفي موضع آخر سنة تسع وستين وخمسمائة، رغم أن المتفق عليه في ذلك هو سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م)(٧).

أما على باشا مبارك فقد كان أكثر دقة في تحديد موقعها حين قال: أنها تقع «تجاه حارة المبيضة من الجمالية على يمنة السالك من شارع الجمالية إلى المشهد الحسينى خلف قرة قول الجمالية قرب جامع بيبرس الجاشنكير، وقد عملها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب خانقاة للصوفية سنة (٥٦٩هـ) وأن بها أربعة ألونة وعدة خلاو للصوفية تحتها قبو دفن فيه بعض صوفيتها، وقد تغيرت بعض مبانيها الأصلية وجعل بها منبرا وخطبة وهى عامرة إلى الآن (أى إلى عصره في القرن (١٣هـ/ ١٩م) وتعرف بجامع الخانقاة وبسعيد السعداء وخطها يعرف بخط الجمالية ثم أضاف أنه لما جدد الأمير يلبغا السالمى الجامع الأقمر وعمل له منبرا وأقيمت فيه الجمعة، ألزم صوفية هذه الخانقاة أن يصلوا الجمعة به، فلما زالت أيامه تركوا ذلك ولم يعودوا الى الاجتماع بالجامع الحاكمى أيضا(٨).

وقد حدث نفس التضارب الذى ذكره السيوطى بالنسبة لتاريخ هذه الخانقاة فيما ورد عنها في بعض المراجع العربية الحديثة فجاء في بعض هذه المراجع أنها بنيت سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) مرة، وسنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) مرة أخرى(٩)، وهذا يعنى أنه أخذ بكل من تاريخى المقريزى والسيوطى دون الوقوف بجانب أى منهما، وجاء في بعضها الثانى أنها بنيت سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م)(١٠).

ولم يكتف صلاح الدين بخانقاته التى أنشأها للصوفية بالقاهرة، بل أنشأ خانقاة أخرى بالقدس ورد ذكرها في غير واحد من المصادر العربية، فيذكر ابن حجر العسقلانى في القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) في ترجمة محمد بن على بن عبد الرحمن بن عمر المقدسى أنه كان خادم الخانقاة الصلاحية بالقدس ومات في رمضان سنة (٧٥٧هـ)(١١)، ويؤيد القلقشندى في نفس التاريخ أن مشيخة الخانقاة الصلاحية بالقدس كانت من الوظائف السنية الهامة وكان شيخها من أرباب الوظائف الدينية(١٢). ويشير القاضى مجير الدين الحنبلى في القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) إلى أن المدرسة الصلاحية بباب الأسباط كانت كنيسة رومية تعرف بقبر حنة (نسبة إلى

حنة أم مريم عليها السلام) ثم وقفها الملك صلاح الدين على الصوفية وجعل وظيفة مشيختها من الوظائف السنية بمملكة الإسلام إلا أنه ذكر لذلك تاريخين مختلفين أحدهما فى رمضان سنة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) والآخر فى رجب سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م) [١٣].

أما ما ورد عن هذه الخانقاة فى بعض المراجع العربية التى خصصت لمدارس بيت المقدس فهو كثير ويشتمل على تحديد موقعها وذكر طرف من تاريخها مع عرض لوضعها وحديث عن بعض مشايخها ووظائفها والتوقيع بها، ويفهم من هذا كله أنها كانت تلاصق كنيسة القيامة وأن بعضها كان راكبا على هذه الكنيسة، وكانت عبارة عن معهدين علميين يشتملان على مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للصلحاء الصوفية، أوقف صلاح الدين عليهما أوقافا كثيرة، وكانت هذه الخانقاة هى أول خانقاة أنشئت فى بيت المقدس بعد تحريره، وقد اشتغل أهلها بالعلم والخطابة ونظم الشعر ونسخ الكتب والاشتغال بالقضاء والتوقيت بالأقصى وغير ذلك[١٤].

هذا بالإضافة إلى أن شيخ هذه الخانقاة كان يعين بتوقيع يصدر عن السلطان، يؤيد ذلك ما أشار اليه مجير الدين الحنبلى من أن خطيبها محب الدين بن جماعة ولى نصف مشيختها مشاركا وقد كتب له توقيع شريف بذلك[١٥]، وأضاف القلقشندى أن توقيع مشيخة الخانقاة الصلاحية بالقدس كان يكتب فى قطع الثلث مفتتحا بالحمد لله[١٦] وكان من عادة مثل هذا التوقيع أن يتضمن التحميد والإشادة بالأولياء وشكر الحق والشهادة والصلاة على الرسول (ﷺ)، ثم يشير التوقيع إلى جدارة الشيخ الذى يتولى مشيخة الخاناة فى قدره ومعرفته وتقواه، ويبين التوقيع أن على الشيخ الدعاء بدوام أيام السلطان، وأن يبسط يده فى عمل المصالح، ويستمر على السعى الحسن والعمل الصالح، وأن يوفر لهم (أى للصوفية) الأقوات، وهو ما يوضح أن هذا الشيخ كان عليه أن يعنى بالعلم من ناحية وبتوفير بعض المتطلبات الحياتية للصوفية من ناحية أخرى، وكان من مشايخ هذه الخانقاة غانم بن على الأنصارى المقدسى المتوفى (٥٩٢هـ/ ٦٣٢هـ) وجلال الدين بن جماعة المتوفى (٧٩٧هـ) وغيرهما[١٧].

٢ – أوقاف الخانقاة:

الواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية وردت فى كثير من المصادر العربية يوضح بما لا يدع

مجالا للشك فى مدى ما كانت تتمتع به هذه الخانقاة من أوقاف واسعة تتفق مع أهميتها التاريخية والعلمية مما أوقفه عليها واقفها الأصلى أو أوقفه غيره من ذوى الأموال الواسعة والثراء العريض.

وقد أشار ابن الجيعان فى القرن (٨هـ / ١٤م) إلى ست نواح كانت جارية فى أوقاف هذه الخانقاة هى:

١ – أبو رويش:

من الأعمال الجيزية مساحتها (٥٨٠) فدانا وعبرتها (٣٠٠٠) دينار كانت فى الأملاك الشريفة ثم صارت فى القرن (٨هـ/ ١٤م) وقفا على الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء ووقف الزينى عبد الباسط(١٨).

٢ – أبو فار :

من الأعمال الجيزية أيضا مساحتها (٢٣٠) فدانا وعبرتها (١٢٠٠) دينار كانت وقفا خاصا للخانقاة الصلاحية(١٩).

٣ – الأعلام :

من الأعمال الفيومية، كانت الحقوق الواجبة عليها (٢٨١) دينارا للمقطعين ووقف المدرسة الصلاحية(٢٠).

٤ – أبو كعب :

من الأعمال البهنساوية مساحتها (٧٨٨) فدانا وعبرتها (٣٠٠٠) دينارا كانت باسم المقطعين ثم صارت فى القرن (٨ هـ/ ١٤م) وقفا للخانقاة الصلاحية سعيد السعداء(٢١).

٥ – دهمرو :

من الأعمال البهنساوية أيضا وقد جاء أنها كانت وقفا على الخانقاة الصلاحية ولم يرد لمساحتها ولا لعبرتها ذكر(٢٢).

٦ – ميانة سلقوس :

من الأعمال البهنساوية أيضا، مساحتها (٢٢٥٠) فدانا بها رزق (٣٠) فدان وعبرتها (٣٠٠٠) دينار كانت باسم الأمير أبى بكر طاز ثم صارت فى القرن (٨هـ/ ١٤م) وقفا على الخانقاة الصلاحية[٢٣].

ويضيف المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) أن صاحبها أوقف على صوفيتها بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج العاصمة وقيسارية الشراب بالقاهرة بالإضافة الى ناحية دهمرو من البهنساوية وهى الناحية التى أشار اليها ابن الجيعان غير أنه زاد على ما ذكره ابن الجيعان بقوله أن هذه الناحية كانت قد شرقت على عهد الظاهر برقوق سنة تسع وتسعين (وثمانمائة) لقصور ماء النيل فوقع العزم على غلق مطبخ الخانقاة وإبطال الطعام، فلم تحتمل الصوفية ذلك وتكررت شكواهم للملك الظاهر (برقوق) الذى ولى الأمير يلبغا السالمى نظر الخانقاة وأمره أن يعمل بشرط الواقف[٢٤].

وقد أكد ابن دقماق فى القرن (٩هـ/ ١٥م) ما ذكره ابن الجيعان من وقف ناحيتى دهمرو وابى رويش على مصالح الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء إلا أنه لم يوضح بالنسبة للناحية الأولى شيئا عن مساحتها أو عبرتها أو واقفها مشتركا فى ذلك مع ابن الجيعان[٢٥]، أما بالنسبة للناحية الثانية فقد أضاف أن الملك الأشرف شعبان هو الذى أوقفها على الخانقاة الصلاحية بعد السبعين وسبعمائة[٢٦].

وفى وقفية أخرى باسم أبى زكريا بن نفيس رئيس الأطباء فى مصر على عهد الظاهر برقوق ورد أن الواقف كان قد قرر أن يصرف نصف ربع وقفه بكماله على جماعة السادة الصوفية بالخانقاة المباركة الصلاحية سعيد السعداء الكائنة داخل القاهرة المحروسة بخط رحبة باب العيد، وأن يكون هذا الصرف للقاطنين بها والواردين عليها كما قرر إن تعذر صرف ما خصصه من هذا الوقف للبيمارستان المنصورى أن يحول للخانقاة المشار إليها ايضا[٢٧].

أما على باشا مبارك فقد أورد فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) عند حديثه عن أوقاف هذه الخانقاة أن صاحبها رتب بها درسا للشافعية، ووقف عليها عقارات ومزارع، ورتب لشيخ التدريس

بها فى الشهر أربعين دينارا معاملة صرف الدينار ثلاثة عشر درهما وثلث غير الخبز والماء[٢٨].

وعلى عتب باب من قيسارية كانت فى دسوق بمصر السفلى طوله (٢ر١٢)متر محفوظ فى متحف الفن الاسلامى نجد نقشا كتابيا بخط النسخ يشتمل على أربعة أسطر طويلة نصها:

١ – العزة لله وحده.

٢ – اللهم ارحم الملك الناصر صلاح الدنيا والدين وأرض عنه الذى أنعم على الصوفية بهذه القيصرية (يقصد القيسارية) وأوقفها على بقعتهم التى تعرف بدار السعيد السعداء بمحروسة القاهرة.

٣ – مما أمر بهذا الباب الجديد والفتح السعيد سيد الملوك والعبيد عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين عضد الدولة القاهرة تاج الملة الزاهرة نظام العالم فلك.

٤ – المعالى الملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب ظهير أمير المؤمنين خلد الله ملكه فى تاريخ ربيع الأول سنة أربع وتسعين وخمسمائة وصلى الله على محمد وآله وأصحابه أجمعين[٢٩].

ويؤكد هذا النص أن القيسارية المشار اليها كانت قد أوقفت على صوفية الخانقاة التى بين أيدينا، والذى أوقفها هو السلطان الناصر صلاح الدين، وأن أخاه العزيز عثمان كان قد أمر بعمل باب جديد لها ونقش النص المشار اليه على عتب هذا الباب الذى لولاه لما عرفنا عن هذا الوقف شيئا.

وأخيرا يشير ابن حجر فى الدرر الكامنة إلى وقف غير محدد لهذه الخانقاة أوقفه صدقة بن الشرابيشى، وكان كما وصفه من رؤساء القاهرة ذوى الأموال الواسعة كثير المعروف، وقف على الخانقاة السعيدية وقفا وعلى الجامع الأزهر غير ذلك، مات فى شوال سنة (٧٤٥هـ)[٣٠].

ولو أردنا أن نعرف قدر المتحصلات السنوية لأوقاف هذه الخانقاة التى ذكرتها المصادر

والمراجع تحديدا – باستثناء ما لم تحدد عبرته منها – لوجدنا أن ما ذكره ابن الجيعان ينحصر فيما يلى :

مسلسل	جهة الوقف	مساحة الوقف بالفدان	عبرته بالدينار
١	أبو رويش	٥٨٠	٣٠٠٠
٢	أبو فار	٢٣٠	١٢٠٠
٣	الأعلام	–	٠٢٨١
٤	أبو كمب	٧٨٨	٣٠٠٠
٥	دهمرو	لم تحدد	لم تحدد
٦	ميانة سلقوس	٢٥٠	٣٠٠٠
	المجموع	١٨٤٨	١٠٤٨١

أما ما أوقف على هذه الخانقاة ولم يحدد له ريع مما ذكره ابن الجيعان وغيره من المؤرخين والباحثين فهو كما ذكر ابن الجيعان ناحية دهمرو وكما ذكر المقريزى بستان الحبانية وقيسارية القاهرة، وكما ورد فى جامع الكتابات العربية قيسارية دسوق، ولو جاز لنا أن نقدم لكل واحدة منها ألف دينار سنويا فقط لكانت جملة متحصلات هذه الأوقاف أربعة آلاف دينار، إذا أضفناها إلى جملة الأوقاف التى ذكرها ابن الجيعان محددة العبرة فيما سبقت الإشارة إليه لاتضح لنا أن جملة متحصلات أوقاف هذه الخانقاة (مما حددت عبرته ومما لم تحدد له عبره) كانت تبلغ أربعة عشر ألفا وأربعمائة وواحد وثمانين دينارا.

٣ – منشىء الخانقاة :

مما لا شك فيه أن منشئ هذه الخانقاة – مهما حاولنا أن نتحدث عنه فى هذه الترجمة المختصرة – هو علم على أعلام التاريخ الإسلامى قاطبة لا يدانيه فى شرف الجهاد سلطان ولا

يسمو إليه فى حسن السيرة ملك، وقد تحدثت عنه باسهاب بالغ كل المصادر والمراجع العربية وغير العربية التى تعرضت لسيرته الشخصية أو لسيرة الدولة الأيوبية وتاريخها.

يقول ابن خلكان فى القرن (٧هـ / ١٣م) أن أصله كردى دَوَدِىٌ من دوين وهى بلدة فى آخر عمل أذربيجان ولد فيها أبوه نجم الدين وعمه أسد الدين ثم نزح بهما جده شادى إلى بغداد وأقام فى تكريت حيث ولد صلاح الدين فى قلعتها سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة فى وجود أبيه وعمه، فلما ملك نور الدين محمود بن زنكى دمشق لازم خدمته أسد الدين شيركوه وأخوه نجم الدين وولده صلاح الدين الذى ما لبث أن تجهز للسير مع عمه شيركوه وجيشه إلى مصر، فدخلوها فى ثانى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقتل شاور فأرسلت خلعة الوزارة لأسد الدين شيركوه فلبسها ودخل القصر فى سابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة، وظل صلاح الدين مقررا لأمور الدولة مع عمه أسد الدين إلى أن توفى لسبع بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة (٥٦٤هـ) فاستقرت الأمور من بعده لابن أخيه صلاح الدين.

وفى المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة قطع صلاح الدين خطبة العاضد صاحب مصر بعد وفاته يوم عاشوراء واستولى على قصره وخطب للمستضئ بأمر الله العباسى ورتب بهاء الدين قراقوش لخدمته، ولما علم نور الدين بذلك سير إليه الخلع الكاملة والأعلام السود لتنصب على المنابر، لتعود مصر إلى الحظيرة السنية بعد أن ظلت قرابة قرنين من الزمان فى الحظيرة الشيعية.

ولم يزل صلاح الدين على نهج العدل ونشر الإحسان بين الرعية إلى أن كانت سنة ثمان وستين وخمسمائة فخرج بعساكره يريد الكرك والشوبك بعد أن تغلب على فتنة آل الكنز بأسوان، وتوفى بعد ذلك نور الدين فخلفه ولده الصالح إسماعيل الذى لم يكن أهلا لخلافته فاختلت أحوال الشام فتجهز صلاح الدين بجيشه من مصر وقصد دمشق فدخلها بالتسليم فى ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة، وحفلت حياته بعد ذلك بكثير من الكفاح المشرف الذى جمع شمل الأمة وحرر بيت المقدس، ثم كانت وفاته بعد هذه الحياة الحافلة التى ملأت بطون المصادر والمراجع فى ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ودفن بمقابر الشهداء بباب الصغير فى دمشق، ولم يخلف من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهما ناصرية، وكان رحمه الله كثير

التواضع واللطف قريبا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة، وكان يحب أهل العلم وأهل الخير ويقربهم ويحسن إليهم وكان يميل إلى الفضائل ويستحسن الأشعار الجيدة[٣١].

ويقول ابن تغرى بردى فى ترجمته لصلاح الدين فى القرن (٩هـ/ ١٥م) بشكل أكثر توضيحا من ابن خلكان أنه هو السلطان الملك الناصر ابو المظفر صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى الذى خدم بهروز الخادم فاستنابه بقلعة تكريت، وكانت بداية أمر بنى أيوب أن نجم الدين وأخاه أسد الدين شيركوه هما من الأفراد الدُّوَادية، قدما إلى العراق وخدما مجاهد الدين بهروز الخادم الذى رأى من نجم الدين رأيا وعقلا فولاه دزدارا بتكريت (أى ماسك القلعة) فأقام نجم الدين بها ومعه أخوه أسد الدين إلى أن انهزم الأتابك زنكى بن أقسنقر من الخليفة المسترشد بالله سنة (٥٢٦هـ/ ١١٣١م) ووصل إلى تكريت فأقام له نجم الدين المعابر على نهر دجلة وبالغ فى إكرامه فحمل له زنكى هذا الصنيع وما لبث أن وفاه لهما عندما ملك دمشق وجعلهما من أكابر أمرائه حتي أن جميع الأمراء كانوا إذا دخلوا على نور الدين لا يجلس أحد منهم حتى يأمره بالجلوس إلا نجم الدين الذى كان إذا وصل دخل وجلس من غير إذن.

ودام نجم الدين وأخوه أسد الدين عند نور الدين – كما يقول ابن تغرى بردى – فى حفاوة وتكريم إلى أن وقع من أمر شارو ما وقع، فتجهز أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية ثلاث مرات ومعه ابن أخيه صلاح الدين، حتى دخلها فى المرة الثالثة وقتل شارو وولى أسد الدين وزارة مصر ولقب بالملك المنصور إلا أنه مات بعد شهرين فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر وكان ذلك فى العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة، فاستولى صلاح الدين على الديار المصرية وأصلح أمورها[٣٢].

أما ابن إياس فقد ترجم فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) لصلاح الدين وقال أنه كان أول ملوك دولة الأكراد من بنى أيوب واتفق مع ما ذكره كل من ابن خلكان وابن تغرى بردى فى أصله الكردى وفى تاريخ ولادته فى قلعة تكريت سنة (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م) إلا أنه أضاف كثيرا مما تمتع به صلاح الدين من سيرة طيبة بين الرعية أهمها إسقاطه لكافة المكوس التى كانت قد فرضت على عهد الفاطميين وكتب بذلك مساميح بخط صاحب ديوان الإنشاء قرئت

على المنابر، بالإضافة إلى ذكره لقيامه ببناء سور القاهرة بالحجر الفص النحيت بدلا من السور اللبني القديم الذى كان قد بناه جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله بعد بناء القاهرة وكان الشاد على عمارته هو وزيره الخصى الحبشي بهاء الدين قراقوش، وجعل على هذا السور أبوابا مصفحة بالحديد عدتها خمسة عشر بابا يضاف الى ذلك شروعه فى بناء قلعة الجبل لكى تكون دار المملكه، إلا أنه مات قبل أن يكتمل بناء هذه القلعة فأتمها من بعده ابن أخيه الملك الكامل محمد الذى كان أول من سكنها من الأيوبيين، وكان لصلاح الدين – طبقا لما أشار اليه ابن إياس – كثير من أيادى الخير، فهو أول من قرر الخدام الخصيان بالمدينة المنورة، وأوقف نقادة وقبالة من أعمال الصعيد على هذه المدينة، وأنشأ كثيرا من أماكن القرب والمبرات أهمها خانقاة سعيد السعداء قرب باب النصر، والمدرسة السيوفية قرب باب الزهومة، والمارستان عند دار الضرب القديمة، والمدرسة المجاورة للإمام الشافعى، والمدرسة الصلاحية بالقدس وكانت وفاته بالشام فى السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة وله من العمر إحدى وسبعين سنة ودفن رحمه الله بمدرسة مجاهد الدين بدمشق[٣٣].

وبذلك يتضح أن هناك فارقا زمنيا قدره تسع سنين بين ما ذكره عن تاريخ وفاته كل من ابن خلكان من ناحية وابن إياس وابن ظهيرة وغيرهما من ناحية أخرى، وكانت وفاته – كما يقول الجبرتى فى القرنين (١٢ – ١٣هـ/ ١٨ – ١٩م) بعد أن عمل من جلائل الأعمال الكثير فبذل لله همته وأعمل حيلته وأخذ فى إعلاء السنة وإخفاء البدعة، وتطهير البلاد من التشيع والعقائد الفاسدة، وإظهار عقائد أهل السنة والجماعة، وواصل الجهاد وأخذ فى استخلاص ما تغلب عليه الكفار من السواحل وبيت المقدس بعد ما ظل فى يدهم قرابة احدى وتسعين سنة[٣٤].

وفى تاريخ مختصر الدول أن نور الدين كان يكاتبه بالأمير الإسفهسلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيما له من أن يكتب إسمه، واستمال صلاح الدين قلوب الناس فأحبوه، وكان حكيما كريما حسن الأخلاق، متواضعا صبورا على ما يكره، كثيرا التغافل عن ذنوب أصحابه، ويكفى دليلا على كرمه أنه لما مات لم يخلف فى خزانته غير دينار واحد صورى وأربعين درهما ناصرية[٣٥].

٤ – موظفو الخانقاة:

الواقع أن المصادر العربية التى صنفها المؤرخون أمثال ابن حجر والعسقلانى والمقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى والسخاوى وغيرهم قد أمدتنا بكثير من المعلومات الهامة فيما يتعلق بوظائف خانقاوات القاهرة بصفة عامة من خلال التراجم المختلفة التى أوردتها، وقد أمكن تقسيم وظائف هذه الخانقاة – من واقع ما أتاحته لنا كتب التراجم – إلى قسمين أساسيين:

أولهما قسم الوظائف الدينية ويشمل:

١ – شيخ الخانقاة.

٢ – مدرسو الخانقاة.

٣ – امام الخانقاة.

٤ – ناظر وقف الخانقاة.

٥ – صوفية الخانقاة.

٦ – نزلاء الخانقاة ودفناؤها.

وثانيهما قسم الوظائف الخدمية ويشمل:

١ – كاتب الغيبة.

٢ – شاهد الشونة.

٣ – شاهد المخبز.

٤ – المزملاتى.

٥ – الطباخ.

٦ - مقدم النعال.

وفيما يلى عرض لبعض الشخصيات التى وليت هذه الوظائف جميعا:

أ - الوظائف الدينية:

شملت وظائف هذه الخانقاة الدينية - طبقا لما بين أيدينا من معلومات أمدنا بها كل من المقريزى وابن حجر فى القرنين (٨ - ٩هـ/ ١٤ - ١٥م) وكل من ابن تغرى بردى وابن الصيرفى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) وكل من السخاوى والسيوطى فى القرنين (٩ - ١٠هـ/ ١٥ - ١٦م) وغيرهم: شيخ الخانقاة ومدرسيها وإمامها وناظر وقفها وصوفيتها ونزلائها ودفنائها، نذكر منهم ما يلى:

١ - شيخ الخانقاة:

يقول المقريزى وولى مشيختها (أى مشيخة الخانقاة الصلاحية) الأكابر والأعيان كأولاد شيخ الشيوخ ابن حموية مع ما كان لهم من الوزارة والإمارة وتدبير الدولة وقيادة الجيوش وتقدمة العساكر ووليها ذو الرياستين الوزير الصاحب قاضى القضاء تقى الدين عبد الرحمن بن ذى الرياستين الوزير الصاحب قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز وجماعة من الأعيان(٣٦).

وقد أمدنا ابن حجر العسقلانى وابن تغرى بردى والسيوطى والسخاوى بكثير من تراجم من تولوا مشيخة هذه الخانقاة، وكان ممن ذكرهم ابن حجر فى القرنين (٨ - ٩هـ/ ١٤ - ١٥م) عبد الكريم بن الحسين بن عبد الله الآملى الطبرى كريم الدين أبو القاسم تعانى الاشتغال بالتصوف وقام عليه الصوفية مرة فأثبتوا فسقه من ستة عشر وجها فأخرج من الخانقاة واستقر ابن جماعة عوضا عنه، مات فى شوال سنة (٧١٠هـ)(٣٧)، ومحمد بن مسعود الغزى الصوفى كان المنصور لاجين يعظمه حتى مات فى أول جمادى الآخرة سنة (٧١٠هـ)(٣٨)، ومحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن التقجواى الذى مات فى حادى عشر المحرم سنة (٧٣٨هـ)(٣٩)، وعمر الصفدى سراج الدين الذى انتقل من صفد إلى القاهرة وتنقلت به الأحوال حتى ولى مشيخة هذه الخانقاة الى أن مات بالطاعون سنة (٧٤٩هـ)(٤٠)، وعلى بن اسماعيل بن يوسف القونوى علاء الدين

الفقيه الشافعى الذى ولد بقونية سنة(٧٦٨هـ) وقدم دمشق سنة (٧٩٣هـ) فدرس بالإقبالية ثم قدم القاهرة فولى مشيخة سعيد السعداء وتقدم فى معرفة التفسير والفقه والأصول والتصوف وأقام على قدم واحد ثلاثين سنة وكان الناصر يعظمه ويثنى عليه وكذا أرغون النائب[٤١]. والحسن بن على بن اسماعيل بن يوسف القونوى الأصل الذى ولد بالقاهرة سنة (٧٢١هـ) فدرس واشتغل وأخذ عن أبيه وغيره حتى أذن له بالتدريس والإفتاء فولى مشيخة الخانقاة التى بين أيدينا إلى أن مات فى شعبان سنة (٧٧٦هـ)[٤٢].

أما من ذكرهم ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) من مشايخ هذه الخانقاة فمنهم ابراهيم بن موسى بن ايوب الشيخ الإمام العلامة برهان الدين الأبناسى الشافعى الذى ولد سنة (٧٢٥هـ) وتفقه بالشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسنائى والشيخ ولى الدين الملوى وتصدى للإفتاء والتدريس عدة سنين وانتفع به كثير من الطلبة قبل أن يلى مشيخة سعيد السعداء[٤٣]، ومنهم أحمد بن محمد بن صلاح قاضى القضاة شهاب الدين المعروف بابن المحمرة كان مولده خارج القاهرة فى صفر سنة (٧٦٩هـ)، طلب العلم وبرع فى الفقه والأصول والعربية وأفتى ودرس وناب فى الحكم سنين ثم تنزه عن ذلك وولى مشيخة خانقاة سعيد السعداء مدة طويلة إلى أن توفى بالقدس فى ربيع الآخر سنة (٨٤٠هـ)[٤٤].

وممن ذكرهم ابن الصيرفى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) أيضا محمد بن يحيى الشيخ الإمام العالم أبو السعادات بن شرف الدين يحيى المناوى الشافعى الذى ولى مشيخة الصلاحية وتدريسها، ولد بالقاهرة ونشأ بها فحفظ واشتغل على والده وغيره حتى برع فى الفقه والنحو والأصول ودرس وأفتى فى حياة والده إلى أن مرض أياما قليلة ومات فى سادس شوال سنة (٨٧٣هـ) ودفن بالقرافة[٤٥].

أما من ذكرهم السخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) من مشايخ هذه الخانقاة فكان منهم محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن قاسم الشهاب بن الشمس العثمانى البيرى الحلبى القاهرى ذكره السخاوى فى ترجمة ولده أحمد الذى عرف بابن أخى الجمال الأستادار قال «كان أبوه (محمد) شيخ سعيد السعداء مات يوم الإثنين ثانى عشر صفر

سنة تسع وخمسين (وثمانمائة)[٤٦]، ومنهم أحمد الشهاب القوصى ثم القاهرى الذى اشتغل بالتجارة ثم صحب التقوى البلقينى ثم الزين بن مزهر إلى أن ولى مباشرة تصوف الصلاحية حتى مات فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين (وثمانمائة)[٤٧]، ومنهم خالد بن أيوب بن خالد بن الزين المنوفى ثم القاهرى الشافعى الذى ولد بأبى المشط من جزيرة بنى نصر من الأعمال المنوفية وانتقل منها إلى منوف ثم قدم القاهرة فقطن بالجامع الأزهر وحج وولى مشيخة الصلاحية بعناية الشرف الأنصارى، مات فى شوال سنة سبعين (وثمانمائة) ودفن بتربة طشمتر (حمص أخضر)[٤٨]، ومنهم عبد الرحمن بن عنبر بن على بن احمد بن يعقوب الزينى العثمانى البوتيجى ثم القاهرى الشافعى الذى ولد سنة (٧٧٩هـ) بأبى تيج من الصعيد فقرأ وحفظ وسار على قانون السلف فيما كان باسمه من مشيخة الصلاحية وغيرها من الوظائف الجليلة إلى أن مات فى شوال سنة أربع وستين (وثمانمائة)[٤٩]، ومنهم عمر بن حسين بن حسن بن احمد بن على بن عبد الواحد بن خليل بن البدر العبادى الطنتدائى ثم القاهرى الشافعى الذى ولد سنة (٨٠٤هـ) بمنية عباد من الغربية ثم تحول منها الى طنتدا فأكمل بها دراسته ثم ولى إمامة الجمالية ومشيخة الصلاحية بعد التقى القلقشندى، مات فى ربيع الأول سنة خمس وثمانين (وثمانمائة)[٥٠]، ومنهم خضر الخادم الذى تولى مشيخة الصلاحية عشرة أيام فقط خلفا للشمس البلالى الذى أعيد إلى وظيفته مرة ثانية[٥١]، ومنهم عبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن على التقى بن القطب القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى الذى ولد بالقاهرة فى رجب سنة (٨١٧هـ) فدرس وحفظ واستقر فى مشيخة الخانقاة الصلاحية عقب الزين خالد المنوفى ببذل أربعمائة فأقل فيما قيل، مات فى شعبان سنة إحدى وسبعين (وثمانمائة)[٥٢]، وفى هذا ما يشير صراحة إلى أنه نال مشيخة هذه الخانقاة بالبذل (أى بالرشوة).

مدرسو الخانقاة:

يبدو – مما لدينا من معلومات أتاحتها لنا بعض المصادر العربية – أن هذه الخانقاة كانت مخصصة لدراسة المذهب الشافعى فقط لأن التراجم التى أفاض بها علينا كل من السيوطى والسخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) لم تخرج عن أصحاب هذا المذهب من ناحية ولأن ما ذكره القريزى بقوله أنها خلت من مدرس ثلاثين سنة واكتفى فيها بالمعيدين وهم

عشرة أنفس[٥٣]، ربما يخدم هذا الاستنباط لأنه أشار الى مدرسيها بصفة المفرد فقال «مدرس» ولم يقل «مدرسين» وهو ما يفهم منه ضمنا أن تدريسها كان لمذهب واحد يقوم به الفقيه الشافعي.

وقد ذكر السيوطي أن ممن تولوا تدريسها في حياة واقفها الشيخ نجم الدين الخبوشاني الذى جعل له السلطان نظارة أوقاف الخانقاة إلى جانب التدريس فيها وشرط له من المعلوم في كل شهر أربعين دينارا عن التدريس وعشرة دنانير عن النظر، ورتب له من الخبز كل يوم ستين رطلا بالمصرى وراويتين من ماء النيل[٥٤]، وشيخ الشيوخ صدر الدين أبو المحاسن محمد بن حموية الجويني الذى قرر له نفس المعلوم، وفي موضع آخر من نفس المصدر أحصى السيوطي عددا كبيرا من شيوخ هذه الخانقاة نذكر منهم تقي الدين بن رزين الذى ولي تدريسها سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) وقرر له نصف المعلوم المشار اليه، تقي الدين بن دقيق العيد بربع المعلوم، الصاحب برهان الدين الخضر السنجاري الذى أعيد له المعلوم المقرر في كتاب الوقف كاملا، كمال الدين احمد بن حموية الذى ظل بها حتى مات سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) فوليها ولده معين الدين حسني ثم قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز ثم عز الدين محمد بن الحارث بن مسكين ثم خاير الدين عبد الله بن أحمد بن منصور النسائي الذى وليها سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م) وظل بها إلى أن مات سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م)، ثم وليها مجد الدين حرمي بن قاسم بن يوسف الفاقوسي وظل بها إلى أن مات سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) ثم وليها شمس الدين ابن القماح ثم ضياء الدين محمد بن ابراهيم المناوي ثم شمس الدين بن اللبان ثم شمس الدين محمد بن احمد بن خطيب بيروت ثم بهاء الدين بن الشيخ تقي الدين السبكي ثم أخوه تاج الدين ثم ابن عمه قاضي القضاة أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكي ثم ولده بدر الدين محمد ثم البرهان بن جماعة ثم الشيخ سراج الدين البلقيني ثم قاضي القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى الكركي ثم شمس الدين البيرى أخو جمال الدين الأستادار الذى عزل عنها سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) لما نكب أخوه فوليها نور الدين علي بن عمر التلواني وظل بها إلى أن مات سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م) وكان أطول الشيوخ الذين مكثوا في تدريسها زمنا إلى أن وليها بعده فقيه زمانه تقي الدين القلقشندي الذى أعقبه ابن حجر الوناثي والقاياتي والسفطي والشرف المناوي والسراج الحمصي وكريم الدين الآملي وعلاء الدين القونوي ومجير الدين الأقصرائي وبرهان الدين الأبناسي وأخيرا السراج العبادي[٥٥].

أما من ذكرهم السخاوى ممن تولوا تدريس الشافعية بهذه الخانقاة فهم إبراهيم بن الحسن بن ابراهيم بن عبد الكريم برهان الدين العرابى المقدسى الشافعي الذى ولد سنة سبعين وسبعمائة ومات فى رجب ظنا سنة احدى وأربعين (وثمانمائة) بالقدس(٥٦). ومنهم ابراهيم بن موسى بن بلال بن عمران بن مسعود بن البرهان العدمانى الكركى ثم القاهرى الشافعى الذى ولد سنة خمس أو ست وسبعين وسبعمائة بالكرك فحفظ العمدة وألفية الحديث والنحو والمنهاج والشاطبية، ثم درس وأفتى وانتفع به جماعة فى القراءات والعربية، وقرأ عليه الجمال البدرانى صحيح البخارى سنة ست وعشرين بخانقاة سعيد السعداء، مات فى رمضان سنة ثلاث وخمسين (وثمانمائة)(٥٧). ومنهم شيخ السخاوى إمام الأئمة وعلامة عصره الشهب أبو الفضل الكنانى العسقلانى المصرى ثم القاهرى الشافعى المعروف بابن حجر الذى ولد فى ثانى عشرى شعبان سنة (٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) بمصر القديمة ونشأ بها يتيما فى كنف أحد أوصيائه فحفظ ودرس التفسير بالصلاحية ومات فى آواخر ذى الحجة سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) ودفن تجاه تربة الديلمى بالقرافة(٥٨).

ومنهم أحمد بن عيسى بن موسى بن سليم العامرى المقيرى (بلدة بالكرك) الشافعى الذى ولد فى شعبان سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) فحفظ واشتغل بالفقه وغيره وقدم مع أبيه بعد الأربعين من عمره فأبقى السلطان معه تدريس الفقه بالصلاحية والحديث بجامع ابن طولون وظل بهما حتى شغرت خطابة المسجد الأقصى وتدريس الصلاحية بالقدس فانتقل إليهما سنة إحدى (وثمانمائة) حتى مات فى نفس السنة وقيل انه ما تناول رشوة فى قضائه لا ببلده ولا بالديار المصرية(٥٩)، ومنهم أحمد بن محمد بن محمد بن عبيد ابو البركات بن أبى سعد بن القطان الذى اعتنى به أبوه فأقرأه القرآن وأسمعه الحديث، وكان ممن سمع على السخاوى إلى أن خلف والده فى سعيد السعداء وغيرها(٦٠)، ومنهم على بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن القطب القرشى القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى الذى ولد سنة (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م) بالقاهرة ونشأ فى كنف أبيه فحفظ القرآن وأخذ عن ابن الملقن والبلقينى والبرماوى وغيرهم إلى أن استقر به الدوادار الكبير تغرى بردى فى مشيخة مدرسته التى أنشأها بالصليبة وبعنايته استقر فى تدريس الصلاحية ونظرها بعد وفاة التلوانى إلى أن أخذ منه هذا التدريس بالصلاحية لابن حجر العسقلانى فكثر تألمه ومات سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)(٦١).

٣ – إمام الخانقاة :

بعد هذه القائمة الطويلة بأسماء مدرسى هذه الخانقاة نأتى إلى ذكر إمامتها، وقد أمدنا السخاوى بتراجم ثلاثة من هؤلاء الأئمة أولهم ابراهيم بن ابراهيم بن محمد عبد الله بن محمد بن مسعود القاهرى المولد والدار الذى عرف بابن سابق، ولد بعد الستين وثمانمائة، وحفظ القرآن وقرأ المنهاج وتشاغل بالأذان والوقيد ونحوهما بالمنكوتمرية حتى أخذ إمامتها وإمامة الصلاحية وغيرها بعد أبيه، وربما اشتغل بالخياطة وعمل حاسبا(٦٢)، وثانيهم أحمد بن عباس بن أحمد ابن عمر بن ناصر بن أحمد المناوى (نسبة الى منية مسود بالمنوفية) الأزهرى الشافعى الذى لم يذكر تاريخا لولادته ووفاته(٦٣)، وثالثهم أحمد بن محمد بن على الشهاب القاهرى الشافعى الذى عرف بابن شهيبة وبابن بيضون ثم عرف بالكتبى ولد سنة (٨٣٠هـ/ ١٣٢٩م) فحفظ واشتغل وتنزل فى الجهات إلى أن أم بسعيد السعداء ومات سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) ودفن بحوش الصوفية بنفس الخانقاة(٦٤).

٤ – ناظر وقف الخانقاة :

أمدنا المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) وكل من السيطوى والسخاوى فى القرنين (٩ –١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) بفيض من المعلومات الهامة المتعلقة بنظارة وقف هذه الخانقاة، فأشار لمقريزى إلى أن وقف هذه الخانقاة كان قد ساء أمره زمنا إلى أن ولى الأمير يلغبا السالمى نظرها فى جمادى الآخرة سنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م) فنزل إليها وأخرج كتاب الوقف للعمل بشرط الواقف فيه فقطع من الصوفية المنزلين بها عشرات ممن له منصب ومال، وزاد الفقراء المجردين من المقيمين بها فى كل يوم رغيفا فأصبح لكل منهم أبعة أرغفة بدلا من ثلاثة ورتب بالخانقاة وظيفتى ذكر بعد صلاة العشاء وصلاة الصبح، فكثر النكير عليه ممن أخرجهم حتى قال بعض أدباء العصر:

يا أهل خانقاة الصلاح أراكم ما بين شاك للزمان وشاتم

يكفيكم ما قد أكلتم باطلا من وقفها وخرجتم بالسالم

وكان سبب ولاية السالمى لنظر وقف هذه الخانقاة – كما يقول المقريزى – أن العادة كانت قد جرت على أن يتحدث الشيخ فى نظرها، فلما كانت أيام الظاهر برقوق ولى مشيختها الشيخ محمد البلالى الشامى إلى أن صار للأمير سودون فيه اعتقاد فاسند إليه النظر فى وقفها إلى جانب مشيختها إعانة له(٦٥)، ولكن السالمى عندما نزل إلى الخانقاة وتحدث فيها اجتمع بشيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى وأوقفه على كتاب الوقف فأفتاه بالعمل بشرط الواقف الذى شرط فيه أن هذه الخانقاة تكون وقفا على الطائفة الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة خارج مصر، علاوة على الصوفية القاطنين بالقاهرة والفسطاط، فإن لم يوجدوا كانت على الفقراء من الفقهاء الشافعية والمالكية الأشعرية الاعتقاد.

ثم جمع السالمى القضاة وشيخ الإسلام وسائر صوفية الخانقاة بها وقرأ عليهم كتاب الوقف، وسأل القضاة عن حكم الله فيه، فانتدب للكلام رجلان من صوفيتها هما زين الدين أبو بكر القمنى وشهاب الدين أحمد العبادى الحنفى وارتفعت الأصوات وكثر اللغط، فأشار القضاة على السالمى أن يعمل بشرط الواقف وأنصرفوا، فقطع منهم نحو الستين رجلا منهم المذكورين، فامتعض العبادى وغضب من ذلك وشنع فى أمر السالمى وبسط لسانه بالقول فيه فقبض عليه وقضى بتعزيره فى حضرة السلطان والقضاة والفقهاء، وخرج من القلعة ماشيا مكشوف الرأس إلى باب زويلة فسجن هناك بحبس الديلم ثم نقل منه إلى حبس الرحبة ثم استدعى إلى دار قاضى القضاة جمال الدين محمود القيصرى الحنفى وضرب أربعين عصا تحت رجليه ثم أعيد إلى الحبس إلى أن أفرج عنه بشفاعة شيخ الإسلام.

ثم لما جدد الأمير يلبغا السالمى الجامع الأقمر وعمل له منبرا وأقيمت فيه الخطبة فى شهر ربيع الأول سنة (٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) ألزم شيخ هذه الخانقاة وصوفيتها أن يصلوا الجمعة به، فتم له ذلك إلى أن زالت أيام السالمى فتركوا الاجتماع بالجامع الأقمر وعادوا إلى ما كانوا عليه من الاجتماع بالجامع الحاكمى ونسى ذلك(٦٦).

أما السيوطى فقد ذكر من نظار هذه الخانقاة فى القرن (٩ - ١٠هـ/ ١٥ - ١٦م) الشيخ نجم الدين الخبوشانى وقال - طبقا لما أشير اليه أنفا - أن السلطان الواقف كان قد جعل له التدريس والنظر فى آن واحد وشرط له من المعلوم فى كل شهر أربعين دينارا عن التدريس وعشرة دنانير عن نظر الوقف ورتب له من الخبز فى كل يوم ستين رطلا بالمصرى وراويتين من ماء النيل(٦٧).

وأخيرا يذكر السخاوى من هؤلاء النظار فى القرن (٩هـ/ ١٥م) خليل بن أحمد بن على بن غرس الدين السخاوى ثم القاهرى الذى صحب الشمس الحلاوى وكيل بيت المال وأحد خواص الظاهر جقمق قبل سلطنته، وصار خليل هذا يتردد مع الحلاوى إلى جقمق حتى استنابه فى نظر سعيد السعداء وقتا، مات بعد أن أسن فى جمادى الأولى سنة سبع وأربعين (وثمانمائة)(٦٨).

٥ - صوفية الخانقاة ودارسوها:

يقول المقريزى أن الشيخ أحمد بن على القصار رحمه الله كان قد أخبره أنه أدرك الناس فى يوم الجمعة يأتون من مصر (الفسطاط) إلى القاهرة ليشاهدوا صوفية خانقاة سعيد السعداء عندما يتوجهون منها إلى الصلاة بالجامع الحاكمى كى تحصل لهم البركة والخير بمساعدتهم، وكان لهم (أى للصوفية) فى هذا اليوم هيئة فاضلة، فيخرج شيخ الخانقاة منها وبين يديه خدام الربعة الشريفة قد حملت على رأس أكبرهم والصوفية مشاة بسكون إلى باب الجامع فيدخلون إلى مقصورة كانت هناك على يسرة الداخل من الباب المذكور تعرف بمقصورة البسملة لوجود بسملة نقشت عليها بحروف كبار، فيصلى الشيخ تحية المسجد تحت سحابة منصوبة له دائما وتصلى الجماعة ثم يجلسون وتفرق عليهم أجزاء الربعة فيقرأون القرآن حتى يؤذن المؤذنون، فتوخذ الأجزاء منهم ويشتغلون بالتركع واستماع الخطبة وهم منصتون خاشعون، فإذا قضيت الصلاة والدعاء بعدها قام قارئ من قراء الخانقاة ورفع صوته بقراءة ما تيسير من القرآن، ودعا للسلطان صلاح الدين ولواقف الجامع ولسائر المسلمين فإذا فرغ قام الشيخ من مصلاه وسار من الجامع إلى الخانقاة والصوفية معه كما كان توجههم فيكون هذا من أجمل عوائد القاهرة(٦٩).

وكان من شروط وقف هذه الخانقاة كما سبق القول أنها للواردين من خارج مصر والقاطنين بالقاهرة ومصر، فإن لم يوجدوا كانت للفقراء من فقهاء الشافعية والمالكية الأشعرية الاعتقاد، وأن من مات من صوفيتها وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء، ولا يتعرض لها الديوان السلطاني، ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره (أى تتم إعانته على سفره)، وبنى لهم حماما بجوارهم، لكل منهم فى اليوم ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة أرطال خبز، وقطعة لحم زنتها ثلث رطل فى مرق، وتعمل لهم الحلوى فى كل شهر، ويفرق عليهم الصابون ويعطى كل منهم فى السنة ثمن كسوة قدر أربعين درهما(٧٠).

وقد اختلف المؤرخون فى ذكر عدد الصوفية بهذه الخانقاة، فذكر المقريزى أنهم كانوا نحو الثلثمائة رجل(٧١) وقد نقل عنه ذلك على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ضمن ما نقله مما كان مخصصا لهؤلاء الصوفية من الجرايات النقدية والعينية من الخبزه واللحم والحلوى والصابون وثمن الكسوة ونحوها(٧٢)، إلا أن ابن ظهيرة فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) قد تعرض لشئ من هذا القبيل (فى معرض حديثه عن ذكر ما اختصت به مصر والقاهرة وأهلها من محاسن وفضائل وما شاركها فيه غيرها وهو قليل بالنسبة إليها على سبيل التفضيل نقلا عن شيخه العلامة شمس الدين القاياتى) فقال أن أهل خانقاة سعيد السعداء (أى صوفيتها يعمرون مدينة وقد بلغت عدة الصوفية بها على عهده سبعمائة نفر وأكثر(٧٣)، ويغلب على الظن أن عدد الصوفية بهذه الخانقاة كان قد زاد كثيرا على عهد ابن ظهرة فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) عنه فى عهد المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) وهو أمر لا غرابة فيه إذ من المعروف أن تقدم الزمن يستتبعه كثرة عدد الناس ومن ثم كثرة عدد الصوفية فيهم.

وقد أفاض علينا ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) بتراجم كثير من صوفية هذه الخانقاة نذكر منهم أحمد بن بركات شاه بن أبى الحسن شمس الدين أبو محمد الأقصرائى شيخ خانقاة بكتمر بالقرافة، الذى كان أول أمره صوفيا بالصلاحية مات فى سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)(٧٤)، ومنهم محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن أبى سالم داود بن أحمد بن غنائم الحلبى الذى ولد سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) وسمع من المحسنى ومن فاطمة بنت الملك المحسن وأجاز له جماعة وحدث بالقاهرة وولى ديوان الصدقات وتنزل بهذه الخانقاة إلى

أن مـات سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)[٧٥] ومنهم محمد بن اسماعيل ابن عبد العزيز بن عيسى بن أبى بكر بن أيوب بن شادى بن مروان ناصر الدين بن العادل بن عبد العزيز بن المعظم ابن العادل الأيوبى المعروف بابن الملوك الذى ولد سنة (٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) وحدث وتفرد وكان صوفيا بسعيد السعداء، مات بالقاهرة سنة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)[٧٦].

كذلك فقد ترك السخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) بعضا من تراجم صوفية هذه الخانقاة نذكر منهم أحمد بن على بن ابراهيم بن اسماعيل بن محمد الشهاب أبو محمد المناوى القاهرى الشافعى الذى ولد تقريبا سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) ومات سنة سبع وستين (٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م)[٧٧]، ومنهم أحمد بن على بن أبى بكر الشهاب الحسينى سكنا الترجمان ولد قبل سنة (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م) ومات حوالى سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)[٧٨] ومنهم أحمد بن عمر بن خليل الشهاب القاهرى الذى عرف بابن السكرى (حرفة أبيه) ممن اشتغل عند الزين زكريا البكرى ثم نزل للكمال الطويل ونحوه، وقد حج وتردد وعنده سكوت وأدب[٧٩]، ومنهم أحمد بن محمد أبن صدقة الشهاب المصرى القاهرى الشافعى الذى مات فى حدود سنة (٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م)[٨٠] ومنهم أحمد الشربينى ثم القاهرى نسخ بخطه أشياء سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م)[٨١].

ومنهم رمضان بن اسماعيل بن ابراهيم بن موسى الزين المنوفى ثم القاهرى الشافعى نزيل القراسنقرية، مات سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م) وكان خيرا مديما للتلاوة والعبادة[٨٢]، ومنهم عبد الرحمن بن ابراهيم بن سعيد العقبى القاهرى الشافعى مات سنة (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م)[٨٣]، ومنهم عبد الرحمن بن محمد بن على الزين السرورى المدينى الشافعى ممن قرأ على السخاوى فى النخبة واشتغل يسيرا وكان من صوفية هذه الخانقاة[٨٤].

أما الدارسون بهذه الخانقاة فقد أورد لنا ابن حجر العسقلانى تراجم بعضهم فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) ومنهم محمد بن عمر بن أبى القاسم نجم الدين بن أبى الطيب الشافعى كان عارفا بتراجم أهل عصره وباشر الوظائف الكبار ودرس بالصلاحية، كان مولده سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) ومات سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)[٨٥]، كما أورد لنا ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/

١٥م) منهم أحمد بن على بن حسن ابن إبراهيم شهاب الدين أبو الطيب المعروف بالحجازى الأنصارى المصرى الشافعى، ولد فى سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) وتفقه على الشيخ كمال الدين الدميرى وعلى الولى العراقى وغيرهما وسمع على أبى الحسن على بن أبى المجد بالخانقاة الصلاحية جميع صحيح البخارى بلافوت[٨٦].

٦ – نزلاء ودفناء الخانقاة:

كما أفاضت علينا المصادر العربية بتراجم كثير من شيوخ هذه الخانقاة وأئمتها ونظار وقفها، وكذا تراجم كثير من كتاب غيبتها وشهود شونتها ومخبزها وطباخيها ومزلاتيها ومقدمى نعالها، بالإضافة إلى تراجم كثير من صوفيتها ودارسيها، فقد أفاضت علينا هذه المصادر أيضا بتراجم كثير من نزلائها ودفنائها.

وقد ترجم لهولاء النزلاء والدفناء كل من ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) وابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) والسخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) والجبرتى فى القرنين (١٢ – ١٣هـ/ ١٨ – ١٩م) وغيرهم.

فذكر ابن حجر من تراجم نزلاء هذه الخانقاة أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطبرى ثم المكى حفيد الحافظ محب الدين الذى ولد سنة ٦٩٣٠هـ/ ١٢٩٣م) وكان صالحا فاضلا حدادا عاقلا، أقام بمصر فى خانقاة سعيد السعداء ورجع إلى مكة وانقطع بالمدينة من سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) إلى سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) فأقام بمكة إلى أن مات سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)[٨٧].

كما ذكر السخاوى من تراجم هؤلاء النزلاء إبراهيم بن أحمد بن على بن خلف بن عبد العزيز بن بدران برهان الدين أبو السعود بن الشهاب الطنتدائى الحسينى نزيل الشرابيشية، الشافعى سبط الشمس البوصيدى، ولد سنة (٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م)، وتنزل بالمدارس المختلفة وبالخانقاة الصلاحية حتى مات سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٦١م)[٨٨]، ومنهم إبراهيم بن حسن بن على الجراحى ثم القاهرى الشافعى نزيل الصلاحية وأحد صوفيتها ولد سنة (٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) وناب فى القضاء ببعض القرى[٨٩]، ومنهم إبراهيم بن على بن محمد بن عيسى البرهان بن العلاء الشامى

الأصل القاهرى الصحراوى الشافعى الذى عرف بالقطبى نسبة لأحد شيوخ والده، ولد سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م) وقرأ على العز بن عبد السلام البغدادى وتنزل فى صوفية سعيد السعداء وغيرها[٩٠]، ومنهم أحمد بن أحمد بن السُّنبل (وهو مكيال القمح بحمص) أبو العباس الحمصى الشافعى، اشتغل ببلده ومهر وولى قضاءها ثم قدم القاهرة وتنزل فى صوفية سعيد السعداء ثم سعى فى قضاء دمشق فوليه سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) إلى مات هناك سنة (٨١٦هـ/ ١٤١٣م)[٩١].

ومنهم أحمد بن عبد العزيز بن يوسف بن عبد الغفار بن وجيه بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الصمد بن الشهاب بن العز السنباطى الأصل القاهرى الشافعى تنزل فى الصلاحية والبيبرسية وغيرها[٩٢]، ومنهم أحمد بن محمد بن إسماعيل شهاب الدين السنباريب ثم السنيكى القاهرى الشافعى، قدم القاهرة فنزل فى صوفية الصلاحية وغيرها وتكسب بالشهادة وربما أم بالخانقاة، مات سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م)[٩٣]، ومنهم أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن أبى نصر محمد بن عرب شاه ابن أبى بكر الشهاب الدمشقى الأصلى الرومى الحنفى الذى لقيه السخاوى فى الخانقاة الصلاحية بالقاهرة سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)[٩٤].

ومنهم اسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن سعيد بن على الشيخ أبو السعود المنوفى الشافعى نزيل القاهرة، كان عالما صالحا تنزل فى سعيد السعداء ودرس وأفتى ونظم الشعر، ومات سنة (٨٢٠هـ/ ١٤١٧م)[٩٥]، ومنهم جار الله بن صالح بن أحمد بن عبد الكريم بن يحيى بن عبد الرحمن بن على بن الحسينى بن محمد بن شيبة الشيبانى الطبرى الأصلى المكى الحنفى، تردد إلى القاهرة مرارا وأدركه أجله بخانقاة سعيد السعداء سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م) ودفن بمقبرة صوفيتها[٩٦]، ومنهم الحسن بن أحمد بن حسن البدر العاملى القاهرى الشافعى نزيل سعيد السعداء، وأحد أئمتها ولد سنة (٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) بمنية عامل ثم قدم القاهرة فحفظ وأخذ ومات سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)[٩٧]، ومنهم حسن بن على بن أحمد البدر أبو على الدماطى الأزهرى الشافعى الضرير، قدم القاهرة من بلده دماط من الغربية فحفظ وأخذ ولازم وتنزل فى صوفية سعيد السعداء ومات سنة (٨٨١هـ/ ١٤٨٦م) ودفن بتربتها[٩٨]، ومنهم على بن زكريا بن أبى بكر بن يحيى نور الدين أبو محمد السهيلى ثم القاهرى الشافعى الذى عرف بالسهيلى ولد

سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م) بمنية سهيل من أعمال مصر، وقدم القاهرة فقرأ واشتغل وكثر اجتماعه بالسخاوى في الخانقاة الصلاحية وغيرها حتى مات سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)(٩٩).

أما الجبرتي في القرنين (١٢ – ١٣هـ/ ١٨ – ١٩م) فقد ذكر ممن مات سنة (١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م) من نزلاء هذه الخانقاة العلامة الفاضل المحدث الصوفي الشيخ أحمد بن جمعة البجيرمي الشافعي الذي انتفع به الناس كثيرا، كان يسكن في خانقاة سعيد السعداء مع حسن الأخلاق والانجماع وملازمة محله(١٠٠).

أما دفناء الخانقاة فقد ذكر لنا منهم كل من ابن تغرى بردى والسخاوى في القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) شيخ الشيوخ كريم الدين عبد الكريم بن الحسن بن أبي بكر الآملي(١٠١)، وأحمد بن محمد بن إبراهيم بن العلامة أحمد بن محمد بن إبراهيم بن العلامة أحمد بن محمد ابن الشهاب ابو المحاسن بن الشمس بن البرهان الخجندى المدنى الحنفي الذى ولد سنة (٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م) بالمدينة المنورة وحفظ القرآن والكنز وعرض على غير واحد ومات بالقاهرة سنة (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م) ودفن بحوش هذه الخانقاة(١٠٢)، وجعفر بن إبراهيم بن جعفر بن سليمان بن زهير أبو الفتح القرشي السنهورى القاهرى الأزهرى الشافعي المقرئ الذى ولد سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) بسنهور ثم تحول إلى القاهرة فنزل بالجامع الأزهر واشتغل وسمع ونزل في سعيد السعداء، ولم يزل متعللا حتى مات سنة (٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م) ودفن بحوش صوفية الخانقاة(١٠٣).

ب – الوظائف الخدمية :

تنحصر الوظائف الخدمية التي شملتها هذه الخانقاة طبقا لما لدينا من مادة تاريخية أمدنا بها السخاوى في القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) في كاتب الغيبة وشاهد الشونة وشاهد المخبز والمزملاتي والطباخ ومقدم النعل، وفيما يلي بعض تراجم هؤلاء :

١ – كاتب الغيبة :

ذكر لنا السخاوى من كتاب الغيبة في هذه الخانقاة على بن عبد الكريم بن صالح بن شهاب نور الدين الهيثمي ثم القاهرى الشافعي الذى تكسب بالشهادة وبكتابة الغيبة في سعيد

السعداء ومات فى ذى الحجة سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)[١٠٤].

٢ – شاهد الشونة:

نذكر من شاهدى شونة هذه الخانقاة ممن ذكرهم السخاوى على بن محمد بن إبراهيم بن حامد العلاء الصفدى الشافعى الذى ولد فى ذى القعدة سنة (٨٠٤هـ) بصفد ثم ارتحل عنها فى طلب العلم إلى دمشق، ثم جاء إلى القاهرة مجتهدا فى الاشتغال إلى أن ولى شهادة الشونة بسعيد السعداء ومات سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)[١٠٥].

٣ – شاهد الخبز:

أشار السخاوى من شاهدى مخبز هذه الخانقاة إلى أحمد بن محمد بن عثمان بن نصر بن عيسى الأموى القاهرى الشافعى الذى عرف بابن المحمرة (وهى أمه نسبت إلى التحمير من الحمره) وبابن السمسار (لكون أبيه كان سمسارا من سماسرة الغلال بساحل بولاق) وبابن الصلاح (لقب أبيه وجده وبابن البحلاق ولكنه بالأول أشهر، ولد فى صفر سنة (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م) بالمقس فحفظ وقرأ وأخذ إلى أن باشر شهادة الخبز بالصلاحية، ومات فى ربيع الآخر سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)[١٠٦].

٤ – المزملاتى:

من المزملاتية الذين باشروا تسبيل الماء بمزملة هذه الخانقاة طبقا لما ذكره السخاوى عبد الرازق بن حسن الدنجيهى ثم القاهرى الشافعى، كان أحد صوفية سعيد السعداء وصلحائها، حفظ القرآن والمنهاج ولازم درس البلقينى وتولى سقى الصوفية بالمزملة حتى مات فى رمضان سنة (٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م)[١٠٧].

٥ – الطباخ:

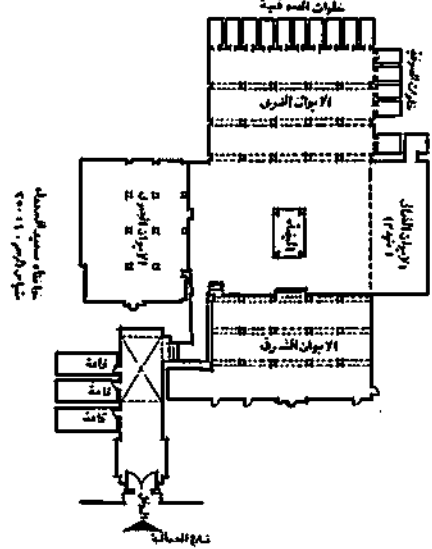
أشار السخاوى من طباخى هذه الخانقاة إلى محمد بن عمر بن محمد الشيرازى شمس الدين أبو الجد، سمع من حسن الكردى وابن السماك والعلم بن دراده وزاهدة بنت الظاهرى

وغيرهم وكان طباخا بالخانقاة الصلاحية سعيد السعداء حتى مات سنة (٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م)[١٠٨].

٦ – مقدم النعال :

وآخر من أمكن الوقوف عليهم من مقدمى النعال بهذه الخانقاة ممن ذكرهم السخاوى على بن موسى بن هرون أبو الحسن الزيات المقرى الذى عرف بابن الزيات كان خيرا نيرا من صوفية سعيد السعداء يتولى تقديم نعالهم كل يوم غالبا، وربما فعل بصوفية البيبرسية ذلك، مات فى آخر سنة (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)[١٠٩].

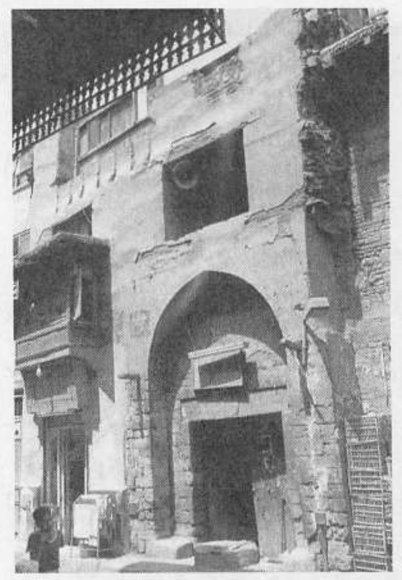
٥ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة ١:)



لوحة ١ : الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء
أثر رقم ٤٨٠ (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) – مسقط أفقى.

تقع هذه الخانقاة بشارع الجمالية فى الحى المعروف بذات الإسم، وكانت فى الأصل دارا تعرف بدار سعيد السعداء أحد الأستاذين المحنكين على أيام الخليفة الفاطمى المستنصر بالله، ثم سكنها الصالح طلائع بن رزيك بعد أن عمل سردابا يوصل بينها وبين دار الوزارة، ثم سكنها من بعده الوزير شاور ثم ابنه الكامل، وأخيرا لما تولى صلاح الدين ملك مصر جعلها خانقاة باسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد، وكان ذلك فى سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، وتتكون هذه الخانقاة عامة من مدخل بسيط يؤدى إلى صحن كبير مكشوف تتعامد عليه أربعة إيوانات وبعض خلاوى أشبه بالحواصل فى إيوانها الشمالى الغربى وفيما يلى وصف أثرى لأجزائها المعمارية.

الواجهة الرئيسية : (أنظر شكل : ١)



شكل ١ – الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) أثر رقم ٤٨٠ (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) – الواجهة والمدخل

الواقع أنه لم يبق من واجهات هذه الخانقاة إلا الواجهة الشرقية وطولها (٢٦)مترا، وقد ضاعت معظم هذه الواجهة أيضا ولم يبق منها إلا المدخل ويقع داخل دخلة عمقها(٥٠ر)م تكتنفها مكسلتان حجريتان مستطيلتان طول كل منهما (٥٠ر)م وارتفاعها (٤٥ر)م يعلوها عقد مدبب.

المدخل الرئيسى :

عرض المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة (٢) متر وعمقه (٥٠ر)م وارتفاعه (٥)م يعلوه عتب حجرى خالى من الزخارف وله طاقية على هيئة عقد مدبب كانت تعلوه نافذة مستطيلة ضاع ما كان فيها من نحاس أو أخشاب، وعلى يسار المدخل توجد مشربية من خشب الخرط تغطيها دروة خشبية من أعلى.

دركاة المدخل :

يفضى المدخل المشار إليه إلى دركاة مستطيلة طولها (٣٤)م وعرضها (٤) متر يغطيها سقف من عروق خشبية مجددة فى ناحيتها الجنوبية مشربية تقوم على خمسة كوابيل خشبية تعلوها دروة خالية تماما من الزخارف، وبصدر هذه الدركاة فتحة عرضها (٥٢ر)م تعلوها مشربية تشبه المشربية الموجودة فى الجدار الجنوبى للدركاة.

الممر المنكسر المؤدى إلى الصحن :

من الفتحة الواقعة بصدر الدركاة يدخل إلى ممر مستطيل طوله (١١ر٣٠) متر وعرضه (٢ر٤٠) متر كان يغطيه سقف من عروق خشبية على يساره فتحة باب عرضها (٩٥ر)م ذات عقد نصف دائرى تعلوه نافذة مستطيلة بها مصبعات خشبية، ويؤدى هذا الباب إلى حجرة مستطيلة

يغطيها سقف مجدد، فى جدارها الجنوبى فتحة عرضها (١,٨٥) متر مسدودة بقوالب من الطوب الأحمر الحديث، وعلى مسافة (٢,٢٠) متر من هذا الباب يوجد باب ثان يشبه الباب الأول تماما بشكله وبنافذته المستطيلة التى تعلوه، ويؤدى هذا المدخل أيضا إلى حجرة مستطيلة ثانية يغطيها سقف من عروق خشبية مجددة، وعلى مسافة (٥٥,٠)م من هذا الباب الثانى يوجد باب ثالث يشبه البابين السابقين بتكوينهما المعمارى وبما يعلوهما من نافذتين مستطيلتين يؤدى إلى حاصل مستطيل الشكل يغطيه سقف من عروق خشبية مجددة.

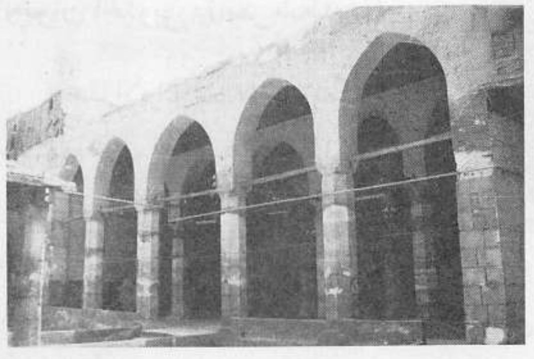
أما الجزء الغربى من هذا الممر فغير مسقوف وفى جداره الجنوبى مشربية ثالثة تشبه المشربيتين المشار إليهما فى جدارى الدركاة الغربى والجنوبى، وفى نهاية الجدار الشمالى توجد فتحة عرضها (٢,٤٠) متر ذات عقد نصف دائرى تؤدى إلى سلم هابط يتكون من ست درجات، على يساره دخله عرضها (١,٤٠) متر وعمقها (١,١٠) متر ذات عقد نصف دائرى، ويغطى هذا الانكسار الثانى لممر المدخل سقف من عروق خشبية مجددة.

صحن الخانقاة :

يؤدى السلم المشار إليه إلى الانكسار الثالث للممر سالف الذكر، وهو خال من أية فتحات، ويغطيه سقف خشبى مجدد أيضا، جداره الغربى مفتوح بفتحة عرضها (٢) متر يفضى إلى صحن المدرسة وهو مستطيل الشكل طوله (٢٣,٥٠) متر وعرضه (١٤,٩٠)متر، وهو صحن متخرب أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى، ويتوسط هذا الصحن سقيفة محمولة على أربعة أعمدة حجرية تشبه أعمدة واجهتى إيوان القبلة والإيوان الغربى المطلتان على الصحن، يغلب على الظن أنها كانت فسقية للوضوء.

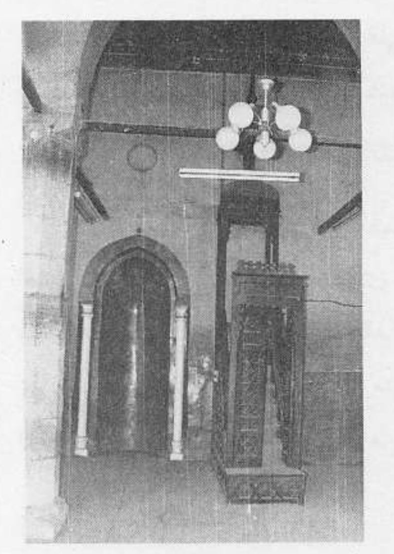
الإيوان الشرقى : (أنظر شكل : ٢)

يتكون الإيوان الشرقى لهذه الخانقاة من مساحة مستطيلة طولها (١٦,٥٠) متر وعرضها (١٠,٦٠)متر بها ثلاث بلاطات يحصرها مع جدار القبلة صفان من أعمدة حجرية تشبه



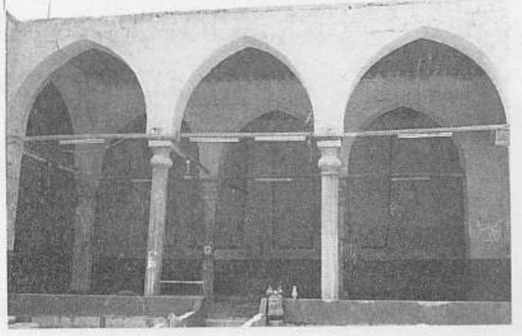
شكل ٢ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) - الايوان الشرقى.

الأعمدة المشار إليها، وتحمل هذه الأعمدة عقودا مدببة يعلوها سقف من عروق خشبية مجددة، ويتوسط الجدار الشرقى لهذا الإيوان المحراب وهو عبارة عن حنية عرضها (١,٢٠) متر وعمقها (٥٥,) متر يعلوها عقد مدبب ويكتنفها عمودان خشبيان كل منهما مثمن الأضلاع له قاعدة وتاج متشابهين، وهذا المحراب خال من أية عناصر زخرفية تعلوه قمرية دائرية غير نافذة ليس بها أية زخارف أيضا، على يمينه منبر خشبى مجدد **(أنظر شكل : ٣)**


شكل ٢ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء)
المحراب والمنبر

ويشتمل جدار القبلة فى هذا الإيوان على ثلاثة أبواب متشابهة إثنان منها على يمين المحراب عرض كل منهما (١) متر يؤديان إلى غرفتين مستطيلتين يغطى كل منهما سقف خشبى مجدد، وواحد على يساره يشبه البابين السابقين يؤدى إلى حجرة ثالثة، أما فى الركن الشمالى الشرقى من هذا الإيوان فيوجد باب رابع يشبه الأبواب الثلاثة السابقة يؤدى إلى حجرة رابعة، ويغلب على الظن أن هذه الحجرات كانت لسكنى شيوخ الخانقاة، وفى ركنه الجنوبى الشرقى دخلة عرضها (٢,٩٠)متر وطولها (٤,٤٠) متر يغطيها نفس السقف الخشبى المجدد.

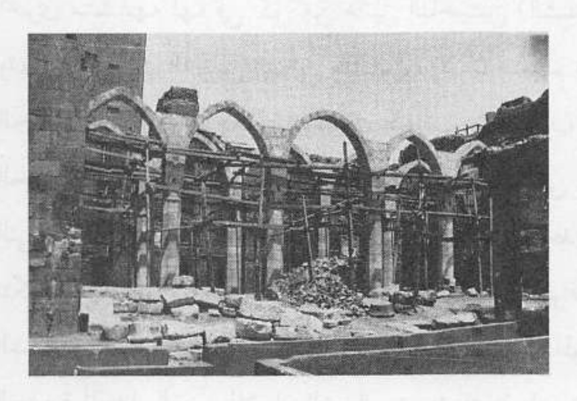
الايوان الجنوبى : (أنظر شكل :٤)


شكل ٤ - الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) - الايوان الجنوبى

هذا الإيوان عبارة عن مساحة مستطيلة أيضا طولها (١٧,٤٠) متر وعرضها (٩,٦٠) متر، ويتكون من بلاطتين وبه صفان من الأعمدة الرخامية المثمنة التى تحمل عقودا مدببة فيما عدا عمود فى ناحيته الشرقية من الحجر الجيرى المثمن الأضلاع أيضا، ويغطى هذا الإيوان سقف خشبى مجدد فى جداره الشرقى محراب عبارة عن حنية

خالية من الزخارف عرضها (١٫٣٠) متر وعمقها (٧٠ر) متر لا تكتنفها أعمدة، أما الجدار الجنوبى فكانت به ثلاثة شبابيك مستطيلة متشابهة عرض كل منها (١٫٦٠) متر وعمقها (٩٠ر) متر ذات أعتاب مستوية، وقد سدت هذه الشبابيك الآن بسدات حديثة.

الايوان الغربى : (أنظر شكل: ٥)



شكل ٥ – الخانقاة الصلاحية (سعيد السعداء) – الايوان الغربى

يقابل إيوان القبلة وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (١٨٫٣٠) متر وعرضها (١١٫٣٠) متر ويتكون من ثلاث بلاطات، وبه ثلاثة صفوف من الأعمدة الحجرية تشبه الأعمدة الموجودة فى ايوان القبلة، وتحمل هذه الأعمدة عقودا مدببة يربط بينها طبان من الخشب، ويغطى هذا الإيوان سقف من عروق خشبية كان يزينها ويزين الألواح الخشبية فيما بينها زخارف ملونة ذات أشكال نباتية وهندسية مختلفة، كما كان يحيط بأعلى الجدران أسفل السقف فوق كل بلاطة منها إزار خشبى نقشت فيه بالألوان أيضا زخارف نباتية وهندسية وكتابات نسخية إلا أن غالبية هذه الزخارف وتلك الكتابات قد ضاعت ولم يبق منها إلا الآثار الدالة عليها.

وبجدار هذا الإيوان الغربى عشرة مداخل صغيرة متشابهة عرض كل منها (٨٠ر) متر فوقه عتب خشبى غير مزخرف تعلوه نافذة مستطيلة ذات (حلق خشبى) بها مصبعات من خشب الخرط العريض، ويؤدى كل مدخل من هذه المداخل إلى خلوة مستطيلة الشكل طولها (٣٫٥٠) متر وعرضها (١٫٥٠) متر ترتفع عن أرضية الصحن بمقدار (٤٠ر) متر فى صدرها مصطبة عرضها (٦٥ر) متر وارتفاعها (٣٥ر) متر كان يغطيها قبو نصف اسطوانى تهدم فى بعض منها واستعيض عنه بسقف من عروق خشبية مجددة.

أما الجدار الشمالي لهذا الإيوان فبه خمس فتحات تشبه فتحات الجدار الغربي تؤدى كل فتحة منها أيضا إلى خلوة تشبه الخلوات المشار إليها في الناحية الغربية، وكان يعلو كلا من النوافذ الخشبية المستطيلة ذات الخرط الواسع فوق هذه الأبواب وعلى نفس محاورها صفان من نوافذ أخرى متشابهه لها في كل من هاتين الناحيتين (الشمالية والغربية) كانت بالطبع منافذ إنارة وتهوية لخلوات الدورين الثاني والثالث، إلا أن معظم نوافذ هذين الدورين في كل من هذين الجدارين قد تغيرت معالمها وسدت بقوالب من الطوب الأحمر الحديث، ومعنى ذلك أن هذه الخلوات كانت تتكون من اثنى عشر خلوة من دورين في الناحية الشمالية، أما في الناحية الجنوبية التي تغيرت معالمها بإقامة العديد من المساكن الأهلية الحديثة التي لم تبق إلا على نوافذها، فكانت تتكون من ثلاثة أدوار بكل دور ستة نوافذ تشبه باقي النوافذ ذات المصبعات الخشبية في الجهتين الشمالية والغربية، وكان بها بالطبع نفس عدد الخلوات الموجودة في الجانب الشمالي، وفي النهاية الجنوبية للجدار الغربي للإيوان الشمالي توجد فتحة باب عرضها (١٠ر١) متر ذات عتب حجري كانت تؤدى إلى ممر مستطيل عرضه (٤٠ر١) متر كان يؤدى إلى دورة مياه، إلا أنه قد سد من الناحية الشمالية بسدة حديثة، وكانت هذه الخلوات ودورات مياهها تستوعب صوفية الخانقاة البالغ عددهم ثلاثمائة صوفي[110].

ويقول المقريزي في القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) أنه لم يكن لهذه الخانقاة مئذنة في الأصل إلى أن ولى مشيختها سنة بضع وثمانين وسبعمائة شهاب الدين أحمد الأنصاري فعمل لها مئذنة مستحدثة[111]، ونقل عنه ذلك بنصه على باشا مبارك إلا أنه أضاف أنه كان بها على عهده أربعة إيوانات وعدة خلاو للصوفية تحتها قبور دفن فيها بعض صوفيتها وصوفية غيرها من الخانقاوات المعاصرة، وقد تغيرت في أيامه بعض مبانيها الأصلية وجعل بها منبرا وخطبة[112].

مرافق الخانقاة :

كان لهذه الخانقاة مطبخا عامرا بشتى المطهيات ليكفي مأكل هذا العدد الهائل من الصوفية، إلا أنه تعطل وأغلق عقب المحن التي حدثت سنة (٨٠٦هـ) كما أن لها حماما أعده المنشئ لصوفيتها حرصا منه على طهارتهم، ولا زال هذا الحمام قائما بمدخلين أحدهما من داخل الخانقاة والآخر من خارجها[113].

٢ – الخانقاة البندقدارية أيدكين

"زاوية الأبار"

٦٨٣ هـ / ١٢٨٤م

أثر رقم ١٤٦

تعتبر الخانقاة البندقدارية أو زاوية الأبار كما يسميها العامة لوجود قبر بالقبة يقال له قبر الشيخ علاء الدين الأبار، هى أول خانقاوات عصر دولة المماليك البحرية أنشأها تجاه المدرسة الفارقانية الأمير علاء الدين أيديكن البندقداري سنة (٦٨٣هـ / ١٢٨٤م)، والواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية يجعل حديثنا عن هذه الخانقاة محصورا فى خمس نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – نزلاء الخانقاة ودفناؤها.

٤ – وصف الخانقاة.

٥ – ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة:

يقول المقريزى «هذه الخانقاة بالقرب من الصليبة كان موضعها يعرف قديما بدويرة مسعود، وهى الآن (أى على عهد المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) تجاه المدرسة الفارقانية وحمام الفارقانى، أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى النجمى وجعلها مسجدا لله تعالى وخانقاة، ورتب فيها صوفية وقراء فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة(١٢٨٤م)»[١١٤].

وقد نقل عنه على باشا مبارك هذه المعلومات بالنص إلا أنه أضاف إليها أن هذه الخانقاة كانت قد تخربت مدة من الزمن ثم جددها ديوان الأوقاف على عهده (أى على عهد على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وعمل لها مطهرة ومراحيض وجعلها مقامة الشعائر[١١٥]، ثم يقول فى موضع آخر أن هذه المدرسة كانت عامرة حتى أيامه وتعرف بزاوية الأبار وهى التسمية التى لازالت تعرف بها حتى اليوم[١١٦].

ورغم وجود النص الكتابى لصاحب الخانقاة الذى يحدد تاريخها بالسنة المشار إليها، ورغم اتفاق كل من المقريزى وعلى باشا مبارك وغيرهما على ذكر هذا التاريخ (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) إلا أن بعض المراجع المنشورة قد زادت على ذلك خمس سنوات وجعلت تاريخها سنة (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)[١١٧].

وما تجب الإشارة إليه أنه إذا كانت مدرسة الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٧ – ٦٤٨هـ/ ١٢٤٩ – ١٢٥٠م) هى أول مثل فى عمارة مصر جمع فيه بين المدفن والمدرسة فإن هذه الخانقاة هى أول مثل جمع فيه بين المدفن والخانقاة[١١٨].

٢ – منشئ الخانقاة:

منشئ هذه الخانقاة هو الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى النجمى، كان مملوكا للأمير جمال الدين يوسف بن يغمور، ثم انتقل عنه إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى جعله بندقداره وأمره، ثم انقلب عليه وأخذ منه مملوكه بيبرس الذى قيل له بيبرس البندقدارى لأنه كان مملوكا له قبل أن ينتقل عنه إلى مماليك الصالح نجم الدين للأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى[١١٩] فأصبح أيدكين هذا ومملوكه بيبرس رغم انقلاب الصالح عليه من مماليك الصالح نجم الدين، ثم من مماليك شجرة الدر بعد وفاة زوجها، فلما ساءت الأمور بين شجرة الدر وبين الملك المعز أيبك سنة (٦٥٥هـ/ ١٢٥٦م) عزم المعز أيبك على قتلها، ورتب لذلك بالقبض على مماليكها وسيرهم إلى قلعة الجبل حيث تم اعتقالهم، وكان أيدكين من جملتهم.

فلما تولى الظاهر بيبرس أمور البلاد بمصر سنة (٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) كاتب أمراء دمشق يستميلهم إليه ضد الأمير علم الدين سنجر، فوقفوا بجانبه وحاربوا علم الدين وهزموه[١٢٠] فترك

دمشق ورحل عنها فأرسل إليها أيدكين الذى دخلها واستولى عليها فكافأه السلطان بأن ولاه نيابة السلطنة بحلب سنة (٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م) إلا أن الغلاء كان بها شديدا فلم تطل بها أيامه وفارقها بدمشق بعد محاربة سنقر الأشقر والقبض عليه فى صفر من السنة المشار إليها، فأقام فى نيابتها نحو شهر ثم صرف بالأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى.

ولما خرج السلطان إلى الشام سنة (٦٦١هـ/ ١٢٦٢م) واقام بالطور استدعى الأمير علاء الدين وأعطاه إمرة طلبخاناه بمصر فى ربيع الآخر من هذه السنة، ثم لما فتح الله عليه الفتوحات الواسعة رأى أن يكافئ علاء الدين أيدكين على إخلاصه له فملكه باقة الشرقية(١٢١).

وعندما اتفق التتار مع الفرنج وأغاروا على الساجور قرب حلب جرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدارى فى جماعة من العسكر وأمره أن يقيم فى مقدمة الشام على أهبة الاستعداد، فبقى هناك حتى انتصر عليهم فى برج برغوث على الطريق بين دمشق وجسر يعقوب(١٢٢) ومات أيدكين البندقدارى بعد هذه السلسلة الحافلة من جلائل الأعمال فى ربيع الآخر سنة (٦٨٤هـ/ يونيه ١٢٨٥م) ودفن بقبة هذه الخانقاة وهو تاريخ يتفق عليه كل من المقريزى(١٢٣) وابن تغرى بردى(١٢٤) وغيرهما.

وفى ذلك يقول على باشا مبارك «وإلى الآن (أى إلى عصره فى القرن ١٣هـ ١٩م) قبره (أى قبر المنشئ) بها ظاهر وعليه تابوت من الخشب منقوش فيه آيات قرآنية(١٢٥)، وإلى جانب ضريح المنشئ هذا الذى يطل على الطريق هناك ضريح آخر عليه قبة ثانية تضاربت الآراء بشأنه.

ولهذا المنشئ عدة ألقاب سجلها فى كتاباته المنقوشة بهذه الخانقاة نجد منها على الواجهة: الجناب العالى الأجلى المولوى المالكى الكبيرى الاسفسلارى العضدى النصيرى، وعلى قبة الضريح المقر الأشرف الصالحى الأميرى الكبيرى المخدومى المالكى المنصورى(١٢٦).

كما أن له مشكاة لا تزال محفوظة حتى اليوم فى متحف المتروبوليتان بنيويورك نقش عليها أنها عملت لضريح الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى وتتخلل كتاباتها ثلاثة رنوك مثل الرنك القائم بين نص الإنشاء على واجهة الخانقاة(١٢٧).

٣ – نزلاء الخانقاة ودفناؤها :

الواقع أن المصادر العربية التى أمكن الاطلاع عليها فى موضوع السير رغم عدم قلتها، بخلت علينا بالتراجم الكافية فيما يتعلق بنزلاء هذه الخانقاة ودفنائها، ولم نجد منها إلا النذر اليسير الذى ذكره كل من السخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) ونجم الدين الغزى فى القرنين (١٠ – ١١هـ/ ١٦ – ١٧م).

وممن ذكرهم السخاوى على بن أحمد بن أبى بكر النور أبو الحسن المصرى الشافعى، قال عنه أنه نزيل البندقدارية، كان أحد الأعيان فى المذهب مع الصلاح والخير، ولم يذكر لنا مع ذلك شيئا عن ميلاده ووفاته[١٢٨].

أما فيما يتعلق بدفناء الخانقاة فلعل أهم ما يمكن ملاحظته فى هذا الصدد هو وجود تركيبة خشبية لضريح يتوسط أرضية القبة يقال له ضريح الشيخ علاء الدين الأبار، والواقع أننى لم أعثر فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم ولا سيما الدرر الكامنة لابن حجر والضوء اللامع للسخاوى والكواكب السائرة لابن الغزى وغيرها على ترجمة للشيخ علاء الدين الأبار هذا، ولكننى عثرت على ترجمتين إحداهما للشيخ شمس الدين الأبار خطيب التبريزية والأخرى للشيخ عبد القادر بن محمد الأبار الحلبى الشافعى.

وقد أشار ابن الغزى إلى الترجمة الأولى بالتكرار فى موضعين عند حديثه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب العاتكى الأبار فقال فى موضع أنه العالم الصالح شمس الدين الأبار الدمشقى الشافعى خطيب التبريزية لم يكن أبارا ولا أبوه وإنما خاله كان أبارا ورباه فنسب إليه، ثم أضاف أنه كان مؤذنا بالتبريزية ثم صار خطيبا لها وكان متقشفا يلبس البشت من الصوف الأسود وتحته جبة من القطن وعلى رأسه المئزر، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين وتسعمائة (٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)[١٢٩] وفى موضع آخر أنه مات فى ليلة الجمعة سابع عشر ربيع الآخر سنة سبعين وتسعمائة (٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م) ودفن بتربة الدقاقين بمحلة قبر عاتكة[١٣٠]، وأشار إلى الترجمة الثانية عند حديثه عن الشيخ عبد القادر بن محمد الأبار فقال أنه عبد القادر بن محمد بن عثمان بن على بن شمس الدين الماردينى الأصلى الحلبى المولد والمنشأ والدار الشافعى الشهير بالأبار هو وأبوه لأنه كان يصنع

الإبر بحانوت له، اشتغل بالعلم ورحل فى طلبه وكانت وفاته فى ذى القعدة سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)[١٣١].

ومن هذا تتضح صعوبة إمكانية القول برأى فى شخصية علاء الدين الأبار المشار إليه لأنه من جهة ليس واحدا ممن أمكن العثور على ترجمة لهم من عائلة الأبار هذه التى من الواضح أنها عائلة شامية كانت تفضل الأسماء المضافة إلى الدين، فمنها شمس الدين وتاج الدين وشهاب الدين وصاحبنا الذى لم نعثر على ترجمته علاء الدين، ومن جهة أخرى لتضارب رأى ابن الغزى نفسه الذى أعطانا لوفاة شخصية واحدة تاريخين مختلفين يفصل بينهما سبع سنين من الزمن، وربما من جهة ثالثة لسبب أو لآخر تداخل إسم المنشئ (علاء الدين) مع لقب واحد من هذه العائلة كان قد رحل إلى مصر وتوفى بها ودفن بتربة هذه الخانقاة فجمع العامة بين الإسمين وقالوا علاء الدين الأبار، ولعله فى هذه الحالة يكون هو الشيخ عبد القادر الأبار الذى قال ابن الغزى أنه رحل من حلب فى طلب العلم.

٤ – وصف الخانقاة: (أنظر لوحة: ٢)

تقع هذه الخانقاة بشارع السيوفية فى حى الخليفة وتتكون من ساحة مستطيلة الشكل طولها (١٢,٥٠) متر وعرضها (١١,٥٠) متر يتوسطها صحن مربع طول ضلعه (٣,٩٠) متر تحيط به أربعة إيوانات بالإضافة إلى القبة الضريحية التى تشمل على قبر المنشئ وفيما يلى وصف أثرى لمكونات هذه الخانقاة:

لوحة ٢ الخانقاة البندقدارية أيدكين (زاوية الابار) أثر رقم ١٤٦ (٦٨٣هـ / ١٢٨٤م) – مسقط أفقى

أ – الواجهة والمدخل:

تقع هذه الواجهة فى الناحية الشمالية وتمتد إلى مسافة طولها (٧٤) متر متوسط ارتفاع مداميكها (٢٩,) متر يتوسطها المدخل الرئيسى ويقع داخل دخلة عمقها (٥٠,)متر تكتنفها مكسلتان حجريتان مستطيلتان ارتفاع كل منهما (٧٠,)متر وعرضها (٤٠,)متر وتنتهى هذه الدخلة بعقد ثلاثى الفصوص، أما الباب فهو من

الخشب المجدد عرضه (١,٢٥) متر تعلوه نافذة شبه مربعة بها أسياخ حديدية حديثة.

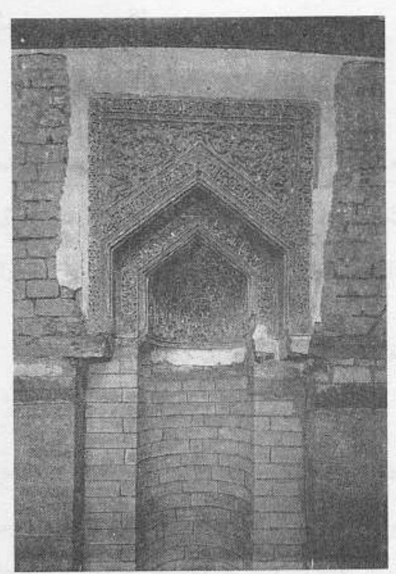
وعلى الجانب الأيسر من هذه الواجهة يوجد الجدار الشمالى للقبة وتتوسطه نافذة مسدودة بقوالب من الطوب الحديث، يعلوها عتب حجرى فوقه عقد عاتق، وتنتهى الواجهة بإفريز غائر نقشت فيه كتابات نسخية بحروف رفيعة تبدأ من الجانب الخلفى لواجهة الخانقاة ثم تمضى لتجتاز كل الواجهة إلى أن تختفى لمسافة تزيد عن المتر متوارية خلف جدار بارز حديث البنيان نصها : بسم الله الرحمن الرحيم. «الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم»[١٣٢]. أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة الجناب[١٣٣] العالى[١٣٤] الاجلى[١٣٥] المولوى[١٣٦] المالكى[١٣٧] الكبيرى[١٣٨] الاسفهسلارى[١٣٩] العضدى[١٤٠] النصيرى[١٤١]، وهو نص يستدعى النظر فيه شيئان أولهما وجود رنكين منقوشين للمنشئ بين ألقابه كل منهما عبارة عن رنك بسيط يتألف من دائرة بها قوسين متدابرين ويرمز إلى وظيفة البندقدار أو المبارز، وهى الوظيفة التى كان يتولاها صاحب الخانقاة، وهو بهذا يعد أقدم الرنوك المنقوشة على الأبنية الأثرية الدينية، وثانيهما أن تاريخ الإنشاء غير موجود فيه والمؤكد أنه قد ضاع مع الزمن لسبب أو لآخر، ويعلو إفريز النص الإنشائى هذا خمس وحدات من شرافات مسننة، أما الجانب الأيمن من هذه الواجهة فيشتمل على الباب الذى كان يؤدى إلى خلوات الصوفية، وهو عبارة عن مدخل صغير عرضه (٠,٩٥)متر يعلوه عقد نصف دائرى.

ضريح المنشئ:

يؤدى باب الخانقاة المشار إليه إلى استطراق مستطيل الشكل يتوسط جداره الشرقى فتحة باب عرضها (٠,٨٠)م وارتفاعها (٢) متر يعلوها عتب حجرى فوقه عقد عاتق، ويؤدى إلى هذا الباب سلم مكون من ثلاث درجات هابطة تدل على ارتفاع مستوى أرضية الشارع عما كان عليه الحال عند إنشاء الخانقاة، ويفضى هذا المدخل إلى قبة مبنية من الآجر تقوم على حجرة مربعة طول ضلعها (٦,٢٠) متر وسمك حوائطها (١,١٠) متر تقوم فى أركانها الأربعة مناطق انتقال مجددة كل منها عبارة عن حطتين من المقرنصات حول بها المربع إلى مثمن انتهى بدائرة قامت

فوقها رقبة القبة البصلية التى تعلو الضريح.

ويتوسط الجدار الجنوبى لهذه القبة المحراب وهو عبارة عن حنية عرضها (١٫١٥) متر وعمقها (٫٨٠) متر كان يكتنفها من الجانبين عمودان إلا أنهما غير موجودين والباقى منهما فقط قاعدتيهما المستطيلتين، وتعلو هذه الحنية طاقية المحراب وهى ذات عقد مدبب تزينها زخارف جصية غائرة لتفريعات نباتية وأنصاف مرواح نخيلية وأوراق ثلاثية الفصوص بداخل العقد، أما واجهة المحراب فهى ذات عقد متراجع يزين الداخلى منهما شريط من كتابات نسخية نصه «بسم الله الرحمن كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام[١٤٢]. الله أكبر» ويزين واجهة العقد الخارجى (المدبب أيضا) زخارف لتفريعات نباتية وأنصاف مراوح نخيلية وزخارف أخرى هندسية قائمة على أرضية من زخارف نباتية مكونة شكلا يشبه الكتابة العربية، وكان يحيط بهذه الكتابة ويحددها شريط تشبه زخارفه الإفريز المشار إليه، أما جانبى المحراب ففيهما دخلتان عرض كل منهما (١٫٠٥) متر وعمقها (٫٨٥) متر يغطيها سقف مستو من أخشاب عادية، يعلوها فوق السقف المستوى عقد نصف دائرى من قوالب الطوب الأحمر (أنظر شكل: ٦).



شكل ٦ - الخانقاة البندقدارية ايدكين (زاوية الابار) أثر رقم ١٤٦ (١٢٨٣م) - المحراب

أما الجدار الشرقى فيتوسطه مدخل عرضه (٫٧٠) متر يعلوه عتب من كتلة خشبية خالية من الزخارف كان يكتنفه عمودان غير موجودين، ويعلوه كذلك عقد نصف دائرى من قوالب الطوب الأحمر، وقد سد هذا المدخل حديثا، أما الجدار الشمالى فتتوسطه نافذة عرضها (٫٦٠) متر وارتفاعها (٫٩٠) متر يغطيها سقف خشبى مستو، ويعلوها أيضا عقد نصف دائرى من الطوب الأحمر، كما كان يكتنفها عمودان غير موجودين، وجدير بالذكر أن هذه النوافذ كانت مملوءة بزخارف جصية مخرمة زالت مع الزمن واستعيض عنها بهذه الأسقف الخشبية المستوية.

ويعلو جدران القبة تحت مناطق الانتقال إفريز خشبى يغلب على الظن أنه كان يزينه زخارف وكتابات مدهونة بالطلاء، هذا وفوق كل فتحة من الفتحات الأربعة الموجودة بجدران القبة ثلاث نوافذ داخل ما يشبه العقد الثلاثى اثنتان فى أسفل وثالثة تتوسطها من أعلى، ويزين كل منها زخرفة من الجص والزجاج الملون على هيئة زخرفة نباتية لأوراق وتفريعات، ويحدد كل نافذة إطار زخرفى قوام زخارفه أشكال نباتية لتفريعات وأنصاف مراوح نخيلية ذات حفر غائر، أما أسفل القبة من الداخل فيوجد شريط من الكتابات النسخية القائمة على أرضية من الزخارف النباتية والهندسية داخل بحور فى الشريط يفصل بين كل بحرين منها جامة مستديرة ونص هذه الكتابات هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما»[١٤٣] وتنتهى القبة من الداخل أيضا بدائرة زخرفية هى قطب القبة إطارها شريط من كتابة نسخية نصه: أدخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل»[١٤٤] أنشأ هذه القبة المباركة المقر[١٤٥] الأشرف[١٤٦] الصالحى[١٤٧] الأميرى[١٤٨] الكبيرى المخدومى[١٤٩] الملكى[١٥٠] المنصورى[١٥١] أيدكين البندقدار بتاريخ ثلاث وثمانين وستمائة.

ويتوسط هذه القبة وحدة زخرفية هندسية على شكل الطبق النجمى، أما رقبتها ففيها ستة عشر نافذة (أى أربع نوافذ فى كل ضلع من أضلاعها الأربعة) كل منها مربعة الشكل يعلوها عقد مدبب كان يزين واجهته المرئية شريط من زخارف نباتية تشبه ذلك الشريط الذى يحيط بالنوافذ الثلاثة المشار إليها، أما باقى جدران القبة فمعظمها مجدد وخالية من الزخارف.

ويتوسط القبة فى الأرضية تركيبة خشبية تقوم فوق ضريح الشيخ علاء الدين الأبار، وهى تركيبة مستطيلة الشكل طولها (١٫٩٠) متر وعرضها (١٫٢٠) متر وارتفاعها (١٫١٥) متر، ذات أربع جوانب متشابهة الزخارف كل منها عبارة عن وحدات مستطيلة رأسية وعرضية لحشوات مجمعة يعلوها شريط من الخورنقات ووحدات الخرط العريضة، ويحيط بالتركيبة شريطان من الكتابة النسخية يقع الأول فوق شريط الخورنقات ونص كتابته :

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى

السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم[١٥٢] أما الشريط الثانى فيقع أسفل الخورنقات ونص كتاباته النسخية قوله تعالى: «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور[١٥٣]. هذا قبر الفقير[١٥٤] إلى الله تعالى الراجى عفو الله الأمير علاء الدين[١٥٥] أيدكين البندقدار الصالحى النجمى جعله الله محل عفوه وغفرانه.

المدخل والصحن :

استطراق المدخل والصحن :

أما استطراق المدخل فطوله (٧,٨٠) متر وعرضه (٢,٥٠) متر يغطيه سقف من عروق خشبية مجددة خالية من الزخارف، فى جداره الشرقى شريط غائر نقشت فيه آية الكرسى بحروف نسخية تتخللها زخارف نباتية، ويؤدى هذا الاستطراق إلى مدخل ثالث فى جداره القبلى عرضه (١,٢٠) متر، بابه من الخشب المجدد وعتبه مستوخال من الزخارف يؤدى إلى الزاوية وهى عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل طولها (١٢,٥٠)متر وعرضها (١١,١٠) متر يتوسطها صحن مربع الشكل طول ضلعه (٣,٩٠) متر تعلوه شخشيخة خشبية مجددة تماما بكل ضلع من أضلاعها الأربعة نافذتان مستطيلتان.

الايوانات :

يحيط بهذا الصحن أربعة إيوانات متساوية تقريبا يتكون كل منها من بلاطة واحدة، وفى ضلع الزاوية القبلى يوجد المحراب وعلى يمينه المنبر، وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الزاوية بكل ما فيها من عقود وسقف ومحراب ومنبر مجددة تماما ولم تعد على حالتها القديمة، فى الركن الشمالى من جدارها الشرقى فتحة مدخل مربعة الشكل طول ضلعها (٣) متر يقع مدخلها فى جدارها الشرقى على يمينه نافذة مستطيلة سقفها من عروق خشبية خالية من الزخارف.

القبة الفرعية :

في منتصف الجدار الغربي للاستطراق المشار إليه يوجد مدخل آخر عرضه (٢٠ر١) متر به سبع درجات هابطة تؤدى إلى ساحة مستطيلة ا لشكل تتقدم القبة الثانية التي تقع في الناحية الجنوبية الغربية للقبة الأولى، وينزل إلى مدخل هذه القبة بسلم ثان من خمس درجات تؤدى إلى مدخل القبة ويقع في منتصف جدارها الشرقي عرضه (١٠ر١) متر وعمقه (٨٠ر) متر يعلوه عتب خشبي مستو، وهي القبة التي أشارت تقارير لجنة حفظ الآثار العربية بأنها بنيت بأمر من ابنة صاحب الخانقاة لتدفن فيها بعد موتها ونقشت عليها «بنت هذا القبر المبارك ابنة علاء الدنيا والدين[١٥٦]. وهذه القبة أصغر قليلا من القبة الأولى ويبلغ طول كل ضلع من أضلاعها (٥) متر وتحتوى من الداخل على محراب ضيق مرتفع ينتهي بعقد منكسر زالت جميع الزخارف التي كانت فيه، أما شكل القبة من الخارج فهو يحتوى على درج واحد يتفق مع بداية صف المقرنص الأول من الداخل – كما في حالة القبة الأولى – أما فصوصها فتتألف من أربعة وعشرين فصا أعمق من فصوص القبة الأولى تفصل بينها ضلوع عميقة، ولا تزال هذه القبة تحتفظ ببعض الزخارف الجصية التي تشتمل على عناصر هندسية من معينات وأشرطة ضيقة بها بعض كتابات كوفية تتخللها زخارف نباتية على شكل مراوح نخيلية.

القبة الرئيسية :

تقوم هذه القبة فوق حجرة مربعة طول ضلعها (٥) متر يتوسط جدارها الجنوبي محراب خال من الزخارف عبارة عن حنية نصف دائرية عرضها (٩٠ر) متر وعمقها (٧٥ر) متر كان يكتنفها عمودان غير موجودين، ويعلوها عقد مدبب متراجع، وعلى جانبي هذا المحراب دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٨٥ر) متر وعمقها (٣٠ر) متر يعلو كلا منهما عتب خشبي غير مزخرف.

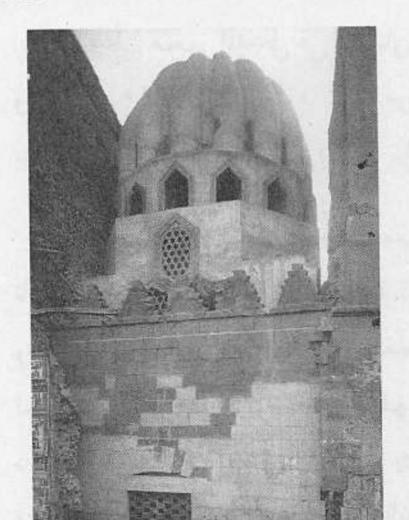
أما الجدار الشمالي لهذه القبة فكان فيه باب (سد فيما بعد) يقع داخل دخلة عمقها (٢٠ر) متر وعرضها (٢٠ر١) متر كانت تعلوه نافذة مربعة (سدت هي الأخرى فيما بعد بالدبش) لم يبق منها غير أجزاء من إطارها الزخرفي، وكان قوام زخارفه كتابة نسخية تقوم على أرضية من زخارف نباتية لم يبق منها غير بعض أحرف قليلة.

وعلى محور المدخل فى الجدار الغربى لهذه القبة توجد دخلة أخرى عمقها (٠,٨)متر وعرضها (١,٨٠) متر، تعلوها نافذة مربعة ذات زخارف جصية هندسية العناصر تتألف من أشكال مثلثات متداخلة بها إطار من زخارف نباتية لم يبق منه إلا القليل.

أما الأركان العلوية لحجرة الضريح فتوجد بها مناطق انتقال مجددة كل منها عبارة عن ثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا (تتألف كل حطة منها من خمسة مقرنصات) وهى أول محاولة من هذا النوع فى العمارة المملوكية، وقد حولت هذه المقرنصات المربع إلى مثمن ثم تحول المثمن إلى دائرة قامت فوقها رقبة القبة، ويتوسط كل منطقتين فوق كل دخلة من دخلات الجدران الأربع وحدة مكررة يتكون كل منها من ثلاث نوافذ قندلية متشابهة تتألف كل منها من ثلاث فتحات، ويغلب على الظن أنها كانت تتألف من ست فتحات كما فى قبة الصالح نجم الدين إلا أن ثلاثتها السفلى قد سدت فيما بعد، وفوق مقرنصات مناطق الانتقال فى إطار الدائرة التى قامت فوقها القبة يوجد شريط قوام زخارفه كتابات نسخية لم تعد واضحة تتخللها عناصر زخرفية نباتية لبعض آيات من القرآن الكريم، ويعلو هذا الشريط نوافذ رقبة القبة وعددها أربع وعشرون نافذة (أى ست نوافذ فى كل ضلع من أضلاع القبة) وهى نوافذ متشابهة كل منها مستطيل الشكل يعلوها عقد مدبب ويزين كلا منها أيضا إطار زخرفى قوامه تفريعات نباتية وأوراق وأنصاف مراوح نخيلية.

وفوق زوايا عقود هذه النوافذ يوجد شريط زخرفى ثان زخارفه عبارة عن تقليد الكتابة الكوفية، يعلوه شريط ثالث من كتابات نسخية تقوم على أرضية من زخارف نباتية كتاباته عبارة عن النص الإنشائى للقبة الذى لم يبق فيه سوى «الجناب العالى المولوى الأميرى الكبيرى المجاهدى»[١٥٧]، أما باقى القبة من الداخل فخالى من الزخارف تماما، وكان يتوسط هذه القبة ضريح يقال أنه لابنة الشيخ علاء الدين الأبار لا تقوم فوقه تركيبة وإنما هو عبارة عن حفرة مستطيلة الشكل، أما القبة من الخارج فتتكون من ستة عشر فصا تفصل بينها ضلوع ذات زوايا، ويلاحظ أن منطقة انتقالها تشتمل على درج واحد، ويتفق التدرج فيها مع بداية صفوف المقرنصات فى منطقة الانتقال من الداخل.

(أنظر شكل : ٧)



شكل ٧ – الخانقاة البندقدارية ايدكين (زاوية الابار) – القبة من الخارج.

خلاوى الصوفية :

يؤدى إلى خلاى المتصوفة فى هذه الخانقاة باب يقع على يمين المدخل الرئيسى يفضى إلى رحبة مربعة الشكل طول ضلعها (٢٫٢٠) متر يغطيها سقف من عروق خشبية حديثة تنتهى فى جدارها القبلى بمدخل عرضه (١٫١٠) متر يصعد إليه بدرجتين يؤدى إلى استطراق السلم، وفى مواجهة هذا المدخل من الناحية القبلية توجد إحدى خلاوى الصوفية، وهى عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل يقع مدخلها فى جدارها الشمالى على يمينه شباك مستطيل الشكل سقفها مجدد.

أما السلم الذى يصعد به إلى الأدوار العليا للخلاوى فيبدأ باتجاه شرقى غربى به تسع درجات، ثم ينكسر ثانيا ناحية الجنوب بثلاث درجات ثم ينكسر ثالثا ناحية الشرق حيث يقع الطابق الثانى من الخلاوى ولم يبق فيه سوى حجرة مستطيلة الشكل تقع فى الناحية الشمالية بها شباك مستطيل فى الركن الشرقى من جدارها الشمالى.

وفى الناحية القبلية كانت هناك حجرة أخرى يغلب على الظن أنها كانت مستخدمة كمطبخ أو دورة مياه، وينكسر السلم ناحية الغرب بتسع درجات ثم يتجه ببسطة ناحية الجنوب ثم انكسار آخر ناحية الشرق بتسع درجات أخرى حيث يوجد الطابق الثالث من الخلاوى ويتكون من خلوة مستطيلة الشكل فى الناحية الشرقية بها نافذة مستطيلة فى جدارها الجنوبى، إلى الشمال منها توجد خلوتان متداخلتان تقع إحداهما فى الناحية الشرقية وهى مستطيلة الشكل بها شباك فى الجدار الشمالى، وتقع الثانية فى الناحية الغربية وهى مستطيلة الشكل أيضا بها نافذتان بالجدار الشمالى ودخلة بالجدار الغربى كانت تطل على المدرسة إلا أنها مسدودة حاليا، ويستمر السلم بثلاثة اتجاهات أخرى مشابهة للاتجاهات السابق ذكرها حيث السطح.

والواقع أن صناعة الجص والأخشاب التى رأينا بقاياهما فى زخارف هذه الخانقاة تدل بغير شك على مدى الازدهار الذى أصابهما فى عهد دولة المماليك البحرية[١٥٨] وتذكرنا زخارفها بزخارف قبتى الخلفاء العباسيين والصالح نجم لدين.

٥ – ترميمات الخانقاة :

مما لا شك فيه – طبقا لما لدينا من المعلومات التى أوردتها كراسات لجنة حفظ الآثار العربية – أن هذه الخانقاة لم تحظ بالاهتمام الواجب بها من قبل هذه اللجنة لأن ما ترك لنا فى محاضر جلساتها من أخبار تتعلق بما أجرته فى هذه الخانقاة من ترميمات لا تعدو حاليتين وردت أولاهما فى كراسة سنة (١٩٠١م) وفيها يذكر التقرير أن القسم الهندسى بعد زيارته لزاوية الأبار وقبتيها المهميتين اللتان تشتملان فى القبة الأولى على ضريح للأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى النجمى المتوفى سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وفى القبة الثانية على ضريح لابنته رأى ضرورة تسجيل هاتين القبتين ضمن الآثار العربية المسجلة بمدينة القاهرة، وقطع أرضية القبة المطلة على الشارع لارتفاع هذه الأرضية عن مستواها الأصلى، وهدم الجزء العلوى للحائط الموارى للقبة لإظهارها وهدم سقف الدركاة وإزاحة بعض الدرجات الموجودة بها ووضعها فى الداخل وفتح الشباك المسدود بالبناء فى القبة الأولى وإجراء ما يمكن من الأعمال لعزلها عن الأبنية المحيطة بها، واتخاذ كافة الأعمال اللازمة لحفظ القبة الثانية وعمل الرسومات اللازمة للقبتين[١٥٩].

أما الحالة الثانية فقد وردت فى كراسة سنة (١٩٠٩م) وفيها يذكر التقرير أن زاوية الأبار أصبحت معدودة من الآثار العربية المسجلة منذ سنة (١٩٠١م) وكتب عنها القسم الفنى ببعض الاقتراحات إلى ديوان عموم الأوقاف، ولكنه لم يؤخذ بهذه الاقتراحات إذ صدر قرار المحكمة بعد الاستئناف بإثبات الأحقية فى النظر للسيد عبد الخالق الأبار (وهو ما يثبت موضوع علاء الدين الأبار المشار إليه) فعهد القسم الفنى إلى جناب هرتس بك فخاطبة هذا النظر للسماح للجنة بعمل التقوية اللازمة للقبة الثانية التى قرر لها مبلغ مائة وخمسة وثلاثون جنيها مع الاحتياطات التى تمنع التغيير فى معالم هذه الخانقاة[١٦٠].

٣ – الخانقاة الجاولية سلار وسنجر

٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م

أثر رقم (٢٢١)

لا شك أن هذه الخانقاة كانت ولا تزال واحدة من أجمل خانقاوات القاهرة المملوكية، وقد اهتم بالحديث عنها كثير من المؤرخين القدامى والكتاب المحدثين فاهتم بها المؤرخون لمكانة صاحبيها وما كانا يتمتعان به من سلطان ونفوذ، واهتم بها الكتاب المحدثين لما امتازت به من عظمة تخطيط وروعة بناء وجمال زخرف.

والواقع أن ما لدينا من مادة تاريخية أثرية معمارية يحصر حديثنا عن هذه الخانقاة فى خمس نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – موظفوا الخانقاة.

٤ – وصف الخانقاة.

٥ – ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها:

يقول المقريزى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) أن هذه الخانقاة على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش فيما بين القاهرة ومصر أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)[١٦١]، وقد جانبه التوفيق فى التاريخ الذى أعطاه لبنائها بزيادة عشرين عاما على ما هو منقوش فى نص انشائها الذى تشتمل عليه كتابات الواجهة ووارد فيه أنها بنيت سنة ثلاث وسبعمائة لا ثلاثة وعشرين وسبعمائة.

وقد نقل عن المقريزى نفس التاريخ بخطته كل من على باشا مارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) الذى زاد بقوله أنها لا زالت عامرة حتى عصره ويعرف خطها بخط الحوض المرصود ويقال لها جامع الجاولى[١٦٢]، وبعض المراجع العربية التى أعطت لهذه الخانقاة نفس التاريخ الذى أعطاه لها كل من المقريزى وعلى باشا مبارك[١٦٣].

على أن الجاولية بالقاهرة لم تكن الخانقاة الوحيدة التى أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وإنما كانت له جاولية أخرى بالقدس الشريف أنشأها - كما يقول ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) فى عهد السلطنة الثالثة للملك الناصر محمد بن قلاوون التى امتدت من سنة (٧٠٩ - ٧٤١هـ/ ١٣٠٩ - ١٣٤٠م)[١٦٤].

ويضيف القاضى مجير الدين الحنبلى بعد ابن تغرى بردى بقرن من الزمان فى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الملادى أن هذه الخانقاة صارت على عهده سكنا لنواب القدس وفيها مدفن الشيخ درباس الكردى الهكارى وكان صالحا معتقدا[١٦٥]، ويغلب على الظن أن جاولية القدس هذه كانت قد أنشئت بين عامى (٧١٢ - ٧٢٠هـ/ ١٣١٢ - ١٣٢٠م) خلال تولى علم الدين سنجر نظارة الحرمين الشريفين ونيابة القدس والخليل التى كانت على ما يبدو قبل سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) عندما قبض عليه الناصر محمد كما يقول ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ - ٩هـ/ ١٤ - ١٥م)[١٦٦].

وتذكر بعض المصادر العربية أن علم الدين سنجر كان قد أرسل سنة (٧١٢هـ) إلى دمشق بأمر من السلطان الناصر محمد لروك البلاد الشامية (أى مسح أراضيها الزراعية، وقد كان ذلك أمرا شائعا فى العصر المملوكى، لأن هذه الأراضى كانت تقسم عند كل وضع سياسى جديد بين السلطان والأمراء والأجناد) وقد ورد فى هذه المصادر ذكر منشور هذا الروك الناصرى[١٦٧] وهو ما يؤيد تواجد الأمير سنجر بمنطقة الشام منذ سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م).

وقد استمرت جاولية القدس تقوم بدورها فى الحركة الفكرية ببيت المقدس منذ أنشائها فى بداية القرن (٨هـ/ ١٤م) حتى أوائل القرن (٩هـ/ ١٥م) عندما حولت إلى دار للنيابة، وكان الأمير شاهين الدباح نائب السلطنة على عهد الملك الأشرف أبو النصر برسباى (٨٢٥ -

٨٤١هـ/ ١٣٢٤ – ١٤٣٧م) هو أول من اتخذها دارا للنيابة سنة (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، وظلت على هذا الحال دارا للنيابة إلى أن سكنها الأمير شاهين الشجاعى (٨٣١ – ٨٣٣هـ/ ١٤٢٧ – ١٤٢٩م) فقام بتجديدها ونقش نص هذا التجديد على عتبة بابها العلوية(١٦٨)، ثم تحولت بعد ذلك خلال العصر العثمانى إلى دار للحكم، وبعد الاحتلال البريطانى أقام فيها المجلس الإسلامى روضة المعارف الوطنية، ثم أصبحت دارا للشرطة وأخيرا مدرسة للبنين تسمى المدرسة العمرية(١٦٩).

أما عن أوقاف الخانقاة فإن ما لدينا من مادة تاريخية أثرية عنها لا يعد كافيا فى هذا الصدد على الإطلاق، وقد أورد على باشا مبارك بعضه فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) عندما تحدث عن جامع الجاولى فقال فى أربعة مواضع «وله إيراد من وقف حوش ومنزل وقهوة وبئر يبلغ شهريا مائة وعشرين قرشا وذلك تحت نظر الأوقاف»(١٧٠).

بينما ورد بعضه الآخر فى كتاب جامع الكتابات العربية الذى عثر فيه على نص بالغ الأهمية تقول كتاباته: «أمر بإنشاء هذا المكان المبارك السعيد من فضل الله تعالى وكرمه سيدنا ومولانا ومالك رقابنا سلطان الاسلام والمسلمين، قاتل الكفرة والمشركين، محيى العدل فى العالمين، أبو الفقراء والمساكين، ذخرا الأرامل والمحتاجين، صاحب الصدقات والمعروف، المغيث لكل ملهوف، ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين الإمام الأعظم، والملك الأكرم، مولانا المقام الشريف السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قايتباى .. .. بمحمد وآله وأوقفه على مصالح المدرسة المباركة الجاولية على ما شهد به كتاب الوقف الذى أنشأه وكان ابتداء العمل المبارك السعيد فى شهر شوال سنة .. .. وثمانمائة وانتهاؤه فى شهر الله المحرم الحرام سنة تسعين وثمانمائة (Sic) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام»(١٧١).

ومنه يتضح أن المنشأة المشار إليها (وربما كانت وكالة أو ربعا أو قيسارية أو نحو ذلك) بناها السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى وأوقفها على مصالح الخانقاة الجاولية سنة (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)، ويغلب على الظن أن أوقاف هذه الخانقاة – كما هو واضح فيما لدينا من مادة تاريخية لم تكن كافية للقيام بما أنشئت من أجله رغم أن أحد صاحبيها – طبقا لما اتفقت عليه كافة المصادر والمراجع – كان واحدا من أغنى أغنياء عصره، وهو أمر كان على ما يبدو سببا لقيام الأشرف برسباى ببناء منشأته المشار إليها لتكون عونا لوقف هذه الخانقاة على الوفاء بالتزاماتها.

٢ – منشىء الخانقاة:

تنسب هذه الخانقاة إلى شخصين اثنين هما سلار التسترى الصالحي المنصورى وسنجر بن عبد الله الجاولى، وفيها لكل منهما ضريح مستقل، وقد تركت لنا المصادر والمراجع العربية كثيرا من المادة التاريخية المتعلقة بترجمتيهما نوجزها فيما يلى:

أ– ترجمة الأمير سيف الدين سلار:

أفاض علينا كل من ابن حجر العسقلانى وابن تغرى بردى وابن دقماق والجبرتى وعلى باشا مبارك وغيرهم من أصحاب المراجع العربية بكثير من المعلومات المتعلقة بسيرة الأمير سيف الدين سلار المنصورى نائب السلطنة المعظمة، فيقول ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) أنه كان من مماليك الصالح على بن قلاوون، فلما مات صار من خواص أبيه وناب فى الملك عن الناصر محمد، واستمر فى ذلك فوق العشر سنين، وقصته من البداية أن أباه كان أمير شكار عند صاحب الروم، فلما حدثت المعارك بين الظاهر بيبرس وبين الروم كان سلار هذا من بين الأسرى فاشتراه قلاوون وأعطاه لابنه الصالح على وأمره عشرة، ثم انتقل بعد وفاة الصالح على إلى مماليك أبيه المنصور قلاوون وصار فى خدمته حتى انتقل بعده لخدمة ابنه الأشرف شعبان إلى أن صار نائبا للسلطنة بعد مقتل لاجين، فلما استولى المظفر بيبرس الجاشنكير على مقاليد الحكم استمر سلار فى النيابة، حتى عاد الناصر محمد من الكرك فولاه الشوبك فتوجه إليها ثم خاف على نفسه ففر فى الصحراء ثم ندم وطلب الأمان وحضر إلى القاهرة فاعتقله الناصر ومنع عنه الغذاء حتى مات جوعا فى ربيع الآخر سنة (٧١٠هـ/ ١٣١٠م) وهو فى حدود الخمسين وقيل أن إقطاعاته بلغت نحو أربعين طلبخاناه واشتهر بين العوام أن دخله فى كل يوم مائة ألف درهم[١٧٢].

ويقول ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) فى معرض حديثه عن السنة التاسعة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية وهى سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) أنه خلال هذه السنة وقعت الوحشة (أى خلاف) بين بيبرس الجاشنكير وسلار بسبب كاتب لبيبرس يسمى التاج بن سعيد الدولة أساء السيرة مع سنجر الجاولى، فقام بيبرس بنصرة كاتبه وقام سلار بنصرة صاحبه

الجاولى، وكان من عادة بيبرس أنه يركب لسلار عند ركوبه وينزل عند نزوله، وأصبح بعدها لا يركب معه وكادت الفتنة تقع بينهما لولا أنهما استدركا أمرهما خوفا من الملك الناصر واصطلحا(١٧٣).

أما ابن دقماق الذى كان من معاصرى ابن تغرى بردى فيضيف لنا بعضا من مآثر سلار حين يقول أن عمد جامع مصر (يقصد جامع عمرو بن العاص) كانت قد انفصلت بعضها عن بعض بسبب الزلزال الذى حدث سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) فخصص له مالا وجعل كاتبه القاضى بدر الدين بن الحطاب شادا على هذه العمارة فأعاد بناء السور البحرى وعمل بابين جديدين للزيادة الغربية وأضاف عمودا إلى كل عمد الصف الأخير المقابل للجدار الذى هدمه(١٧٤).

ويوضح الجبرتى فى القرنين (١٢ – ١٣هـ / ١٨ – ١٩م) سبب الوحشة التى كانت بين الناصر محمد وبين سلار فيقول أنه لما استدعى الناصر محمد من الكرك وأعيد إلى السلطنة للمرة الثانية ظل عشر سنين وخمسة أشهر محجورا عليه من الأميرين بيبرس الجاشنكير وسلار نائب السلطنة(١٧٥).

ويضيف على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) نقلا عن ابن الكتبى أن سلار هذا من التتار الأويراتية نال من سعادة الدنيا مالا يوصف وجمع من الذهب قناطير مقنطرة حتى اشتهر أن دخله فى اليوم مائة ألف درهم، واستمر فى دست النيابة إحدى عشرة سنة، ومات فى أوائل الكهولة سنة (٧١٠هـ) وأذن السلطان لصاحبه سنجر الجاولى أن يتولى خزائنه وجنازته حتى دفن بتربته عند الكبش(١٧٦).

أما ما ورد عن سيرة سلار فى المراجع العربية فينحصر بعضه فى ترديد ما ورد فى المصادر العربية ولا سيما أصله ومراحل تطوره فى الخدمة المملوكية وغضب الناصر عليه وسجنه إلى آخر ما ذكر فى هذا الصدد، وينحصر بعضه الآخر فى بعض إضافات عليه ومنه ما ذكره صاحب دولة بنى قلاوون فى مصر الذى يقول أنه لما رحل بيبرس الجاشنكير إلى اطفيح قبض الأمير سلار على زمام الأمور فى مصر وعمل على إعادة الأمن إلى نصابه فأطلق سراح أتباع الناصر محمد وأمر بإقامة الخطبة له على المنابر ثم لم يلبث أن كتب إليه يخبره بنزول بيبرس عن العرش وكان ذلك من أهم

العوامل التى مكنت الناصر من العودة للسلطنة[١٧٧].

ثم تضيف بعض المراجع العربية الأخرى إلى صفات سلار أنه كان قليل الظلم كبير العقل شجاعا مهيبا تمكن من شؤون الدولة إحدى عشرة سنة، وكان ممن أثروا ثراء كبيرا بولغ فيه حتى أن ثراءه هذا كان وبالا عليه فمات جوعا بسجنه فى السنة المشار إليها، ونقل إلى تربته التى على الكبش فدفن فيها، وفى هذا يقول المرحوم حسن عبد الوهاب ولعل كلمة تربته هذه تلقى ضوءا على الغموض الذى يحيط بهذه الخانقاة ولمن تنسب إلى سلار قارون زمانه أم إلى سنجر الجاولى الذى كان حتى سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) أميرا فقيرا[١٧٨].

ومع أن النصوص التاريخية المنقوشة على جدران هذه الخانقاة لم تشير إلى شئ فيه فصل الخطاب فى هذا الصدد، فإن ثراء سلار الذى فاق الوصف مما أشير إليه فيه من ناحية، وفقر سنجر طبقا لما ورد عنه من ناحية ثانية، ووجود نص على مشكاة للأول يقول – وفقا لما أشار إليه حسن عبد الوهاب[١٧٩] «مما عمل برسم تربة العبد الفقير إلى الله تعالى سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة عفا الله عنه» من ناحية ثالثة، كل هذا يجعل إمكانية القول بنسبتها إلى سيف الدين سلار أقرب الأقوال إلى المنطق والتصديق.

ب – ترجمة الأمير سَنْجَر الجاولى :

لقد ترك لنا كل من ابن حجر وابن تغرى بردى والقاضى مجير الدين الحنبلى وعلى باشا مبارك وغيرهم من الكتاب المحدثين كثيرا من المعلومات المتعلقة بترجمة الأمير علاء الدين سنجر بن عبد الله الجاولى.

فيقول ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) أنه ولد بآمد سنة (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) ثم صار فى خدمة أمير يقال له جاول فى سلطنة الظاهر بيبرس البندقدارى فنسب إليه، ثم خدم المنصور قلاوون إلى ان أخرج إلى الكرك، وكان أول من ولى نيابة الشوبك، ثم عمل أستادار صحبة للناصر محمد بن قلاوون نيابة عن بيبرس الجاشنكير، فلما تسلطن بيبرس تغير عليه وصادره فخرج إلى الشام بطالا فى المحرم سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) فلم يزل بدمشق

حتى قدم مع الناصر إلى القاهرة عندما عاد من الكرك فولاه شد الدواوين ثم استنابه فى السلطنة سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م) ويقال أنه بنى بالكرك قصرا للنيابة وجامعا وحماما ومدرسة للشافعية وخانا ومارستانا(١٨٠).

وفى سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م) أرسله الناصر إلى دمشق لروك البلاد الشامية فوشى به بعض مماليكه بأنه يريد أن يهرب إلى بلاد اليمن فأرسل الناصر من قبض عليه وأحضره إلى القاهرة فسجنه بالاسكندرية بعد ما أحيط بماله ثم أفرج عنه سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) وأمر مائة وولى نيابة حماة فى أيام الصالح بن الناصر، ثم ولى نيابة غزة والخليل فبنى المدرسة الجاولية بالقدس طبقا لما أشير إليه فى تاريخ الخانقاة، كما بنى – كما يقول ابن حجر – المدرسة التى بالكبش والقناطر بأرسوف والخان بقرب السد والخان بحمرة شنان وهو آخر من بعثوه لحصار الناصر احمد بالكرك، وكان محبا للعلم وخصوصا علم الحديث وله فيه شروح، توفى فى تاسع رمضان سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) وقد قارب المائة(١٨١).

ويفسر ابن حجر فى موضع آخر من درره الكامنة سبب غضب الناصر عليه فيقول أن (سلار) لما راك البلاد الشامية اختار لمماليكه خيار الإقطاعات فيها فلم يعجب تنكز منه ذلك، ثم لما أمر الناصر أمراء البلاد كلها اختار أن يكون تنكز واسطة بينهم وبينه فغضب الجاولى من تلك التقدمة التى قدمها الناصر لتنكزيغا دونه لأنه كان يظن أنه يتقدم تنكز عند السلطان، ومن هنا غضب سلار واستأذن السلطان فى الحج وهو يريد – على ما يبدو – أن يهرب من الموقع الذى تقدمه فيه لاحقه فنم عليه بعض مماليكه فكان بذلك ما كان من أمر اعتقاله وسجنه(١٨٢).

ويقول ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) عند حديثه عن السنة الرابعة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر وهى سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠١) وتوفى فى هذه السنة «الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله المعروف بأرجواش المنصورى نائب قلعة دمشق فى ليلة السبت ثانى عشرين ذى الحجة وكان شجاعا، وهو الذى حفظ قلعة دمشق من نوبة غازان وأظهر من الشجاعة ما لا يوصف على تَغَفُّلٍ كان فيه»(١٨٣).

أما القاضى مجير الدين الحنبلى فقد ترجم هو الآخر فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) لشخصية هذا الأمير فكرر بعضا مما ذكره سابقوه عن مولده وموطنه ومراحل تطوره فى

الخدمة المملوكية التى ولى خلالها نظارة الحرمين الشريفين ونيابة القدس والخليل ونيابة غزة مرتين ونيابة حماة، ثم يحصى لنا آثاره التى بناها وهى المدرسة المعروفة بالجاولية فى الخليل وجامع غزة وخانقاة القاهرة ومدرسة القدس الشريف، ووقف على هذه وتلك أوقافا كثيرة بغزة والخليل والقدس وغيرها، توفى فى شهر رمضان سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) ودفن بالخانقاة التى أنشأها بالقاهرة عند الكبش بالقرب من جامع ابن طولون[١٨٤]، وفى ختام هذه المصادر التى تحدثت عن سيرة الأمير علم الدين سنجر الجاولى يأتى على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ويكرر ما ذكرته المصادر العربية فيما يتعلق بترجمة هذا الأمير من حيث النشأة والانتقال فى الخدمة المختلفة حتى وفاته فى السنة المشار إليها[١٨٥].

ولم يقتصر الحديث عن ترجمة الأمير علاء الدين سنجر على ما ورد فى المصادر العربية المشار إليها، وإنما كان هناك أكثر من حديث أورده غير واحد من الكتاب المحدثين، لا تخرج خلاصته عما أوردته المصادر العربية باستفاضة كاملة فيما سبقت الإشارة إليه[١٨٦].

٣ - موظفوا الخانقاة :

ينحصر موظفو هذه الخانقاة طبقا لما امكن الوقوف عليه من معلومات تاريخية فى أربع مجموعات هى:

١ - شيخ الخانقاة.

٢ - مدرسوا الخانقاة.

٣ - ناظر وقف الخانقاة.

٤ - دفناء الخانقاة.

أ- شيخ الخانقاة :

لم نعثر فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم من شيوخ هذه الخانقاة إلا على من ذكرهم كل من ابن حجر العسقلانى فى القرنين (٨ - ٩هـ/ ١٤ - ١٥م) والسخاوى فى

القرنين (٩ - ١٠هـ/ ١٥ - ١٦م).

وممن ذكرهم ابن حجر أحمد بن محمد بن إبراهيم بن إسحاق المناوى شهاب الدين بن الضياء بن عم القاضى صدر الدين الذى قال عنه أنه كان شيخ الخانقاة الجاولية وناب فى الحكم عن ابن عمه ومات فى ربيع الآخر سنة (٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م)(١٨٧)، ومنهم جابر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن يوسف الخوارزمى الكاثى (وهى بلدة من قرى خوارزم) ثم المصرى افتخار الدين أبو عبد الله الحنفى، ولد فى شوال سنة (٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م) وقرأ على خاله أبى المكارم محمد بن أبى المفاخر وعلى أبى عاصم الاسفندى واشتغل ببلاده وتمهر وقدم القاهرة فسمع من الدمياطى وولى مشيخة الجاولية التى بالكبش وباشر الإفتاء والتدريس بأماكن كثيرة حتى مات فى النصف الثانى من المحرم سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)(١٨٨).

أما السخاوى فلم يذكر من شيوخ هذه الخانقاة سوى أحمد بن محمد بن بركوت الصلاح بن الجمال بن الشهاب المكينى (نسبة لمكين الدين اليمنى) القاهرى الشافعى ربيب ابن البلقينى الذى عرف بأمير الحاج، ولد بالقاهرة سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ونشأ فى كفالة أمه وتحت نظر زوجها ابن البلقينى، وقرأ القرآن والمنهاجين وألفية ابن مالك، وأقام مدة بزى الجند، ثم لما كبر تزيا بزى الفقهاء وولى تدريس الفقه بالأشرفية القديمة بعد الشهاب بن صالح ثم ولى بعد وفاة عمه مشيخة الخانقاة الجاولية وتدريس الحديث بها والنظر عليها برغبة النور بن المناوى الأسمر، وظل على ذلك حتى مات فى خامس ربيع الأول سنة (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م) ودفن فى الفسقية التى فيها البلقينى الكبير وأولاده(١٨٩).

ب - مدرسوا الخانقاة:

أشار السخاوى فى القرنين (٩ - ١٠هـ/ ١٥ - ١٦م) إلى تراجم ثلاثة من مدرسى هذه الخانقاة، إثنان لفقه الشافعى وواحد للحديث.

وأول هذين الإثنين هو أحمد بن عثمان بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم البهاء أبو الفتوح بن الفخر أبى عمرو بن التاج أبى عبد الله بن البهاء ابى الفداء المناوى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى رجب سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) واستقر هو وأخوه بعد أبيهما فى وظائف الجاولية

والسعدية والسكرية والقطبية العتيقة والمجدية والمشهد الحسيني وإفتاء دار العدل، مات في رمضان سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م) عن نحو الأربعين ودفن بالقرافة الصغرى[١٩٠].

أما الثاني فهو (ابن الأول) على بن أحمد بن عثمان بن محمد بن إسحاق النور بن البهاء بن الفخر التاج المناوى الأصل القاهرى الشافعي الذى عرف بابن المناوى، ولد بالقاهرة في ربيع الأول سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م) واستقر هو وأخوه في وظائف والدهما بعد موته سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م) وهي التدريس بالجاولية والسعدية والسكرية والقطبية وغيرها، مات في ربيع الأول سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م) ودفن بحوش سعيد السعداء[١٩١].

أما مدرس الحديث فقد سبقت الإشارة إليه وهو أحمد بن محمد بن بركوت بن الشهاب المكيني الأصل القاهرى الشافعي ربيب ابن البلقيني الذى عرف بأمير حاج، ولد بالقاهرة في سنة (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ثم ولى – كما يقول السخاوى – بعد وفاة عمه تدريس الحديث بالجاولية حتى مات في ربيع الأول سنة (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م) ودفن في الفسقية التى فيها البلقيني الكبير وأولاده[١٩٢].

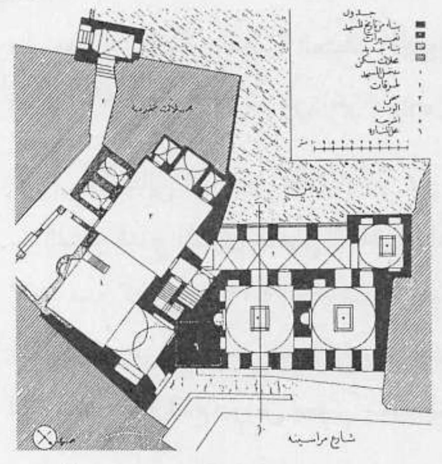
جـ – نظار وقف الخانقاة :

ضنت علينا المصادر العربية التى أمكن الاطلاع عليها بذكر بعض تراجم من تولوا نظارة وقف هذه الخانقاة فلم نعثر منهم إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هي نفس ترجمة مدرس الحديث المشار إليه حين قال أنه ولى بعد وفاة عمه نظر الجاولية برغبة النور بن المناوى الأسمر إلى أن مات في الخامس من ربيع الأول سنة (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م)[١٩٣].

د – دفناء الخانقاة :

كان موقف المصادر العربية فيما يتعلق بدفناء هذه الخانقاة هو نفس موقفها فيما يتعلق بنظار وقفها، فلم نعثر من تراجم هؤلاء الدفناء فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم إلا على ترجمة واحد ذكره السخاوى هو عبد الله الذاكر الذى قال عنه أنه قدم من الروم فقطن دمشق واعتقده الناس وتسلك به المريدون كأبى بكر بن عبد الله العداس، مات سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م) ودفن بحوش الجاولية[١٩٤].

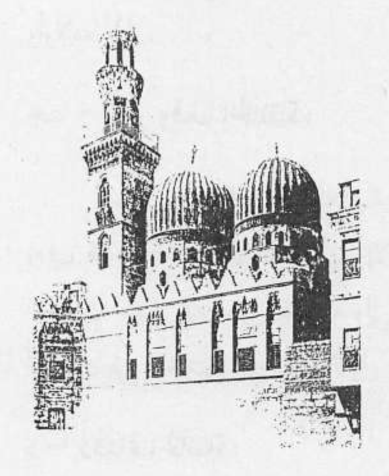
٤ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ٣)



مسجد سنجر الجاولى بقلعة الكبش بالقاهرة رسم أفقى
لوحة ٣ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) أثر رقم ٢٢١ (٧٠٣هـ/ ١٣٠٢م)– مسقط أفقى
(عن لجنة حفظ الاثار العربية)

لا شك أن هذه الخانقاة بما تتمتع به من مميزات معمارية وزخرفية تعد واحدة من أجمل خانقاوات القاهرة بناء وزخرفا، ويختلف تصميمها عن تصميم المساجد والمدارس فلا هو تصميم مسجد ولا هو تصميم مدرسة وإنما هو تصميم خانقاة تشتمل على كثير من التفاصيل . المعمارية للأضرحة والخلوات ونحوها، ومسقطها الأفقى غير منتظم ويبلغ مسطحها (٧٨٠) متر مربعا[١٩٥] . وفيما يلى وصف كامل لمكوناتها المعمارية:

أ– الواجهة الرئيسية والمدخل :

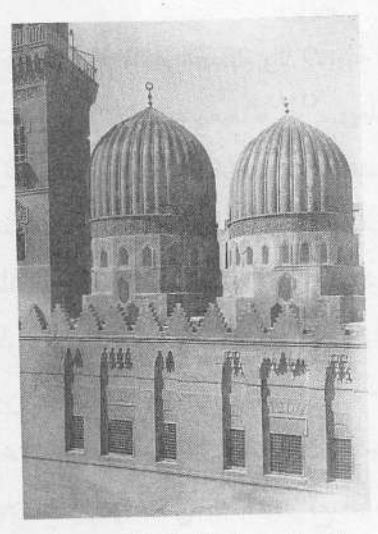


لوحة ٤ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) واجهة (عن لجنة حفظ الاثار العربية).

تقع هذه الخانقاة فى شارع مراسينا بحى السيدة زينب وتطل واجهتها الرئيسية على الجهة البحرية وهى عبارة عن جدار حجرى ذو اتجاهين طول الأول (٢٢٫٢٥) متر وطول الثانى (٥٫٢٠) متر وارتفاعه الكلى (١٣٫٥٠) متر ويمكن تقسيم هذه الواجهة إلى قسمين أولهما سفلى مصمت ليس به فتحات، وثانيهما علوى يتألف من ست دخلات تنقسم إلى قسمين يتكون كل منهما من ثلاث دخلات رأسية متجاورة بكل منها شباك مستطيل الشكل به أرماح ومخرزات نحاسية متقاطعة يعلوها عتب من أحجار مزررة تزينه فى بعض الأعتاب زخارف نباتية على شكل ورقة ثلاثية الفصوص وفى بعضها الآخر خطوط متماوجة متوازية وفى بعضها الثالث زخارف هندسية مختلفة[١٩٦]

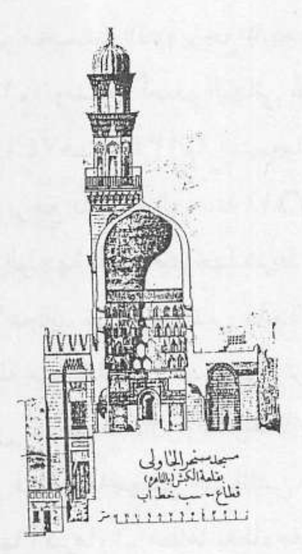
(أنظر لوحة ٤ ، شكل ٨) .

وفوق العتب المشار إليه عقد عاتق تزينه وحدات زخرفية نباتية من أوراق وأنصاف مراوح نخيلية، فوقه عتب ثان عبارة عن صنجات مزررة، وتنتهى كل دخلة من هذه الدخلات قرب الحافة العليا للواجهة بزخارف من أربعة صفوف من المقرنصات المقعرة ذات الدلايات، وتذكرنا هذه الواجهة بواجهة المنصور قلاوون بالنحاسين إذا ما استثنينا الخلاف الوحيد بينهما ممثلا فى أن دخلات واجهة الجاولية متوجة بمقرنصات، بينما هى متوجة فى واجهة قلاوون بعقود مدببة (أنظر لوحة: ٥).



شكل ٨ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر)
اثر رقم ٢٢١ (٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) – واجهة بحرية

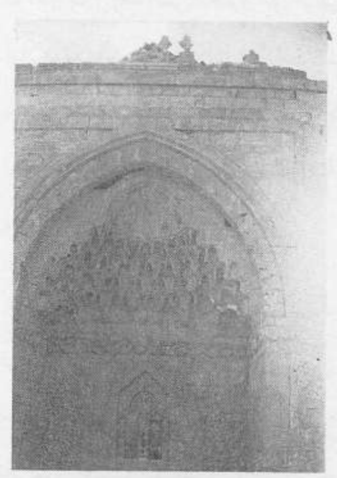
أما المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة فيقع فى نهاية الواجهة التى بين أيدينا من الناحية الشرقية، وهو مرتفع عن مستوى أرضية الشارع بثلاثة أمتار ونصف تقريبا، حيث يصعد إليه بسلم حجرى يتكون من ستة عشرة درجة تؤدى إلى بسطة خارجية أمام الباب، وهذا المدخل عبارة عن دخلة عمقها (٥٠ر) متر تكتنفه مكسلتان حجريتان طول كل منهما (٦٥ر) متر وعرضها (٥٠ر) متر وارتفاعها (١) متر خاليتان من أية عناصر زخرفية، أما فتحة الباب فعرضها (٦٠ر١) متر بها مصراعين خشبيين مجددين، ويعلو هذا المدخل عتب من صنجات حجرية مزررة، يحيط به ويحدده جفت لاعب ذو ميمات دائرية فوقه إفريز حجرى نقشت فيه كتابة نسخية من سطرين نصهما:



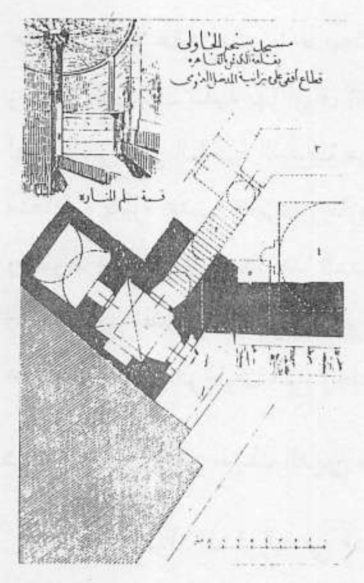
لوحة ٥ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) – قطاع رأسى للواجهة (عن لجنة حفظ الاثار العربية)

١ – بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر.

٢ – واقام الصلاة واتا (Sic) الزكاة ولم يخش إلا الله[١٩٧]. عمل هذا المكان المبارك فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة[١٩٨]. ويعلو هذا المدخل شباك مربع الشكل ذو إطار خشبى به أرماح ومخرزات حديدية متقاطعة فوقه عتب حجرى تزينه زخارف هندسية لأشكال مثلثات وخطوط متكسرة، ويحدد هذا العتب أيضا جفت لاعب ذو ميمات دائرية تشبه الجفت الذى يحدد عتب المدخل، وفوق هذا العتب عقد عاتق تزينه زخارف حجرية بارزة لأوراق نباتية وأنصاف مراوح نخيلية يليه عتب ثالث من صنجات حجرية مزررة، وتنتهى دخلة هذا المدخل من أعلا بزخارف من مقرنصات حجرية مقعرة ذات دلايات(أنظر شكل: ٩)، والواقع أن هذا المدخل وما يشتمل عليه من أعتاب وزخارف يشبه إلى حد كبير مداخل مسجد الست مسكة (الست حدق دادة السلطان الناصر محمد) الذى يرجع تاريخه إلى سنة (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) ومسجد أصلم البهائى الذى يرجع تاريخه إلى سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) ومسجد بشير أغا الجمدار الذى يرجع تاريخه إلى سنة (٧٦١هـ/ ١٣٥٩م)، أما حافة الواجهة العليا فيتوجها شريط من شرافات حجرية مسننة، ولا يسع الواقف أمام هذه الواجهة إلا الإعجاب ببراعة مهندس هذه الخانقاة الذى استطاع أن ينفذ هدف المنشئين بطريقة معمارية جميلة متناسقة فبنى لهما فوق تربتيهما قبتين متماثلتين شكلا وزخرفا متفاوتتين قدرا وعلوا، اختص كبراهما بسلار وصغراهما بسنجر وقسم جزء الواجهة الذى على يمين المئذنة إلى قسمين عمل فيهما واجهتين متماثلتين وضعا ونظاما وكون فى كلتيهما مجموعة من ثلاثة شبابيك أوسطها أكبرها، ثم غطاها بغطاء مقرنص وتوج الواجهة بأكملها بشرافات مسننة[١٩٩]



شكل ٩ الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر)
طاقية المدخل الرئيسى



لوحة ٦ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) قطاع أفقى للمدخل عن (لجنة حفظ الآثار العربية)

(أنظر لوحة: ٦).

دركاة المدخل وممره:

يؤدى المدخل المشار إليه إلى دركاة مربعة الشكل طولها (٤) متر وعرضها (٣,٩٠) متر أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى، فى جدارها الشرقى دخلة عمقها (٠,٧٠) وعرضاها (٢) متر يعلوها عقد نصف دائرى بداخلها شباك عرضه (١,٦٠) متر وعمقه (١) متر يعلوه عقد نصف دائرى مسدود بسدة حديثة.

وفى صدر هذه الدركاة باب يرتفع عن أرضيتها بمقدار (٠,٧٠) متر عرضه (٠,٩٥) متر، يعلوه عتب مستو فوقه نافذة مستطيلة بها مصبعات خشبية، ويؤدى هذا الباب إلى خلوة صغيرة عبارة عن قاعة مربعة طول ضلعها (٣,٧٠) متر يغطيها قبو حجرى نصف دائرى، ويغطى هذه الدركاة سقف حجرى به بعض قوالب الطوب الأحمر عبارة عن قبو مروحى، أما جدارها الغربى فبه مدخل عرضه (١,٤٠) متر ذو عقد مدبب يحدده جفت لاعب ذو ميمات دائرية، ويؤدى هذا المدخل إلى ممر مغطى بقبو حجرى نصف اسطوانى، ونظرا إلى أن بهذا الممر السلم الصاعد الذى يؤدى إلى داخل الخانقاة بعد أربع وعشرين درجة فقد قسم المعمار سقفه إلى قسمين يمتد كل منهما بطول اثنتى عشرة درجة وجعل سقف القسم الغربى أعلى مستوى من سقف القسم الشرقى، وينتهى هذا السلم ببسطة مربعة طول ضلعها (٢) متر تتقدم المدخل الذى يفضى إلى داخل الخانقاة ورغم ان هذه البسطة سماوية إلا أنها تنتهى بأربع مناطق انتقال تتكون كل منطقة منها من أربعة مثلثات كروية كانت تحول مربعها إلى مثمن يتحول إلى دائرة لتقوم فوقها رقبة اسطوانية اشبه برقبة القباب مما يدل على أنها كانت مغطاة بقبة، وبصدر الرحبة المشار إليها فى مواجهة السلم باب ذو عقد نصف دائرى عرضه (١,٤٠) متر يؤدى إلى ممر منكسر ذو انكسارين يتجه أولهما ناحية الغرب بطول (١,٢٠) متر ويتجه الثانى ناحية الشمال بطول (٤١,١٠) متر ويغطيه فى الانكسارين أربعة أقبية مروحية، وفى الجدار الجنوبى من اتجاهه الأول شباك مستطيل الشكل به قوائم وعوارض خشبية يعلوه عتب

حجرى فوقه عقد عاتق به صنجات مزررة، وبين العتب والعقد توجد طبلة عقد تزينها عناصر زخرفية لتفريعات نباتية بها أوراق ثلاثية وثنائية الفصوص وأنصاف مراوح نخيلية، أما الاتجاه الثانى لهذا الممر ففى الناحية الجنوبية من جداره الشرقى شباك مستطيل به أرماح ومخرزات حديدية متقاطعة يعلوه عتب حجرى زخارفه عبارة عن عناصر هندسية بسيطة لأشكال مثلثات ومعينات وخطوط متكسرة، ويحدد هذا العتب جفت لاعب ذو ميمات دائرية يشبه الجفت الذى يحدد الأعتاب فى المدخل الرئيسى، ويعلو هذا العتب عقد عاتق من صنجات حجرية مزررة بينهما طبلة عقد تزينها نفس الزخارف التى وجدت فى الشباك السابق وصفه.

د – ضريح الأمير سيف الدين سلار :

يلى الشباك المشار إليه فى الناحية الجنوبية من الجدار الشرقى للممر باب يرتفع عن أرضية هذا الممر بمقدار (٣٠ر)متر، عرضه (١٥ر١) متر تشتمل على مصراعين خشبيين خاليين من الزخارف يعلوهما عتب حجرى نقشت فيه كتابة نسخية من ثلاثة أسطر نصها :

١ – بسم الله الرحمن الرحيم (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)[٢٠٠] هذه تربة

٢ – العبد الفقير إلى الله سيف الدين[٢٠١] سلار نائب السلطنة المعظمة[٢٠٢] الملكى الناصرى المنصورى[٢٠٣] المستغفر من ذنبه.

٣ – الراجى عفو ربه رحمه الله ومن دعا له بالرحمة ولجميع المسلمين عمل هذا المكان المبارك فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة[٢٠٤].

وفوق هذا العتب يوجد عقد أسفله طبلة عقد تزينها زخارف نباتية.

ويؤدى هذا المدخل إلى قبة ضريح الأمير سلار وهى عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (١٠ر٧) متر تقوم فى أركانها الأربعة مناطق انتقال كل منها عبارة عن ثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا حولت المربع إلى مثمن تحول إلى دائرة كبيرة نقش إطارها بكتابات نسخية نصها :

«الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر صدق الله العظيم»(٢٠٥) ونقش داخلها بعناصر زخرفية نباتية وهندسية.

أما رقبة القبة فتنقسم إلى قسمين العلوى منهما يشتمل على كتابات نسخية نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعو ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين صدق الله العظيم ورسوله»(٢٠٦).

أما القسم السفلى من رقبة هذه القبة فهو يشتمل على عشرين نافذة متشابهة كل منها مربعة الشكل يعلوها عقد مدبب وبداخلها ثلاثة صفوف رأسية من الدوائر، بكل واحدة خارجية منها أربعة دوائر داخلية من الجص، وخلف كل نافذة من هذه النوافذ نجد زخارف زجاجية ملونة، أما المناطق الأربعة فى أركان القبة فهى متشابهة وبكل منها ثلاثة صفوف أفقية من النوافذ، فى الصف السفلى منها ثلاثة نوافذ ذات زخارف من جص مخرم فى أشكال نباتية وهندسية خلفه زجاج ملون، وفى الصف الأوسط نافذتان يتوسط كل منهما شكل مشكاة، أما العلوى ففيه نافذة واحدة ذات زخارف جصية فى أشكال هندية خلفها زجاج ملون أيضا، هذا وكان فى أعلى جدران الضريح مثمن من الخشب يغلب على الظن أنه كان معدا لتعلق فيه المشكاة التى كانت تضئ القبة.

أما جدران هذا الضريح فالشرقى منها يتوسطه محراب عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (١٥ر١) متر وعمقها (٩٠ر) متر لا تكتنفها أعمدة يعلوها عقد نصف دائرى متراجع، ويمكن تقسيم زخارف هذا المحراب من أسفل إلى ثلاث مناطق: السفلية عبارة عن وزرة رخامية ارتفاعها (٩٥ر) متر وزخارفها أشرطة رأسية تتبادل اللونين الأبيض والأسود (أبلق) ويقوم فوق هذه الوزرة خمسة أشكال لخمسة محاريب زخرفية متشابهة يقوم كل منها على عمودين رخاميين دائرين، قاعدة وتاج كل منهما ذات شكل كمثرى، ويحمل هذان العمودان طاقية المحراب وهى عبارة عن عقد نصف دائرى تزينه زخارف مشعة.

أما المنطقة الثانية من هذا المحراب فارتفاعها (١٠ر١) متر وزخارفها عبارة عن فصوص رخامية ملونة بالأسود والأحمر والأبيض تشكل عناصر هندسية مختلفة ويحدد هذه المنطقة من الجوانب الأربع شريط زخرفى قوام عناصره ورقة نباتية ثلاثية الفصوص ذات شكل مكرر من رخام أسود.

أما المنطقة الثالثة فهى عبارة عن طاقية المحراب وتزينها من الداخل فصوص رخامية ملونة تكون أشكالا هندسية لأطباق نجمية، ومن الخارج زخارف حجرية مزررة باللونين الأبيض والأسود بالإضافة إلى أطباق نجمية وأجزاء من أطباق بالرخام الملون أيضا على جانبى العقد، والواقع أن زخرفة طاقية هذا المحراب بالرخام الدقيق يعد واحدة من أهم مزاياه التى لم تتوفر لغيره من المحاريب إلا القليل وقد رأيناها فى محراب قبة المنصور قلاوون، ثم فى محاريب مساجد الماردانى وقطلوبغا الذهبى وقجماس الإسحاقى والأشرف برسباى بالخانكة، ثم فى محراب زاوية الناصر فرج بن برقوق المعروف بالديشة، وما عدا ذلك كانت هذه الزخرفة تعمل على هيئة أشرطة رخامية ملونة(٢٠٧)، كذلك يحيط بهذا العقد شريط خشبى ينقسم إلى قسمين الأول منهما ذو زخارف نباتية عناصرها أوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية داخل جامات، والثانى زخارفه عبارة عن كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمنت الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمهإلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض»(٢٠٨).

ويلاحظ هنا أن الآيات القرآنية الكريمة التى يشتمل عليها الشريط الخشبى بجدار القبلة فى هذا الضريح لم تكتمل فيها آية الكرسى، ووقف النص عند قوله تعالى «وسع كرسيه السموات والأرض» وهذا يدل على أن هذا الشريط الكتابى الخشبى كان يمتد على باقى جدران الضريح إلا أنه لم يبق منه إلا الجزء الموجود على جدار القبلة فقط، وجدير بالذكر أن هذين الشريطين الخشبيين لا يحيطان بعقد المحراب فقط وإنما يمتدان على الجانبين بامتداد هذا

الجدار حيث نجد أسفلهما شريط ثالث زخارفه عبارة عن فصوص رخامية ملونة تكون أشكالا هندسية مختلفة.

ويحيط بالمحراب من الجانبين كتيبتان متشابهتان كل منهما ذات شكل مستطيل يحيط ببابه إفريز زخرفى قوام عناصره ورقة نباتية ثلاثية مكررة، وينقسم هذا الباب إلى قسمين العلوى مربع وغير موجود والسفلى مستطيل وبه درفتان زخارفهما خطوط بارزة متداخلة.

ويتوسط الجدار الشمالى لهذا الضريح شباك عرضه (١ر٧٠) متر وعمقه (١ر٣٠) متر يعلوه عقد نصف دائرى يتكون من صنجات حجرية مزررة على جانبيه شباكان آخران متشابهان عرض كل منهما (١ر١٥) متر وعمقه (١ر٣٠) متر أيضا يعلوه عتب حجرى فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد تزينها زخارف نباتية. أما جداره الجنوبى فبه على نفس محور الشباك الأوسط بالجدار الشمالى شباك آخر مشابه له تماما يفتح على الممر الخارجى على يساره كتبية تشبه الكتبيتين اللتين على جانبى المحراب، وعلى يمينه مدخل القبة السابق ذكره، كذلك ففى جداره الغربى مدخلان متشابهان عرض كل منهما (١ر٢٠) متر ويعلو كلا منهما نفس الأعتاب التى تعلو الفتحات السابقة، وفيما بين هذين البابين توجد بقايا شريط خشبى زخارفه عبارة عن أجزاء من أطباق نجمية، ويؤدى هذان البابان إلى القبة الثانية وبها ضريح الأمير سنجر.

أما الجزء العلوى من جداران هذا الضريح (ضريح سلار) فعليه شريط من كتابات نسخية نصها (بترتيب الجدران الشرقى والشمالى والغربى والجنوبى) :

«بسم الله الرحمن الرحيم إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض» (وهنا تنتهى كتابة الجدار الشرقى لتبدأ كتابة الجدار الشمالى) بقوله تعالى «ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار، ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا» (وهنا تنتهى كتابة الجدار الشمالى لتبدأ كتابة الجدار الغربى) بقوله تعالى: «سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فاستجاب لهم

ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض» (وهنا تنتهى كتابة الجدار الغربى لتبدأ كتابة الجدار الجنوبى) بقوله تعالى «فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم»[(٢٠٩)].

أما الضريح نفسه فهو يتوسط أرضية هذه الحجرة وتقوم فوقه تركيبة خشبية تقوم على قاعدة مستطيلة طولها (٢,٦٥) متر وعرضها (١,٩٠) متر جوانبها عبارة عن صنجات رخامية مزررة ذات لونين أبيض وأسود، أما التركيبة فهى من الخشب وذات جوانب أربعة تزينها زخارف من حشوات رئيسية عرضية بها أجزاء من أطباق نجمية يزين وحداتها من الداخل عناصر زخرفية نباتية لأوراق ثلاثية وثنائية وأنصاف مراوح نخيلية تنبثق من تفريعات وجامات، ويحيط بهذه الحشوات الرئيسية العرضية حشوات صغيرة من أسفل كلها عبارة عن حشوات مستطيلة ومربعة تزينها نفس العناصر النباتية، ومن أعلى حشوات من الخرط الدقيق تتخللها أربع حشوات مربعة بكل منها شكل معين بها نفس عناصر الزخرفة النباتية المشار إليها.

هـ – ضريح الأمير علم الدين سنجر الجاولى :

يلى مدخل قبة الأمير سلار من الشمال شباك مستطيل يشبه ما فيه من أرماح ومخرزات حديدية، وبما يعلوه من أعتاب الشباك الأول الذى يقع بالجدار الجنوبى لقبة الأمير سلار، وينتهى هذا الممر من ناحيته الشمالية بفتحة ذات عقد نصف دائرى يحمله كابولى حجرى من الشرق ودعامة حجرية من الغرب، ويدخل من هذه الفتحة إلى حجرة مربعة الشكل طول ضلعها (٤,٦٥) متر تعلوها قبة تقوم على مناطق انتقال فى أركان الحجرة العليا كل منها عبارة عن حطتين من المقرنصات ذات الزوايا عملت على شكل عقود مدببة أقيمت فوقها رقبة القبة، وبها ستة عشر نافذة متشابهة كل منها عبارة عن فتحة ذات عقد مدبب لا تزينها زخارف، وتتبادل هذه النوافذ الوضعين النافذ والمسدود الذى عرف بالمضاهيات.

أما القبة فتزينها من أعلى صرة على شكل وردة متعددة الفصوص إطارها عبارة عن كتابات نسخية نصها :

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك صدق الله العظيم»(٢١٠).

وكان يحيط بأعلى جدران هذا الضريح مثمن خشبى يشبه ذلك الذى أشرنا إليه فى قبة الأمير سلار وقلنا إنه كان على ما يبدو معدا لتعليق المشكاة لإضاءة الضريح، أما الجدار الغربى لهذه القبة فبه شباكان متشابهن كل منهما مستطيل الشكل به أرماح ومخرزات نحاسية، ويطل هذان الشباكان على منطقة خربة كانت عبارة عن حوش به مدافن للصوفية، أما الجدار الشرقى ففيه دخلة صماء عمقها (٢٥ر) متر تعلوها نفس الزخارف الموجودة فوق الفتحات إلا أنها هنا غير مزخرفة، وعلى يمين تلك الدخلة يوجد مدخل عرضه (٢٠ر١) متر يشبه تماما مدخل قبة الأمير سلار إلا أن عتبة الحجرى نقشت فيه كتابة نسخية من ثلاثة أسطر نصها :

سطر ١ - بسم الله الرحمن الرحيم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام(٢١١).

« ٢ - هذه تربة العبد الفقير إلى الله تعالى المستغفر من ذنبه الراجى عفو ربه (سنجر الجاولى استاذ).

« ٣ - الدار العالية(٢١٢) الملكى الناصرى المنصورى رحم الله من دعا له بالرحمة (فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة)(٢١٣).

ويفضى هذا المدخل إلى القبة الثانية - وهى كما قلنا - قبة الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وتشبه هذه القبة بكل تفاصيلها المعمارية قبة الأمير سلار فيما عدا جدارها الجنوبى حيث المحراب ذو العقد نصف الدائرى إلا أنه خال من الزخارف تماما اللهم إلا طاقيته المخوصة ذات الزخارف المشعة التى يوجد أسفلها حطة من مقرنصات على شكل حنايا ذات عقود مدببة نجد شبيها له فى قبة الصوابى التى ترجع إلى سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وقبة بدر الدين القرافى التى ترجع إلى سنة (٧٠٠ - ٧١٠هـ/ ١٣٠٠ - ١٣١٠م) وقبة تنكزبغا التى ترجع إلى سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م).

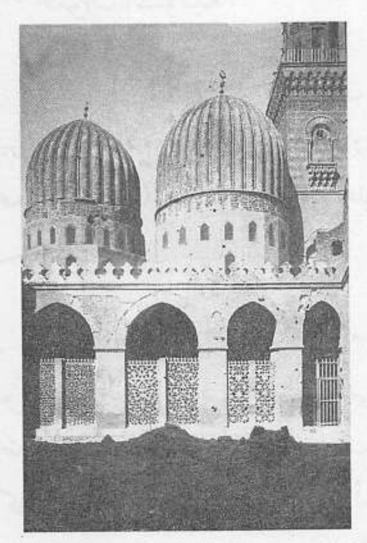
هذا وبدلا من الكتبيتين على يمين ويسار المحراب فى القبة السابقة فقد استبدلا هنا ببابين بربطان بين القبتين وقد سبقت الإشارة إليهما عند الحديث عن الجدار الشمالى للقبة السابقة، وبالإضافة إلى شريط الكتابة المشار إليه فى صرة هذه القبة فإنها تشتمل على شريطين كتابيين آخرين أحدهما أعلا رقبة القبة ونصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم، فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم»[٢١٤] والآخر فى أعلى جدرانها ونصه بترتيب الجدران (الشرقى والشمالى والغربى والجنوبى) :

«بسم الله الرحمن الرحيم. لله ما فى السموات وما فى الأرض، وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله، فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، والله على كل شئ قدير، آمن الرسول (وهنا تنتهى كتابة الجدار الشرقى لتبدأ كتابة الجدار الشمالى) بقوله تعالى بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها (وهنا تنتهى كتابة الجدار الشمالى لتبدأ كتابة الجدار الغربى بقوله تعالى ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فا (وهنا تنتهى كتابة الجدار الغربى لتبدأ كتابة الجدار الجنوبى) بقوله تعالى : نصرنا على القوم الكافرين»[٢١٥] وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين صدق الله العظيم ورسوله الكريم.

ويتوسط هذه الحجرة قاعدة رخامية مستطيلة الشكل طولها (٢٫٧٠) متر وعرضها (١٫٩٠) متر جانبيها الشرقى والغربى من ألواح رخامية مزررة، وتقوم فوقها تركيبة الضريح الرخامية وهى مستطيلة أيضا تقوم فى أركانها الأربعة أربع بابات ويغطيها سقف من ألواح رخامية ملونة.

ومما تجب الإشارة إلية أن القبتين مبنيتان بالطوب وقد حول المربع فى كل منهما إلى دائرة بواسطة أربعة صفوف من مقرنصات يعلوها إفريز به كتابات كوفية، وهذه ميزة من مميزات قباب نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجرى، ونجد مثلا لها فى قبة زين الدين يوسف التى يرجع تاريخها إلى سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، كذلك فقد امتازت القبتان بشكلهما المضلع من الخارج وقطاع كل منهما على شكل عقد مدبب ينزل رأسيا بعد بدء العقد[٢١٦] (أنظر شكل: ١٠).



شكل ١٠ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر)
القبتان من الخارج

أما الجدار الغربى من الممر المقبى أمام الضريحين ففيه ثلاث فتحات عرض الوسطى (٣) متر وعمقها (١,٥٠)متر، واجهتها المطة على منطقة المقابر عبارة عن مستطيلين حجريين متشابهين زخارف كل منهما الجميلة المفرغة عبارة عن ورقة نباتية ثلاثية الفصوص وأنصاف مراوح نخيلية داخل جامات دائرية، ويعو كل مستطيل منهما شريط من شرافات على شكل ورقة ثلاثية، ويفصل بين هذين المستطيلين شريط رأسى زخارفه بالحفر البارز عبارة عن أوراق ثنائية وأنصاف مراوح نخيلية داخل جامات أيضا، وجدير بالذكر أن هذا النوع من الزخرفة الحجرية المفرغة لم يكن يوجد قبل ذلك إلا فى الدروات الحجرية لبعض المآذن[٢١٧] (راجع : شكل: ١٠).

وإلى الشمال من هذه الفتحة توجد فتحة ثانية تشبهها تماما بكل ما فيها زخارف، وإلى الجنوب منها توجد فتحة ثالثة عرضها (٢,١٠) متر وعمقها (١,٥٠) متر إلا أن زخارفها المطلة على المقابر عبارة عن مستطيلين رأسيين أيضا تختلف زخارفهما عن زخارف الدخلتين السابقتين فى أنها عبارة عن أوراق وعناقيد عنب، أما الشريط الرأسى الذى يفصل بين المستطيلين فزخارفه مكررة من ورقة ثلاثية الفصص فقط، هذا وتوجد على واجهات دعائم هذه الدخلات أربع مستطيلات حجرية يزين الثلاثة الشمالية منها عناصر نباتية لأوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية، أما المستطيل الرابع فتزينه زخارف لكتابات كوفية مربعة، وفى نهاية هذا الممر من الناحية الشمالية

يوجد عقد كبير اتساعه (٦٥ر٢) متر يرتكز فى أحد جانبيه على كابولى جميل نجد مثالا له فى مدرسة الأمير سيف الدين مثقال التى ترجع إلى سنة (٧٦٣هـ/ ١٣٦٠م).

و – خلوات الصوفية:

يتوصل إلى هذه الخلوات عن طريق المدخل الجنوبى بالممر المقبى فيجتاز المرء ساحة خربة غير منتظمة الأضلاع، بالجهة الجنوبية الشرقية منها محراب متهدم سعة حنيته (٢٠ر١) متر وعمقها (٦٠ر) متر تغطيه طاقية على هيئة عقد نصف دائرى تعلوه زخارف هندسية وكتابات نسخية ذات أحرف غليظة تقرأ منها :

«يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون»[٢١٨] ثم يتوج هذا المحراب رفرف خشبى ينتهى بشرافات مزخرفة تحته إزار به كتابات نسخية تقوم على أرضية من زخارف نباتية بينها جامات بداخلها زخارف من عناصر هندسية جصية تقول كتاباته: «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»[٢١٩].

وخلف هذا المحراب توجد بقايا خلوات الصوفية وكانت تتألف من طابقين يشتملان على خلوات من نوع الحبيس المبنية فى الجدران بالطوب وفى السقوف بالأقبية الحجرية، وكان للشيخ منها مسكن علوى بمرقى سلم المئذنة يتكون من ثلاث حجرات ببعضها فتحات دقيقة (تطل على الخانقاة)[٢٢٠] مستطيلة يغطيها قبو مروحى فى جدارها الشرقى فتحة باب عرضها (١) متر ذات عقد نصف دائرى تؤدى إلى سلم حجرى يتكون من أربع انكسارات يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى استخدمت فيه نفس طريقة التنفيذ فى قبو السلم الأول، ويؤدى الانكسار الرابع فى نهاية جداره الغربى إلى مدخل ذو عقد نصف دائرى عرضه (٨٠ر)متر يؤدى إلى خلوة مستطيلة يغطيها قبو نصف اسطوانى فى جدارها الشمالى نافذة مربعة تطل على الرحبة السماوية لسلم المدخل، وفى جدارها الجنوبى نافذة مستطيلة تطل على صحن المدرسة.

ويدخل من هذه الحجرة بواسطة فتحة عرضها (٨٠ر) متر تتوسط جدارها الغربى إلى حجرة ثانية مستطيلة الشكل يغطيها قبو نصف اسطوانى بها فى الجدار الشمالى دخلة عمقها

(٢٠ر) متر وعرضها (١) متر، وفى الجدار الجنوبى أربع نوافذ صغيرة مستطيلة تفتح على صحن المدرسة، أما جدارها الغربى فبه دخلة عمقها (١٫٢٥) متر وعرضها (٩٥ر) متر ذات سقف نصف اسطوانى فى جدارها الجنوبى نافذتان تعلو إحداهما الأخرى كل منهما مستطيلة الشكل بها مصاريع خشبية تزينها عناصر زخرفية نباتية وهندسية وترتفع هذه الدخلة عن أرضية الحجرة بمسافة (٧٥ر) متر.

وفى نهاية الانكسار الخامس لهذا السلم توجد فتحة باب عرضها (٧٥ر) متر كانت تؤدى إلى خلوة صغيرة مستطيلة متهدمة[٢٢١].

و – المئذنة : (أنظر شكل: ١١)


شكل ١١ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر) المئذنة

يؤدى الانكسار الخامس للسلم المشار إليه إلى السطح حيث المئذنة وتقع فى الركن الشمالى الشرقى، ارتفاعها حوالى (٢٦٫٥٠)متر وتقوم على قاعدة حجرية مربعة طول ضلعها (٤٫٥٠) متر، أما بدنها فيتكون من ثلاث دورات تقوم فوق تلك القاعدة المربعة لتشمل بدن الدورة الأولى وتزينة فى الجانب الشرقى نافذة مستطيلة الشكل عملت على شكل محراب يقوم على عمودين رخاميين مثمنين لكل منهما قاعدة وتاج رخاميين يحملان طاقية المحراب وهى عبارة عن عقد نصف دائرى ذو زخارف مشعة تذكرنا بالنوافذ الفاطمية.

وأسفل هذه النافذة توجد شرفة بارزة واجهتها عبارة عن حطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا على شكل حنايا ذات عقود نصف دائرية ممتدة (Stilted arches) وفى الجانب الغربى زخرفة مشابهة، إلا أنها هنا تشمل على حطتين من المقرنصات ذات الدلايات أسفل الشرفة، أما الحنية فبها كوة دائرية، وزخارف العقد عبارة عن خطوط متكسرة.

أما الجانب الجنوبى فبه شرفة ثالثة تتكون زخارف المقرنصات فيها من أربع حطات مضلعة

ذات زوايا، فوقها دخلة تشبه دخلة الجانب الغربى إلا أن عقدها تزينة زخارف عبارة عن مخدات متلاصقة، أما الجانب الشمالي فتشبه شرفته البارزة شرفة الجانب الجنوبى إلا أنه يوجد فوقها بدلا من الدخلة الغير نافذة فى الجدارين الغربى والجنوبى، نافذة ذات عقد ثلاثى الفصوص تقوم على ثلاثة أعمدة رخامية دائرية، يوجد فوقها بدلا من الدخلة الغير نافذة فى الجدارين الغربى والجنوبى، نافذة ذات عقد ثلاثى الفصوص تقوم على ثلاثة أعمدة رخامية دائرية، يوجد بالعمود الأوسط منها كوة دائرية نافذة.

وأسفل شرفة هذه الواجهة توجد نافذة أخرى مستطيلة الشكل يقوم على جانبيها عمودان رخاميان مثمنان لكل منهما قاعدة وتاج متشابهين يحملان عقدا فارسيا مدببا زين بطريقة الزخرفة المشعة، وفوق عقود نوافذ هذه الدورة يوجد شريط من الكتابة النسخية نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب»[٢٢٢] وتنتهى هذه الدورة بمقرنصات مقعرة ذات دلايات.

أما الدورة الثانية فهى ذات بدن مثمن زينت أضلاعه الثمانية بزخرفة مكروه كل منها عبارة عن فتحة مستطيلة الشكل تكون شكل محراب طاقيته ذات زخارف مشعة إلا أنه لا يكتنف أى محراب فيها أعمدة، ويعلو طواقى هذه المحاريب فى نهاية هذه الدورة زخارف لمقرنصات مضلعة ذات زوايا تتكون من أربع حطات، وجدير بالذكر أن هناك فوق كل ضلع من الأضلاع الثمانية أسفل حطة المقرنصات الأولى فتحة نافذة.

وفوق الدورة الثانية ترتفع الدورة الثالثة وهى عبارة عن جوسق يقوم على ثمانية أكتاف خالية من الزخارف تحمل أربع حطات لمقرنصات مضلعة ذات زوايا، وينتهى هذا الجوسق بقبة صغيرة (خوذة) ذات بدن عبارة عن مخدات متجاورة، يذكر قطاع عقود كرنيشها بالعقود الموجودة فى مئذنتى جامع الحاكم[٢٢٣].

ويقع مدخل هذه المنارة فى الناحية الجنوبية الغربية وهو عبارة عن فتحة عرضها (٩٠ر) متر

يعلوها عتب مستو وتكتنفها مكسلتان حجريتان مربعتان طول ضلع كل منهما (٤٠ر) متر وارتفاعها (٥٥ر) متر، ويقع هذا المدخل داخل دخلة عمقها (٣٥ر) متر يعلوها عقد ثلاثى الفصوص يحيط به جفت لاعب ذو ميمات دائرية يتوسطه من أعلا كوة دائرية، ويصعد إلى هذا المدخل بدرجتين حيث يوجد سلم المنارة وهو عبارة عن سلم حلزونى من الحجر.

والخلاصة أن هذه المئذنة كانت بداية مرحلة جديدة فى تطور عمارة المآذن المصرية، وهى المرحلة التى نالت المئذنة خلالها تنوعا فى التصميم وتعددا فى الطوابق وتباينا فى المقرنصات، بالإضافة إلى تفردها بباب معقود ذو مكسلتين يعد الأول من نوعه فى المآذن المملوكية، تلاه باب مئذنة مسجد الأمير بشتاك بدرب الجماميز[٢٢٤]، وقد ظهرت الدورة المستديرة لأول مرة فى هذه المئذنة وأصبحت منذ ذلك الحين عنصرا هاما من عناصر المآذن ذات المباخر، كما أصبح من المعتاد أن ترتفع هذه الدورة المستديرة فوق دورة مثمنة، والغالب أن مهندس هذه الخانقاة كان قد تأثر فى مئذنتها بنظام مئذنة المنصور قلاوون التى استخدم فيها الحجر فى صفوف متناوبة الألوان[٢٢٥].

وقد اشتملت النوفذ السفلية للقاعدة المربعة فى هذه المئذنة على النوع الشائع فى المآذن الأيوبية، بينما اشتملت فى النوافذ العلوية على تأثر كبير بالتقاليد الأندلسية ممثلة فى ظهور القواعد المقرنصة البارزة، أما الشرفة التى تتوج هذه القاعدة فقد عملت على هيئة مربعة أيضا على عكس الشرافات المثمنة التى استخدمت فى مئذنتى الصالح نجم الدين والمنصور قلاوون.

وما تجب الإشارة إليه أن الطابق المثمن فى المئذنة التى بين أيدينا يشبه نظيره بمئذنة زاوية الهنود باستثناء اشتماله هنا على صف واحد من المقرنصات بدلا من صفين، وأن الطابق العلوى منها كان الأصل الذى تأثرت به المآذن المملوكية المنتهية بالجوسق القائم على الأعمدة كما هو الحال فى مآذن الطنبغا الماردانى التى ترجع إلى سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٤٠م) والسلطان حسن التى ترجع إلى سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) وغيرهما[٢٢٦]، ومع أن هذا الطابق العلوى يعد من مميزات المآذن الأيوبية إلا أنه لازم كثيرا من المآذن المملوكية حتى منتصف القرن (٨هـ/ ١٤م) فنراه فى مئذنة مسجد أبى الغضنفر أسد الفائزى ومئذنة خانقاة بيبرس الجاشنكير وقوصون ومنجك اليوسفى رغم أنه تطور فى المآذن الثلاثة الأخيرة من استخدام الطوب إلى الحجر، ثم بدأ هذا النوع من المآذن فى الظهور بالوجه البحرى فى القرنين (٩ - ١٠هـ/ ١٥ - ١٦م) وخاصة فى المحلة

الكبرى وسمنود[٢٢٧].

ط – قبة الأمير سلار من الخارج : (راجع شكل: ١١)

هذه القبة مبنية من الطوب وذات بدن مضلع يزينها أسفل التضليع فى رقبة القبة شريط من الكتابات النسخية البارزة تتخللها عناصر نباتية لأوراق ثلاثية وثنائية ومراوح نخيلية ونص هذه الكتابات:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون[٢٢٨].

هذا ويحيط بنوافذ رقبة القبة أشرطة زخرفة عبارة عن إطارات عناصرها تفريعات نباتية ذات أوراق وأنصاف مراوح نخيلية، كما كان يحدد أضلاع المثمن من الخارج إطارات ذات زخارف هندسية بارزة على شكل خطوط متداخلة تكون ما يشبه المثلثات لم يبق منها إلا أجزاء قليلة.

ى – قبة الأمير سنجر من الخارج: (راجع شكل ١١)

تشبه هذه القبة قبة الأمير سلار تماما فى الشكل العام إلا أنها تختلف عنها فى بعض التفاصيل مثل وجود بخاريتان جصيتان فى أضلاع المثمن من الخارج، يزين إطاريهما ووسطيهما خطوط متداخلة، ويزين نهايتيهما من أعلى ومن أسفل وحدة زخرفية على شكل ورقة نباتية ثلاثية الفصوص، أما شريط الكتابات النسخية أسفل التضليع برقبة هذه القبة فنصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين. صدق الله العظيم[٢٢٩].

وهناك بالإضافة إلى قبتى سلار وسنجر قبة حجرية صغيرة ملساء خالية من النقوش مقرنصها من حطتين تضاربت الأقوال بشأنها فقيل أنها لدفين يدعى عبد الله الذاكر وقيل أنها للأمير بشتاك بعد أن نقلت إليها جثته من الاسكندرية سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، وهذه القبة هى

على ما يبدو أقدم القباب المبنية بالحجر فى مصر لأن كل ما قبلها من القباب كان يبنى بالآجر، ويقوم على منطقة انتقال تتكون من صفين من المقرنصات تتميز حطتها الوسطى بحلية زخرفية تشبه سعف النخيل(٢٣٠).

والواقع أن القباب المصرية كان قد تغير شكلها اعتبارا من سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) فارتفعت رقابها واتخذ انحناؤها شكلا خاصا أطلق عليه «القبة القاهرية» كما تحولت مادة بنائها من الطوب إلى الحجر، ولعل القبتين اللتين بين أيدينا هما خير دليل على ذلك رغم أن مادة بنائهما لا زالت بالطوب المغطى بالجص، فقد كانت البداية فى هذا التطور ثم تلتهما قبة سنجر المظفر التى بنيت سنة (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م) وغيرها(٢٣١)، وما تجب الإشارة إليه أن قطاع هاتين القبتين من الخارج قد بنى على شكل عقد مدبب ينزل رأسيا فى اتجاه رأسى بعد بدء العقد(٢٣٢).

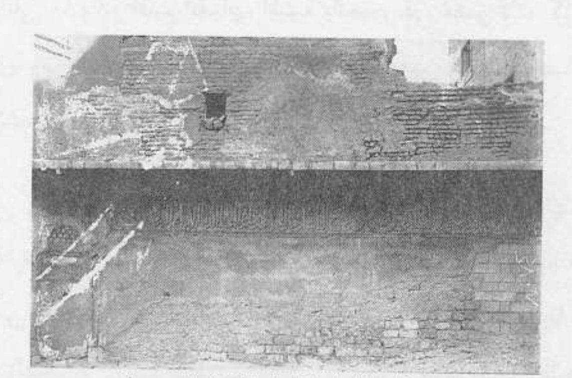
وكما أن وجود الكتابات الكوفية فيهما يعد من مميزات قباب نهاية القرن (٧هـ/ ١٣م) وبداية القرن (٨هـ/ ١٤م) فقد رأيناها فى قبة الخانقاة البندقدارية (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وفى قبة زين الدين يوسف (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)(٢٣٣)، والخلاصة أن تضليع هاتين القبتين كان قد شاع فيما تلاهما من عمائر مملوكية ولا سيما فى قباب أيدكين البندقدارى (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) والصوابى (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) وزين الدين يوسف (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) وقوصون (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) وأم أنوك (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) ويونس الدوادار (٧٥٠هـ/ ١٣٤٨م) وشيخو (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) وتنكزبغا (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) وغيرها.

ك – حوش الخانقاة :

الواقع أن حوش الخانقاة أو منطقة المرافق فيها هو عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل يظهر منها على سطح الأرض ثلاث مقابر ذات تراكيب حجرية خالية من الزخارف، إلا أن الجانب الجنوبى من هذه المساحة به على الجدار شريط زخرفى قوام زخارفه كتابات نسخية تتخللها عناصر نباتية من أوراق وأنصاف مراوح نخيلية نصها :

«فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»(٢٣٤)(أنظر

شكل:١٢).


شكل ١٢ : الخانقاة الجاولية (سلاروسنجر)
محراب وكتابة بالحائط الشرقى لحوش الخانقاة

هذا وفى الركن الشمالى الشرقى من هذا الحوش توجد حنية ذات عقد نصف دائرى بها فتحة دائرية ربما كانت لسبيل فى هذه المنطقة، وقد ورد فى بعض المراجع العربية أن هذا الحوش هو عبارة عن صحن مكشوف به بقايا قبور خلفها محلات متخربة كانت خلوات للصوفية من دورين يتصلان بالخلوات العلوية المطلة على المصلى، وكان بهذا الجزء مزولة من عمل عبد الرحمن الطولونى سنة (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م)[٢٣٥].

ل – المدرسة :

فى الناحية الجنوبية لرحبة سلم المدخل يوجد باب عرضه (١,٤٠) متر ذو عقد نصف دائرى يؤدى إلى صحن المدرسة وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٩,٤٠) متر وعرضها (٨,٧٠) متر يغطييها سقف خشبى خالى من الزخارف حاليا رغم أن ما ورد فى كراسات لجنة حفظ الآثار العربية يشير إلى أن هذا الصحن كان مسقوفا بشخشيخة خشبية من نجارة غير مدهونة[٢٣٦]، ويشتمل الجدار الشمالى لهذا الصحن فى يسار المدخل المشار إليه على شباكين : الشرقى عرضه (١,٦٥) متر وعمقه (٢,١٥) متر والغربى عرضه (١,٤٠) متر وعمقه (١,٨٠) متر، كل منهما ذو وضع منحرف أراد المعمار عن طريق انحرافهما أن يخرج إيوان قبلة المدرسة على سمته الصحيح.

ويعلو كلا من هذين الشباكين عقد نصف دائرى، أما الجزء العلوى من هذا الجدار فبه النوافذ التى سبقت الإشارة إليها عند وصف الخلوات فى هذا الجانب، إلا أنه يحيط بأعلى وأسفل هذه النوافذ شريطان زخرفيان، السفلى منهما زخارفه عبارة عن ورقة نباتية ثلاثية مكررة، أما الشريط العلوى فهو عبارة عن كتابات نسخية تتخللها عناصر زخرفية نباتية، وجدير بالذكر أن هذين

الشريطين كانا يحيطان بجدران هذا الصحن الثلاثة: الشمالية والجنوبية والغربية.

ويبدأ الشريط الكتابى المشار إليه من الجدار الغربى بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. تبارك الذى جعل فى السماء بروجا (ثم جزء فاقد) حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما»[٢٣٧].

أما فى الجهة الغربية من هذا الصحن فيوجد إيوان صغير عبارة عن دخلة عرضها (٢٫٨٠) متر وعمقها (٣٫٣٠) متر يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى عل جانبيها فتحتان كل منهما ذات عقد نصف دائرى عرضها (٫٩٥) متر تؤدى كل منهما إلى حاصل مستطيل يغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى، ويعلو كلا من هاتين الفتحتين (أو المدخلين) مستطيلا جصيا زخارفه عبارة عن أوراق نباتية ثلاثية وخماسية الفصوص ذات حفر نافذ داخل جامات.

أما الجدار الجنوبى لهذا الصحن ففيه ثلاثة أبواب تشبه البابين فى الجدار الغربى بعقودها وما يعلوها من وحدات زخرفية مستطيلة فيما عدا الباب الغربى فلا توجد فوقه هذه الوحدة، ويؤدى هذا الباب إلى حاصل صغير ذو سقف مستو أما الحاصلين الآخرين فيشبهان بقية الحواصل تماما، وينتهى هذا الجدار بباب رابع ذو عقد نصف دائرى عرضه (١٫١٠) متر كان يؤدى إلى خلوات بالناحيتين الغربية والجنوبية تهدمت الآن ولم يبق منها شيئا على سطح الأرض، وجدير بالذكر أن فى كل من جدارى الصحن هذين (الغربى والجنوبى) شقة حجرية على هيئة نافذة مستطيلة تزينها زخارف حجرية مفرغة لأوراق ثلاثية وخماسية وتفريعات نباتية من النوع المعروف بالأرابيسك.

وفى الناحية الشرقية من هذا الصحن يوجد إيوان القبلة وهو عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل طولها (٩٫٧٠) متر وعرضها (٧٫٤٠) متر ذات سقف من عروق خشبية غير مزخرفة، وليس فى هذا الإيوان شئ من الزخارف اللهم إلا المنبر الواقع على يمين محراب عادى ذو حنية عرضها (١٫١٥) متر وعمقها (٫٨٥) متر ذو عقد نصف دائرى متراجع.

وهذا المنبر يقوم على قاعدة خشبية مستطيلة طولها (٢٫٨٠) متر وعرضها (٩٥ر) متر تقوم فوقها ريشتان متشابهتان تتكون كل منهما من مثلث كبير فى أسفل يتوسطه طبق نجمى، وفى إطاره أنصاف أطباق نجمية، ويعلو هذا المثلث سبع حشوات مختلفة الأشكال ذات خشب خرط، وفى مؤخرة المنبر بابا الروضة ويزين كلا منهما طبق نجمى فى الوسط حوله أجزاء من أطباق نجمية فى الأركان، ويعلو كلا منهما حليات خشبية على شكل تفريعات نباتية، وأعلى كل من هذين البابين حشوة خشبية نقش عليها بخط النسخ:

«جدد هذا المنبر فى عصر خديوى مصر عباس حلمى الثانى»

أما باب المنبر الرئيسى فيصعد إليه بقدمة ارتفاعها (٤٠ر) متر وهو ذو مصراعين تزينهما خطوط متداخلة، وتعلوه حليات تشبه الحليات التى تعلو بابى الروضة، وفوق هذه الحليات حشوة كتابية بخط النسخ نصها:

«إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما [٢٣٨]»

ويعلو تلك الحشوة الكتابية حطتان من المقرنصات يعلوهما فى حافة الباب العليا شريط من الزخارف على هيئة ورقة ثلاثية مكررة، ويصعد من هذا الباب إلى جلسة الخطيب، وهى ذات أوجه ثلاثة تزينها نفس الحليات الموجودة أعلا أبواب المنبر، إلا أن ظهرها زخرف بشكل محراب يقوم على عمودين دائريين يحملان عقدا نصف دائرى فوق زاويته ميمة دائرية على جانبيها عناصر نباتية لتفريعات وأوراق.

أما جوانب هذه الجلسة من الخارج ففى كل منها حطتان من المقرنصات ويعلوها شرافات على شكل ورقة ثلاثية ويتوج الجلسة رقبة يعلوها شكل كمثرى يتوجه هلال.

وإلى الشمال من هذا الإيوان توجد دخلة عرضها (٥٫٦٠) متر وعمقها (٥٫٣٠) متر يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى فى جدارها الشرقى دخلة عرضها (٢٫٨٥) متر وعمقها (١٫٥٥) متر ذات عقد نصف دائرى، ترتفع عن الأرضية بمقدار (٣٥ر) متر وفى جدارها الغربى دخلة مشابهة، أما فى جدارها الشمالى فيوجد من الشرق شباك عرضه (١٫٦٥) متر وعنقه (١٫٨٥) متر ذو عقد نصف دائرى به أرماح ومخرزات حديدية تطل على الشارع، إلى

الغرب منه توجد دخلة ثالثة عرضها (٦٠ر١)متر وعمقها (٢٠ر)متر ذات عقد نصف دائر أيضا.

هذا ويوجد فى ذلك الإيوان كرسى السورة وهو عبارة عن مستطيل طوله (٣٥ر١) متر وعرضه (٧٥ر) متر وارتفاعه (٢٠ر١) متر (بما فيه الجلسة) قوام زخارفه أطباق نجمية كاملة من أسفل تعلوها أجزاء من أطباق نجمية وحشوات مخروطة فى دروة الجلسة تقوم فوقها ستة بابات.

وفى الجنوب الغربى للمدرسة مطلا على ناحية قلعة الكبش يوجد مدخل آخر ذو سلم حجرى هابط يؤدى بعد انكسارين إلى هذا المدخل، وهو عبارة عن دخلة عمقها (٢٠ر١) متر وعرضها (٤٠ر٢) متر تكتنفها مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٥٠ر) متر وطولها (٢٠ر١) متر وارتفاعها (٩٠ر) متر، ويتوج هذه الدخلة عقد ثلاثى الفصوص زخرف داخله بمقرنصات مقعرة ذات دلايات، أما المدخل نفسه فعرضه (٤٠ر١) متر يعلوه عتب من صنجات حجرية مزررة وبه مصراعان خشبيان خاليان من الزخارف، وكان هذا الباب على ما يبدو خاصا بصوفية الخانقاة وبستجر الجاولى الذى كانت داره مجاورة للخانقاة من هذه الناحية[٢٣٩].

وقد ورد فى كراسات لجنة حفظ الآثار العربية أن منشئ هذه الخانقاة كان قد بنى منزلين بالقاهرة أحدهما كان مجاورا لها وكانت بقاياه لا تزال قائمة حتى سنة (١٨٩٢) ممثلة فى كتابة محفورة على لوح حجرى تثبت نص إنشائه إلا أن هذا المنزل كان قد هدم وتجدد بعضه على عهد الترك كما يقول محضر اللجنة[٢٤٠]، ومع ذلك فهناك فيما ورد فى هذا الأمر ظاهرة جديرة بالملاحظة وهى أن النص الذى أوردته اللجنة فى محاضرها[٢٤١] يشتمل عل ألقاب سلطان وليس ألقاب أمير فهو يقول:

«أمر بإنشاء هذا المكان المبارك السعيد من فضل الله تعالى وكرمه سيدنا ومولانا ومالك رقابنا سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل فى العالمين أبو الفقراء والمساكين ذخر الأرامل والمحتاجين صاحب الصدقات والمعروف المغيث لكل ملهوف ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين الإمام الأعظم والملك المكرم مولانا المقام الشريف السلطان الملك» وغنى عن التعريف أن كل هذه لألقاب التى وردت بهذا النص هى ألقاب سلطان وليس أمير أو نائب للسلطنة.

ليس هذا فقط بل إن اللجنة كانت قد قررت مبلغا قدره (٦٣٠) مليما لأعمال صيانة هذا المنزل وطلبت من الورثة تسديدها فرد الورثة بأنهم فقراء ولا يقدرون على ذلك فكلفت المسيو هرتس بملاحظة ذلك للتأكد من تنفيذه(٢٤٢).

ثم جاءت تقارير المجموعة الثانية عشر من هذه الكراسات لتؤكد أن ديوان عموم الأوقاف طلب من اللجنة التنازل بطريق الاستبدال عن المنزلين الملاصقين لهذه الخانقاة من جهة غرب إلى المالك بجوارهما، وبعد المعاينة رأى القومسيون الثانى للجنة الموافقة على هذا الاستبدال بشرط ألا يمكن المشترى من إقامة أية أبنية محل هذين المنزلين مستقبلا إلا بعد ترك حرم للخانقاة بعرض مترين بطول الحائط(٢٤٣).

يضاف إلى ذلك أن ما ورد فى كراسة اللجنة عن سنة (١٨٩٧)م يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذين المنزلين كانا لا يزالان موجودين بدليل ما أشار إليه التقرير(٢١٠) من أن ديوان عموم الأوقاف طلب من اللجنة هدم جزء من الدور العلوى للمنزل وقف سنجر الجاولى الذى له موردة فوق الدور الأرضى يخشى منها على الأمن العام لكونها مفككة فوافق القومسيون الثانى على ذلك شريطة أن تنتقل الأفاريز المنقوشة بالحفر بعد تصويرها إلى متحف الفن الإسلامى مع الكوابيل الحاملة لها(٢٤٤).

ويفضى المدخل المشار إليه إلى دركاة مربعة الشكل طول ضلعها (٢٫٢٠) متر فى صدرها مصطبة عرضها (٫٩٥) متر وارتفاعها عن الأرض (٫٥٥) متر ويغطى كلا من الدركاة والمصطبة قبو مروحى، وفى جدار هذه الدركاة الشرقى يوجد مدخل ذو عقد فارسى مدبب عرضه (١٫٤٠) متر يؤدى إلى ممر حديث فيه كثيرا من التغييرات التى غيرت كل معالمه القديمة ولم تبق منها شيئا.

وفى نهاية الحديث عن هذا الوصف التفصيلى للخانقاة لا يفوتنا أن نشير إلى ما ذكره صاحب كتاب «جامع الكتابات العربية» من وجود مشكاة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة للأمير سيف الدين سلار مصنوعة من الزجاج المموه بالمينا ارتفاعها (٫٢٥)متر نقشت عليها كتابة نسخية نصها:

«مما عمل برسم تربة العبد الفقير إلى الله تقى سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة عفا الله عنه»(٢٤٥).

٥ – ترميمات الخانقاة :

الواقع أن المادة التاريخية التى بين أيدينا والتى سجلتها محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار العربية يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الخانقاة كانت من أول الأبنية الأثرية التى أولتها هذه اللجنة عنايتها ورعايتها محاولة منها لإعادة هذا الأثر الجميل إلى ما كان عليه من رونق وبهاء عن طريق إصلاح ما كان قد تشعث من مبانيه وزخارفه.

وقد بدأت هذه الاهتمامات منذ سنة (١٨٩١م) عندما قرر قلم هندسة اللجنة أن هذا الأثر مقتضى إدراجه ضمن الآثار العربية المسجلة وأنه سيقدم للجنة تقريرا ومقايسة بمفردات الإجراءات اللازمة لترميمه بصفة عاجلة وضرورية(٢٤٦).

وفى سنة (١٨٩٢م) خصص للأعمال الترميمية بهذه الخانقاة مبلغا قدره (–ر١٠١٥)جنيه ألفا وخمسة عشر جنيها دفعت الأوقاف منها سبعمائة وعشر جنيهات وأكملت اللجنة مبلغ المقايسة وهو ثلاثمائة وخمسة جنيهات وقد وزع مبلغ المقايسة الإجمالية بين أعمال تعلقت بهدم ونقل أتربة من الطرقة أمام الأضرحة وبناء للسلم بالحجر الفص النحيت وبين إصلاحات للكسوات الرخامية داخل الأضرحة، وكذا إصلاح وتجديد شبابيك الجص والزجاج الملون بها، مع عمل أغطية خارجية لهذه الشبابيك من السلك النحاس بالإضافة إلى تجديد الأبواب واستكمال الناقص منها، وكان توزيع ذلك وفقا لما يلى :

البيان	لجنة		أوقاف		جملة	
	جنيه	مليم	جنيه	مليم	جنيه	مليم
هدم ونقل أتربة من الطرقة وبناء سلم حجرى.	١٥	٧٥٠	٥١٨	٧٣٣	٥٣٤	٤٨٣
إصلاح كسوة رخام بالقباب.	٤٧	٣٢٠	–	–	٤٧	٣٢٠
تجديد شبابيك جبس وزجاج ملون بالقباب.	١٣٨	٩٥٤	٣٧	٥٥٥	١٧٦	٥٠٩
تجديد واستكمال أبواب.	٥٩	١٠٦	٧٤	٧٣٦	١٣٣	٨٤٢
أعمال غير منظورة.	٤٣	٨٧٠	٧٨	٩٧٦	١٢٢	٨٤٦

وفى سنة (١٨٩٤م) خصصت اللجنة لأعمال ترميمية بسلم هذه الخانقاة مبلغا قدره (–ر١٠٠)جنيه مائة جنيه اختصت هى بدفعها دون الأوقاف(٢٤٧).

وفى سنة (١٨٩٥م) صرفت اللجنة على أعمال ترميمية بهذه الخانقاة مبلغا قدره تسعمائة وخمسة عشر جنيها (–ر٩١٥)جنيه خص الأوقاف منها ستمائة وخمسة وثلاثين جنيها (–ر٦٣٥) وخص اللجنة مائتان وثمانون جنيها (–ر٢٨٠)رغم أن تقرير اللجنة لم يوضح على أية ترميمات صرف هذا المبلغ(٢٤٨).

وفى سنة (١٨٩٧م) صرفت اللجنة على أعمال حفظية بهذه الخانقاة (لم تحدد) مبلغا قدره (–ر٩٠٠)جنيه تسعمائة جنيه خص الأوقاف منها مبلغ (–ر٧٠٠)جنيه سبعمائة جنيه وخص اللجنة مبلغ (–ر٢٠٠)جنيه مائتى جنيه(٢٤٩).

وفى سنة (١٨٩٩م) صرفت اللجنة على ترميمات بهذه الخانقاة (لم تحدد) مبلغا قدره (٩ر٩٢) جنيه اثنان وتسعون جنيها وتسعة مليمات(٢٥٠).

وفى المجموعة الحادية والأربعين عن السنوات من (١٩٥٤ – ١٩٦١م) ورد أن اللجنة صرفت على أعمال ترميمية (لم تحدد) بهذه الخانقاة مبلغا قدره (–ر١٥٠)جنيه مائة وخمسون جنيها(٢٥١).

وبذلك يتضح أن اللجنة الدائمة لحفظ الآثار العربية ومصلحة الآثار من بعدها قد صرفت على ترميمات هذه الخانقاة اعتبارا من سنة (١٨٩١م) حتى سنة (١٩٦١م) مبلغا قدره(٩ر٣١٧٢)جنيه ثلاثة آلاف ومائة واثنين وسبعين جنيها وتسعة مليمات، وهو مبلغ لا شك كبير إذا ما قدر بقيمته القديمة، وكان لصرفه أكبر الأثر فى أن بقيت هذه الخانقاة محتفظة بحالتها الجيدة التى هى عليها الآن.

الفصل الخامس

خانقاوات النصف الأول من القرن الثامن الهجرى

النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى

٤ - الخانقاة الجاشنكيرية بيبرس

٧٠٦ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ - ١٣٠٩ م

أثر رقم : ٣٢

أقيمت هذه الخانقاة على جزء من دار الوزارة الفاطمية الكبرى وكانت - كما وصفها المقريزى فيما سيرد الحديث عنه تفصيلا - أجمل خانقاة بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة، وما بقي منها حتى الآن يثبت صدق ما ذهب إليه المقريزى فى هذا الوصف.

وقد أفاضت علينا المصادر والمراجع العربية بالكثير من المعلومات التاريخية المتعلقة بتلك المنشأة الصوفية الهامة وطبقا لما أمكن الوقوف عليه من هذه المادة التاريخية فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سينحصر فى ست نقاط رئيسية هي:

١ - تاريخ الخانقاة ومكتبتها.

٢ - أوقاف الخانقاة.

٣ - منشئ الخانقاة.

٤ - موظفو الخانقاة.

٥ - وصف الخانقاة.

٦ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة ومكتبتها :

ترك لنا المقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى وعلى باشا مبارك وغيرهم معلومات وافية عن تاريخ هذه الخانقاة.

يقول المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) أن «هذه الخانقاة من جملة دار الوزارة الفاطمية الكبرى التى أنشأها الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى والتى كانت تمتد على وجه التقريب من وكالة ذى الفقار حتى حارة الروم الجوانية، وهى أجمل خانقاة بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة، بناها المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى قبل أن يلى السلطنة وهو أمير، فبدأ فى بنائها فى سنة ست وسبعمائة وبنى بجانبها رباطا كبيرا يتوصل اليه من داخلها وجعل بجانب الخانقاة قبة بها قبره»[٢٥٢].

وتشرف شبابيك هذه القبة على الشارع المسلوك فيه من رحبة باب العيد إلى باب النصر ومن جملتها الشباك الذى حمله الأمير أبو الحارث البساسيرى من بغداد لما غلب الخليفة العباسى وأرسل بعمامته وشباكه الذى كان بدار الخلافة فى بغداد، وقد ركب هذا الشباك بعد وروده من بغداد بدار الوزارة واستمر فيها إلى أن عمر الأمير بيبرس هذه الخانقاة فنقل هذا الشباك إلى قبتها وقد ظل بها إلى أيام المقريزى الذى قال «وهو بها إلى يومنا هذا وإنه لشباك جليل القدر حشم يكاد يتبين عليه أبهة الخلافة»[٢٥٣].

وقد رفض بعض الكتاب المحدثين تصديق هذه الرواية التى ذكرها المقريزى فيما يتعلق بشباك دار الخلافة، بحجة أن شباك دار الخلافة كان من الحديد وهذا الشباك من النحاس وتبدو عليه علامات الجدة كما فى الشبابيك المجاورة، وقد علل ذلك بأن الشيخ محمد الابراشى ناظر الخانقاة كان قد أزال ثلاثة شبابية مما كان فى واجهتها وحولها إلى دكاكين[٢٥٤]، ومع ذلك فنحن لا نجد ما يتعارض بين الأمرين لأن المقريزى كان قد ذكر ذلك وأكده من واقع مشاهدته الشخصية بقوله «وهو إلى يومنا هذا» وهى عبارة تفرض إن كذبناه ضرورة أن تكون هناك حجة داحضة له، وما يمكن اعتقاده فى هذا الصدد أنه إذا كان الناظر المذكور – طبقا لما ذكره المعترض نفسه – «كان قد أزال ثلاثة شبابيك مما كان فى واجهتها وحولها إلى دكاكين» وكان هذا فى فترة زمنية لاحقة للمقريزى، فإن الاعتراض بهذا الشكل يكون فى غير محله ويكون الناظر من ثم هو الذى قام بتغيير شباك دار الخلافة الحديد ومعه الشباكين الآخرين ليحولا إلى دكاكين[٢٥٥].

ويضيف المقريزى أنه لما شرع فى بنائها سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م)، رفق صاحبها بالناس ولاطفهم ولم يعسف فى هذا البناء أحدا ولا أكره صانعا ولا اغتصب من آلاتها شيئا، وإنما اشترى

دارى الأمير عز الدين الأفرم والوزير هبة الله بن صاعد الفائزى وكذا دار الأنماط التى كانت برأس حارة الجودرية من القاهرة، وبعض أملاك كانت قد بنيت فى أرض دار الوزارة، وهدم كل هذه الدور وأخذ أنقاضها فكان قياس كل أرض الخانقاة والرباط والقبة نحو فدان وثلث(٢٥٦).

وعندما شرع الجاشنكير فى بنائها حضر إليه – طبقا لما ذكره المقريزى أيضا – الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح، وأراد التقرب إليه فأخبره بأن القصر الذى فيه سكن أبيه، فيه مغارة تحت الأرض فيها رخام كثير مسدود عليه، فبعث بيبرس عدة من الأمراء فتحوا المغارة فإذا بها رخام جليل القدر عظيم الهيئة فنقله من المغارة ورخم منه الخانقاة والقبة وداره التى بالقرب من البندقانيين وحارة زويلة وفضل منه شئ كثير رجح المقريزى أنه كان لا يزال حتى أيامه مخزونا بالخانقاة ثم قال «ومن حسن بناء هذه الخانقاة أنها لم تحتج فيها إلى مرمة منذ بنيت إلى وقتنا هذا وهى مبنية بالحجر وكلها عقود محكمة بدل السقوف الخشب وقد سمعت غير واحد يقول أنه لم تبن خانقاة أحسن من بنائها»(٢٥٧).

ورغم تكرار السيوطى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) لما ذكره المقريزى وابن تغرى بردى فيما يتعلق بجلال بناء هذه الخانقاة وسعتها وإتقان صنعتها وشباك دار الخلافة البغدادية الذى فيها، إلا أنه أضاف إلى ذلك أن الناصر محمد بن قلاوون كان قد أغلقها مدة طويلة بعد موت صاحبها فى سلطنته الثالثة ثم عاد وأمر بفتحها(٢٥٨).

أما على باشا مبارك فقد أضاف فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) إلى ما ذكره المقريزى عن هذه الخانقاة كثيرا، وكان فيه أكثر تحديدا رغم تسميته لها بالجامع حين قال أن هذا الجامع بخط الجمالية بين حارة المبيضة وحوش عطى على يمنة الذاهب إلى باب النصر بجوار مكتب الجمالية الذى هو موضع جامع سنقر، وبه إيوانان ومقصورتان وأرضيته مفروشه بقطع الرخام الملون وسقفه مرتفع معقود بالحجر وبه منبر ودكة وكان فى صحنه حنفية هدمها ناظره الشيخ محمد الابراشى وجعل بدلها ميضأة مستعملة إلى الآن وله منارة عظيمة وبه قبر منشئه عليه قبة عظيمة كان بها ثلاثة شبابيك مطلة على الشارع أزالها الناظر محمد الابراشى وجعل مكانها حوانيت لأجل الريع وهو مقام الشعائر من الجمعة والجماعة إلى الآن (أى إلى عهده فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وكان إنشاؤه أولا خانقاة للصوفية(٢٥٩).

كذلك فقد أضاف إلى ما ذكره السيوطى فيما يتعلق بغلق الخانقاة حيث قال «فلما خلع من السلطنة (بيبرس) أغلقت وأخذ وقفها ومحا الملك الناصر محمد بن قلاوون اسمه من الطراز الذى بظاهرها فوق الشبابيك وأقامت معطلة نحو عشرين سنة ثم فتحت سنة ست وعشرين وسبعمائة وأعيد إليها وقفها»[٢٦٠] وبهذا يكون الناصر قد فعل بطراز هذه الخانقاة ما فعله المأمون بطراز قبة الصخرة عندما محى منه اسم عبد الملك بن مروان ووضع اسمه بدلا منه ونسى أن يغير التاريخ ففضح أمره.

ولم يقتصر الحديث عن تاريخ هذه الخانقاة على ما ذكرته المصادر العربية المشار إليها، وإنما تكلمت فى ذلك المراجع العربية أيضا، وينحصر مجمل ما ذكرته هذه المراجع فى تكرار ما ورد فى المصادر عن منشئها وتاريخ إنشائها وموقعها ومساحتها وشبابيكها ورخامها، ثم قبض الناصر محمد بن قلاوون على منشئها وغلقها والاستيلاء على أوقافها وبقائها معطلة عشرين سنة إلى أن أعيد فتحها فى أول سنة (٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)[٢٦١].

أما فيما يتعلق بمكتبة هذه الخانقاة فقد استقينا معلوماتنا القليلة عنها مما ذكره السخاوى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) حين قال فى ترجمة أحمد الشهاب الحجازى نزيل القاهرة القديمة، أنه «تنزل فى صوفية البيبرسية وغيرها وتكلم فى خزانة كتبها لكونه فى ذلك كله من جهة ناظرها مات سنة ثلاث وتسعين (وثمانمائة) عن بضع وستين ظنا»[٢٦٢]، ولم تزد المراجع العربية الحديثة التى أكدت على وجود هذه المكتبة شيئا فى هذا الصدد يستحق الذكر عما كانَ فيها من علوم ومعارف وأعداد كتب ومصادر ونحو ذلك[٢٦٣].

٢ – أوقاف الخانقاة :

أمدنا كل من ابن الجيعان والمقريزى وعلى باشا مبارك بمعلومات على جانب كبير من الأهمية فيما يتعلق بأوقاف هذه الخانقاة[٢٦٤]، فيذكر ابن الجيعان فى القرن (٨هـ/ ١٤م) من أوقاف هذه الخانقاة قريتان هما العادلية ومختان فيقول:

١ – العادلية :

(من توابع ثغر دمياط) عبرتها (٣٠٠) دينار، وقف الخانقاة الركنية بيبرس الجاشنكير الأحمدى(٢٦٥).

٢ – مخنان :

(من الأعمال الجيزية) مساحتها (٦٢٠) فدان وقف الخانقاة الركنية بيبرس الجاشنكير(٢٦٦)، وواضح من ذلك أنه لم يذكر مساحة الأولى وعبرة الثانية، وهو ما يجعل تقدير مدخول الثانية أمرا صعبا لأن أركان القياس هنا منعدمة، فلو أنه ذكر مساحة واحدة وعبرتها مثلا لكان تقدير عبرة الثانية أو مدخلها أمرا سهلا ..

أما المقريزى فقد أشار فى القرن (٩هـ/ ١٥م) إلى أن صاحب هذه الخانقاة كان قد أوقف عليها عدة ضياع بدمشق وحماة من أرض الشام ومنية المخلص بالجيزة وبعض نواحى بالصعيد والوجه البحرى من أرض مصر بالإضافة إلى الربع والقيسارية بالقاهرة، فلما خلع من السلطنة وقبض عليه الناصر محمد بن قلاوون وقتله أمر بغلقها وأخذ سائر ما كان موقوفا عليها ففرقه إقطاعات على أمرائه ومحى اسم صاحبها من الطراز الذى بظاهرها فوق الشبابيك، فظلت الخانقاة معطلة نحوا من عشرين سنة إلى أن عاد الناصر بعد سعى حثيث لابنة بيبرس وأمر بفتحها فى أول سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م) وأعاد إليها ما كان موقوفا عليها فعادت الحياة إليها مرة أخرى إلى أن شرقت أرض مصر لقصور ماء النيل أيام الملك الأشرف شعبان سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) فبطل طعامها وتعطل مطبخها مع استمرار صرف الخبز ومبلغ سبعة دراهم عدلت بعد ذلك إلى عشرة لكل واحد من صوفيتها فى الشهر، فلما قصر مد النيل ثانية سنة (٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م) بطل صرف الخبز أيضا وأغلق مخبز الخانقاة وصار الصوفية يأخذون فى كل شهر مبلغا من الفلوس نظير ما تعطل صرفه لهم وظل حالهم على ذلك حتى أيام المقريزى الذى قال «وهم على ذلك إلى اليوم» أى إلى عصره فى القرن (٩هـ/ ١٥م)(٢٦٧).

ثم جاء على باشا فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وكرر ما ذكره المقريزى فيما يتعلق بالضياع التى أرقفت على الخانقاة بكل من دمشق وحماة والقاهرة ومنية المخلص بالجيزة والصعيد والوجه

البحرى، كما كرر أيضا ما ذكره المقريزى فيما يتعلق بأخذ الناصر لأوقافها وتعطيلها ثم عودته لفتحها وإرجاع أوقافها حتى قصر مد النيل وشرقت الأراضى فتقلصت جراياتها جميعا إلى أن صارت مبلغا من معاملة مصر بصرفه الصوفية[٢٦٨].

٣ - منشئ الخانقاة:

أفاض علينا كثير من المؤرخين ولا سيما ابن حجر والمقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى وابن اياس وابن ظهيرة والجبرتى وعلى باشا مبارك بكثير من المعلومات الهامة المتعلقة بترجمة منشئ هذه الخانقاة. فيقول ابن حجر العسقلانى فى القرن (٨هـ/ ١٤م) أن الملك المظفر بيبرس البرجى العثمانى الجاشنكير[٢٦٩] كان أشقر اللون مستدير اللحية موصوفا بالعقل والعفة، وكان فى أصله أحد مماليك المنصور قلاوون وترقى عنده إلى أن قرره جاشنكيرا وأمره طلبخاناه، واستمر على هذا الحال إلى أن قتل الأشرف خليل بن قلاوون، فقام مع من قاموا فى طلب ثأره وقتلوا قتلته ونصبوا أخاه الناصر محمد سلطانا فأصبح بيبرس من أكابر الأمراء وولى استاداريته إلى أن قبض عليه الشجاعى بأمر من العادل كتبغا وسجنه بالاسكندرية فلما تسلطن لاجين أخرجه من السجن وأمره، فلما عاد الناصر كان بيبرس ممن قاموا بتدبير المملكة فالتفت البرجية حوله بينما التفت الصالحية حول سلار فاستقر بيبرس أستادارا[٢٧٠] واستقر سلار نائبا للسلطنة[٢٧١].

وحج بيبرس سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠١م) وكان من مآثره فى هذه الحجة أنه خلع المسمار الذى كان فى وسط الكعبة ينبطح عليه العوام بسرتهم مكشوفة اعتقادا منهم أن من فعل ذلك عتق من النار فزالت البدعة على يديه، كذلك كان من مآثره فى مصر إبطال عيد الشهيد الذى تعود النصارى الخروج فيه إلى ناحية شبرا فى ثامن بشنس فيلقون فى النيل تابوتا فيه إصبع لبعض من سلف منهم لأنهم كانوا يزعمون أن النيل لا يزيد إلا إذا وضع فيه هذا الإصبع.

وفى سنة (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) تسلطن بيبرس ولقب بالملك المظفر، وكتب عهده عن الخليفة ابو الربيع سليمان وكان عنوانه يقول إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، وركب بالخلعة السوداء والعمامة المدورة والتقليد على رأس الوزير ضياء الدين النشائى، وناب عنه سلار وأطاعه أهل الشام[٢٧٢].

واذا كانت المصادر العربية قد حفظت له بعض المآثر فى كل من مكة والقاهرة قبل أن يتولى السلطنة، فإنها قد حفظت له أيضا بعضا من هذه المآثر بعد ولايته للسلطنة، من ذلك مثلا أنه فى جمادى الأولى من السنة المشار إليها(٧٠٨هـ) أبطل ضمان الخمر وقبض على الزانيات وخرب بيوتهم وكسر آلاتهم، فكان ذلك من أجل حسناته»[٢٧٣].

فلما كانت سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) خامر عليه طغاى وجماعة من الأمراء، فذهبوا إلى الناصر بالكرك وصحبوه إلى دمشق، ثم ساروا به فى عسكر كبير لا رجاعه إلى الحكم، فجرد اليهم بيبرس عسكرا كبيرا خامر بعضهم على بعض فانهزموا أمام حملة الناصر، فأشار عليه جماعة ممن بقوا معه وعلى رأسهم بيبرس الدوادار بالنزول عن السلطنة والإشهاد على ذلك والخروج إلى اطفيح ومكاتبة الناصر فيه واستعطافه ففعل، وهنا خرج عليه العوام وسبوه ورجموه ففرق فيهم دراهم فلم يرجعوا فسل مماليكه عليهم السيوف فرجعوا، وظل باطفيح يومين ثم رحل طالبا الصعيد، وفى أخميم قدم عليه أمان الناصر وأنه أقطعه قلعة صهيون فقبل ذلك ورجع متوجها إلى غزة، فلما وصلها وجد هناك نائب الشام وغيره فقبضوا عليه وسيروه صحبة قراسنقر إلى القاهرة، فلما كان بالحطارة تلقاه رسول الناصر اسندمر فقيده وأركبه بغلا حتى قدم به إلى القلعة فى ثالث عشر ذى القعدة، فلما أحضر بين يدى الناصر عنته ووبخه ثم خنق بوتر حتى مات وقيل أنه سقاه سما[٢٧٤].

ويضيف المقريزى إلى ما ذكره ابن حجر أن بيبرس – على عكس ما كان مفروضا – بعد ما أقيم سلطانا فى يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة، ضعف جانبه وانحط قدره ونقصت مهابته وتغلب عليه الأمراء والمماليك واضطربت أمور المملكه لما كان من سلار وكثرة حاشيته، علاوة على ميل القلوب إلى الملك الناصر، ثم أضاف إلى مآثره أنه هو الذى عمل الجسر من قليوب إلى مدينة دمياط وهو مسيرة يومين طولا فى عرض أربع قصبات من أعلا وست قصبات من أسفل حتى أنه كان يسير عليه ست من الفرسان معا بحذاء بعضهم ثم كرر ما ذكره ابن حجر من إبطاله لسائر الخمارات بسواحل بلاد الشام وغيرها وتسامحه عما كان من المقرر عليها للسلطان، بل وتعويضه للأجناد عنه، بالإضافة إلى غلقه لأماكن الريب والفواحش التى كانت بالقاهرة ومصر وتتبعه لأماكن الفساد ومبالغته فى إزالته وعدم مراعاته فى ذلك أحدا من الكتاب أو الأمراء حتى خف المنكر وخفى الفساد[٢٧٥].

وإذا كان ابن حجر لم يعطنا الأسباب الخلفية لمخامرة الأمراء عليه وذهابهم للناصر فى الكرك، إلا أن المقريزى قد أوضح لنا ذلك بقوله أن نفسه قد سولت له أن يبعث إلى الملك الناصر بالكرك يطلب منه إرجاع ما كان قد خرج به من الخيل والمماليك والأموال وغلظ عليه رسول بيبرس فى ذلك فحنق الناصر فى نفسه، وكاتب نواب الشام وأمراء مصر سرا يشكو لهم ما حل به، فرقوا له وامتعضوا لما فعله بيبرس فعززوه وساروا معه لمناصرته حتى كان من أمر تنازل بيبرس عن الحكم بعد مدة سلطنة لم تزد عن عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما انتهت بقدوم الناصر إلى قلعة الجبل للمرة الثالثة فى أول شوال سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) وجيء إليه بالمظفر بيبرس فى يوم الأربعاء ثالث عشر ذى القعدة من السنة المشار إليها فقبل الأرض بين يديه فعنفه وعدد له أخطاءه ثم أمر به فسجن فى موضع إلى ليلة الجمعة خامس عشره وفيها لحق بربه تعالى فحمل إلى القرافة ودفن فى تربة الفارس أقطاى ثم نقل منها بعد مدة إلى تربته بسفح المقطم فقبر بها زمانا طويلا ثم نقل منها للمرة الثالثة إلى خانقاته ودفن بقبتها، وقد أدرك المقريزى شيخا من صوفيتها أخبره أنه حضر نقله من تربة القرافة إلى قبة الخانقاة وأنه هو الذى تولى وضعه فى مدفنه الذى فيها بنفسه(٢٧٦).

ومع أن رواية المقريزى قد اختلفت مع رواية ابن حجر فيما يتعلق بالكيفية التى مات بها بيبرس فذكر انه مات بسجنه بينما ذكر ابن حجر أنه مات خنقا أو سما إلا أنه قال أنه «كان خيرا عفيفا كثير الحياء وافر الحرمة جليل القدر عظيما فى النفوس مهاب السطوة فى أيام إمرته، فلما تلقب بالسلطنة ووسم باسم الملك اتضع قدره واستضعف جانبه وطمع فيه وتغلب عليه الأمراء والمماليك، ولم تنجح مقاصده (الخيره) ولا سعد فى شئ من تدبيره إلى أن انفضت أيامه وأناخ به حمامه رحمه الله»(٢٧٧)، ولم يبين لنا المقريزى أسباب ذلك الذى ألم به عندما تسلطن رغم أن ما ذكره عنه قبل السلطنة كان كفيلا باستمرارية موقفه الجيد، وتفسير ذلك بالإضافة إلى ما ذكره ابن حجر كان ينحصر على ما يبدو فى أن الناس لم يعجبهم ما قام به من أعمال خيره بكل المقاييس مثل إراقة الخمور وإبطال الخمارات والتنازل عن مقررات السلطنة عليها وغلق أماكن الزنى والفجور وضرب الفساد ومحاولة استئصاله، مما أثار عليه الأجناد الذين اعتادوا هذه المنكرات ومتحصلاتها، كذلك كان لكبسه لأماكن الريب والفواحش وضرب كثير من الناس فى ذلك بالمقارع وإزالته للفساد دون مراعاة لأحد من الكتاب أو الأمراء، أكبر الأثر فى كثرة أعداد الحانقين

عليه من طوائف المرتزقة والمنتفعين من كل ما أبطله من المفاسد.

أما ما ذكره المقريزى من أمر مطالبته للناصر بالكرك لإعادة ما كان قد أخذه من الخيل والمماليك والأموال فليس بكاف - في اعتقادنا - لكل ما حدث له حتى إن العامة الذين قال عنهم بأنهم كانوا يصيحون عليه ويرجمونه ليس تعصبا للناصر بقدر ما كان - على ما يبدو - تعصبا لأنفسهم مما ألم بهم على عهده، إذ لا شك أنهم كانوا فى الغالب - بالإضافة إلى تشاؤمهم منه لانحسار النيل وتشريق الأرض وارتفاع الأسعار مما لم يكن له فيه يد حتى أنه أضطر لما بلغه من تغنى العامة بمسبته من القبض على كثير منهم فقطع ألسنة بعضهم وضرب بعضهم الآخر - ممن أضيروا كثيرا مما أبطله من المنكرات والمفاسد وياحبذا لو أنه كان قد ناقش ذلك على انه قضية أخلاق ثلة من قوم عالية الصوت والتأثير لا قضية خلع سلطان وإحلال آخر[٢٧٨]. .

والخلاصة فى ذلك أنه لم يهنأ بالسلطنة منذ توليه لها، لأن الشعب كان قد كرهه لسؤ طالعه بسبب ما ألم به من نكبات انحصرت فى انحسار ماء النيل وتشريق الأرض وغلاء الأسعار وتحكم الأمراء فى الأثمان وتفشى الأمراض وصعوبة الحصول على الدواء، ولأن كثيرا من الأمراء كانوا يخافونه ولا يحبونه لما أصابهم منه عندما أبطل الخمر وأغلق مواطن الفسق والفجور وضرب بيد قوية شراذم الفساد، ولأن الوساوس كانت تشغل باله من ناحية نائب السلطنة سلار الذى ترامى إلى سمعه أنه يتواطأ مع الناصر ضده، وانتهى الأمر به رغم صلاح منهجه - فى رأينا - إلى ما كانت عليه نهايته فيما سبقت الإشارة إليه من القتل خنقا أو سما كما ذكر ابن حجر أو الموت سجنا كما ذكر المقريزى.

ثم كرر ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) ما ذكره ابن حجر والمقريزى فيما يتعلق بقصة حياة المظفر بيبرس إلا أنه أضاف أن العادل كتبغا لما تسلطن بعد قتل الأشرف خليل عزله عن الأستادارية بالأمير بنحاص وقبض عليه وحبسه مدة ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف، واستمر على ذلك حتى قتل المنصور حسام الدين لاجين فكان بيبرس أحد من أشاروا بعودة الناصر محمد إلى ملكه، فلما عاد الناصر قرره استادارا على عادته وقرر سلار نائبا، فصار بيبرس وسلار كفيلى الممالك الشريفة الناصرية والسلطان معهما آلة فى السلطنة لا يقدر على شئ إلى أن ضجر الناصر من ذلك وخرج بحجة الحج وسافر إلى الكرك، فوقع الاتفاق على سلطنة بيبرس

فجلس على تخت الملك فى يوم السبت الثالث والعشرين من شوال سنة ثمان وسبعمائة، فكان بذلك السلطان الحادى عشر من ملوك الترك والسابع ممن مسهم الرق والأول من الجراكسة إن صح أنه جركسى الجنس(٢٧٩).

ولم يقتصر الأمر بالنسبة للحديث عن ترجمة المظفر بيبرس على ما ورد فى المصادر العربية، وإنما وردت إشارات كثيرة إلى هذه الترجمة أيضا فى معظم المراجع العربية الحديثة التى تكلمت عن عمارة مصر الإسلامية، وصفوة ما جاء فى هذه المراجع أنه فى أحد شقيه تكرار لما أوردته المصادر العربية فى هذا الصدد مما سبقت الإشارة إليه، وفى شقة الآخر إضافة وتفسيرات لبعض ما ذكر فى هذه المصادر بما لا يخرج فى شئ عما أشير إليه(٢٨٠).

٤ – موظفو الخانقاة :

كانت المصادر العربية المتعلقة بالتراجم هى المصدر الرئيسى الذى استقينا منه كم المعلومات الهائل عن وظائف هذه الخانقاة، وقد تيسر لنا ذلك من خلال ما أوردته تلك المصادر عما شغله من ترجمت لهم من وظائف مختلفة أثناء حياتهم، وقد استطعنا أن نقف فى هذا الصدد على العديد من الشخصيات التى وليت وظائف هذه الخانقاة، وتبعا لما أمكن الحصول عليه من هذه التراجم فإنه يمكن تقسيم هذه الوظائف إلى قسمين رئيسيين أولهما مجموعة الوظائف الدينية وتشمل شيوخ الخانقاة وأئمتها ونوابها، ومدرسوا الحديث ومعيدوه، وقارئ الصفة، وشيخ الرباط وإمامة الصوفية، وثانيهما مجموعة الوظائف الخدمية وتشمل كاتب الغيبة والمؤذن والصراف والخادم.

أ– مجموعة الوظائف الدينية :

اشتملت هذه المجموعة من الوظائف الدينية – كما قلنا – على شيوخ الخانقاة وأئمتها ونوابها، بالإضافة إلى مدرسى الحديث ومعيديه وقارئ الصفة، وشيخ الرباط وإمامه، وفيما يلى عرض لبعض ممن أمكن الوقوف عليهم فى هذا الصدد:

١ - شيوخ الخانقاة وأئمتها ونوابها :

أمدنا كل من ابن حجز العسقلانى وابن تغرى بردى وابن الصيرفى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) وكذا السخاوى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) بكثير من التراجم الهامة لبعض شيوخ هذه الخانقاة فكان ممن ذكرهم ابن حر أبو بكر بن اسماعيل بن عبد العزيز مجد الدين الزنكلونى الفقيه الشافعى وقال أنه اعتنى بالفقه ومهر فيه وولى مشيخة الخانقاة البيبرسية ودرس بالمسرورية وغيرها ومات فى ربيع الأول (٧٤٠هـ)[٢٨١]، وضياء بن سعد الله بن محمد بن عثمان القرمى قاضى القرم العفيفى الفقيه الشافعى الذى قدم القاهرة وحظى عند الأشرف شعبان وولى مشيخة البيبرسية بعد الرضى فى سنة (٧٦٧هـ)[٢٨٢]، وعثمان بن سليمان بن رسول بن يوسف بن خليل بن نوح المكرادى (نسبة إلى قبيلة من التركمان) قدم القاهرة فى دولة الأشرف شعبان وتعرف ببرقوق قبل السلطنة، فلما تسلطن جعله إمامه وولاه قضاء العسكر ومشيخة البيبرسية ومات فى ربيع الآخر سنة(٧٩١هـ)[٢٨٣].

وممن ذكرهم ابن تغرى بردى أحمد بن على بن محمد بن على بن أحمد قاضى القضاة وشيخ الإسلام حافظ العصر ومفتى الفرق وأمير الحديث، شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر الكنانى العسقلانى الأصل المصرى المولد والمنشأ والدار والوفاة الشافعى، ولد فى الثانى والعشرين من شعبان سنة (٧٧٣هـ) وقرأ عليه غالب فقهاء مصر وأملى بخانقاة بيبرس نحوا من عشرين سنة ثم تنزه عن ذلك وتولى مشيخة البيبرسية فى دولة الملك المؤيد وصار إذ ذاك من أعيان العلماء[٢٨٤].

وممن ذكرهم ابن الصيرفى الشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة المالكى الذى أشار إليه فى ذكره لحوادث المحرم سنة (٨٧٥هـ) وقال أنه «كان باسمه تصوف بمدرسة جمال الدين وآخر بمدرسة بيبرس الجاشنكير وكان يرمى بأنه شيعى وكان يعرف النجارة والحدادة ويصنع الاسفيداج وغير ذلك من الصنائع[٢٨٥].

أما من ذكرهم السخاوى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) فمنهم بالإضافة إلى ابن حجر العسقلانى أحمد بن على بن يعقوب الشهاب بن الشمس القاياتى الأصل القاهرى الشافعى الذى

ولد بالقاهرة سنة (٨٢٦هـ) فحفظ وقرأ وعرض واختص بمشيخة البيبرسية إلى أن مات فى صفر سنة (٨٧٩هـ)[٢٨٦]، وحسن بن محمد بن حسن بن إدريس بن على بن عيسى سبط الشريف النسابة الذى ولى مشيخة هذه الخانقاة عشر سنين وجرت له مع صوفيتها منازعات حتى ثاروا عليه لسؤ سيرته فيهم فعزل عنهم ثم أعيد لهم حتى مات فى شوال سنة (٨٠٩هـ)[٢٨٧]، وعبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن جابر أبو زيد الحضرمى من ولد وائل بن حجر الإشبيلى الأصل التونسى ثم القاهرى المالكى المعروف بابن خلدون، ولد فى أول رمضان سنة (٧٣٢هـ) بتونس ومات فجأة فى يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة (٨٠٨هـ) عن ست وسبعين سنة ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر وكان كما يقول السخاوى «قد ولى مشيخة البيبرسية وقتا»[٢٨٨].

وإن دلت هذه السلسلة من شيوخ الخانقاة على شئ فإنما تدل على ما كان لها من عظمة المكانة وجلالة القدر، ويكفيها فخرا أنها كانت محل تدريس كثير من عظماء العصر الشافعية أمثال الزنكلونى والقرمى وابن حجر والقاياتى، كما كانت محل تدريس كثير من عظماء العصر المالكية أمثال ابن الشحنة وابن خلدون وغيرهما.

أما عن نواب مشيخة هذه الخانقاة وأئمتها، فقد ذكر لنا منهم السخاوى حسن بن محمد بن أيوب بن حصن النسابة بن إدريس القاهرى الشافعى الذى عرف بالشريف النسابة ولد فى أواخر سنة (٧٦٧هـ) بالقاهرة «وولى النيابة فى مشيخة هذه الخانقاة وغيرها حتى مات فى صفر سنة (٨٦٦هـ)[٢٨٩]، وأحمد بن عباس بن أحمد بن عمر المناوى (نسبة لمنية مسود بالمنوفية) الأزهرى الشافعى قال عنه السخاوى» وناب فى إمامه البيبرسية ثم استقل بإمامه سعيد السعداء ولازم ابن الصيرفى وقرأ عليه فى البرقوقية حين استقر فى التفسير بها[٢٩٠].

٢ – مدرسو الحديث ومعيدوه:

أفادنا كل من ابن حجر والسخاوى وابن العماد فيما بين القدنين (٩ – ١١هـ/ ١٥ – ١٧م) ببعض تراجم من تولوا تدريس الحديس وإعادته بهذه الخانقاة، فكان ممن ذكرهم ابن حجر فى هذا الصدد محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن حاتم الأنصارى الذى ولد فى رجب سنة (٧١٨هـ) فدرس وتعلم إلى أن خطب بعد أبيه بجامع الرفعة ثم درس الحديث بالقبة البيبرسية

حتى مات فى ذى القعدة سنة (٧٩٣هـ)[٢٩١]، ومحمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن أبى الفتح بن الكويك الربعى التكريتى الذى صاهر عز الدين بن جماعة وناب عنه ثم باشر نظر الأحباس ودرس بقبة بيبرس للمحدثين حتى وفاته فى رمضان سنة (٧٦٩هـ)[٢٩٢].

وكان ممن ذكرهم السخاوى: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن ابراهيم بن أبى بكر بن أبى زرعة الكردى الأصل المهرانى القاهرى الذى عرف كأبيه بابن الصيرفى، ولد فى ذى الحجة سنة (٧٦٢هـ) ودرس الحديث بالبيبرسية حتى مات مبطونا شهيدا فى شعبان سنة (٨٢٦هـ) ودفن بجوار والده فى قبة طشتمر بالصحراء[٢٩٣]، على بن عبد الرحمن بن أحمد الربعى الرشيدى القاهرى الشافعى الذى لازم البلقينى والدميرى ودرس بعده الحديث بقبة بيبرس إلى أن مات فى رجب سنة (٨١٣هـ)[٢٩٤] وفى هذا ما يشير صراحة إلى أن السخاوى أيضا كان ممن درس الحديث بالقبة البيبرسية بعد الرشيدى والدميرى، يدل على ذلك قوله «درس بعده (أى بعد الدميرى الحديث بقبة بيبرس .. .. ودرست بعده بالقبة» والحديث هنا على لسان المتكلم وهو السخاوى رحمه الله، عبد الحق بن محمد بن الشمس السنباطى ثم القاهرى الشافعى أخو أمين الحكم بسنباط الذى عرف كأبيه بابن عبد الحق، قال عنه السخاوى ولد فى إحدى الجمادين سنة (٨٤٢هـ) وولى تدريس الحديث بالقبة البيبرسية[٢٩٥].

أما معيدو الحديث بهذه الخانقاة فلم نعثر منهم إلا على ترجمة ذكرها ابن حجر تختص بأبى بكر بن يوسف النسائى زين الدين المصرى خادم الشيخ بهاء الدين بن خليل قال عنه «كان معيدا فى الحديث بقبة بيبرس ومات سنة أربع وتسعين (وثمانمائة)[٢٩٦].

٣ - قارئ الصفة :

الواقع أننا لم نعثر من قراء صفة هذه الخانقاة إلا على ترجمتين ذكرهما السخاوى أولاهما هى ترجمة أحمد بن محمد بن على بن حسن بن إبراهيم الزكى الذى عرف بالشهاب الحجازى، ولد فى شعبان سنة (٧٩٠هـ) بالقاهرة وأكثر الحضور فى صغره عند الكمال الدميرى يدرس الحديث فى البيبرسية ثم تنزل فى صوفية السعيدية والبيبرسية وكان كما قال السخاوى أحد قراء الصفة بهما حتى مات فى رمضان سنة (٨٧٥هـ) ودفن بتربة تجاه الناصرية فرج[٢٩٧]، أما الثانية

فهى ترجمة إسماعيل المجد خطيب جامع المقس وأحد قراء الصفة بالبيبرسية، كان خيرا حسن التلاوة مات فى ذى الحجة سنة (٨٥١هـ)[٢٩٨].

٤ – شيخ الرباط وإمامه:

لقد وقفنا فيما كتبه السخاوى من تراجم تتعلق بمشيخة رباط البيبرسية على ترجمتين لشيخين هما إبراهيم بن سليمان بن عبد الرحمن السرائى الذى عرف بابراهيم شيخ «ولى مشيخة الرباط بالبيبرسية وكان خيرا دينا مات فى ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة»[٢٩٩]، وابراهيم بن على بن عمر بن حسن بن النور التلوانى الأصل (نسبة إلى تلوانة بالمنوفية) القاهرى الشافعى، ولد سنة (٨١٢هـ) بالقاهرة «وولى مشيخة الرباط بالبيبرسية وتنازل عنها بآخره فى سنة تسع وثمانين لعبد القادر بن النقيب، مات فى سنة سبع وتسعين[٣٠٠].

أما فيما يتعلق بتراجم إمامة الرباط فقد ترك لنا نفس المؤرخ ثلاث تراجم أولاها هى ترجمة إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن عوض الطنتدائى الأصل الشافعى الذى كان بيده نصف إمامة الرباط بالبيبرسية حتى مات قريبا من سنة ثمانين (وثمانمائة)[٣٠١]، وثانيتها هى ترجمة أخو المتقدم عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن عوض الطنتدائى الأصل القاهرى الشافعى، قال عنه السخاوى «كان شيخا ذا فهم وحسن عشرة من صوفية البيبرسية بل هو إمام الرباط بها يتكسب من صناعة الحرير مات فى المحرم سنة سبع وسبعين ودفن من الغد بحوش البيبرسية»[٣٠٢] أما الثالثة فهى ترجمة عبد المغيث بن عبد الرحيم بن أحمد بن السنقرى الشافعى سبط البرهان الشنهوبى الذى عرف بابن الفرات، ولد فى جمادى الآخرة سنة (٨٣٤هـ) بالقراسنقرية واستقر فى إمامة الرباط بالبيبرسية[٣٠٣].

٥ – صوفية الخانقاة ونزلائها:

حفظت لنا المصادر العربية ولا سيما ما كتبه ابن حجر والمقريزى والسخاوى وعلى باشا مبارك تراجم بعض صوفية هذه الخانقاة، فكان ممن ذكرهم ابن حجر محمد بن على بن إبراهيم الواسطى الواعظ الأديب بن نور الدين أحد الصوفية بالبيبرسية مات فى رجب سنة

(٧٧٧هـ)[٣٠٤]، وممن ذكرهم السخاوى أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم الشهاب المحلى القاهرى ولد قبل الخمسين وسبعمائة وسمع على القلانسى وأجاز له ابن سالم الغزى وكان أحد الصوفية بالبيبرسية ويكتسب بالشهادة فى بولاق، مات فى شعبان سنة ست وتسعين (وثمانمائة)[٣٠٥]، أحمد بن محمد بن أحمد بن شهاب الدين المسيرى القاهرى الشافعى الذى عرف بابن حذيفة، قدم القاهرة فاشتغل بالفقه والعربية وتردد لبعض الشيوخ، وكان صوفيا بالصلاحية والبيبرسية، مات فى سنة خمس وسبعين (وثمانمائة) بالطور راجعا من مكة بعد أن حج[٣٠٦]، إسماعيل بن عبد الخالق بن عبد المحيى بن الإمام سراج الدين السيوطى القاهرى الشافعى كان شيخا وقورا كثير التلاوة يتكسب بالشهادة، صوفيا بالبيبرسية مات فى المحرم سنة تسع وثلاثين (وثمانمائة)[٣٠٧]، محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هشام بن البرهان الأنصارى المحلى ثم القاهرى، ولد سنة (٧٣٠هـ) بالمحلة وقدم منها فنزل بخلوة فى الخانقاة البيبرسية مجاورة للمزملة عند الباب على يمين الداخل ودامت معه ثم مع بنيه مدة مائة وعشرين سنة[٣٠٨].

وقد ذكر المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) أنه قرر فى هذه الخانقاة لما كملت فى سنة تسع وسبعمائة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) أربعمائة صوفى وبالرباط مائة جندى، وجعل بها مطبخا يفرق على كل منهم اللحم والطعام فى كل يوم، بالإضافة إلى ثلاثة أرغفة من خبز البر وجعل لهم الحلوى، وقد أدركها المقريزى قائمة عاملة حين قال «وقد أدركتها لا يمكن بوابها غير أهلها من العبور إليها والصلاة فيها لما لها فى النفوس من المهابة، ويمنع الناس من دخولها حتى الفقهاء والأجناد، وكان لا ينزل بها أمرد، وفيها جماعة من أهل العلم والخير وقد ذهب ما هنالك فتنزل بها اليوم (أى على عهده) عدة من الصغار ومن الأساكفة وغيرهم من العامة إلا أن أوقافها عامرة وأرزاقها دائرة بحسب نقود مصر»[٣٠٩].

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وكرر ما ذكره المقريزى قبله بأربعة قرون من الزمان فيما يتعلق ببوابها وعدد صوفيتها وسكان رباطها من الجنود وأبناء السبيل، وما كان يعمل فى مطبخها، إلا أنه أضاف أن هذا المطبخ كان قد تعطل لما شرقت أراضى مصر فى أيام الأشرف شعبان (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) وصرف لصوفيتها بدل طعام إلى أن بطل الخبز منه

أيضا عندما قصر ماء النيل سنة (٧٩٦هـ/ فأخذ الصوفية عوضا عنه فلوسا من نقد مصر[٣١٠].

وقد شرط الواقف أن تكون خلوات الصوفية بالخانقاة سكنا لمن يختار من المتأهل منهم والمتجرد والمقيم والمختار بحيث لا يكون منهم ولا من أهل الرباط من يخدم عند الأمرا أو نحوهم.

هذا فيما يتعلق بصوفية الخانقاة، أما فيما يختص بنزلائها فلم نعثر منهم إلا على من ذكرهم السخاوى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م) وهم إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن حافظ الشهاب العريانى القاهرى الشافعى، ولد فى جمادى الآخرة سنة (٧٩١هـ) بالقاهرة وولى مشيخة العلائى طيبغا الطويل المعروفة بالطويلية بالصحراء وظيفة أبيه وجده وتنزل فى صوفية البيبرسية وغيرها ومع ذلك كان يجاهر بالمعاصى ويسرف فى الخمر حتى سقط فى البحر وهو ثمل فى رجب سنة (٨٥٢هـ)[٣١١] فغرق، إبراهيم بن محمد بن مسعود بن سابق البرهمتوشى القاهرى الشافعى أحد أصحاب الغمرى الذى عرف بابن سابق ولد سنة (٨١٠هـ) وتحول إلى القاهرة سنة (٨٤٥هـ) فأقبل عليه الظاهر جقمق لبركته وقرر له معلوما فى الجوالى، قرأ على السخاوى ولازمه كثيرا وتنزل فى صوفية الصلاحية والبيبرسية وغيرهما حتى مات فى شوال سنة (٨٨١هـ) ودفن بحوش الصلاحية[٣١٢].

ومنهم أيضا أحمد بن محمد بن إبراهيم بن على الشهاب أبو زرعة بن البرهان البيجورى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى أيام التشريق سنة (٨٢٠هـ) فحفظ ودرس وأخذ الطب عن الزيد بن الجزرى والميقات عن الشمس الطنتدائى نزيل البيبرسية قال السخاوى عنه «وهو ممن صحبته قديما وسمع بقراءاتى وراجعنى فى كثير من الأحاديث ونعم الرجل توددا وتواضعا»[٣١٣] أحمد بن محمد بن الصدر بن الصلاح الأنصارى القاهرى الشافعى الذى عرف بابن صدر الدين ولد سنة (٧٩٥هـ) فحفظ وقرأ وتفقه وتنزل بالبيبرسية وتكسب بالشهادة فى حانوت بباب القوس داخل باب القنطرة، مات فى رمضان سنة (٨٨٤هـ) ودفن بحوش البيبرسية[٣١٤]، إسماعيل الرومى الشافعى الصوفى الطبيب نزيل البيبرسية الذى عرف بكُردلّس لكونه كان أعوج الرقبة كان صوفيا عفيفا ماهرا بالطب مات فى شوال سنة (٨٣٤هـ)[٣١٥]، حسن بن على بن محمد البدر المناوى ثم القاهرى الأزهرى المرجوشى الشافعى ولد سنة (٨١٣هـ) بمنية صافور بالشرقية وقدم القاهرة فلازم وقرأ وأخذ وسمع «متقنعا بمعلومه فى البيبرسية والجمالية وما لعله يصل إليه من

المبرات»[٣١٦]، داود بن محمد بن على القلتاوى الأزهرى المالكى ولد بقلتا بالمنوفية وقدم القاهرة فقطن الأزهر وحفظ ثم تنزل فى البيبرسية وسعيد السعداء وغيرهما[٣١٧].

أما عن دفناء الخانقاة فقد ترك لنا كل من ابن حجر والسخاوى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م) تراجم بعض منهم، لعل من أبرزهم أحمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوى ابن المؤرخ المعروف، وقد مات بالطاعون فى جمادى الآخرة سنة (٨٦٤هـ)[٣١٨] وتقول بعض المراجع العربية الحديثة أن من دفناء قبة هذه الخانقاة الشيخ محمد أمين البغدادى ثالث شيوخ الطريقة العلية النقشبندية المتوفى سنة (١٣٥٨هـ) وكان آخر من أقاموا من الصوفية بهذه الخانقاة[٣١٩].

ب – مجموعة الوظائف الخدمية :

قلنا أن مجموعة الوظائف الخدمية التى أمكن الوقوف عليها مما كان منها بالخانقاة البيبرسية تشتمل على كاتب الغيبة والمؤذن والصراف والخادم، وفيما يلى عرض لتراجم بعض ممن أمكن التعرف عليهم من هؤلاء وأولئك.

١ – كاتب الغيبة :

ترك لنا السخاوى من تراجم كتاب غيبة هذه الخانقاة ترجمتين أولاهما هى ترجمة أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الغنى بن شاكر بن القاضى مجد الدين بن فخر الدين القاهرى الشافعى الذى عرف بابن الجيعان، تخرج فى المباشرة وباشر الكتابة فى الخانقاة البيبرسية حتى مات فى ذى القعدة سنة ثمان وثمانين (وثمانمائة) واستقر بعده أخوه عبد الرحيم خاتمة أبيه[٣٢٠]، أما الثانية فهى ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن راهب شهاب الدين القاهرى الذى عرف بالديب، ولد فى جمادى الأولى سنة (٧٦٧هـ) وباشر النقابة فى بعض الدروس وكتابة الغيبة بالخانقاة البيبرسية إلى أن مات فى ربيع الأول سنة (٨٤٧هـ)[٣٢١].

٢ – المؤذن :

لم نعثر فيما يتعلق بوظيفة الأذان بالبيبرسية فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم إلا على ترجمة واحدة تخص عثمان بن حسين الجزيرى القاهرى الحنبلى المؤذن بالبيبرسية والخياط

على بابها كان خيرا محبا للعلم وأهله، سمع على السخاوى بعض المجالس فى شرحه لصحيح مسلم ومات قريب الثمانين[٣٢٢]، وهكذا يكون الإسلام الذى دعى إلى إقران الدين بالعمل وليس إلى إقرانه بالدعة والكسل، فهو مؤذن الخانقاة وخياط على بابها وهو ما فعله عبد الرحمن بن عوض من إمامة الرباط والتكسب من صناعة الحرير.

٣ - الصراف :

لم نعثر فيما يتعلق بهذه الوظيفة من وظائف البيبرسية أيضا إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة أحمد بن أبى بكر حسين شهاب الدين القاهرى الصيرفى الذى عرف بابن حُبينة، حفظ القرآن واستقر فى الصرف بالبيبرسية وغيرها، أقام فى الترسيم نحو ست سنين وأهين بالضرب وقاسى ذلا بعد عز استمر كذلك حتى مات فى رمضان سنة أربع وثمانين ودفن بحوش البيبرسية[٣٢٣].

٤ - الخادم :

آخر الوظائف الخدمية التى أمكن الوقوف عليها فيما يتعلق بهذه الخانقاة هى وظيفة الخادم، وقد ترك لنا السخاوى فيما يخصها ترجمتين أولاهما هى ترجمة أحمد بن حسن بن محمد بن سليمان بن عبد الله الشهاب أبو العباس البطائحى المصرى الشافعى نزيل القاهرة، ولد فى رمضان سنة (٧٣٠هـ) وسمع السنن من الخلاطى واستقر فى خدمة البيبرسية حتى مات بها سنة عشر (وثمانمائة)[٣٢٤] أما الثانية فهى ترجمة على بن محمد بن عمر بن أحمد البطائحى القاهرى الحنبلى كان جده السراج عمر خادم البيبرسية قبل الجنيد ووالده الشهاب أحمد شيخ الرباط بها قبل التلوانى[٣٢٥].

٥ - وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ٧)

تقع هذه الخانقاة بشارع الجمالية تجاه الدرب الأصفر بين المدرسة القراسنقرية وحوش عطى، وتقوم على مساحة مستطيلة غير منتظمة طولها (٦٨) متر وعرها (٢٩٫٥٠) مترا، ولها واجهة رئيسية من جزأين يبرزان عن بعضهما بمقدار (٣٫١٥) متر، وتطل هذه الواجهة على

الناحيـة الغـربيـة بطول (٢٩٫٥٠) متر، أما الواجهة الفرعية فتطل على الناحية الشمالية بطول (٦٨) متر.



خانقاة السلطان بيبرس بشارع الجمالية بالقاهرة
لوحة ٧ : الخانقاة الجاشنكرية (بيبرس) – أثر رقم ٣٢ (٧٠٦ – ٧٠٩هـ/ ١٣٠٦ – ١٣٠٩م) – مسقط أفقى (عن لجنة حفظ الآثار العربية)

الواجهة الرئيسية والمدخل:

فى الركن الجنوبي من الواجهة الرئيسية يقع المدخل داخل دخلة عمقها (٤٫٣٠) متر وعرضها (٥٫٨٠) متر يعلوها عقد نصف دائرى تزينه من داخل العقد وخارجه زخارف عبارة عن مخدات متلاصقة، وخلف العقد يوجد سقف هذه الدخلة وهو عبارة عن عروق خشبية يحيط به من أعلا الجدران إزار من الخشب، وتشتمل دخلة المدخل الفريدة المبتكرة على حنيتين متتاليتين: الخارجية عمقها (٢٫٤٥) متر وسعتها (٥٫٩٥) متر يعلوها عقد نصف دائرى ذو صنجات تتألف من مخدات متجاورة، أما الحنية الداخلية فعمقها (١٫٦٥) متر وسعتها (٣٫١٥) متر تغطيها نصف قبة مدببة محمولة على مقرنصات ركنية وبها المدخل وهو عبارة عن فتحة عرضها (٢٫١٥) متر تكتنفها مكسلتان رخاميتان طول كل منهما (١٫١٥) متر وعرضها (٤٠ر)متر يزينها إفريز رخامى بارز، وفى هذه الفتحة باب خشبى ذو مصراعين مصفحين بالنحاس زخارف كل منهما تشبه الأخرى وتتألف من طبقين نجميين كبيرين، يحيط بهما من أعلى ومن أسفل طبقان نجميان صغيران، كما يوجد بينهما طبقان نجميان آخران، وعلى الجوانب توجد أجزاء من أطباق نجمية (انظر لوحة٨)، ويحيط بهذه الزخارف فى كل من المصراعى جفت بارز تتخلله على أبعاد منتظمة ميمات دائرية، هذا وفى أعلا وأسفل المصراعين يوجد شريطان كتابيان كتاباتهما بخط النسخ وتقوم على أرضية من زخارف نباتية نصها: «أمر بإنشاء هذه الخانقاة السعيدة من فيض الله وجزيل إحسانه لجماعة

الصوفية العبد الفقر ركن الدين بيبرس المنصورى راجيا بذلك عفو مولاه وغفرانه»[٣٢٦](أنظر شكل: ١٤).

ويعلو هذا المدخل عتب من صنجات حجرية مزررة على شكل زخرفى مكرر من ورقة نباتية ثلاثية، ويحدد هذا العتب إفريز حجرى بارز ويتوسطه من أعلا نافذة مربعة الشكل بها أرماح ومخرزات حديدية، يعلوها شريط من كتابات نسخية بيضاء نقشت على أرضية سوداء نصها:

«فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار»[٣٢٧].

ويعلو هذا الشريط قمرية دائرية إطارها عبارة عن صنجات مزررة تتبادل اللونين الأبيض والأسود مكونة شكلا مكررا لورقة ثلاثية، ويتوج هذه الدخلة عقد نصف دائرى تزينه فى الجانبين أربع حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، ويعتبر هذا المدخل من المداخل الفريدة فى آثار القاهرة لأنه يتكون من عقد ثلاثى الفصوص بداخله حنيتان يعلوهما عقد نصف دائرى مرتفع يتألف من صنجات مزررة.

وعلى جانبى هذا المدخل يوجد شكلان متشابهان كل منهما عبارة عن شكل محراب عرضه (٦٥ر) متر وعمقه (٢٥ر)متر يكتنفه عمودان دائريان لكل منهما قاعدة رمانية وتاج على شكل ورقة الأكانثس، ويحمل هذان العمودان عقدا مدببا زخرف بأشرطة بيضاء وسوداء بالتبادل، نقش فى وسط طاقية المحراب الأيمن بفصوص رخامية بيضاء على أرضية سوداء لفظ الجلاله «الله» وفى المحراب المقابل كلمة «الواحد».

أما الحنية الخارجية من دخلة المدخل فعلى جانبيها أيضا شكلان متشابهان كل منهما عبارة عن حنية ذات عقد نصف دائرى عرضها (٥٠ر)متر وعمقها (٤٠ر)متر تغطيها طاقية مقعرة، وقد نقش فى وسط طاقية الحنية اليسرى منهما كلمة «القهار» أما الكلمة التى كانت منقوشة فى طاقية الحنية اليمنى فقد ضاعت ولم يعد لها وجود، ويغلب على الظن أن كلمات هذه الحنايا الأربع كانت تقول «بسم الله الواحد القهار» وأنه كان لكل حنية من هذه الحنايا وسيلة

للسقاية.

كذلك نجد فى زاويتى دخلة الحنية الداخلية عمودان أشبه بالأعمدة التى تكتنف المحرابين على جانبى المدخل، وفوق عقود هذه الدخلات التى على شكل المحاريب يوجد إزار غائر نقشت فيه كتابات نسخية بيضاء على أرضية سوداء نصها «بسم الله الرحمن الرحيم، أدخلوها بسلام آمنين، ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين، نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم»[٣٢٨].

وعلى امتداد شريط الكتابات الثانى أسفل المقرنصات بالقسم الخارجى من هذه الدخلة يمتد إزار كتابى آخر من الكتابة النسخية البارزة بامتداد الواجهة كلها بدءا من مسافة (٢,٥٠) متر خلف الجانب البارز من المدخل مجتازا حنية المدخل نفسه ومتجاوزا لها حتى الجانب الشمالى الغربى للضريح فى جزء منقوش فى الرخام فيما يعلو حنية المدخل وجزء منقوش فى الحجر فى باقيه نص هذا الشريط يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم. فى بيوت الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب[٣٢٩] «أمر بإنشاء هذه الخانقاة السعيدة وقفا مؤبدا على جماعة الصوفية من فيض فضل الله تعالى وجزيل إحسانه راجيا بذلك عفوه وغفرانه العبد الفقير إلى الله تعالى ركن الدين[٣٣٠] بيبرس المنصورى عبد الله والفقير إليه الراجى رحمته يوم القدوم عليه ضاعف الله ثوابه وزكى أعماله ويسر له أسباب ما نشط إليه من المعروف بآماله بمنه وكرمه وأفضاله وصلى الله على سيدنا محمد» ومن المرجح أنها كانت تشمل على «السلطان الملك المظفر» وهى الكلمات التى أمر بمحوها الناصر محمد حتى لا يعترف له بصفة الملك[٣٣١].

الواجهة الفرعية:

على يسار حنية المدخل تمتد الواجهة الفرعية ناحية الشمال بطول (٥,٦٥) متر ثم تنكسر ناحية الغرب إلى مسافة (٣,١٠) متر حيث نجد فى انكسارها الأول تحت وفوق شريط الكتابات

التأسيسية نافذتان مستطيلتان بهما مصبعات خشبية متقاطعة، أما الانكسار الثانى فيه شباك مستطيل به أرماح ومخرزات نحاسية عرضه (١٫٣٠) متر يقع داخل دخلة عمقها (٣٥ر) متر ويعلوه عتبان حجريان من صنجات مزورة بهما طبلة عقد خالية من الزخارف، ثم يعلو هذه الأعتاب شريط الكتابة التأسيسية المشار إليه، وفوقه نافذة مستطيلة بها مصبعات من خشب الخرط، وتنتهى هذه الدخلة بعقد ثلاثى الفصوص يزين باطنها مقرنصات من ثلاث حطات مقعرة ذات دلايات.

ثم تنكسر الواجهة انكسارها الثالث والأخير المتجه ناحية الشمال إلى مسافة (١٥٫٩٠) متر ويوجد فى واجهة هذا الجزء ثلاث دخلات متشابهة تماما عمق الجنوبية (٣٥ر) متر وعرضها (٢٫١٠) متر وعمق الوسطى (٣٥ر) متر وعرضها (٣٫٥٥) متر أما الشمالية فمقاساتها هى نفس مقاسات الدخلة الأولى (الجنوبية) وتبدأ كل دخلة منها من أسفل بشباك مستطيل الشكل به أرماح ومخرزات نحاسية يعلوه عتب من صنجات مزورة فوقه عقد عاتق به طبلة عقد غير مزخرفة، ويلى هذه الأعتاب من أعلى شريط الكتابة التأسيسية ثم نافذة مستطيلة بها مصبعات خشبية متقاطعة، وتنتهى الدخلة من أعلا بمقرنصات مقعرة ذات دلايات فى الدخلتين الأولى والثالثة، وبمقرنصات مضلعة ذات زوايا فى الدخلة الوسطى، ويتوج تلك الواجهة شرافات مسننة أما قاعدة كل دخلة من أسفلها فهى منحدرة إلى أسفل وغير مستوية.

دركاة المدخل:

يفضى المدخل الرئيسى إلى دركاة مستطيلة الشكل طولها (٥٫٣٠)متر وعرضها (٣٫٨٠) متر تغطيها قبة ضحلة تقوم على أربع مثلثات كروية مقعرة فرشت أرضيتها بدوائر من الرخام الملون فى صدرها مصطبة عرضها (٢٫٧٠) متر وعمقها (١٫٤٠) متر وارتفاعها (٩٠ر) متر يعلوها عقد نصف دائرى فى جدارها الشرقى شباك مستطيل عرضه (١٫١٠) متر وعمقه (١٫٥٢) متر به أرماح ومخرزات حديدية وتعلوه داخل العقد نافذة مستطيلة بها مصبعات خشبية متقاطعة.

وفى جدارها الجنوبى يوجد بابان متشابهان عرض كل منهما (٨٠ر) متر يعلوه عقد مدبب، يؤدى الشرقى إلى حاصل يتكون من جزأين مستطيلين يغطى أولهما أقبية متقاطعة ويغطى ثانيهما قبو نصف برميلى، وكان موضع هذا الحاصل على ما يبدو ممرا يفضى إلى الرباط، أما

الباب الغربى من هذين البابين فيؤدى إلى سلم المنارة، كذلك ففى جدار هذه الدركاة الشمالى بابان آخران الغربى منهما عرضه (١٫٢٠)متر ويعلوه عقد مدبب يؤدى إلى ممر منكسر يتجه انكساره الأول ناحية الشمال وهو انكسار سماوى غير مسقوف ويصعد منه بثلاث درجات إلى انكساره الثانى المستطيل وطوله (٥٫٣٠) متر وعرضه (١٫٨٥)متر ويغطيه قبو نصف برميلى، وفى نهاية الجدار الجنوبى لهذا الانكسار الثانى توجد مصطبة عبارة عن دخلة عمقها (٫٩٠)متر وعرضها (٢) متر يعلوها عقد نصف دائرى من صنجات حجرية مزررة، ثم ينكسر الممر فى اتجاهه الثالث ناحية الشمال إلى مسافة (١٫١٠)متر، وهذا الانكسار عبارة عن دخلة ذات عقد نصف دائرى بصدرها باب عرضه (١٫٣٠) متر يؤدى إلى منطقة مستطيلة طولها (١١٫٥٠) متر وعرضها (٤٫٨٠)متر يغطيها سقف من كتل خشبية فى وسطه شخشيخة مستطيلة ويحيط بأعلا الجدران أسفل هذا السقف إزار خشبى كانت تزينه – كما فى السقف – زخارف ملونة لم يبق منها إلا بعض الآثار التى تدل عليها[٣٣٢].

وفى جدارها الجنوبى يوجد الشباك المستطيل الذى سبق وصفه عن الحديث عن الانكسار الثانى للواجهة الرئيسية، أما جدارها الغربى فيه ثلاثة شبابيك ذات أوضاع منحرفة سبقت الإشارة إليها أيضا عند وصف الانكسار الثالث والأخير للواجهة، وفى جدارها الشمالى دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (١٫٣٠) متر وعمقها (٫٦٠)متر يعلوها عتب من صنجات حجرية مزررة، فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد غير مزخرفة.

أما جدارها الشرقى فيه فتحة عرضها (٥٫٢٠) متر يعلوها عقد مدبب يقوم على عمودين رخاميين لكل منهما قاعدة و تاج متشابهين على شكل كمثرى، ويحدد عقد هذه الفتحة جفت حجرى لاعب، ولهذه الفتحة واجهة خشبية من خشب الخرط المتقاطع تعلوها حشوة زخرفية قوام زخارفها عناصر نباتية لأوراق ثنائية وثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية، ويتوسطها مدخل عرضه (١٫٣٥)مت يعلوه عقد مدبب على جانبيه وحدات زخرفية نباتية لأوراق وأنصاف مراوح نخيلية، ويعلو العقد شريط من كتابات نسخية نصها:

«وافق الفراغ من هذه القبة والخانقاة فى شهر شعبان المعظم سنة تسع وسبعمائة»

وأعلى هذا الشريط الكتابى توجد لوحة كتابية ذات كتابات نسخية من أربعة أسطر نصها:

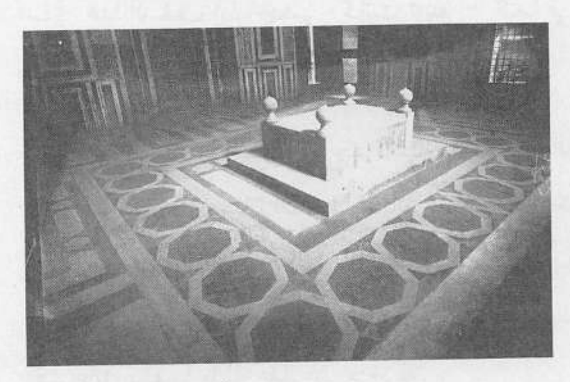
١ – بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى مقام أمين، فى جنات وعيون، يلبسون من سندس.

٢ – واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة أمنين، لا.

٣ – يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى، ووقاهم عذاب الجحيم، فضلا من ربك ذلك هو الفوز.

٤ – العظيم، فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب إنهم مرتقبون»[٣٣٣].

القبة الضريحية : (أنظر : شكل ١٤)



شكل ١٤ : الخانقاة الجاشنكرية (بيبرس) – أرضية القبة وتركيبة الضريح

شغلت هذه القبة واجهة الخانقاة بكاملها ويؤدى إليها المدخل الخشبى المشار إليه بالجدار الشمالى للدركاة، وهى عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (١١٫٣٠) متر أرضيتها مفروشة بالرخام الملون بالأبيض والأسود على هيئة محاريب كما فى المدرسة الطيبرسية، وتقوم فى أركانها الأربعة العليا مناطق انتقال كل منها عبارة عن أربع حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا تعتبر أول نموذج فى القباب المصرية لمنطقة الانتقال التى تتألف من أربع حطات، ويتوسط الحطة الثالثة من كل منها نافذة مستطيلة ذات عقد مدبب بها زخارف من الزجاج الملون، وتقوم فوق هذه المقرنصات رقبة القبة الدائرية وبها ثمان نوافذ مستطيلة الشكل بكل منها زخارف جصية مخرمة بأشكال نباتية وهندسية خلفها زخارف من زجاج ملون، وتقوم القبة المبنية من الطوب فوق هذه الرقبة وهى خالية تماما من أية زخارف داخلية فيما عدا أربع صفوف من النوافذ ذات الزجاج الملون والجص المخرم بأشكال نباتية وهندسية مختلفة تقع بين كل منطقتين من مناطق الانتقال بواقع صف سفلى به أربع نوافذ يعلوه صف ثان به

ثلاث نوافذ يعلوه صف ثالث به نافذتان يعلوه صف رابع به نافذة واحدة، وقد بنى هذا الضريح بناء على وصية المنشئ بعد بناء الخانقاة بعامين ليكون مدفنا يقرأ فيه القرآن بصفة دائمة بالليل والنهار خلافا لما ذكره المقريزى من أنها أعدت لدراسة الحديث[٣٣٤].

ويتوسط جدار هذه القبة الشرقى من الداخل محراب عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (١,٥٥)متر وعمقها (١,٣٠) متر ذات عقد نصف دائرى متراجع يقوم على عمودين رخاميين متشابهين كل منهما مثمن الأضلاع له قاعدة وتاج رمانى الشكل، وتنقسم زخارف هذا المحراب إلى ثلاثة مناطق: السفلية ارتفاعها (١,٢٠)متر وقوام زخارفها سبعة أشكال لمحاريب يقوم كل منها على عمودين رخاميين دائريين يحملان طاقية المحراب وهى على شكل محارة ذات زخارف مشعة، ويزين واجهة عقود أشكال هذه المحاريب زخارف محفورة بأشكال نباتية من أوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية، ويتوسط عقد كل شكل من هذه المحاريب وردة متعددة الفصوص.

وتتألف زخارف المنطقة الثانية فى هذا المحراب من فسيفساء رخامية ملونة عبارة عن خطوط متداخلة تكون أشكال عقود مدببة.

أما المنطقة الثالثة فتبدأ من أسفل بشريط من تسعة محاريب صغيرة تشبه شريط المحاريب فى المنطقة السفلية ثم يعلو هذه المحاريب شريط من كتابات نسخية نصها «بسم الله الرحمن الرحيم ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره»[٣٣٥].

ويزين طاقية المحراب من الداخل زخارف مشعة عبارة عن خطوط سوداء وبيضاء بالتبادل، أما واجهة عقده المتراجعة فيزينها فى مستوييها الخارجى والداخلى زخارف من أوراق نباتية ثلاثية تتداخل فيها ورقة بيضاء فى ورقة سوداء عكسية لها كما هو الحال فى الإطار الذى يحيط بالمنطقة الزخرفية الثانية من هذا المحراب.

وعلى جانبى المحراب توجد وحدتان زخرفيتان متشابهتان كل منهما مربعة الشكل طول ضلعها (٢,٢٥) متر يزينها شريطان رأسيان جانبيان بكل منهما زخارف من فصوص رخامية ملونة تكون أشكالا هندسية مختلفة لدوائر ومعينات ومربعات وغيرها ويحصر هذان الشريطان فيما بينهما مستطيلا زخرفيا رأسيا به بلاطة رخامية حمراء يعلوها مستطيل أفقى تتوسطه كتابات نسخية بيضاء

على أرضية سوداء نصها «لا إله إلا الله»تقابلها فى الوحدة الزخرفية الثانية «محمد رسول الله» وقد أحدثت لجنة حفظ الآثار العربية سنة (١٩٠٩م) خلف هذا المحراب ممرا للتهوية يتوصل إليه من مدخلين على يمين المحراب ويساره كل منهما على هيئة دولاب بالحائط[٣٣٦].

أما جدار القبلة لهذه القبة على جانبى المحراب من الشمال والجنوب ففيه كتبيتان لكل منهما باب ذو مصراعين من خشب تزينهما أشكال زخرفة هندسية، ويعلو هذا الباب مستطيل رخامى تزينه زخارف من فسيفساء رخامية ملونة تكون أشكالا هندسية بسيطة مختلفة، كذلك ففى جدار القبة الغربى على جانبى المدخل الخشبى وحدتان زخرفيتان مستطيلتان زخاف كل منهما عبارة عن كلمة «محمد» مكررة بالخط الكوفى المربع، أما جداريها الشمالى والجنوبى فهما متشابهان أيضا، فى ناحية كل منهما الغربية توجد كتبية مستطيلة الشكل يغلق عليها أربعة مصاريع خشبية تزينها نفس زخارف الكتبيتين الموجودتين فى جدار القبلة، ويعلو كلا منهما نفس الشريط الرخامى الذى يعلو الكتبيتين سالفتى الذكر، ويتوسط كلا منهما دخلة عرضها (٣٫١٥)متر وعمقها (٠٫٧٠) متر ترتفع عن أرضية الضريح بمقدار (٠٫٣٥) متر يعلوها عقد نصف دائرى وفى وسطها شباك مستطيل عرضه (١٫٣٠) متر به أرماح مخرزات حديدية يعلوه عتب تزينه زخارف من فسيفساء رخامية ذات أشكال هندسية مختلفة إلا أن الشباك الذى يقابل هذا الجدار الشمالى قد سد بسدة حديثة، هذا وعلى جانبى كل من الشباكين فى هذين الجدارين يوجد مستطيلان زخارفهما من فسيفساء رخامية ذات لونين أبيض وأسود وحداتها هندسية بسيطة لأشكال خطوط ومثلثات.

ويحيط بجدران القبة من الداخل شريطان زخرفيان خشبيان العلوى منهما تزينه زخارف نباتية بارزة لأوراق مختلفة، أما السفلى فقد نقشت فيه كتابات نسخية يبدأ نصها من جدار القبلة بما يلى:

«بسم الله الرحمن الرحيم. تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور، الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير، ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين،

واعتدنا لهم عذاب السعير، وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور، تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ إن أنتم إلا فى ضلال كبير، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير، فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير، إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير، وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير[٢٣٧].

هذا وكان يحيط بالقبة من الداخل أيضا مثمن كانت تعلق فيه المشكاوات التى تضيئها، أما أسفل جدرانها فتقوم وزرة رخامية ملونة زخارفها عبارة عن أشرطة بالألوان الأبيض والأسود والأحمر، وتتوسطها تركيبة خشبية حديثة تقوم فوق ضريح العارف بالله الشيخ محمد الأمير البغدادى آخر الصوفية بالقبة وقد سبقت الإشارة إليه عند الحديث عن دفناء الخانقاة.

وفى الجدار الشمالى لدركاة المدخل الرئيسى توجد فتحة باب عرضها (١٫٨٠)متر يعلوها عقد مدبب وتؤدى هذه الفتحة إلى الممر المنكسر الذى يفضى إلى داخل الخانقاة، ويتجه انكساره الأول ناحية الشرق بطول (٤٫٥٠) متر ويغطيه قبو نصف برميلى فى جداره الشرقى شباكا الضريح المشار إليهما عند الحديث عن الجدار الجنوبى للقبة، ثم ينكسر هذا الممر ناحية الجنوب بطول (١٫٩٠) متر ويغطيه قبو نصف برميلى أيضا يتعامد على قبو الاتجاه الأول إلا أن به فتحة سماوية مسطيلة للتهوية والإنارة ..

وفى الجدار الغربى يوجد الشباك المستطيل الذى سبق وصفه عند الحديث عن الجدار الشرقى للدركاة، أما الجدار الجنوبى فبه فتحة باب عرضها (١٫٣٠) متر ذات عقد مدبب يؤدى إلى سلم صاعد يفضى إلى الميضأة يعلوه شباك مستطيل به أسياخ حديدية حديثة، والى الشرق من هذا الباب توجد دخلة عرضها (٫٩٥)متر وعمقها (٫٥٠) متر ذات عقد فارسى يعلوه شباك يشبه الشباك السابق، وخلف عقد هذه الدخلة توجد نافذة مسلوبة للتهوية والإنارة.

أما الانكسار الثالث لهذا الممر فيتجه ناحية الشرق بطول (٩٫٩٠)متر فى جداره الجنوبى شباك مستطيل به مصبعات خشبية سقفه عبارة عن قبو نصف اسطوانى، أما الأرضيات فى هذا الممر فهى من فسيفساء رخامية ملونة ذات أشكال هندسية مختلفة منها المستطيلات والمعينات

والمثلثات والدوائر، وينتهى هذا الممر فى جداره الشرقى بفتحة باب عرضها (١،٥٠) متر ذات عتب حجرى مزرر يعلوه عقد عاتق بينهما طبلة عقد غير مزخرفة.

الصحن :

يؤدى هذا المدخل المشار إليه إلى صحن غير مسقوف عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل طولها (١٩،٩٠)متر وعرضها (١٦،٥٠)متر، تحيط به أربعة إيوانات أهما إيوان القبلة فى الناحية الشرقية، يقابله الإيوان الغربى فى الناحية الغربية، اما فى الجهتين الشمالية والجنوبية فيقع الإيوانات الشمالى والجنوبى وعلى جانبى كل منهما حواصل تعلوها خلوات للمتصوفة.

الايوان الشرقى :

هذا الايوان عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل طولها (١٢،١٥)متر وعرضها (٩،٩٠) ترتفع أرضيتها عن أرضية الصحن بمقدار (٢٠،)متر يغطيها قبو نصف اسطوانى على جانبيه حنيتان متشابهتان عرض كل منهما (٨،٢٥)متر وعمقها (٣،١٠) متر وبنهاية كل منهما تجويف مكشوف على هيئة ملقف للهواء عرضه (٢،٨٠)متر، ويعلو كل من هاتين الحنيتين قبو نصف دائر، وتؤدى كل منهما إلى دخلة ثانية عرضها (٢،٨٠) متر وعمقها (٢،١٥)متر ذات عقد نصف دائرى أيضا يحيط بها جفت لاعب ذو ميمات دائرية على جانبيها شباكان مستطيلان عرض كل منهما (١،٣٠)متر وعمقه (٥،)متر ويعلو كلا منهما عتب من أحجار مزررة فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد خالية من الزخارف، هذا وفى جدارى الدخلة الثانية الشرقى والغربى دخلتان أخريان عرض كل منهما (٧٥،)متر وعمقها (٤٠،)متر، وهذه الدخلة سماوية غير مسقوفة.

أما جدار القبلة فيتوسطه المحراب وهو عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (١،٥٠)متر وعمقها (١،١٠)متر يعلوها عقد دائرى متراجع يحمله عمودان رخاميان مثمنان لكل منهما قاعدة وتاج متشابهين كل منهما على شكل بصلى، ولا يزين هذا المحراب شئ من الزخارف اللهم إلا جفتين لاعبين يحددان عقديه المتراجعين وعلى يمينه يوجد منبر خشبى حديث.

الإيوان الغربى :

يقابل هذا الإيوان إيوان القبلة من الناحية الغربية وهو عبارة عن مستطيل طوله (٩١٠,٥٠)متر وعرضه (٩,٤٠)متر أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى وترتفع عن أرضية الصحن بمقدار (٢٠,)متر وسقفه عبارة عن قبو نصف اسطوانى فى كل من جدرانه الشمالى والجنوبى والغربى ثلاث دخلات متشابهة عرض كل منها (٣,٥٠)متر وعمقها (١,٦٠) متر يعلوها عقد نصف دائرى يحدده إزار حجرى بارز مجدول، إلا أن الدخلة الموجودة بالجدار الغربى بها خلف العقد سقف من عروق خشبية جزؤه الشمالى عبارة عن ملقف للتهوية والإنارة ولها جلسة حجرية مفروشة بالبلاط.

الإيوان الشمالى :

يقع هذا الإيوان فى الناحية الشمالية للصحن وهو عبارة عن سدلة صغيرة مستطيلة الشكل طولها (٦,٣٥)متر وعرضها (٦,٣٠)متر يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى يفتح فى جدارها الجنوبى على الصحن ثلاث مداخل أحدها رئيسى أوسط عرضه (٢,٠٥)متر يعلوه عتب من صنجات حجرية مزررة فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد غير مزخرفة، ويعلو هذا المدخل نافذة مربعة تقع داخل دخلة يتوجها ثلاث حطات من المقرنصات، وعلى جانبى هذا المدخل مدخلان آخران متشابهان فتحة كل منهما (١)متر يعلوها عتب حجرى من صنجات مزررة فوقة عقد عاتق بينهما طبلة عقد خالية من الزخارف، وفوق العتب نافذة مربعة كان بها خشب مصبعات، تقع كل نافذة منها داخل دخلة ذات عقد زخارفه مشعة يحدده جفت لاعب.

وفى جدار هذا الإيوان الشرقى يوجد محراب بسيط عبارة عن حنية نصف دائرية عرضها (٩٥,)متر وعمقها (٧٠,)متر يعلوها عقد مدبب، أما جداره الشمالى فبه دخلة عمقها (٦٠,)متر وعرضها (٢,٥٠)متر يغطيها سقف مستو على جانبيها دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (٨٥,)متر وعمقها (٥٠,)متر.

وعلى كل من جانبى المدخلين المشار إليهما توجد ثلاث مداخل أخرى تشبهها تماما فى التكوين المعمارى وفيما يعلوها من أعتاب ونوافذ يؤدى كل منها إلى حاصل مستطيل الشكل

طوله (٤٫٣٠)متر وعرضه (١٫٧٥)متر يغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى، إلا أن ما يعلو هذه الأبواب الثلاثة من شبابيك يتكون من دورين بكل منهما دخلة بها نافذة مستطيلة يعلوها مقرنصات بعضها مضلعة ذات زوايا وبعضها مقعرة ذات دلايات وبعضها عبارة عن عقد ذو زخارف مشعة.

أما فى الناحيتين الشرقية والغربية على جانبى عقد إيوان القبلة فيوجد بابان متشابهان عرض كل منهما (١٫١٠)متر يؤديا إلى حاصلين يغطى كلا منهما قبو نصف اسطوانى، ويعلو كلا من هذين البابين عتب من أحجار مزررة فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد يتوسطها نافذة عبارة عن فتحة مستطيلة، ويعلو كل مدخل منهما دخلة ذات عقد مدبب يحدده جفت لاعب بداخله مستطيل زخرفى به عناصر من أوراق نباتية، وفوق الدخلة الأولى توجد دخلة ثانية ذات عقد على شكل ورقة ثلاثية، وأسفل كل من الدخلتين يوجد شباك مستطيل به قوائم وعوارض خشبية حديثة.

ويقابل الباب على يسار عقد إيوان القبلة فى الناحية الغربية باب ثالث يشبه البابين السابقين بتكوينهما وبما فوقهما من دخلتين ويؤدى هو الآخر إلى حاصل يغطيه قبو نصف اسطوانى.

الإيوان الجنوبى :

يقع هذا الإيوان فى الناحية الجنوبية ويشبه الإيوان الشمالى تماما بفتحته الرئيسية وبما حولها من فتحتين جانبيتين، وبما يعلو كلا منها من دخلات أسفلها نوافذ وأعلاها عقود ذات زخارف مشعة ومقرنصات مضلعة ذات زوايا، وبما فى جداره الشرقى من محراب على جانبيه دخلتان، وبما فى جداره الجنوبى من دخلة رئيسية كبيرة تكتنفها دخلتان صغيرتان، إلا أن وجه الاختلاف بين هذا الإيوان وبين الإيوان الشمالى يتخلص فى وجود عقدين كبيرين متشابهين لكل منهما عقد نصف دائرى مسدود من أسفل يفتحان على الميضأة وفى الدخلتين اللتين تكتنفان المحراب فى الجدار الشرقى، وبما فى ذلك أيضا من الحواصل الثلاثة السفلية على كل من جانبى المدخلين الأخيرين، وبما يعلوهما من دورى الخلوات الثانى والثالث التى تتألف من أربع وعشرين خلوة فى الجانب الشمالى ومثلها فى الجانب الجنوبى.

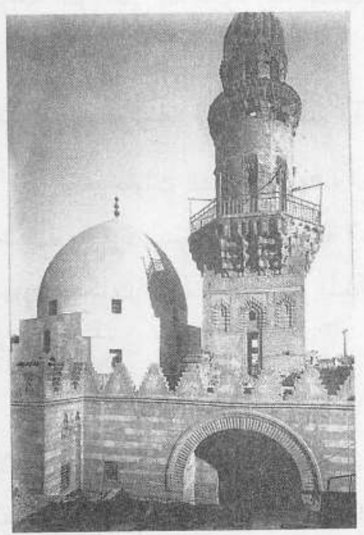
ومن الباب الواقع فى دركاة المدخل الرئيسى الجنوبى يصعد إلى سلم يتجه أولا ناحية الشرق ويغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى من حجرين يعلوان بعضهما كما هو الحال فى سقف سلم الخانقاة الجاولية، ثم يتجه ناحية الشمال فالجنوب حيث يؤدى إلى فتحة باب عرضها (٨٠ر)متر ذات عتب مستو من الخشب تؤدى إلى ممر مستطيل طوله (٧٠ر٢) متر يغطيه سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى فى جداره الغربى شباك مستطيل عرضه (٨٠ر)متر وارتفاعه (٥٠ر١) متر وهو الشباك الذى سبق وصفه فى جدار دركاة المدخل الشرقى.

وفى جدار هذا الممر الشرقى توجد فتحة مستطيلة عرضها (٣٠ر)متر عبارة عن مزغلة للتهوية والانارة، ويؤدى هذا الممر إلى خلوة مستطيلة يغطيها سقف عبارة عن قبو نصف اسطوانى فى جدارها الغربى شباك مستطيل به مصبعات خشبية يطل على الرحبة السماوية التى تلى المدخل الرئيسى، وفى ركنها الشمالى الشرقى توجد فتحة سماوية غير مسقوفة على يمينها فتحة باب عرضها (٨٠ر)متر وارتفاعها (٣٠ر١)متر تؤدى إلى خلوة ثانية مستطيلة الشكل تتكون من دخلة ذات عق نصف دائرى وسقف نصف اسطوانى تتقدمها رحبة مستطيلة سقفها من الناحية الجنوبية عبارة عن قبو مروحى ومن الناحية الشمالية نصف اسطوانى به منور للتهوية والإنارة.

وبعد أربع انكسارات يؤدى السلم فى انكساره الأخير المتجه إلى الغرب إلى فتحة باب تعلو الفتحة فى الدور السابق عرضها (٩٠ر)متر ذات عتب حجرى مستو تؤدى إلى رحبة مستطيلة الشكل بها السلم ذو الاتجاهات الثلاثة المؤدى إلى المئذنة.

المئذنة: (أنظر شكل: ١٥)

بنيت مئذنة هيه الخانقاة من الطوب فى ثلاث دورات تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها (٥٠ر٣)متر، ويلتف سلم المئذنة حول هذه القاعدة على عكس ما هو مألوف فى المآذن المصرية التى اعتاد المعمار أن يجعل سلمها الحلزونى فى وسطها، وتتكون الدورة الأولى من بدن مربع الشكل فى كل ضلع من أضلاعها الأربعة توجد نافذة مستطيلة يعلوها عتب حجرى مستو



شكل ١٥: الخانقاة الجاشنكرية (بيبرس)
المئذنة والقبة وجزء من الواجهة.

وفوقها عقد مدبب تزينه مقرنصات مضلعة ذات زوايا، ويكتنفه من الجانبين حنيتان متشابهتان لكل منهما عقد مدبب تزينه أيضا زخارف المقرنصات، ويعلو كل جانب من جوانب هذه الدورة الأربعة مقرصات مضلعة ذات زوايا تتكون من أربع حطات فوقها دورة خشبية حديثة.

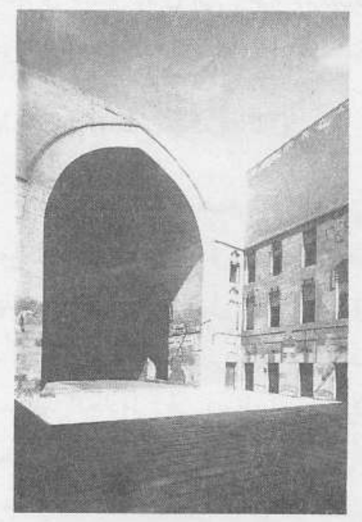
أما الدورة الثانية فهى ذات بدن مثمن الأضلاع بها ثمان دخلات متشابهة ويعلوها حطات لمقرنصات مضلعة ذات زوايا تساقط معظمها، وتنتهى هذه الدورة بمقرنصات أخرى مضلعة ذات زوايا تتخللها ثمان فتحات مستطيلة نافذة.

أما الجوسق الذى يعلو هذه الدورة فيقوم على ثمان أكتاف حجرية يعلو كل كتفين منها عقد مدبب، وينتهى هذا الجوسق من أعلا بحطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، وتتوجه خوذة مضلعة تتألف من مجموعة من المخدات المتجاورة، وقد اقتبست خوذة هذه المئذنة من مباخر العصر الأيوبى، فنجد مثيلا لها فى مئذنة مدرسة الصالح نجم الدين، وفى مئذنة زاوية الهنود، وفى مئذنتى جامع الحاكم اللتين جددهما بيبرس الجاشنكير سنة (٧٠٣هـ)، وترجع اهمية هذه الخوذة بالإضافة إلى ذلك كله إلى أنها لازالت تشتمل فى الجهة الجنوبية الغربية منها على ست بلاطات من القاشانى، وتلتها فى ذلك مئذنة الناصر محمد بالقلعة، ويوجد بمرقى سلم هذه المئذنة مسكن علوى لشيخ الخانقاة تتكون من غرفتين إحداهما مستطيلة تطل على الصحن والأخرى شبه مربعة تطل على الدهليز، وقد سدت بعض فتحات هذا المسكن الداخلية(٣٣٨).

خلوات الصوفية: (أنظر شكل: ١٦)

تقع خلوات الصوفية بهذه الخانقاة فى الناحية الشرقية والجزء الشرقى من الناحية الشمالية، أما الناحية الجنوبية فكلها متهدم ومن غير الممكن الصعود إليها أو وصفها.

وتشير وثيقة الخانقاة إلى أنها كانت تشتمل فى ثلاث طوابق على مائة خلوة أو مسكن للمتصوفة المقيمين بها بصفة دائمة، وقد دخلت غالبية هذه الخلوات للأسف ضمن المبانى الحديثة المجاورة وما بقى



شكل ١٦: الخانقاة الجاشنكرية (بيبرس)
حواصل مطلة على الصحن

منها حاليا لا يتعدى إحدى عشرة خلوة منها خلوتان تكتنفان إيوان القبلة طول كل منهما (٣٫٥٠)متر وعرضها (٢٫٢٠)متر، وخلوة غير منتظمة فى الركن الشمالى الغربى من الخانقاة، وخمس خلوات تكتنف لإيوان الشمالى أو المجلس البحرى، وثلاث خوات شرق الإيوان الجنوبى أو المجلس القبلى، أما غرب هذا الإيوان فقد اندثرت كل خلواته تماما ولم يبق منها إلا المداخل فقط.

والواقع أن هذه الخلوات لم تكن هى كل ما اندثر من هذه الخانقاة وإنما اندثرت منها أيضا بقية ملحقاتها الكثيرة التى كانت تشتمل على المطبخ والمخبز والمغسل وحظائر الدواب ونحوها وكان مطبخ هذه الخانقاة عامرا يطهى فيه اللحم والخضروات يوميا كما تعمل فيه الحلوى شهريا بالإضافة إلى التوسعات التى كانت تقرر للصوفية فى المواسم والأعياد.

٦ - ترميمات الخانقاة:

مما لا شك فيه أن هذه الخانقاة كانت موضع رعاية لجنة حفظ الآثار العربية منذ عصرها المبكر فى سنة (١٨٩١م) وظل هذا الاهتمام ساريا حتى سنة (١٩٠٩م) وخلال هذه الفترة المديدة أجرت اللجنة فى تلك الخانقاة العديد من أعمال الترميم والصيانة التى كان لها الفضل الأكبر فى استمرار المحافظة على هذا الأثر الفريد الذى قيل عنه فى أول تقرير للقومسيون الثانى للجنة المشار إليها أنه ذو وضع لطيف وغريب وتعلوه قبة جميلة بداخلها زخرفة عظيمة من رخام (بوليكروم) برسومات نفيسة غير عادية، ولذلك يرى هذا القومسيون ضرورة أن يقوم المسيو هرتس بعمل المقايسة اللازمة لإصلاحه[٣٣٩].

وبناء على أهمية هذه الخانقاة قامت اللجنة فى سنة (١٨٩٢م) بإجراء أعمال تقوية وصيانة لقبتها بلغت تكاليفها (-٫١٥٥٠)جنيها تحملت اللجنة منها مبلغا قدره (-٫١٢٧٠)جنيه وتحملت الأوقاف الباقى وقدره (-٫٢٨٠)جنيها[٣٤٠]، وقد خصص هذا المبلغ الكبير فى حينه لأعمال ترميمية كثيرة انحصرت فى إصلاح ما كان قد تفكك من رخام الحوائط الفاخر الذى كان بارتفاع (١٣٫٦٠)متر عن طريق الفك والرد بعد تنكيس هذه الحوائط بالمونة المائية المركبة من الجير والحمرة، وكذا تجديد رخام الأرضية من جنس ما بقى منه، وتكميل الشبابيك الجصية ذات الرسومات الدقيقة البديعة، وتجديد سقف الطرقة الواقعة تجاه القبة، وتنظيف التكسية النحاسية للباب العمومى مع كمال الفاقد منها وإصلاح الأرضية أسفل باب الدخول وقد وزعت هذه الأعمال على النحو التالى:

بيان الاعمال	على الأوقاف		على اللجنة		جملة	
	جنيه	مليم	جنيه	مليم	جنيه	مليم
(أ) هدم وبناء ونجارة	٢٥٣	٦٧٦	٣٩٢	٥٥٥	٦٤٦	٢٣١
(ب) رخام أجناس	–	–	٥٥٠	٦٧٩	٥٥٠	٦٧٩
(د) النحاس	–	–	٢٢٠	–	٢٢٠	–
احتياطى وملاحظة	٢٦	٣٢٤	١٠٦	٧٦٦	١٣٣	٠٩٠
الإجماليات	٢٨٠	–	١٢٧٠	–	١٥٥٠	–

كذلك فقد رأت اللجنة ضرورة أن يقوم ديوان الأوقاف بإزالة الدكاكين التى بنيت تجاه الشبابيك الأربعة، ونزع ملكية المحلات التى بنيت لصق حائط الأثر من الجهة البحرية للقبة، وهدم المصطبة التى بنيت لصق الحائط البحرى تجاه المنارة ومطالبة نظارة الأشغال بتسوية ميزانية أرضية الشارع لتتناسب مع عتبة الأثر[٣٤١].

وفى سنة (١٨٩٤م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (–ر١٢٠) جنيها لتجديد الكسوة الرخام والأرضية والنجارة بداخل الضريح بالإضافة إلى أشغال النحاس والنجارة اللازمة لباب الخانقاة[٣٤٢]، وفى نفس السنة صرفت اللجنة أيضا على أشغال الرخام المؤزر لجدر الخانقاة مبلغا قدره (–ر٧٠٠)جنيه[٣٤٣].

وفى سنة (١٨٩٦م) أجرت نظارة الأشغال تسوية الشارع الكائن أمام الخانقاة حتى منسوب عتبة الباب العمومى، ولما قامت اللجنة بإصلاح أرضية الخانقاة على وزن فتحة البوابة أتضح أن أرضية الشارع يجب أن تخفض مرة ثانية بمقدار (٢٤ر)متر فأخطرت نظارة الأشغال لخفض منسوب الشارع للمرة الثانية حتى يتلاءم مع منسوب أرضية الخانقاة[٣٤٤].

وفى سنة (١٨٩٨م) صرفت اللجنة على ترميم قبة الخانقاة مبلغا قدره (٩٠٨ر٩٢٦)جنيه

دفعت اللجنة منها مبلغا قدره (٦٦٦,٣٣٠)جنيه ودفعت الأوقاف باقى المبلغ المطلوب لهذا الترميم وقدره (٢٦٠,٥٧٨)[٣٤٥].

وفى سنة (١٨٩٩م) أخبر ديوان عموم الأوقاف اللجنة بأنه هو الناظر الحالى على وقف السلاحدار التابع له الوكالة المسدود بحائطها الشباك البحرى من ضريح الخانقاة، وأنه لمضى (٤٥)سنة على هذه الحائط فإنه من غير الممكن هدمها لفتح الشباك المشار إليه، فقدم هرتس بك مشروعا للتخيلية يقضى بإزالة الحائط المحكى عنه وبناء حائطين خلافها من الجهتين وقدر لذلك مبلغا قدره (--,٤٠)جنيها فأقر القومسيون هذا المشروع[٣٤٦]، وفى نفس السنة المشار إليها ورد فى محاضر جلسات اللجنة أن هذه الخانقاة خصها من الأعمال المقررة لترميم الآثار مبلغا قدره (٥١٧,٧٢٩)جنيه رغم أنه لم يرد فى ذلك على أية ترميمات بالخانقاة صرف هذا المبلغ[٣٤٧].

وفى سنة (١٩٠٨م) وافق القسم الفنى للجنة على المقايسات والشروط التى تم طرحها لإجراء الأعمال الترميمية ببعض الآثار التى أدرجت فى خطة الترميم، وقد خص هذه الخانقاة منها مبلغا قدره (--,٢٨)جنيه تقرر صرفها على تجديد مبانى سبيل وقف بيبرس الجاشنكير، وكان هذا السبيل بحذاء الخانقاة فى شارع الجمالية، وقد أدمج ضمن أوقافها رغم أن مشيده هو الأمير قيطاس وقد بناه بعد مُضى قرن ونصف من الزمان على بناء الخانقاة وخصص بعض ريع الأعيان التى أوقفها على الخانقاة لصيانة هذا السبيل الذى كان خارجا عن باب الدرب الأصفر بنحو (١,٥٠) متر وهو خروج يكفى لتكوين واجهة ثانية ضيقة بها من أسفل شباك السبيل فى الدور الأرضى وقوس الكتاب فى الطابق العلوى، أما الواجهة الأخرى فكانت أكثر اتساعا وكانت تلاصق بيتا مجاورا تم هدمه، وكان يعلو هذا السبيل فى القديم طابق ثالث لم يبق منه إلا الكوابيل والماوردة التى تحملها.

وقد تم ترميم هذا السبيل بشكل غير جيد فى فترة زمنية سبقت لجنة حفظ الآثار العربية مما اضطر هذه اللجنة إلى هدم واجهته وإعادة بنائها بنفس المواد التى كانت مستعملة فيها ويشتمل إفريز سقف هذا السبيل على الكتابات التالية :

أمير اللوا قيطاس بك الذى علا ورب السما بالفضل فى مصر أظهره

بنـى مكـتبـا لله قصــد ثوابــه وخيــر سبيل قد سقى الناس كوثـره

لقد قلت فيـه مادحـا ومؤرخـا سبيل فريد الحسن قيطاس عمــره

ورغم أن مجموع جمل حروف الشطرة الأخيرة يشير إلى أن تاريخ بناء هذا السبيل هو سنة (١٠٤٠هـ) فإن هذه الإشارة كانت على ما يبدو غير صحيحة لأن الأمير قيطاس كان من رجالات القرن الثانى عشر الهجرى حيث كان قد عين سنة (١١٤٢هـ) – طبقا لما ذكره تقرير اللجنة نقلا عن الجبرتى – أميرا لركب المحمل ومات بمنى ودفن بها[٣٤٨].

وفى سنة (١٩٠٩م) رأت اللجنة أنه لتعذر كشف الشباك البحرى من تربة الخانقاة بسبب ركوب مبانى الوكالة المجاورة لها والتابعة لوقف السلاحدار لمنع الرطوبة عن تلك القاعة تم فتح منافذ وراء الدواليب ليتجدد الهواء على الدوام وقرر لذلك مبلغا قدره (ــر٦٠)جنيها فوافق القسم الفنى على هذا المشروع وعلى المقايسة التى أعدت له[٣٤٩].

وخلاصة ما يمكن ملاحظته على ما قامت به لجنة حفظ الآثار العربية فى هذه الخانقاة من أعمال ترميمية شملت معظم جوانبها المعمارية والفنية فى القبة والخانقاة والسبيل أن مجموع ما صرفته اللجنة على هذه الأعمال بلغ مبلغا قدره (٤١٩٤ر٦٣٧) أربعة آلاف ومائة وأربعة وتسعين جنيها وستمائة وسبعة وثلاثين مليما، وهو مبلغ إذا ما قدرت قيمته بقيمة النقد فى ذلك الحين الذى أجريت فيه الترميمات لأمكننا أن نعرف حجم ما قامت به اللجنة من جهد وما بذلته من مال من أجل إصلاح هذه الخانقاة وإرجاعها إلى الصورة المشرقة التى كانت عليها عند بنائها.

٥ - الخانقاة المهمندارية أحمد

٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م

أثر رقم : ١١٥

تقع هذه الخانقاة خارج باب زويلة فيما بين رأس حارة اليانسية وجامع الماردانى، والذى بناها هو الامير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار سنة (٧٢٥هـ / ١٣٢٤م).

وطبقا لما لدينا من مادة تاريخية أثرية، فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل على خمس نقاط رئيسية هى:

١ - تاريخ الخانقاة.

٢ - منشئ الخانقاة.

٣ - موظفو الخانقاة.

٤ - وصف الخانقاة.

٥ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة:

الواقع أن ما وصلنا عن تاريخ هذه الخانقاة ليس بالوفرة التى وصلتنا عن الخانقاوات السابقة ولا سيما الصلاحية والجاشنكيرية والجاولية، وقد انحصرت معلوماتنا فى هذا الصدد فيما ذكره كل من المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) وعلى باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م).

يقول المقريزى وقد ذكرها مرة فى الخانقاوات ومرة فى المدارس أنها تقع خارج باب زويلة فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل، ويعرف خطها بخط جامع الماردانى خارج الدرب الأحمر، وهى تجاه مصلى الأموات على يمنة السالك من الدرب الأحمر طالبا جامع الماردانى، ولها باب

آخر فى حارة اليانسية، وقد بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار ونقيب الجيوش فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وجعلها مدرسة وخانقاة وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية وبنى إلى جانبها القيسارية والربع[٣٥٠].

أما على باشا مبارك فقد سماها «زاوية المهمندار» وقال أنها بخط البرادعية من الدرب الأحمر بين جامعى الماردانى وأبى حربة (قجماس الإسحاقى) ولها بابان أحدهما على الشارع والآخر على حارة اليانسية وكان أصلها مدرسة تعرف بالمدرسة المهمندارية لأن الذى بناها هو الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش المهمندار سنة (٧٢٥هـ) وجعلها مدرسة وخاناة ثم أضاف أنه فى سنة (١١٣٥هـ/ ١٧٢٢م) جدد بها سليمان أغا القازدغلى منارة ومنبرا، وهى عامرة مقامة الشعائر وفيها المنبر يخطب عليه للجمعة والعيدين ولها مطهرة وأخلية ومنارة ولها أوقاف تحت نظر الديوان[٣٥١].

والذى لا شك فيه أن ذكر كل من المقريزى وعلى باشا مبارك لهذه الخانقاة بالمدرسة أمر لا غرابة فيه لأن وظيفة المنشأتين (الخانقاة والمدرسة) لم تكن تختلف كثيرا، فكلاهما تقام فيه شعيرة الصلاة وما يستتبعها من خطبة وجماعة، وكلاهما تدرس فيه علوم الدين وما تقتضيه من ضرورة تواجد العلماء والفقهاء والدارسين، ولا تزيد الخانقاة عن المدرسة إلا فى وجود الصوفية المقيمين المنقطعين للزهد والتصوف.

٢ – منشىء الخانقاة :

يقول ابن حجر فيما ذكره من ترجمة مختصرة لمنشئ هذه الخانقاة أنه «احمد بن أقوش العزيزى نقيب الجيوش بالقاهرة ولى المهمندارية ومات فى ربيع الأول سنة تسع عشرة وسبعمائة»[٣٥٢].

٣ – موظفوا الخانقاة :

انحصرت معلوماتنا عن موظفى هذه الخانقاة فقط فى شيوخها ودارسيها، وقد حفظ لنا السخاوى فيما ذكره فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م)، ثلاث تراجم تخص أولاها أحد

شيوخ المهمندارية، وتخص ثانيتها أحد شيوخ إعادتها وتخص ثالثتها أحد الدارسين فيها.

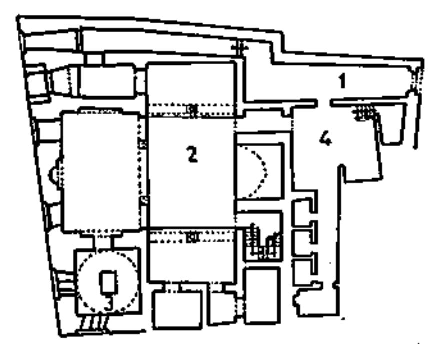
فذكر لنا فى الترجمة الأولى إبراهيم بن محمد إبراهيم الأمير صارم الدين بن القاضى نجم الدين البشبيشى المولد، المصرى الشافعى المهمندار، الذى عرف بابن الشهيد، ولد سنة إحدى وثمانين وسبعمائة بمدينة بشبيش حين كان أبوه كاتب سرها ثم انتقل إلى القاهرة فأكمل حفظ القرآن والعمدة وسمع الصحيح، وولى المهمندارية سنة عشرين وثمانمائة فدام فيها مدة إلى أن مات فى سابع عشر ذى الحجة من السنة المذكورة بالقاهرة(٣٥٣).

وذكر فى الترجمة الثانية إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل بن الزينى المغربى أبى هريرة الذى ولد فى تاسع رمضان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة وولى الإعادة بالمهمندارية(٣٥٤).

وذكر فى الترجمة الثالثة على بن سليمان الطيبى الذى أخذ عن الولى العراقى وكان يدرس بالمهمندارية ويسكن بالبسياطرة قرأ عليه الشمس الفارسكورى فى سنة خمس وأربعين (وثمانمائة)(٣٥٥).

٤ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ٩)

تقع هذه الخانقاة – كما قلنا – بشارع التبانة بين جامع المارداني ودرب اليانسية بالدرب الأحمر، وقد أنشأها شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهمندار للصوفية الحنفية، وتشغل الخانقاة فى الوقت الحاضر مساحة صغيرة من الأرض لا تمثل مساحتها الأصلية نظرا لضياع معظم ملحقاتها ضمن الأبنية الحديثة المجاورة، وتتكون هذه الخانقاة من مدخل بديع غنى بالزخارف المختلفة، ومن ضريح ذى القبة



لوحة ٩ : الخانقاة المهمندارية (احمد)
أثر رقم ١١٥ (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) – مسقط أفقى

صغيرة مضلعة من الخارج، خلفها صحن غير سماوى تتعامد عليه أربعة إيوانات، بالإضافة إلى ساحة خربة كانت تشتمل على المرافق التى لم يبق منها إلا بعض الشواهد الدالة عليها، وفيما يلى وصف أثرى لما بقى من عمارتها وما يزينه من زخارف.

الواجهة والمدخل: (أنظر شكل : ١٧)



شكل ١٧ : الخانقاة المهمندارية (احمد)
اثر رقم ١١٥ (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) – الواجهة والمئذنة

تطل الواجهة الرئيسية لهذه الخانقاة على الناحية الشرقية بطول (٢١,٧٠) متر وتضم مع المدخل الرئيسى خمس دخلات رأسية ضحلة ترفع إلى أعلى جدار الواجهة وينتهى كل منها بمقرنصات متنوعة متقنة تتخللها فتحات من دورين تتميز الفتحات السفلية منها بوجود مدماكين باتساعها واستطالتها وبوجود أعتاب حجرية وعقود عاتقة سد اثنان منها جزئيا، أما الفتحات العلوية التى تعلو الطراز الكتابى بمقدار مدماكين فعبارة عن فتحات قندلية يتكون كل منها من فتحة مزدوجة بينها عمود صغير من الرخام، وقد كسيت واجهات تلك الفتحات بالرخام الأبلق، وبين التجويفين الأول والثانى جهة الشمال والتجويف الثالث عقد مقرنص أصم، أسفله قمرية مستديرة، أما الطراز فيبدأ خلف الجنب الشمالى للواجهة ثم يتجاوزها ليمضى مجتازا حنية المدخل والجانب الجنوبى الشرقى لها.

ومعنى ذلك أن الجانب الأيسر من هذه الواجهة يشتمل على دخلة عرضها (١,٣٠)متر وعمقها (٢٥,)متر كان بها من أسفل شباك مستطيل مسدود تعلوه نافذة قندلية من غير قمرية يحمل عقديهما النصف دائريين بالإضافة إلى كتفين فى الناحيتين الشمالية والجنوبية عمود رخامى مثمن الأضلاع وتنتهى الدخلة من أعلى بثلاث حطات من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

أما الجانب الأيمن فبه ثلاث دخلات متشابهة تشبه الدخلة الموجودة على الجانب الأيسر

بما فيها من شباك سفلى به أسياخ حديدية متقاطعة وبما يعلوه من عتب مستطيل فوقه عقد عاتق تعلوه نافذه قندلية يتوجها مقرنصات ذات زوايا من ثلاث حطات، إلا أنه في المنطقة بين الدخلتين اللتان تليان المدخل توجد دخلة غير واصلة للأرض بها قمرية دائرية يعلوها عقد مدبب زين بزخرفة مشعة.

ويمتد بامتداد هذه الواجهة شريط من كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم»[٣٥٦] امر بإنشاء هذه التربة والمسجد المبارك من خالص ماله مما أفاء الله عليه وطيبه لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة والرغبة فى عمارة بيوت الله وأداء فرضه وتلاوة كتابه ومداومة ذكره العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد المهمندار[٣٥٧] نقيب نقباء الجيوش المنصورة الناصرية إذ يقول تقدس وتعالى فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب[٣٥٨]، وذلك فى شهر المحرم سنة خمس وعشرين وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله» وتنتهى الواجهة كلها بصف واحد من الحنايا الصغيرة التى تعلوها شرافات حجرية مزخرفة.

أما الجانب الشمالى لهذه الخانقاة ففيه دخلة خامسة تشبه باقى الدخلات بالواجهة الشرقية المشار اليها.

أما المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة الذى كسيت واجهته بالحجر والرخام الملون فيقع فى الجانب الجنوبى للواجهة الشرقية داخل دخلة عرضها (٢,٥٥)متر وعمقها (١,٣٥)متر تكتنفها مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٠,٥٠)متر وارتفاعها (٠,٦٠)متر يحيط بها جفت لاعب ذو ميمات دائرية، أما عرض المدخل فهو (١,٤٠)متر ويعلوه عتب مستو نقشت فيه زخارف مزررة

لأوراق نباتية متداخلة باللونين الأبيض والأسود، وفوق هذا العتب المستطيل عقد عاتق من صنجات مزررة بينهما طبلة عقد غير مزخرف، ويعلو العقد العاتق قمرية دائرية بها مصبعات خشبية، ويتوج هذه الدخلة عقد ثلاثى الفصوص زينت بواطنه بمقرنصات ذات زوايا من أسفل وذات دلايات من أعلا، وعلى جانبى الفص العلوى توجد نافذتان صغيرتان مستطيلتان بكل منهما مصبعات خشبية تقع كل منها داخل دخلة تنتهى بعقد على شكل ورقة ثلاثية.

ويمتد على جانبى هذا المدخل إزار غائر نقشت فيه كتابات نسخية بأشرطة رخامية بيضاء على أرضية سوداء بطريقة التنزيل أو التلبيس نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين»[٣٥٩].

دركاة المدخل:

يؤدى مدخل الخانقاة المشار إليه إلى دركاة مستطيلة الشكل طولها (٤,٣٠) متر وعرضها (٢,١٠)متر أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى وسقفها خشبى مستو على هيئة مربوعات مغلفة بفروخ مدهونه وألواح مستوية تزينها زخارف بالطلاء لعناصر نباتية وهندسية مختلفة فى جانبها الجنوبى مدخل عرضه (١,٢٠)متر يفضى إلى منطقة خربة، وفى صدرها مدخل ثان عرضه (١,٤٠)متر تعلوه نافذة مستطيلة يؤدى مباشرة إلى الإيوان الجنوبى للخانقاة.

الصحن والإيوانات:

يشغل صحن هذه الخانقاة مساحة مستطيلة طولها (٧,٧٠)متر وعرضها (٥,٩٠) متر، وقد فرشت أرضيته ببلاطات من الحجر الجيرى، وغطى بسقف خشبى حديث يتوسطه مربع رأسى للتهوية والإنارة عبارة عن شخشيخة مستحدثة.

الإيوان الجنوبى:

فى صدر دركاة المدخل باب عرضه – كما قلنا – (١,٤٠) متر تعلوه نافذة مستطيلة

يؤدى مباشرة إلى هذا الإيوان وهو عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٥٫٨٠)متر وعرضها (٣٫٨٠)متر يتكون من بلاطة واحدة يغطيها سقف خشبى مجدد، يفتح هذا الإيوان على الصحن بعقدين مدببين يحملهما بالإضافة إلى كتفين فى الناحيتين الشرقية والغربية عمود رخامى دائرى البدن يقوم على قاعدة مستطيلة ويعلوه تاج على شكل ورقة الأكنش.

الإيوان الشمالى:

يشبه هذا الإيوان الإيوان الجنوبى تماما فيما عدا أن جداره الشمال يشتمل على بابين متشابهين عرض كل منهما (٫٩٥)متر يؤدى كل منهما إلى خلوة مستطيلة الشكل يغطيها سقف خشبى، وبالجدار الغربى للخلوة الجنوبية باب آخر عرضه (٫٩٥)متر يؤدى إلى خلوة ثالثة متداخلة ذات شكل مستطيل أيضا يغطيها سقف خشبى يشبه سقفى الخلوتين المشار إليهما، أما الباب الشمالى فيؤدى إلى خلوة رابعة مستطيلة الشكل يغطيها سقف خشبى مشابه لبقية السقوف، ومن ذلك يتضح أن مساكن الصوفية كانت تقع أساسا خلف هذا الإيوان وقد تلاشى أمرها كما تلاشى أمر مطبخها وحظائرها.

الإيوان الغربى:

هذا الإيوان عبارة عن دخلة (سدلة) عرضها (٣٫٧٥)متر وعمقها (٣٫٣٠)متر، تفتح على الصحن بعقد نصف دائرى كبير، ويشتمل على دكة للمبلغ تقوم على سقف من عروق خشبية ولها دروة تتكون من سبع حشوات من خشب الخرط، كما تشتمل فى ناحيتها الشمالية والجنوبية على بابين متشابهين عرض كل منهما (١٫١٠)متر.

الإيوان الشرقى:

يشغل هذا الإيوان مساحة مستطيلة طولها (٧٫٨٠) متر وعرضها (٥٫٨٠)متر تفتح على الصحن بثلاثة عقود تتكون من عقد أوسط ذو عتب خشبى مستو يكتنفه عقدان جانبيان مدببان، ويحمل هذه العقود بالإضافة إلى كتفين فى الناحيتين الشمالية والجنوبية عمودان رخاميان دائريان يعلو كلا منهما تاج على شكل ورقة الأكنش ويغطى هذا الإيوان سقف من كتل خشبية كان يزينها ويزين المناطق فيما بينها زخارف مدهونة لعناصر نباتية وهندسية مختلفة، كما يحيط به أعلى

الجدران إزار خشبى نقشت فيه نفس الزخارف المشار إليها فى الإيوانات السابقة بالإضافة إلى كتابات نسخية ضاعت غالبية معالمها.

ويتوسط الجدار الشرقى لهذا الإيوان محراب عبارة عن حنية عرضها (١٫١٠)متر وعمقها (٦٠ر)متر ذات عقد نصف دائرى يحمله عمودان دائريان تعلوه قمرية تزينها زخارف من زجاج ملون على جانبيها شباكان مستطيلان بهما نفس الزخارف الزجاجية الملونة بأشكال نباتية وهندسية مختلفة، وعلى جانبى هذا المحراب شباكان مستطيلان عرض كل منهما (١٫٤٠)متر وعمقه (٥٫٩٥)متر لكل منها عتب مستو، أما جدارى هذا الإيوان الشمالى والجنوبى فبكل منهما دخلة عرضها (٢٫٧٥) متر وعمقها (٣٠ر) متر يعلوها عتب خشبى مستو تزينه نفس الزخارف النباتية والهندسية، إلا أنه يتوسط دخلة الجدار الشمالى مدخل عرضه (١٫١٠) متر ذو عتب حجرى مستطيل يؤدى إلى الضريح.

وعلى يمين المحراب يوجد المنبر ويقوم على قاعدة مستطيلة طولها (٢٫٨٠)متر وعرضها (٩٠ر) متر تقوم فوقها ريشتان يزينهما من أسفل مثلث كبير به خطوط متداخلة تعلوه سبع حشوات من خشب الخرط وله باب تعلوه حشوة كتابية تثبت أنه صنع لهذه الخانقاة سنة (١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م) على يدى أحمد المخلص صانع الأخشاب المعروف.

القبة:

يتوصل إلى هذه القبة من فتحة باب فى الجدار الشمالى لإيوان القبلة وهى عبارة عن حجرة مربعة الشكل طول ضلعها (٤٫٣٥)متر تغطيها قبة تقوم على أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من حطتين من المقرنصات المعمولة على شكل حنايا ذات عقود مدببة، إثنان فى أسفل وثالثة فى أعلى، أما رقبة القبة فبها ست عشر نافذة تشبه النوافذ الموجودة بين مناطق الانتقال، وفيما عا ذلك فليس فى القبة من الداخل أى نوع من الزخارف.

أما جدرانها ففى الجدار الشرقى منها نافذة مستطيلة من أسفل يعلوها شباك مستطيل به زخارف جصية مخرمة تتكون من شجرة سرو مما يثبت أنها مجددة فى زمن لاحق خلال العصر العثمانى، ويشبه الجدار الشمالى الجدار الشرقى بنافذته السفلية وشباكه العلوى، وتتوسط أرضية

هذه القبة تركيبة رخامية ذات شكل مستطيل طولها (٥٠ر١)متر وعرضها (٠٥ر١)متر ذات جوانب أربعة تعلوها أربع بابات نقشت فى جوانبها الشرقية والغربية والشمالية آية الكرسى وفى جانبها الجنوبى المرم نص إنشاء التركيبة وتبدأ كتابات هذه الجوانب الأربعة بعد البسملة بقوله تعالى «الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم»[٣٦٠] كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور[٣٦١] هذا ما أعد فى حياته العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد أمير مهمندار وأمير نقباء الجيوش المنصورة الناصرى ولد الجناب المهمندار تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته برحمة منه».

القبة من الخارج:

من الباب الشمالى بجدار الصحن الغربى يفضى إلى سلم يؤدى بعد انكسارات ثلاثة إلى مدخل عرضه (٨٥ر)متر يوصل إلى دكة المبلغ، وبعد ستة انكسارات أخرى إلى السطح حيث القبة فى الركن الشمالى الشرقى للخانقاة وهى من الخارج ذات بدن مضلع كان يحيط برقبتها شريط من كتابات نسخية بارزة نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم. إنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا[٣٦٢] وهذه الكتابات فى حالة سيئة وكثير منها ضائع.

المئذنة:

تقوم مئذنة هذه الخانقاة فى الركن الجنوبى الشرقى، وهى مئذنة صغيرة جددت فى عصر لاحق يغلب على الظن أنه العصر العثمانى، وقد شمل هذا التجديد بالإضافة إلى المئذنة نوافذ الجدار الشرقى للقبة التى ملئت بجص مخرم على هيئة شجرة السرو التى كانت من أخص سمات الفن فى العصر العثمانى.

ملحقات الخانقاة :

من مدخل جنوبى فى جدار الصحن الغربى يفضى إلى رحبة مستطيلة طولها (٢٫٣٠)متر وعرضها (١٫٦٠)متر ذات سقف خشبى مستو بصدرها مدخل عرضه (١٫١٠) متر ذو عتب مستو يؤدى إلى منطقة مستطيلة يتقدمها من الناحية الغربية سلم ينتهى بفتحة عرضها (٨٠ر)متر تؤدى إلى حجرة مستطيلة يغطيها سقف خشبى مجدد فى جانبها الشمالى حوض مستطيل إلى الجنوب منه بئر مثمنة الأضلاع، وفى الجانب الشمالى من هذه المنطقة ممر مستطيل به أربع دورات مياة متشابهة مجددة، أما فى جدارها الجنوبى فيوجد باب مجدد يفضى إلى استطراق مستطيل فى ناحيته الغربية مدخل مجدد وفى ناحيته الشرقية فتحة فى الجدار الجنوبى مما يشير إلى ان هذه المنطقة كانت عبارة عن ميضأة ودورة مياه.

٥ - ترميمات الخانقاة :

نالت الخانقاة عناية كبيرة من لجنة حفظ الآثار العربية استهدفت من خلال الترميمات المعمارية والفنية التى أجريت فيها أن تعيد الخانقاة إلى ما كانت عليه من كمال عمارة وجمال زخرف، وقد صرفت اللجنة على هذه الأعمال أموالا كثيرة ويمكن حصر هذه الأعمال فيما يلى:

فى سنة (١٨٨٤م) قامت اللجنة بصرف مبلغ قدره (٤١٫٥٠١)جنيه على ترميم الجزء الأسفل من المئذنة وأكتاف الباب الكائن فى الواجهة الشرقية وهدم وبناء الواجهة الشرقية وبعض الأجزاء الداخلية، وترميم الأكتاف التى ترتكز عليها القبة مع إبقاء الأحجار السليمة وتغيير التالف، كذلك تجديد جميع الأحجار المنحوتة ولا سيما المكتوب والمنقوش منها وسد شبابيك الضريح بأحجار نحت جيدة وترميم الأعمدة والرخام والسقف[٣٦٣].

وفى سنة (١٨٨٦م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (-ر٤٥٤)جنيه على ترميمات بهذه الخانقاة لم نستطع تحديدها[٣٦٤]، وفى سنة (١٨٨٧ - ١٨٨٨م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (-ر٥٠)جنيه على ترميم المنزل الملاصق لهذه الخانقاة[٣٦٥]. وفى سنة (١٨٨٨م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (١٩٠٫٢٢٠)جنيه على أعمال ترميمية بالخانقاة لم تحدد[٣٦٦].

وفى سنة (١٨٨٩م) تم تقسيم مبلغ (-ر٢٣١٣)جنيه على أعمال ترميمية قامت بها اللجنة وخص الخانقاة المهمندارية من هذا المبلغ ما قدره (-ر٥٠)جنيها شريطة أن تتحمل الأوقاف

مبلغا قدره (–ر٢٥٠)جنيه وبذلك يصبح إجمالى ما صرف على الخانقاة فى هذه السنة هو مبلغ (–ر٣٠٠)جنيه تم صرفه على تجديد واجهة الخانقاة والمدخل العمومى والمئذنة مع التحفظ على ما فيها من زخارف وأجزاء قديمة[٣٦٧]، وفى سنة (١٨٩٠م) تم ترميم رخام الخانقاة وشبابيكها الجبس وبلغ إجمالى ذلك مبلغا قدره (–ر٣٥٠) جنيها خص اللجنة منها خمسون جنيها وخص الأوقاف ثلاثمائة جنيه[٣٦٨].

وفى سنة (١٨٩٢م) صرفت اللجنة من حساب الأوقاف مبلغا قدره (٣٢،٤٨٨)جنيه على أعمال ترميمية لم تحدد[٣٦٩]، كذلك فقد تم فى نفس السنة المشار إليها أن صرفت اللجنة من حساب الأوقاف أيضا مبلغا قدره (–ر١٠٠)جنيه فى أعمال ترميمية شملت إصلاح المدخل العمومى وبعض الأجزاء الداخلية[٣٧٠] بالإضافة إلى صرف مبلغ قدره (–ر١٠)جنيهات على تجديد الجزء المفقود من التاريخ المنقوش على باب الخانقاة بالرخام الأبيض الملبس على الحجر الأسود[٣٧١]، وبذلك تكون جملة ما صرفته اللجنة على ترميمات الخانقاة فى السنة المذكورة هو مبلغ (١٤٢،٤٨٨)جنيه.

وفى سنة (١٨٩٤م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (٥١ر٥)جنيه على أعمال ترميمية أخرى لم نستطيع تحديدها[٣٧٢].

وفى سنة (١٨٩٧م) صرفت اللجنة على حساب الأوقاف مبلغا قدره (–ر٧٠)جنيها لتغطية صحن الخانقاة بسقف بسيط لا يغير شيئا من أوضاعها[٣٧٣]، وفى سنة (١٨٩٩م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (–ر٩)جنيه لعمل سلك لشبابيك القبة[٣٧٤].

وبذلك يتضح أن جملة ما صرفته لجنة حفظ الآثار العربية على ترميم هذه الخانقاة بما فى ذلك ما صرفته من ميزانيتها وما صرفته من ميزانية الأوقاف بلغ مبلغا قدره (١٦١٢،٣٦٠) ألفا وستمائة واثنى عشر جنيها وثلاثمائة وستون مليما، وهو مبلغ لا يمكن مقارنته بالمبالغ الأخرى التى صرفتها اللجنة على الخانقاوات المشار إليها، ومع ذلك فقد كان هذا المبلغ على ما يبدو كافيا بالنسبة لحجم هذه الخانقاة وأهميتها إذا قورنت بالخانقاوات الأخرى ذات المساحات الواسعة والزخارف الكثيرة المتعددة، ومهما يكن من أمر فانها قد استطاعت بالترميمات التى أجرتها بالمبلغ المشار إليه أن توصل الخانقاة بشكلها إلى مصلحة الآثار لتتابع المهمة التى بدأتها.

٦ - الخانقاة الجمالية مغلطاى

٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م

أثر رقم : ٢٦

يقول المقريزى أن «هذه الخانقاة بالقرب من درب راشدة يسلك إليها من رحبة باب العيد، والذى بناها هو الأمير الوزير مغلطاى الجمالى فى سنة ثمانين وسبعمائة، وجعلها مدرسة للحنفية وخانقاة للصوفية، وتعد من أجمل مدارس القاهرة، ولها أوقاف عدة بالقاهرة وظواهرها وفى البلاد الشامية، وقد تلاشى أمرها لسوء ولاتها وتخريبهم أوقافها حتى تعطل منها حضور الدرس والتصوف وصارت منزلا يسكنه أخلاط ممن ينسب إلى أسم الفقه وقرب الخراب منها»[٢٧٥].

والواقع أن هذه الخانقاة قد نالت حظا من كتابات الكتاب القدامى والمحدثين، وما أمكن الوقوف عليه من هذه الكتابات يجعل حديثنا عنها منحصرا فى ست نقاط رئيسية هى:

١ - تاريخ الخانقاة.

٢ - أوقاف الخانقاة ومكتبتها.

٣ - منشئ الخانقاة.

٤ - موظفو الخانقاة.

٥ - وصف الخانقاة.

٦ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة :

اختلفت روايات الكتاب الذين تعرضوا للحديث عن تاريخ هذه الخانقاة كثيرا فذكر بعضهم أنها أنشئت سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)[٢٧٦] وذكر بعضهم الثانى أنها بنيت سنة (٧٨٠هـ/

١٣٧٨م)[٣٧٧] وذكـر بعضـهم الثـالث أنهـا أسـست سنة (٨١٠ – ٨١١هـ/ ١٤٠٧ – ١٤٠٨م)[٣٧٨]، بل إن هناك من المستشـرقين من أعطاها تاريخـا يرجع إلى سنة (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)[٣٧٩]، ومن هذا نرى أن التـواريخ التى أعطيت لهـذه الخانقـاة ترجع فيـمـا بين سنتى (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م ، ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) وقـد آثرنا أن نأخـذ فى ذلك بتـاريخ سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) لأسباب منها أولا أن هذا التاريخ يأتى مباشرة قبل وفاة المنشئ بعامين وهو ما يتفق مع منطق حرص رجال الدولة فى هذا العصر عل تخليد ذكراهم قبل وفاتهم، ومنها ثانيا أن التاريخ الذى ذكره كل من المقريزى وعلى باشا مبارك وهو سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) لا يتفق مع إمكانية التصديق بأن الخانقاة كانت قد أنشئت بعد وفاة صاحبها بثمان وأربعين عاما، حتى المقريزى نفسه الذى ذكـر سنة (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) كـتـاريخ للإنشـاء هو الذى أشـار إلى وفـاة المنشئ سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) ومنهـا ثالثا أن هذا التاريخ هو الذى أخذت به معظم الكتب العربية التى تحدثت عن هذه الخانقاة.

وقد حدد المقريزى موقعها – كما سبق القول – على أنه «قريب من درب راشدة على باب الزقاق المعروف قديما بدرب سيف الدولة نادر ويسلك إليها من رحبة باب العيد»[٣٨٠]، وأشار على باشا مبارك إلى «أنها واقعة بين حارة الفراخة وقصر الشوك»[٣٨١]، وقال فى موضع آخر أن الخانقاة الجمالية هى المدرسة الجمالية التى بين حارة الفراخة وقصر الشوك»[٣٨٢]، كذلك قيل أنها عرفت باسم المدرسة الجمالية ثم عرف شارعها بنفس الإسم[٣٨٣]، وخلاصة القول أن هذه الخانقاة كانت – على ما يبدو – ذات شأن كبير على عهد صاحبها ثم بدأ أمرها يتلاشى تدريجيا بتلاشى الاهتمام بها وتخريب أوقافها.

وقد ورد فى وثيقة الخانقاة[٣٨٤] أن من شروط مؤدب الكتاب أن يكون متزوجا صحيح العقيدة متدينا عاقلا من حملة كتاب الله عالما بالقراءات السبع، صالحا لتعليم القرآن والحديث والخط والآداب والاستخراج، وأن يعلم الأطفال ما يطيقون، وأن يعاملهم بالإحسان والتلطف والاستعطاف، ومن أتى منهم بما لا يليق أدبه ويفعل ما أباحه الشرع ولا يضرب الضرب المبرح[٣٨٥].

٢ – أوقاف الخانقاة ومكتبتها :

أشار المقريزى إلى أن «شأن هذه الخانقاة كان كبيرا، وكان يسكنها أكابر فقهاء الحنيفة وتعد من أجل مدارس القاهرة، ولها أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفى البلاد الشامية»[٣٨٦] وقد فسر لنا ذلك كل من ابن الجيعان فى القرن (٨هـ/ ١٤م) وابن دقماق فى القرن (٩هـ/ ١٥م) فأشار الأول إلى أن أوقاف هذه المدرسة الخانقاة كانت تشتمل على ما يلى:

١ – منزل نعيم (شرقية)

لم يعين لها مساحة ولكنه قال أن عبرتها كانت (٢٠٠)دينار، كانت باسم الأشراف من عربان الحجاز ثم صارت وقفا للجمالى ناظر الخواص الشريفة[٣٨٧].

٢ – محلة نسيب : (غربية)

مساحتها (٨٠٠) فدان وعبرتها (٣٠٠٠)دينار، كانت باسم الأمير موسى بن قمارى ثم صارت وقفا على مدرسة الجمالى ناظر الخواص الشريفة[٣٨٨].

٣ – أفلاقة : (بحيرة)

مساحتها (٢٧٠٤) فدان، كانت عبرتها (٣٠٠٠) دينار ثم صارت (٢٠٠٠)دينار وكانت باسم الأمير مغلطاى ثم آلت للأمير أزبك اليوسفى[٣٨٩].

٤ – محلتا نصر ومسروق (بحيرة)

مساحتهما (٦٢٨) فدانا وعبرتهما (١٤٠٠) دينار كانتا باسم عامل ثغر الاسكندرية ثم صارتا وقفا للجمالى ناظر الخواص الشريفة[٣٩٠].

٥ – ببيج أنقاش (بحيرة)

مساحتها (١٢٤٠)فدانا وعبرتها (٣٤٠٠)دينار، كانت باسم أقتمر عبد الغنى ثم صارت وقفا للجمالى ناظر الخواص الشريفة[٣٩١].

٦ – قلفاو : (أخميم)

مساحتها (٣٣٢٥) فدانا وعبرتها (٧٠٠٠)دينار، كانت باسم الأمير علمدار المجمدى ثم صارت وقفا للجمالي ناظر الخواص الشريفة[٣٩٢].

وذكر الثانى أن أوقاف الجمالى الأستادار كانت تشتمل على ما يلى :

٧ – بردنوهه : (فيوم)

عبرتها (٧,٠٠٠)دينار ومساحتها (١٩٦٦)فدانا[٣٩٣].

٨ – مطاي وبني محمد : (فيوم)

عبرتهم (٢٣,٠٠٠)دينار ومساحتهم (٤٩٩٠) فدانا[٣٩٤].

٩ – هرب شنت والكواشرة : (فيوم)

عبرتهما (١٠,٠٠٠) دينار ومساحتهما(١٢٧٠) فدانا[٣٩٥].

١٠ – البرقا وجزائرها :

عبرتها (٩١٠,٠٠٠دينار ومساحتها (٢٢١٩)فدانا[٣٩٦].

١١ – القلندون :

عبرتها (١٣,٠٠٠) دينار ومساحتها (٣٤١٠)فدانا[٣٩٧].

١٢ – تنوف :

عبرتها (١٠,٠٠٠) دينار ومساحتها (٤٠٧٢)فدانا[٣٩٨].

١٣ – زفيتى شطنوف :

عبرتها (١٠,٠٠٠دينار ومساحتها (لم تذكر)[٣٩٩].

ومعنى ذلك أن حصرا عاما لأوقاف صاحب هذه الخانقاة يوضح ما يلى:

مسلسل	جهـــة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصـــدر
١	منزل نعيم	–	٢٠٠	التحفة السنية
٢	محلة نسيب	٠٨٠٠	٣٠٠٠	» »
٣	أفلاقة	٢٧٠٤	٣٠٠٠	» »
٤	محلتا نصر ومسروق	٠٦٢٨	١٤٠٠	» »
٥	بيبج أنفاش	١٢٤٠	٣٤٠٠	» »
٦	قلفاو	٣٣٢٥	٧٠٠٠	» »
٧	بردنوهه	١٩٦٦	٧٠٠٠	الانتصار
٨	مطاى وبنى محمد	٤٩٩٠	٣٠٠٠	»
٩	هرب شنت والكواشرة	١٢٧٠	١٠٠٠٠	»
١٠	البرقا وجزائرها	٢٢١٩	١٠٠٠٠	»
١١	القلندون	٣٤١٠	١٣٠٠٠	»
١٢	تنوف	٤٠٧٢	١٠٠٠٠	»
١٣	زفتى شطنوف	–	١٠٠٠٠	»
	جملة الأوقاف	٢٦،٦٢٤	١٠١،٠٠٠	

وهى أواقف ذات عائدات هائلة بلغت ستة وعشرون ألفا وستمائة وأربعة وعشرون فدانا، قيمة عائدها كانت قد بلغت مائة ألف دينار وألف، وعلى ذلك فلا غرابة أن تكون خانقاة مغلطاى الجمالى هذه واحدة من أهم عمائر عصرها، ولا غرابة أيضا أن ينتمى إليها أجل فقهاء الحنفية كما ذكر المقريزى.

أما فيما يتعلق بمكتبة الخانقاة فقد أشارت بعض المراجع العربية إلى أن الأمير جمال الدين الأستادار حينما شيد مدرسته برحبة باب العيد جمع لها الكتب واشترى الكثير من مكتبة المدرسة الأشرفية بعد هدمها[٤٠٠]، بل لقد ورد أن أمين مكتبة هذه الخانقاة كان يتقاضى أجرا قدره عشرة

دراهـم(٤٠١)، وكان أمناء المكتبات يتقاضون مرتبات متفاوته تبعا – على ما يبدو – لأهمية المنشأة وإمكاناتها فأمين مكتبة قاني باى الرماح مثلا كان يتقاضى أجرا قدره ستة عشر درهما، وأمين مكتبة الناصرية فرج كان يتقاضى أجرا قدره عشرون درهما، وأمين مكتبة الأشرفية برسباى كان يتقاضى أجرا قدره مائتى درهم، وأمين مكتبة أزبك من ططخ كان يتقاضى أجرا قدره ثلاث مائة درهم، وامين مكتبة الغورى كان يتقاضى أجرا قدره الفا وخمسمائة درهم يضاف إلى هذا الأجر بضعة أرطال من الخبز يوميا كانت تتفاوت أيضا تبعا لتفاوت أهمية المنشأة إمكاناتها(٤٠٢).

٣ – منشىء الخانقاة:

منشىء هذه الخانقاة هو الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى بن عبد الله الأستادار الذى عرف بخزر (وهى كلمة تركية معناها الديك)، اشتراه الملك الناصر محمد بن قلاوون ونقله وهو شاب من الجامكية إلى الإمرة على إقطاع الأمير صارم الدين إبراهيم نقيب المماليك السلطانية فى صفر سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، ثم قربة السلطان إليه وصار ينتدبه إلى المهمات الخاصة به ويطلعه على سره ولا سيما بعد أن عينه أستادارا لدولته.

ثم أرسله إلى الحجاز فى السنة المشار إليها أميرا للركب ليقبض على صاحب مكة الشريف أسد الدين رميته بن أبى نمى، فقبض عليه وأحضره إلى القلعة فى الثامن عشر من المحرم سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) ولما قبض السلطان على القاضى كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله ناظر الخواص خلع على مغلطاى الجمالى عند قدومه من دمشق بعد سفره إليها لإحضار شمس الدين غبريال وجعله أستادارا عوضا عن الأمير سيف الدين بكتمر العلائى وكان ذلك فى جمادى الأولى سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م).

ثم أضاف إليه السلطان بعد ذلك الوزارة وخلع عليه فى يوم الخميس ثامن رمضان سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م) عوضا عن الصاحب عبد الله بن الغنام، وقيل إنه لم يكن أهلا لهذه الوزارة ولا أهلا لتصريف أمور المملكة أو الأموال الديوانية.

وخلال الفتنة التى حدثت بالاسكندرية بين أهلها وبين الفرنجة غضب السلطان على أهل الاسكندرية وبعث إليهم بمغلطاى الجمالى فى رجب سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) فقبض على كثير

من العامة ووسط بعضهم، وقطع أيدى وأرجل بعضهم، وصادر أصحاب الأموال منهم، وبلغت متحصلاته التى أحضرها للسلطان مائتى ألف دينار، ومع ذلك فقد صرف من الوزارة فى ثانى شوال سنة (١٣٢٨م) وأبقى له على الأستادارية.

ثم سافر إلى الحجاز وتوفى فى طريق عودته عند أيله فى يوم الأحد سابع عشر المحرم سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) فصبر وحمل إلى القاهرة ودفن بهذه الخانقاة فى يوم الخميس حادى عشرى المحرم المذكور بعد ما صلى عليه بالجامع الحاكمى، فولى الأستادارية بعده الأمير أقبغا عبد الواحد، وأشار المقريزى إلى أنه كان حسن الطباع ميالا للخير يقبل الهدايا ويحب التقادم فحلت له الدنيا وجمع منها شيئا كثيرا لأنه كان يعزل ويولى بالمال وكان له عقب بالقاهرة غير صالحين ولا مصلحين[٤٠٣].

٤ – موظفوا الخانقاة :

مما لا شك فيه أن إمكانات هذه الخانقاة التى أشير إليها من خلال الأوقاف التى كانت لمنشئها قد جعلتها واحدة من أهم خانقاوات القاهرة وأكثرها نفقة، وقد ارتبط بهذه الإمكانات كثرة عدد موظفيها الذين وقفنا منهم – طبقا لما أمكن الاطلاع عليه من المصادر العربية المتعلقة بالتراجم – على ست مجموعات هى:

أ – شيوخ الخانقاة وأئمتها.

ب – نظار الخانقاة ونوابهم.

جـ – مدرسو الخانقاة.

د – قراء السيرة بالخانقاة.

هـ – نزلاء الخانقاة.

و – خدم الخانقاة.

أ-شيوخ الخانقاة وأئمتها :

أفاض علينا كل من المقريزى وابن الصيرفي والسخاوى فى الفترة ما بين القرنين (٨هـ/ ١٤م)، (١٠هـ/ ١٦م) بتراجم عدد غير قيل من شيوخ هذه الخانقاة وأئمتها.

وممن ذكرهم السخاوى من شيوخها على بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبى زرعه العراقى الأصل القاهرى الشافعى، ولد بعد سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) فدرس واشتغل بالعلم حتى مات جده فأضيفت إليه جهاته كلها ومنها مشيخة الجمالية وتدريسها فيما عدا درس الحديث الذى أسند بوصيته من الجد إلى شيخ السخاوى العلامة ابن حجر، مات فى رمضان سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)[٤٠٤].

أما شيوخ صوفيتها فمنهم - كما ذكر المقريزى - الشيخ علاء الدين على بن عثمان التركمانى الحنفى وابنه قاضى القضاة صدر الدين محمد بن عبد الله التركمانى الحنفى ثم قريبهم حميد الدين حماد[٤٠٥]، ومنهم - كما ذكر ابن الصيرفى فى حوادث المحرم سنة (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) - الشيخ سرى الدين عبد البر بن الشحنة المالكى الذى صار يسعى عند الأكابر حتى قرروا له نظر الجوالى ورتبوا له على الأوقاف الشافعية والحنيفة وكان باسمه تصوف الجمالية والبيبرسية (الجاشنكيرية) وكان يرمى بأنه شيعى، ثم قال عنه أنه كان يعرف النجارة والحدادة ويصنع الإسفيداج وغير ذلك من الصنائع[٤٠٦].

ومنهم - كما ذكر السخاوى - إبراهيم بن على بن محمد بن ظهيره القرشى المخزومى المكى الشافعى عالم الحجاز ورئيسة الذى عرف بابن ظهيرة، ولد فى النصف من جمادى الأولى سنة (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م) بمكة فحفظ وتعلم إلى أن حج السلطان سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) بعد انتهاء مدرسته التى أنشئت له بمكان رباط السدرة ونحوه فزاد فى تعظيمه وقرره شيخ الصوفية والدرس بها وحضر معه أول يوم وحينئذ رغب لابنه عن مشيخة الجمالية[٤٠٧].

ومنهم عبد الرحمن بن عنبر بن على بن يعقوب الزين العثمانى البوتيجى ثم القاهرى الشافعى، ولد سنة (٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) بابى تيج من الصعيد فقرأ وحفظ وسار على قانون السلف فى غالب أحواله ومزيد التودد وكمال العقل وملازمته لمباشرة ما كان باسمه من تصوف الجمالية

ومشيخة سعيد السعداء وغيرها من الوظائف الجليلة، ومات فى الثالث عشر من شوال سنة (٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م)[٤٠٨].

أما عن أئمة الخانقاة فلم نعثر منهم إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة عمر بن حسين بن أحمد بن البدر العبادى الطنتدائى ثم القاهرى الأزهرى الشافعى، ولد تقريبا سنة (٨٠٤هـ/ ١٤٠١م) بمنية عباد من الغربية ثم تحول منها إلى طنتدا فأكمل بها وحفظ إلى أن «ولى إمامة الجمالية فى سنة ست وعشرين (وثمانمائة) ومشيخة التصوف بالباسطية وتدريس الفقه بالبرقوقية بعد المحلى وبالقراسنقرية ومشيخة سعيد السعداء بعد التقى القلقشندى، مات فى ربيع الأول سنة خمس وثمانين (وثمانمائة)»[٤٠٩].

ومن هذا يتضح أن مشيخة هذه الخانقاة كان قد وليها غير واحد من أفاضل علماء العصر مثل ابن أبى زرعة العراقى الشافعى وابن الشحنة المالكى وابن ظهيره الشافعى الذى كان كما قال السخاوى عالم الحجاز ورئيسه، وكفا الخانقاة بهؤلاء فخرا وتعظيما.

ب – نظار الخانقاة ونوابهم :

ترك لنا السخاى ترجمة اثنين من نظار هذه الخانقاة يعرف أولهما من سياق ترجمته لعلى بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبى زرعة العراقى المشار إليه حين قال «وقرر الناظر فى الجمالية ناصر الدين البارنباى نائبا عنه فى وظيفته فيها (أى نائبا عن على بن عبد الوهاب العراقى الناظر)[٤١٠]، أما ثانيهما فهو أحمد بن محمد بن خليل بن عرفات الشهاب بن الخباز الشافعى نزيل المنكوتمرية وقتا قرأ القرآن والمنهاج واشتغل فى الفقه والعربية وغيرها «وباشر بالمدرسة الجمالية ناظر الخاص نيابة»[٤١١].

جـ – مدرسوا الخانقاة :

انحصر مدرسوا هذه الخانقاة – طبقا لما أمكن الوقوف عليه من تراجم – فى مدرسى المذاهب الأربعة ومدرسى الحديث ومدرسى التفسير ومدرسى القراءات وفيما يلى بعضا من تراجم هؤلاء وأولئك:

أ- مدرسوا المذاهب :

يؤكد ما أمكن الوقوف عليه من تراجم هؤلاء المدرسين أن الخانقاة التى بين أيدينا كانت واحدة من المدارس التى درست فيها الذاهب الفقهية الأربعة (الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية)، وقد ترك لنا كل من المقريزى وابن الصيرفى والسخاوى بعض تراجم هؤلاء فذكر السخاوى من مدرسى شافعيتها أحمد بن على ابن محمد بن أحمد الكنانى العسقلانى المصرى ثم القاهرى الشافعى الذى عرف بابن حجر لقب بعض آبائه، ولد فى ثانى عشرى شعبان سنة (٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) بمصر العتيقة ونشأ بها يتيما فى كنف الزكى الخروبى (أحد أوصيائه) فحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين والعمدة وألفية ابن العراقى وغيرها، ودرس فى أماكن كالتفسير بالحسينية والمنصورية والحديث بالبيبرسية والجمالية والشيخونية وجامع ابن طولون والقبة المنصورية وغيرها وولى الإفتاء بدار العدل والخطابة بالجامع الأزهرى، ولم يزل على جلالته وعظمته فى النفوس إلى أن توفى فى أواخر ذى الحجة سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) ودفن تجاه تربة الديلمى بالقرافة[٤١٢]، ويكفى الجمالية فخرا أن يكون ابن حجر العسقلانى علامة عصره أحد مدرسى المذاهب فيها.

وذكر ابن الصيرفى من مدرسى مالكيتها الشيخ نور الدين على بن القاضى شمس الدين محمد المشهور بابن التنسى المالكى، ولد بالقاهرة سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة (١٤٢٧م) فحفظ واشتغل ولم يزل يدأب فى التحصيل حتى تقدم ومهر واستقر فى تدريس الجمالية بعد عمه القاضى بدر الدين التنسى، مات فى سابع شوال سنة (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) ودفن بحوش الصوفية بسعيد السعداء[٤١٣] وأضاف السخاوى إلى مدرسى المالكية بهذه الخانقاة عبد الرحمن بن تقى الدين القبابى القاهرى المالكى ناب فى القضاء عن البساطين، ودرس للمالكية بالجمالية برغبة الشمس البساطى له عنها إلى أن مات واستقر فى الجمالية بدلا منه البدر بن التنسى[٤١٤].

أما عن مدرسى حنفيتها فقد سبقت الإشارة إلى ما ذكره المقريزى من أنه كان يسكنها أكابر فقهاء الحنفية[٤١٥]، ومع انه لم يذكر لنا بعضا من تراجم هؤلاء الحنفية فقد أمكن الوقوف – مما ذكره السخاوى – على ترجمة اثنين أولهما أحمد بن اسماعيل ابن إبراهيم بن المجد القاهرى الحريرى الجوهرى القادرى الحنفى، ولد سنة خمس وأربعين وثمانمائة (١٤٤١م)

فحفظ القرآن والعمدة وألفية ابن مالك والجرومية وتنزل فى جهات كالأشرفية برسباى والصرغتمشية والشيخونية واستقر فى تدريس الجمالية إلى أن مات فى صفر سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة (١٤٨٧)[٤١٦].

وثانيهما أحمد بن إبراهيم بن نصر بن القاضى عز الدين أبو البركات بن ناصر الدين الكنانى العسقلانى الأصل القاهرى الصالحى الحنبلى ولد فى سادس عشر ذى القعدة سنة ثمانمائة (١٣٩٧م) بالمدرسة الصالحية ونشأ بها فى كفالة أمه لموت والده فحفظ القرآن وجوده وتفقه وناب فى القضاء عن شيخه المجد سالم وهو ابن سبع عشرة سنة، وصعد بها إلى الناصر وألبسه خلعه، بل لما ضعف استنابه فى تدريس الجمالية الحسينية والحاكم وأم السلطان فباشرها مع وجود الأكابر، ثم ولى قضاء الحنابلة بعد البدر البغدادى – مات ليلة السبت الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ست وسبعين (وثمانمائة)(١٤٧١م) وشهد السلطان الصلاة عليه فى جمع حافل ثم رجعوا به إلى حوش الحنابلة عند قبرأبويه ولم خلف بعده مثله[٤١٧].

ب – مدرسوا الحديث ونوابهم:

ترك لنا السخاوى ثلاث تراجم لمدرسى الحديث بهذه الخانقاة ونوابهم أولهم عبد السلام بن داود بن عثمان بن عبد السلام بن عباس العز السلطى الأصل المقدسى الشافعى الذى عرف بالعز القدسى ولد سنة إحدى أو اثنتين وسبعين وسبعمائة بكفر الماء (قرية بين عجلون وحبراف) ثم انتقل به قريبه ابن هلال العجلونى فى حدود سنة سبع وثمانين إلى القدس فحفظ حتى أذن له فى الإفتاء والتدريس سريعا، واستقر فى تدريس الحديث بالجمالية عقب الكمال الشمسى فانتفع به الفضلاء، قال عنه السخاوى أنه كان إماما علامة داهية لسنا فصيحا فى التدريس والخطابة وغيرها، مات يوم الخميس خامس رمضان سنة خمسين ببيت المقدس[٤١٨].

وثانيهم عبد القادر بن على بن مصلح القاهرى الشافعى الذى عرف بابن مصلح ثم بابن النقيب، ولد سنة أربع وأربعين وحفظ القرآن ومختصر أبى شجاع والمنهاج واستقر فى تدريس الحديث بالجمالية وفى مشيخة الرباط بالبيبرسية برغبة إبراهيم التلوانى، قال عنه السخاوى «وما رأيت أحدا يحكى عن دروسه شيئا يؤثره»[٤١٩].

أما نواب مدرسى الحديث بهذه الخانقاة فقد أشار السخاوى إلى ترجمة واحد منهم هو عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن على القطب القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى سادس رجب سنة سبع عشرة وثمانمائة (١٤١٤م) بالقاهرة فحفظ ودرس «ثم ناب عن ابن النواجى فى درس الحديث بالجمالية ومات ليلة الثلاثاء ثالث شعبان سنة إحدى وسبعين وثمانمائة(١٤٦٦م)[٤٢٠]».

جـ – مدرسو التفسير:

لم نعثر من هؤلاء إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة عبد البر بن محمد بن محمود سرى الدين بن المحب الحلبى ثم القاهرى الحنفى سبط الولوى السفطى عرف بابن الشحنة، ولد فى تاسع ذى القعدة سنة (٨٩١هـ/ ١٤٤٧م) بحلب وانتقل منها صحبة أبويه إلى القاهرة فحفظ واشتغل حتى ولى خطابة جامع الحاكم وتدريس الحديث بالحسينية والتفسير بالجمالية عوضا عن التقى الحصنى ولما عجز أبوه ناب عنه فى الشيخونية تصوفا وتدريسا (ولم يذكر وفاته)[٤٢١].

د – مدرسو القراءات:

لم نجد من مدرسى القراءات الذين عملوا بهذه الخانقاة إلا ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة طاهر بن محمد بن على بن مكين الدين بن النور النويرى ثم القاهرى الأزهرى المالكى، ولد بعد التسعين وسبعمائة بقرية دنديل بالقرب من النويرة وانتقل إلى القاهرة فحفظ وسمع ثم ولى مشيخة الإقراء بجامع طولون بالقاهرة وبالجمالية، مات فى ربيع الأول سنة ست وخمسين وصلى عليه بالصحراء ودفن بتربة طشتمر[٤٢٢].

هـ – قراء السيرة بالخانقاة:

ترك لنا السخاوى أيضا ترجمة من تراجم قراء السيرة بالجمالية هى ترجمة خضر بن محمد بن داود بن يعقوب الحلبى ثم القاهرى الشافعى الذى عرف كأبيه بابن المصرى، ولد بحلب سنة (٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م) فحفظ واشتغل وأخذ ثم استقر بعد موت والده فى قراءة الحديث بالأشرفية

الجديدة وقراءة السيرة بالجمالية وكان أحد صوفية الخانقاة السعيدية، مات فى ذى القعدة سنة سبعين (وثمانمائة)[٤٢٣].

و– نزلاء الخانقاة :

انحصر ما أمكن الوقوف عليه من تراجم نزلاء الخانقاة التى بين أيدينا فيمن ذكرهم السخاوى ومنهم إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن برهان الدين بن قطب الدين القلقشندى الأصل المصرى الشافعى الأطروش، اشتغل يسيرا وكتب المنسوب وتنزل فى صوفية البيبرسية والجمالية حتى مات فى ثانى عشرى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين (وثمانمائة)[٤٢٤].

ومنهم إبراهيم بن أحمد بن خلف البمبى ثم القاهرى المالكى التاجر بسوق العمى خارج باب الفتوح، كان خيرا متعبدا وينزل فى الخانقاة الجمالية وغيرها، مات فى عشر رجب سنة ثمان وستين (وثمانمائة)[٤٢٥]، ومنهم أحمد بن محمد الشهاب البالسى الأصل القاهرى الشافعى الماوردى ابن أخت النواجى ممن اشتغل قليلا وسمع الحديث وتنزل فى الجمالية وغيرها حتى مات بعد التسعين ظنا[٤٢٦].

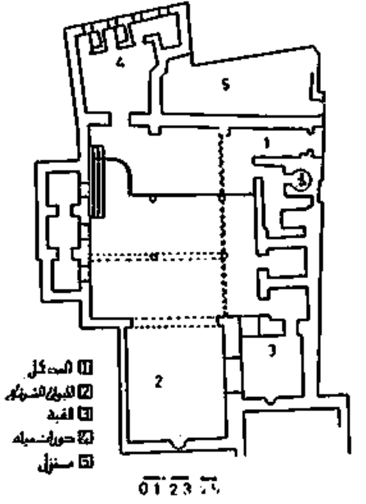
ومنهم أحمد بن على بن حسين بن الشهاب العبادى ثم القاهرى الأزهرى الشافعى ابن أخى السراج عمر، ولد فى سنة سبع وثمانمائة بمنية عباد، وقدم القاهرة فحفظ القرآن والمنهاجين وألفيتى الحديث والنحو، مع المداومة على التلاوة وتصوفاته بالجمالية والبيبرسية وغيرهما، مات فى تاسع عشر ربيع الأول سنة ثمانين (وثمانمائة) ودفن بحوش سعيد السعداء[٤٢٧].

ز– خدم الخانقاة :

لم نعثر من خدم هذه الخانقاة أيضا إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة أحمد بن محمد بن قاسم الشهاب الطوخى ثم القاهرى الشافعى الذى وصفة السخاوى بخادم الجمالية، ولد فى صفر سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) واشتغل وتنزل فى الجهات حتى مات فى ثانى عشر ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين بعد أن تعلل مدة واستقر بعده فى الخدمة الشمس بن أخت الشيخ مدين رحمه الله[٤٢٨].

٥ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ١٠)

مسجد مغلطاى الجمالى

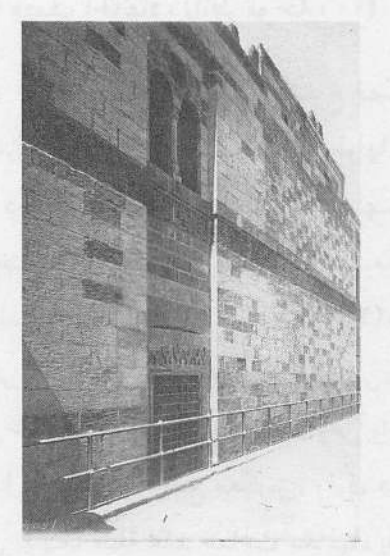


لوحة ١٠ : الخانقاة الجمالية (مغلطاى)
أثر رقم ٢٦ (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) مسقط أفقى

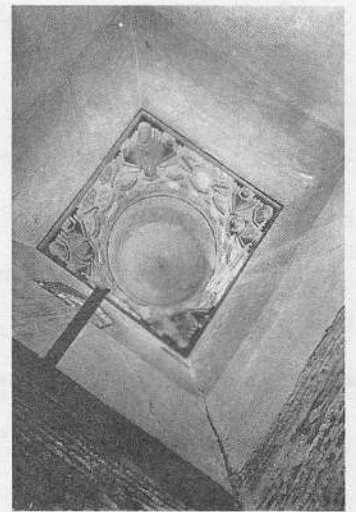
تقع بقايا هذه الخانقاة بشارع قصر الشوك بحى الجمالية، ولها واجهة رئيسية بحرية طولها (٦٠ر٢١)متر بها دخلتان متشابهتان عمق كل منهما (٢٥ر)متر وعرضها (٩٠ر١)متر فى أسفلها شباك مستطيل الشكل عرضه (٣٠ر١)متر وارتفاعه (٣٠ر٢)متر به أرماح ومخرزات حديدية يعلوه عتب حجرى من صنجات مزررة على شكل ورقة نباتية ثلاثة الفصوص واحدة فى وضع معتدل وواحدة فى وضع معكوس، وفوق هذا العتب عقد عاتق بينهما طبلة عقد ضاعت معالمها، يلى ذلك شباك قندلية ذو عقدين نصف دائريين يحملهما فى الوسط عمود رخامى دائرى البدن له قاعدة وتاج كمثرى الشكل، تعلوه قمرية دائرية إلا أن زخرفة هذا الشباك قد ضاعت، وتنتهى هذه الدخلة بحطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، يمتد بطول هذه الواجهة إزار غائر نقشت فيه كتابات نسخية بارزة نصها:

«يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب[٤٢٩]، أمر بإنشاء هذه الخانقاة المباركة السعيدة من فواضل إنعام وجزيل عطاء الله المقـر الكريم [٤٣٠] العالى المولوى الأميرى الأجلى الكبيرى المجيرى[٤٣١] المخـدومى الاسفهسلارى العلائى عمدة الملوك[٤٣٢] والسلاطين مغلطاى الجمالى أستاذ الدار العالية الملكى الناصرى، وكان الفراغ (غير كامل)وكان يتوج هذه الواجهة شريط من شرافات مسننة، ومن هذا يتضح أن معالم هذه الواجهة كانت قد تغيرت تماما يدل على ذلك أن بداية النص الإنشائى ونهايته غير موجودة الآن[٤٣٣](أنظر شكل : ١٨).

المدخل والدركاة والقبة :


شكل ١٨ : الخانقاة الجمالية (مغلطاى) أثر رقم ٢٦
(٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) جزء من الواجهة

تبدأ الواجهة المشار إليها من الناحية الغربيبة بالمدخل المنخفض عن أرضية الشارع بحوالى (٢) متر وهو عبارة عن دخلة عرضها (٢) متر وعمقها (٧٥ر) متر يعلوها عقد ثلاثى الفصوص يحده جفت لاعب ذو ميمات دائرية غير منتظمة الأبعاد، وفوق الباب نافذة مستطيلة فاقدة لما كان فيها، ويدخل من هذا الباب عبر دهليز إلى صحن المدرسة الخانقاة التى لم يبق من عمارتها غير القبة[٤٣٤] التى تقع فى الناحية الشرقية ويؤدى إليها مدخلان فى جدارها الغربى عرض كل منهما (١) متر ويعلوه عتب مستو، وهذه القبة عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها (٣٠ر٤) متر تقوم فى أركانها الأربعة العليا مناطق انتقال عبارة عن حطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا (انظر شكل ١٩) تعلوها رقبة القبة وبها ست عشرة نافذة مستطيلة كل منها ذات عقد مدبب.


شكل ١٩ : الخانقاة الجمالية (مغلطاى) مقرنص القبة

وبين كل منطقتين من مناطق الانتقال توجد ثلاث نوافذ قنديلية أخرى (اثنتان فى أسفل وثالثة فى أعلا) لكل منها عقد مدبب أيضا إلا أنه لا يوجد بأى منها ولا بنوافذ رقبة القبة أية زخارف، ويعلو الرقبة فى اسفل القبة شريط من كتابات بارزة بخط الثلث نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم أدخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم[٤٣٥]، كذلك فإن صرة القبة من الداخل تشتمل على

كتابة أخرى تقول «الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم[٤٣٦].

المحراب :

يقع هذا المحراب فى جدار القبة الشرقى وهو عبارة عن حنية نصف دائرية عرضها (٩٠ر)متر وعمقها (٧٠ر)متر ذات عقد مدبب يحمله عمودان رخاميان مثمنان لكل منها قاعدة وتاج كمثريا الشكل، وهذا المحراب خال من الزخارف تماما، أما جدارى القبة الشمالى والجنوبى فبكل منهما شباك عرضه (١،٤٠ر)متر وعمقه (١،٤٠ر)متر فوقه عتب خشبى مستو.

التركيبة :

يتوسط القبة تركيبة رخامية تقوم على قاعدة مستطيلة طولها (١،٧٠ر)متر وعرضها (١،٣٠ر)متر، أما التركيبة نفسها فهى ذات جوانب أربعة ارتفاع كل منها (٣٥ر) متر يغطيها سقف من لوح رخامى واحد وتقوم فى أركانها الأربعة أربع بابات رمانية الشكل.

وكان يحيط بجدران هذه القبة فوق زاوية عقد المحراب شريط خشبى كانت تزينه زخارف نباتية وهندسية مختلفة، أما باقى الخانقاة فيما عدا ذلك فكله حديث.

٦ – ترميمات الخانقاة :

نالت هذه الخانقاة بعضا من رعاية لجنة حفظ الآثار العربية منذ سنة (١٨٨٤م) حتى سنة (١٩٠٩م) يدل على ذلك ما ورد خاصا بهذا الشأن فى محاضر اللجنة وتقاريرها، ومن ذلك ما جاء فى الكراسة الثانية عن سنة (١٨٨٤م) خاصا بوصف حالة الأثر حينذاك وفيه أن هذا الجامع (الخانقاة) ذو تصميم غريب إذ يشتمل على مربع مكشوف الصحن محاط بعقود ستينية كبيرة وقد بنى فى زمن كانت الفنون فيه متقدمة، وكان بناؤه فى غاية الافتخار من الرخام النادر والأحجار الصلبة الموضوعة كالألواح وسط أسفله المصنوعة من الرخام الأبيض المزينة بأشكال على هيئة فروع بارزة قليلا، وكان لها منظر موفق ورونق زاهر، ومن سوء الحظ أنه لم يعتنى به على مرور الزمان

حتى أن معظم الألواح المذكورة فصل من السور وتشتتت قطعها فى جملة بلاط الصحن المنتزع هو يضا من البناء الملاصق فتشققت وفقدت توازنها، ورأت اللجنة ضرورة ترميم هذا الأثر وإعادة حدوده الأصلية إلى ما كانت عليه على أن يبدأ قسمها الهندسي بتقوية ألواح الرخام التى لم تزل فى مكانها بواسطة قضبان حديدية او كلاليب برونزية والانتفاع بالقطع المشتتة بين البلاط وترميم الحائط والعقد الغربى للمحراب وتجديد تبليط القاعة التى من الرخام على حسب طرازها القديم(٤٣٧).

ويدل عليه أيضا أنه فى سنة (١٨٩١م) حدث ميل فى الواجهة الشرقية لهذه الخانقاة وقد عاينتها اللجنة ورأت ضرورة ترميمها وترميم باقى الأثر وقررت لذلك مبلغا قدره (٠٠ر٨)جنيه(٤٣٨) ولم يرد في المحاضر تفصيلا له، وفى سنة (١٨٩٢م) قامت اللجنة بالإشراف على ترميم واجهتى الخانقاة، وقد تمت هذه العملية على حساب ناظرها وتكلفت مبلغا قدره (–ر١٢٥)جنيه(٤٣٩)، وفى سنة (١٨٩٣م) قامت اللجنة بشد الكتف الأيسر لمدخل الخانقاة وكذا عتب الباب العمومى بواسطة مقاول أشغال جامع برقوق حيث كانت تقاسى من ضغوط معمارية اقتضى الأمر ضرورةإيقافها وتكلفت هذه العملية مبلغا قدره (–ر١١)جنيه(٤٤٠).

وفى سنة (١٩٠٩م) قامت اللجنة بترميم الواجهة البحرية وبنت الإيوان البحرى وتكلفت هذه العملية مبلغا قدره (–ر٥٠٠)جنيه(٤٤١).

ومن ذلك يتضح أن اللجنة لم تصرف على هذا الأثر الذى وصفته بكل مدح وإطراء غير ما يقرب من (–ر١٣١١)جنيه ويبدو أن عذرها فى ذلك كان بسبب أنه كان فى نظارة الشيخ محمد شمس الدين، ولم يقبل هذا الناظر التنازل عنه لديوان الأوقاف لكى تباشر اللجنة فيه أعمالها، وعلى ذلك فقد كان هذا الوضع على ما يبدو عائقا كبيرا فى سبيل إصلاح هذا الأثر وترميمه مما كان له أكبر الأثر فى تلاشيه وضياع معظم معالمه المعمارية(٤٤٢).

٧ – الخانقاة القوصونية "قبة الغفير"

٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م

أثر رقم : ٢٩١

كانت الخانقاة القوصونية واحدة من أجل خانقاوات القاهرة المملوكية شمال القرافة مما يلي قلعة الجبل أنشاها تجاه جامعة الأمير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) وطبقا لما لدينا من مادة تاريخية فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل على خمس نقاط رئيسية هي:

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – موظفو الخانقاة.

٤ – وصف الخانقاة.

٥ – ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها:

ترك لنا المؤرخون العرب – ولا سيما المقريزي وابن تغرى بردى والسيوطي وعلى باشا مبارك وغيرهم – معلومات جيدة عن تاريخ هذه الخانقاة منذ القرن (٨هـ/ ١٥م) وحتى القرن (١٣هـ/ ١٩م).

يقول المقريزي في القرن (٩هـ/ ١٥م) ا هذه الخانقاة كما سبقت الإشارة إلى ذلك شمال القرافة مما يلي قلعة الجبل، أنشأها تجاه جامعة الأمير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها في سنة ست وثلاثين وسبعمائة[٤٤٣]، وقد نقل محقق المنهل الصافي في تعليقه على ذكر ابن تغرى

بردى لهذه الخانقاة ما ذكره المقريزى حيالها بالنص من حيث موقعها ومنشئها وسنة اكتمال عمارتها(٤٤٤).

وقد ترك لنا السيوطى فى القرن (١٠هـ/ ١٦م)ما يتفق من حيث كمال عمارتها مع ما ذكره كل من المقريزى وابن تغرى بردى، إلا أنه أضاف أنها «كانت من أعظم جهات البر وأعظمها خيرا إلى أن حصلت المحن سنة ست وثمانمائة فتلاشى أمرها كما تلاشى غيرها»(٤٤٥).

أما على باشا مبارك فقد كرر فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ما ذكره المقريزى خاصا بموقع الخانقا ومنشئها وكمال عمارتها، ثم أضاف إلى ذلك ما يتفق مع ما ذكره السيوطى حين قال: «وقد تخربت هذه الخانقاة وبنى محلها زاوية سيدى محمد المجاهد التى هى خارج باب الوزير مما يلى القلعة تجاه جامع باب الوزير الذى هو جامع قوصون»(٤٤٦)، ثم قال فى موضع آخر من نفس الكتاب «أنها عرفت بالشيخ المعتقد سيدى محمد المجاهد المدفون بها على ضريحه مقصورة من الخشب أنشأها الحاج على المجاهد سنة (١٢٦٨هـ) وشعائرها مقامه إلى اليوم» أى إلى عصره فى القرن ١٣هـ / ١٩م)(٤٤٧).

وقد تعرضت هذه الخانقاة للتخريب مرتين أولاهما عندما نهبها العامة هى والمسجد تجاهها خلال ثورتهم على قوصون فى سلطنة الناصر محمد الأولى، وثانييتهما أيام الحملة الفرنسية عندما اعتدى الفرنسيون على كثير من آثار منطقة باب القرافة بالتدمير بالبارود كما حدث بالنسبة للخانقاة النظامية القريبة وغيرها.

وقبل أن ننتهى الحديث عن تاريخ هذه الخانقاة يجب أن نشير إلى أن لجنة حفظ الآثار العربية قد سجلت بقايا الخانقاة تحت رقم (٢٩١ - أثر) بينما سجلت بقايا المسجد تحت رقم (٢٩٠ - أثر) وهو الجامع الذى اندثر وأقيم فى جزء من مكانه - على ما يبدو - مسجد مسيح باشا الوالى وفى الجزء الآخر زاوية الإمام جلال الدين السيوطى التى حقق أحمد تيمور باشا موقعها فى هذا المكان، وبذلك لم يبق من هذا المسجد إلا مئذنة فريدة فى شكلها عظيمة فى بنائها تمتاز بمقرنصاتها المتعددة وبدنها العالى الذى يتكون من قاعدة مربعة تعلوها دورة مثمنة فوقها دورة دائرية تنتهى بجلسة مقرنصة تحمل خوذة مضلعة، وتقف هذه المئذنة وحيدة على حائطها الغربى

والجنوبي بقايا شرافات المسجد[٤٤٨].

أما عن أوقاف الخانقاة فإن معلوماتنا فيما يتعلق بها تنحصر فيما ذكره ابن الجيعان في القرن (٨هـ / ١٤م) وابن دقماق في القرن (٩هـ/ ١٥م) وفي هذا يشير الأول إلى أن أوقاف صاحب هذه الخانقاة كانت تشتمل على:

١ – العدوية والوقف السيفي:

«وقف قوصون ومنجك، لم يكن لها مساحة، عبرتها (٤٥٠٠) دينار»[٤٤٩].

٢ – طرا:

مساحتها (لم تذكر) وعبرتها (١٠٠٠) دينار كانت وقفا للأشراف وقوصون[٤٥٠]، وقد حدد ابن دقماق مساحة هذه البلدة بمائتي وستة وعشرون فدانا، أما عبرتها فقد اتفق فيها مع ما ذكره ابن الجيعان وهي ألف دينار، إلا أنه زاد على ذلك قوله «وكان بها الجميزة التي طرح تابوت موسى من تحتها والتي ظلت باقية حتى سنة (٣٥٢هـ/ ٩٦٣)»[٤٥١].

٣ – حجر الأعلام:

لم تحدد مساحته، أما عبرته فكانت (٢٢٥٠) دينار كانت وقفا لقوصون ومن معه [٤٥٢].

٤ – قشش:

مساحتها (٣٢٦) فدانا وعبرتها (٤٢٢٠) دينارا، كانت وقفا لقوصون ومن معه [٤٥٣].

ويبدو أن أوقاف منشئ هذه الخانقاة لم تكن وقفا عليه وحده، بل كانت مشاركة بينه وبين الأشراف تارة وبين الأمير منجك تارة أخرى وبينه وبين الأمير بردبك السيفي تارة ثالثة – يدل على ذلك ما ذكره ابن الجيعان – فيما سبقت الإشارة إليه – عندما تحدث عن وقف العدوية فسماه العدوية والوقف السيفي، ويدل عليه أيضا أن هناك حجة محفوظة في أرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (٣١١٦) باسم بردبك السيفي وقوصون، ورغم أننا لم نستطع الاطلاع عليها إلا أن اسم

الواقف الذى شمل الأميرين معا ربما يدل أيضا على صدق ما ذهبنا إليه بالنسبة لأوقاف هذه الخانقاة.

وأيا كان الأمر فإن نظرة فاحصة لهذه الأوقاف توضح أنها كانت بالأرقام كما يلى:

مسلسل	جهة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
١	العدوية والوقف السيفى	-	٤٥٠٠	التحفة السينية
٢	طرا	٢٢٦	١٠٠٠	» الانتصار
٣	حجر الأعلام	-	٢٢٥٠	» »
٤	قشش	٣٢٦	٤٢٢٠	» »
	المجمـــــوع	٥٥٢	١١٫٩٧٠	

ومن هذا يتضح أن جملة متحصلات هذه الأوقاف كانت تبلغ حوالى اثنى عشر ألف دينار، اذا قسمناها مناصفة بين شركاء قوصون وبينه على اعتبار أنه كان عاملا مشتركا مع كل منهم أمكن القول أن ما كان بحصته من هذه الأوقاف كان يبلغ ستة آلاف دينار سنويا، وهو مبلغ ليس بالكبير إذا ما قيس بما سبقت الإشارة إليه من أوقاف الخانقاوات الأخرى ذات الإيرادات الهائلة، ولكنه مع ذلك كان كافيا للوفاء بالتزامات موظفى الخانقاة طبقا لإمكاناتها المتاحة.

٢ - منشئ الخانقاة :

يقول ابن حجر أن قوصون الساقى الناصرى كان قد أحضر لمصر مع الجماعة الذين أحضروا ابنة القان أزبك زوج الناصر محمد، فلما رآه (الناصر ألزم كبير الجماعة ببيعه له واشتراه بثمانية آلاف درهم، ثم عظمت منزلته عند الناصر فأمره وبالغ فى الإحسان إليه حتى زوجه ابنته سنة (٧٢٧هـ / ١٣٢٣م)، ولما توفى الناصر تعصب قوصون للمنصور أبى بكر حتى سلطنه وقام هو بتدبير المملكة فقبض على بشتاك وسجنه بالاسكندرية إلى أن أرسل إليه من قتله فخلا له الجو

واستبد بتدبير السلطنه عن طريق نيابته للمنصور، وظل الأمر على ذلك حتى وقعت الوحشة بينه وبين المنصور، وانتهت هذه الوحشة إلى إخراج المنصور إلى قوص فظل بها حتى دس إليه قوصون من قتله، وجلس فى نيابة السلطنة حتى أيام الأشرف كجك، ثم ترفع عن ذلك وبنى له دارا داخل باب القلة من القلعة كان يمد فيها سماطا أعظم من سماط السلطان، وظل على هذا الحال حتى خامر الأمراء عليه العامة، فثاروا عليه ونهبوا اسطبله وخانقاته ثم امسكوه وقيدوه وسيق معتقلا إلى الاسكندرية حتى رجع الناصر إلى مصر فأرسل إليه أحمد بن صبيح فقتله ف محبسه بالاسكندرية فى أواخر شوال سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م)(٤٥٤).

أما المقريزى فكان فيما ذكره عن قوصون أكثر تفسيرا للأحداث من ابن حجر حيث يقول أنه حضر إلى مصر من بلاد بركه(٤٥٥) صحبة خوند ابنة أزبك إمرأة الناصر محمد فى ثالث عشرى ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة، ومعه من البضائع ما قيمته خمسمائة درهم ليتجر فيها فى أسواق القاهرة وتحت القلعة وفى داخلها، واتفق أنه دخل فى بعض الأوشاقية لأنه كان صبيا جميلا طويلا له من العمر ما يقارب الثمانى عشرة سنة، وظل يتردد إلى الأوشاقى حتى رآه السلطان (الناصر) فأمر باحضاره إليه وابتاع منه نفسه وصار من جملة مماليكه المحببين إليه.

وهنا أسلمه للأمير بكتمر الساقى وجعله أمير عشرة، ثم أعطاه إمرة طلبخانة ثم جعله أمير مائة ومقدم ألفورقاه حتى بلغه أعلا المراتب وزوجه ابنته وتزوج (السلطان) أخته فلما احتضر السلطان عهد بالسلطنه لابنه أبى بكر وجعل قوصون وصيا على أولاده، ولم يبق أبا بكر فى السلطنة إلا شهرين خلعه بعدهما قوصون ونفاه إلى قوص ثم قتله ونصب أخاه الأشرف كجك وله من العمر خمس سنين، وتقلد معه نيابة السلطنة وأمر من حاشيته وأقاربه ستين أميرا، وظل الأمر على ذلك حتى اخفق قوصون فى التدبير لأحمد بن الناصر الذى كان مقيما بالكرك فحرك على نفسه ما كان ساكنا فطلب أحمد الملك لنفسه وكاتب الأمراء والنواب بالشام ومصر فأذعنوا وركبوا لحرب قوصون وقبضوا عليه بقلعة الجبل آخر شهر رجب سنة (٧٣٢هـ)، ونهبت داره ودور حواشيه وحمل إلى الاسكندريه صحبه الأمير قبلان فقتل بها، وكان كريما وله من الآثار بمصر الجامع والخانقاة بباب القرافة والوكالة بباب النصر وداره التى بالرميلة تحت القلعة تجاه باب السلسلة(٤٥٦) وكان يعيش فيها – كما تروى بعض المراجع العربية الحديثة – عيشة بذخ وترف

زائد حتى قيل أنه وجد فى مخازن قصره كميات كبيرة من الأبسطة بلغت (١٨٠) زوجا منها ما كان طوله من (٣٠ – ٤٠) ذراعا ومنها أربعة أبسطة من الحرير الخالص[٤٥٧].

٣ – موظفوا الخانقاة :

أمدتنا المصادر العربية ببعض التراجم التى أمكن من خلالها حصر موظفى هذه الخانقاة فى قسمين رئيسين أولهما وظائف دينية تشمل بعض شيوخ الخانقاة وبعض مدرسيها وبعض صوفيتها ونزلائها، ثانيهما وظائف خدمية وتشمل بعض المؤذنين والفناء والكحال (طبيب أمراض العيون) وفيما يلى عرض لما أمكن الوقوف عليه من تراجم هؤلاء وأولئك.

أولا أصحاب الوظائف الدينية :

ينحصر ما عثر عليه من تراجم وظائف هذه الخانقاة الدينية – كما قلنا – فى بعض شيوخ الخانقاة وبعض مدرسيها وبعض صوفيتها.

أ – شيوخ الخانقاة :

ترك لنا ابن حجر والمقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى والسخاوى بعض تراجم من ولوا مشيخة هذه الخانقاة، ومنهم محمود بن عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن أبى بكر بن على العلامة شمس الدين أبو الثناء الأصبهانى الذى طلب – كما يقول ابن حجر – على البريد إلى القاهرة فى ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين (وسبعمائة) بسفارة الشيخ مجد الدين الأقصرائى شيخ خانقاة سرياقوس فنزل عنده وعمل له سماع وبنى له قوصون الخانقاة ورتبه شيخا لها وكانت وفاته فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين (وسبعمائة) بالطاعون العام[٤٥٨]، ويضيف المقريزى أن قوصون «رتب له معلوما سنيا من الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت وسائر ما يحتاج إليه حتى جامكية غلام بلغته، واشتقر ذلك فى الوقت من بعده لكل من ولى المشيخة بها»[٤٥٩]. وربما هذه – على قدر علمنا – هى أول سابقة من نوعها فى التاريخ المملوكى حيث تبنى خانقاة من أجل شيخ لم يكن حتى من أهل القاطنين فيها وإنما استدعى إليها على البريد بسفارة الأقصرائى شيخ خانقاة سرياقوس الذى كان يعرف بشيخ الشيوخ.

ويبدو أن سفارة الأقصرائى هذه كانت سببا فى قيام علاقة وطيدة بين خانقاة سرياقوس وخانقاة قوصون، يدل على ذلك أن ابن تغرى بردى فى ترجمته لشيخ السرياقوسية احمد بن اسحاق بن عاصم بن نظام الدين الأصبهانى الحنفى (٧٦٠ – ٨٠٢هـ/ ١٣٥٨ – ١٣٩٩م) قال «وتولى عوضه فى مشيخة خانقاة سرياقوس الشيخ إيليا شيخ خانقاة قوصون(٤٦٠)، وقد ذكر السخاوى هذا الشيخ بتحريف فى ثنايا ترجمته للشيخ احمد بن اسحاق بن عاصم فقال» – إذا لم يكن خطأ مطبعيا – واستقر بعده (أى بعد أحمد بن اسحاق بن عاصم فى المشيخة ابنيا شيخ الخانقاة القوصونية، ثم أضاف نقلا عن المقريزى فى عقوده أنه لم ير فى شيوخ الخوانك من يدانيه فى حشمته ورياسته ومرؤته وتجمله وأفضاله (٤٦١)، ورغم ان ابن تغرى بردى لم يذكر شيئا عن حياة الشيخ إيليا هذا، إلا أنه أضاف لنا شيخا آخر من شيوخ هذه الخانقاة حين قال «واستقر فى مشيخة خانقاة قوصون الشيخ شرف الدين يعقوب بن رسولا بن احمد بن يوسف التبانى المتوفى سنة سبع وعشرين وثمانمائة»(٤٦٢).

ثم أضاف السخاوى من شيوخ هذه الخانقاة على بن أقبرس العلاء القاهرى الشافعى الذى عرف بابن أقبرس، ولد سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨م) بالقاهرة «وتنزل فى قراء الصفة بالجمالية لطراوة صوته ثم اقتصر فيها على التصوف ولازم الظاهر جمقمق حتى عرف به فولاه وظائف منها نظر البيوت والأوقاف ومشيخة خانقاة قوصون بالقرافة، ومات فى منتصف صفر سنة اثنتين (وثمانمائة)(٤٦٣).

وكان آخر من ذكرهم السخاوى من شيوخ هذه الخانقاة «عبد الله بن محمد بيرم بن مظفر بن صعلوك القرشى الميمونى القاهرى الشافعى سبط التاج الدندرى ولد فى شعبان سنة ثلاث سبعين واستقر فى مشيخة خانقاة قوصون ورافع فيه صوفيتها بحيث عزل عنها بل وعن نيابة الحكم، مات فى شعبان سنة سبع وخمسين(٤٦٤).

ب – مدرسوا الخانقاة :

لم نعثر من تراجم مدرسى هذه الخانقاة إلا على ثلاث تراجم ذكر أولاها وثانيتها ضمنا ابن حجر العسقلانى فى القرن(٩هـ / ١٥م)، وذكر ثالثتها الجبرتى فى القرن (١٣هـ/ ١٩م)، يقول

ابن حجر أن عبد الله بن عمر بن داود الكفيرى المعروف بأخي يعقوب جمال الدين، اشتغل وأذن له الخابورى بالإفتاء ودرس بالقوصونية عوضا عن تقى الدين بن رافع بعناية القاضى تاج الدين وكان يحبه ويكرمه وقرره فى قراءة درسه، ومات فى ذى الحجة سنة سبعين ولم يكمل الأربعين[٤٦٥].

أما الجبرتى فيقول فى ذكر من مات سنة (١١٨١هـ/ ١٧٦٧م) «ومات الشيخ الإمام العلامة المتفنن المتقن الفقيه الأصولى النحوى الشيخ محمد بن موسى العبيدى الفارسى الشافعى، أصله من فارسكور، كان آية فى المعارف والزهد والورع والتصوف وكان يلقى دروسا بجامع قوصون[٤٦٦] وهو مالا يستبعد معه إلقاءه للدروس فى خانقاته أيضا.

جـ – صوفية الخانقاة ونزلاؤها :

يقول المقريزى أن قوصون قرر فى هذه الخانقاة بعد بنائها «جماعة كثيرة من الصوفية ورتب لهم الطعام واللحم والخبز فى كل يوم وفى الشهر المعلوم من الدراهم والحلوى والزيت والصابون، وما زالت على ذلك إلى إن كانت المحن سنة ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز منها وصار يصرف لمستحقيها مال من نقد مصر، وتلاشى أمرها بعد ما كانت من أعظم جهات البر وأكثرها نفعا وخيرا»[٤٦٧]، وهكذا يؤول العبء فى كثير من الخانقاوات لفساد إدارة أوقافها إل نقد مصر فيصرف منه لهؤلاء المنقطعين ويكونون عالة على خزانة الدولة دون عمل إنتاجى مثمر، ورغم هذا كان لهم – على ما يبدو – صوت مسموع عند أهل الحل والعقد، يدل على ذلك ما ذكره السخاوى – فيما سبقت الإشارة إليه عند ترجمته لعبد الله بن محمد بن بيرم القرشى الممونى حين قال عنه واستقر فى مشيخة خانقاة قوصون ورافع فيه صوفيتها بخحيث عزل عنها بل وعن نيابة الحكم[٤٦٨].

وقد ترك لنا السخاوى من تراجم صوفية القوصونية أيضا ترجمة «عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الرحمن بن السفط الرشيدى القاهرى الشافعى الخليفتى الصوفى بخانقاة قوصون بالقرافة الصغرى ولد سنة إحدى وأربعين وثمانمائة بسفط رشيد»[٤٦٩].

أما عن نزلاء الخانقاة فلم نعثر منهم إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى فقال «حسن

بن على بن جوشن بن محمد البدر أبو محمد القاهرى البدوى الركاب بالاسطبلات السلطانية كأسلافه، نزيل الخانقاة القوصونية من القرافة الصغرى، ولد بالقاهرة سنة ستين وسبعمائة تقريبا ومات فى جمادى الأولى سنة اثنين واربعين وثمانمائة ودفن بالقرافة(٤٧٠).

ثانيا : الوظائف الخدمية :

انحصرت الوظائف الخدمية بالخانقاة القوصونية طبقا لما أمكن الوقوف عليه من التراجم التى وردت فى بعض المصادر العربية فى بعض المؤذنين والدفناء والكحالين.

د – مؤذنو الخانقاة :

لم نعثر من مؤذنى هذه الخانقاة إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى فقال «خليل بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الجليل الشيخ ابو الصفا القرافى المصرى المقرئ الحنبلى ظنا يعرف بالمشيب ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة تقريبا فسمع وقرأ على عبد المعطى مؤذن خانقاة قوصون وألف كراسا فى النحو، كات سنة إحدى (وثمانمائة)(٤٧١)، ولم يذكر لنا السخاوى شيئا عن حياة عبد المعطى هذا لأن الأذان لم يكن – على ما يبدو – وظيفة هؤلاء المؤذنين الأولى والأخيرة، وإنما كان وظيفة لهم بجانب وظائف أخرى اختلفت باختلاف مدى علم المؤذن ومتحصلاته فيه، ولأن حياة هؤلاء المؤذنين وأمثالهم لم تكن من الأمور التى عنى بها المؤرخون كثيرا لأنهم لم يهتموا إلا بحياة السلاطين والأمراء ومن فى حكمهم من علية القوم دون العمال والصناع وأصحاب المهن الخدمية.

دفناء الخانقاة :

اتسمت معظم الخوانق بصفة عامة باشتمالها على حوش لدفن الصوفية من أهل الورع والعلم، وكذلك فعل قوصون بخانقاته حيث أعد بها حوشا لدفن صوفيتها، وينحصر ما أمكن الوقوف عليه من تراجم دفناء هذه الخانقاة – كما كان الحال فى المؤذنين والنزلاء – فى ترجمة واحدة ذكرها ابن الغزى فى القرن (١١هـ/ ١٧م) حين قال «عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن أبى سابق الدين بن عثمان بن العلامة كمال الدين السيوطى الخضيرى الشافعى ولد

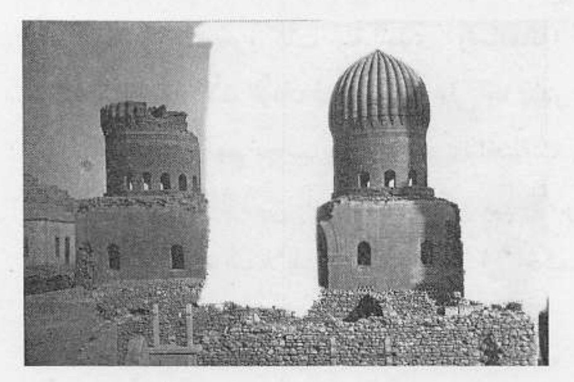
فى مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة وكانت وفاته فى تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ودفن فى حوش قوصون خارج باب القرافة»[٤٧٢]، وهذا يدل على أن القوصونية كانت تشمل على مدافن صدقة مثل غالبية الخانقاوات.

و – الكحال على باب الخانقاة :

ترك السخاوى ترجمة واحدة فى هذا الصدد هى ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن موسى المنوفى ثم القاهرى الكحال على باب جامع (وخانقاة) قوصون كان بارعا ف الكحل، ازدحم عليه العامة فيه وراج أمره حتى مات فى مستهل صفر سنة اثنتين وثمانين بعد أن تكسح ورعت السوداء ببدنه ولم يكمل الستين عفا الله عنه»[٤٧٣].

٤ – وصف الخانقاة :

لم يبق من هذه الخانقاة الواقعة فى شارع الشعداء بصحراء قايتباى إلا قبة مضلعة مبنية بالطوب تعرف حالا «بقبة الغفير» ومئذنة بديعة تتكون من أربع دورات كل منهما منفصل عن الآخر وقائم بذاته.



شكل ٢٠ : الخانقاة القوصونية (قبة الغفير) – أثر رقم ٢٩١
(٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) – القبتان من الخارج

أ – القبة : (أنظر شكل : ٢٠)

تقوم على مساحة مربعة طول ضلعها من الخارج (١١,٣٥) متر تغطيها قبة متدرجة عند منطقة الانتقال بثلاث درجات تعلوها رقبة كانت مغطاة بالجص المزخرف الذى كان يحوى نقوشا زالت آثارها ولم يبق منها إلا ما يدل عليها، ولهذه القبة من الخارج أربع واجهات نوضح وصفها فيما يلى:

الواجهة الشمالية :

وبها من الناحية الغربية دخلة عرضها (١,٧٥)متر بها من أسفل شباك مستطيل أسفله صنجات حجرية مزورة وأعلاه عتب حجرى مزور أيضا، فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد يزينها فرع نباتى، وكان يعلو هذا الشباك قندلية سدت حديثا، ويتوج هذه الدخلة حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

وإلى الشرق من الدخلة الواقعة بالضلع الشمالى للقبة يقع مدخلها المعقود – بمقعد مدبب واسع داخل دخلة عرضها (١,٤٠)متر – يعلوه عتب من صنجات حجرية مزورة فوقه عقد عاتق بينهما طبلة عقد تزينها زخارف نباتية، وكان يعلو هذا المدخل أيضا شباك قندلية مسدود بسدة حديثة وينتهى بمظلة كبيرة من الخشب.

وفى نهاية هذه الواجهة من الناحية الشرقية يوجد شباك يشبه الشباك القائم بالجانب الغربى إلا أنه لا يقع داخل دخلة ويعلوه نفس العتب ونفس العقد العاتق ونفس الشباك القندلية المسدود، وفى الركن الشمالى الغربى من هذه الواجهة يوجد عامود مخلق ذو بدن اسطوانى تزينه زخارف هندسية لخطوط متداخلة تحصر فيما بينها عناصر نباتية من أوراق الشجر الثنائية والثلاثية وأنصاف المراوح النخيلية.

الواجهة الشرقية :

بهذه الواجهة دخلتان متشابهتان تشبه كل منهما الدخلة التى سبق وصفها فى الجانب الأيمن من الواجهة الشمالية بما فيها من شباك سفلى مسدود وبما يعلوها من عتب مزور وبما فوقه من عقد عاتق (إلا أن طبلتى العقدين فى هاتين الدخلتين غير مزخرفتين) وبما يعلو كلا منهما من شباك قندلية مسدود، إلا أن نهاية كل دخلة منهما ليست بها حطتى المقرنصات الموجودة فى الدخلة السابقة، وفى المنطقة بين هاتين الدخلتين توجد قمرية دائرية الشكل.

الواجهة الجنوبية :

بهذه الواجهة أيضا دهلتان تشتمل الدخلة الشرقية منهما على شباك عادى فوقه شباك قندلية يشبه ما سبق وصفه فى الواجهتين الشمالة والشرقية، أما الدخلة الغربية فعرضها (٤,٨٠)متر

وعمقها (١٥ر)متر وبها شباكان مسدودان من أسفل يعلو كلا منهما عتب من صنجات حجرية مزررة تزينها عناصر نباتية لأنصاف مراوح نخيلية وأوراق ثنائية وثلاثية داخل جامات دائرية، وفوق هذا العتب عقد عاتق من صنجات مزررة أيضا أسفله طبلة عقد بها زخارف نباتية مشابهة، ويعلو كلا من هذين الشباكين شباك قندلية مسدود، هذا وفى المنطقة بين عقدى الشباكين يوجد مربع زخرف قوام عناصره أنصاف مراوح نخيلية وأوراق نباتية ثنائية وثلاثية، ويتوج هذه الدخلة من أعلا حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا.

الواجهة الغربية :

تشتمل هذه الواجهة على دخلة عرضها (٦٠ر٧)متر وعمقها (٢٥ر)متر بها من أسفل ثلاثةشبابيك تشبه الشبابيك المشار إليها فى الواجهات الأخرى بما فوقها من أعتاب وبما يعلوها من عقود عاتقة وبما فيها من شبابيك قندلية، إلا أنه يعول الشباك الأوسط فى هذه الواجهة قمرية دائرية يحيط بها إطار حجرى بارز بداخله شكل بخارية بارزة أيضا، وعلى جانبى عقد هذا الشباك الأوسط توجد تربعتان زخرفيتان متشابهتان قوام زخارف كل منهما طبق نجمى تتوسط وحداته عناصر نباتية لأوراق ثلاثية وأشكال ورود متعددة الفصوص، هذا ويتوج تلك الواجهة من أعلا حطتان من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا. أما فى باقى أركان هذه القبة فتوجد أعمدة مخلقة تشبه العمود المشار إليه.

القبة من الداخل :

عبارة عن مساحة مربعة طول ضلعها (٧٠ر٧)متر تقوم فوقها قبة على أربع مناطق انتقال تتكون كل منطقة منها من سبع حطات من المقرنصات على شكل حنايا عبارة عن عقود نصف دائرية كانت مغلفة بالخشب تقوم فوقها رقبة القبة وبها ست نوافذ صغيرة مستطلة ذات قمم مثلثة تتألف من ثلاث نوافذ تحتية يعلوها اثنتان تقوم فوقهما النافذة السادسة وقد سدت هذه النوافذ بسدات حديثة.

ويزن القبة من الداخل زخارف بالطلاء تتكون من عناصر نباتية وهندسية مختلفة، وفيما بين كل منطقتين من مناطق الانتقال توجد وحدة مكررة كل منها عبارة عن ثلاثة شبابيك

مستطيلة ذات عقود نصف دائرية، فوقها ثلاث قمريات دائرية، وقد سدت هذه الشبابيك والقمريات بسدات حديثة.

محراب القبة :

يتوسط هذا المحراب الجدار الشرقى للقبة وهو عبارة عن حنية عرضها (٩٥ر)متر وعمقها (٦٥ر)متر يعلوها عقد نصف دائرى متراجع كان يكتنفها عمودان غير موجودين، وهذا المحراب خال من الزخارف فيما عدا مثلثين على جانبى عقدة زخارف كل منهما تتكون من تفريعات نباتية وأنصاف مراوح نخيلية وأوراق ثنائية وثلاثية.

وفوق المحراب قمرية دائرية مسدودة يحيط بها جفت لاعب وتحددها من الداخل بخارية دائرية، وعلى جانبيه من الشمال والجنوب يوجد شباكان متشابهان عرض كل منهما (٢٠ر١)متر وعمقه (٣٥ر١)متر يعلوه عقد نصف دائرى وفوقه نافذة مستطيلة ذات عقد نصف دائرى أيضا.

وعلى جانبى هذا المحراب شريط من كتابات نسخية بارزة يمتد أسفل طاقية المحراب بداخل الحنية أيضا نصه «بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره. صدق الله العظيم[٤٧٤]. وكان الفراغ فى رمضان المعظم قدره سنة سبع وثلاثين وسبعمائة».

أما الجدار الغربى لهذه القبة فيشبه تماما جدارها الشرقى إلا أنه بدلا من المحراب الذى يتوسط جدارها الشرقى نجد شباكا يشبه باقى الشبابيك تعلوه نفس الوحدة الزخرفية التى تحدد القمرية فوق المحراب بجفتها اللاعب وبالبخارية الدائرية فى داخلها.

أما الجدارين الشمالى والجنوبى فيشبهان بعضهما بعضا، حيث نجد بكل منهما من أسفل ثلاثة شبابيك فوقها ثلاثة نوافذ، وتشبه هذه الشبابيك وتلك النوافذ شبابيك ونوافذ الجدارين الشرقى والغربى، وكان يحيط بأعلا جدران هذه القبة شريط من كتابات نسخية لآيات من القرآن الكريم ضاعت معالمه تماما.

ب – المئذنة :

هذه المئذنة هى أول ما يقابل الداخل من آثار بقرافة السيوطى، وهى ذات شكل مستطيل يشبه الأبراج، وتتكون من ثلاث دورات تقوم على قاعدة مستطيلة الشكل تعلوها شرفة حجرية على هيئة ورقة ثلاثة الفصوص محمولة على مجموعة من المقرنصات أسفلها بقايا شريط كتابى يحيط بأضلاع هذه القاعدة الأربعة نصه «واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، إذ ارسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون»[٤٧٥].

أما الضلع الشمالى لهذه القاعدة فبه بروز يخرج عن سمت الجدار يغلب على الظن أنه كان يشتمل على المدخل الذى يفضى إلى المئذنة من الداخل، ويعلو هذا البروز فتحة توجت بعقد نصف دائرى تطل على سلم المئذنة، ومن الملاحظ أن هذه القاعدة محاطة من ثلاث جهات بشرفة تتكون من وحدة زخرفية مكررة على هيئة الورقة النباتية الثلاثية يستلفت النظر فيها أنها ملتصقة ببدن الدورة الأولى للمئذنة مما يرجح أن تغييرا حدث عليها فى فترة زمنية ما.

أما الدورة الأولى فهى أقل حجما من القاعدة وذات بدن مربع فتحت فى ثلاثة جوانب منه ثلاث فتحات ضيقة مستطيلة أشبه بالمزاغل للتهوية والإنارة، وقد عمل المعمار فى الجزء العلوى من هذه الدورة شرافات محمولة على ثلاث حطات من المقرنصات الحجرية ذات الدلايات تسمح كل شرفة منها بمساحة كافة لمن قوم بالآذان، ويكتنف كل شرفة منها من الجانبين عمودان حجريان، ويعلوها صدر مقرنص تشبه حطاته السفلى أشكال المحاريب، وفى أركان هذه الدورة السفلية زربعة أعمدة حجرية مندمجة تحمل تيجانا كورنثية الشكل ويؤزر هذه الدورة شريط كتابى نصه :

«١ – بسم الله الرحمن الرحيم الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ٢ – وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة ٣ – الأمور الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف علهم ولا هم يحزنون. صدق الله العظيم»[٤٧٦].

يلى ذلك مباشرة شرفة كبيرة مربعة تدور بنفس حجم تربيع المئذنة أقامها المعمار على أربع

حطات من المقرنصات الحجرية الضخمة وعمل لها سورا (درة) من الجهات الأربع ذات شقق حجرية تعلوها ثمان بابات بكل ضلع بينما زخرفت المساحة المحصورة بين كل بابتين (الشقة) بزخارف نباتية من تلك التى عرفت باسم الزخارف الحجرية المفرغة حيث يختلف كل شكل فيها عن الآخر، وأسفل هذه الشرفة يوجد شريط كتابى يلتف حول أضلاع هذه الدورة الأربعة نصه.:

«١ – بسم الله الرحمن الرحيم يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكر ٢ – ا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ٣ – ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنن رحيما تحيتهم يوم يلقـ ٤ – ونه سلام وأعد لهم أجرا كريما[٤٧٧]. وذلك بتاريخ سنة سبع وثلاثين وسبعمائة».

أما الدورة الثانية فهى عبارة عن بدن مثمن الأضلاع غنى بالزخارف وأكثر ما يميزه أنه عمل فى كل ضلع من أضلااعه الثمانية زخارف على هيئة المحاريب الفاطمية المشعة يتكون كل منها من ثمانية عشر ضلعا تتوسطها دائرة مطموسة تذكرنا بزخارف المحاريب فى الجامع الأقمر ومحراب ضريح السادات الثعالبة وغيره من أضرحة المشاهد الفاطمية الشهيرة كالحصواتى والسيدة رقية ويحيى الشبيه وغيرها.

ويتوج كل ضلع من هذه الأضلاع الثمانية ذات المحاريب الزخرفية المشعة عقد منكسر أسفله فتحة تؤدى إلى السلم من الداخل زخرفها المعمار بعقد حجرى إلا أنه لم يفتح من هذه الفتحات إلا اثنتين فقط هما اللتان تؤديان إلى الشرفة المشار إليها، ويعلو هذه العقود المنكسرة شريط كتابى بالخط الكوفى البارز نصه :

«إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين[٤٧٨]. يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا»[٤٧٩].

ويعلو هذه المنطقة شرفة دائرية أخرى على أربع حطات من المقرنصات وتوجت بدروة حجرية تعلوها ثمان بابات تشتمل على شقق حجرية ذات زخارف تشبه الزخارف الموجودة فى الشرفة السفلى.

أما الدورة الثالثة فهى عبارة عن جوسق شتمل عل ستة عقود يرتكز كل منها على عمودين حجريين يعلوهما شريط كتابى نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم (متآكل) .. عملوا الصالحات (.. متآكل) .... ..

ثم يلى ذلك خوذة المئذنة وهى على هيئة المبخرة الأيوبية يخرج من أسفلها ما يشبه المزاغل المحمولة على أربع حطات من المقرنصات الحجرية، والمئذنة بشكل عام ذات طراز جمع بين الطرازين الأيوبى والفاطمى من حيث الشكل المعمارى والزخرفى، وكان عليها نص كتابى لم يبق منه شئ وضاعت معالمه تماما.

٥ – ترميمات الخانقاة :

رغم أن أعمال الترميم التى أجرتها لجنة حفظ الآثار العربة فى بقايا هذه الخانقاة لم تكن ذات أهمية كبيرة بالقياس إلى الأعمال التى أجريت فى الخانقاوات الأخرى نظرا لاندثار غالبية مبناها وانحصار الباقى منها فى القبة والمئذنة إلا أنه كان للأعمال التى قامت بها رغم قلتها الفضل فى الحفاظ عليهما.

ففى سنة (١٨٩٠م) عملت مقايسة بمبلغ(–ر٥)خمسة جنيهات لبعض الإصلاحات التى لم تحدد بضريحى قوصون والغورى[٤٨٠]، وفى سنة (١٩٠٢م) قررت اللجنة لتقوية قبة قوصون وترميمها مبلغا قدره (–ر١٠٠)مائة جنيه إلا أن هذا المبلغ المقرر لم كف الأعمال الترميمية المطلوبة واقتضى الأمر زيادته إلى (–ر٢٥٠)مائتين وخمسين جنيها على أن يؤخذ الباقى من الاعتمادات غير المنظورة[٤٨١].

وبذلك كون جملة ما صرفته اللجنة على ترم بقايا هذه الخانقاة من سنة (١٨٩٠م) إلى سنة (١٩٠٢م) هو مبلغ (٢٥٢٫٥٠٠) مائتان واثنان وخمسون جنيها وخمسمائة مليم.

٨ – الخانقاة الناصرية "أم أنوك"

٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م

أثر رقم : ٨١

تقع هذه الخانقاة خارج باب البرقية بالصحراء والتى أنشأتها سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) هى الخوندة الكبرى الناصرية زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأم ولده الأمير أنوك، وقد وردت فى المصادر والمراجع العربية بمسميات مختلفة فسماها ابن حجر «طغاى أم أنوك»[٤٨٢] وسماها المقريزى مرة «أم أنوك» ومرة «طغاى الخوندة الكبرى» ومرة «الخاتون طغاى»[٤٨٣] بينما سماها الجبرتى «خوند طغاى الناصرية»[٤٨٤].

وأيا كان الأمر فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سيشتمل – طبقا لما أمكن الوقوف عليه من مادة تاريخية – على خمس نقاط رئيسة هى :

١ – تاريخ الخانقاة.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – موظفو الخانقاة.

٤ – وصف الخانقاة.

٥ – ترميمات الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة :

أفادنا كل من المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) والجبرتى فى القرن (١٢هـ/ ١٨م) وعلى باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ببعض المعلومات القيمة عن تاريخ هذه الخانقاة من حيث موقعها ومنشئتها وصوفيتها وأوقافها، يقول المقرزى أن «هذه الخانقاة خارج باب البرقية بالصحراء،

والتى أنشأتها الخاتون طغاى تجاه تربة الأمير طشتمر الساقى فجاءت من أجل المبانى وجعلت بها صوفية وقراء ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها»[٤٨٥].

أما الجبرتى فيقول أن «بخارج باب البرقية خانكاة أنشأتها خوند طغاى الناصرية بالصحراء على يمنة السالك إلى وهذه الجبانة المعروفة الآن بالبستان .... فلما ولج الفرنساوية أراضى مصر وأحدثوا القلاع فوق التلول هدموا منارة هذه الخانكاة وبعض الحوائط الشمالة وتركوها على ذلك، فلما ارتحلوا عن أرض مصر بقيت على وضعها من التخرب[٤٨٦] وقد دخلت هذه الخانكاة فى أواخر القرن الماضى فوجدت بها روحانية لطيفة وبها مساكن وسكان قاطنون» ثم كرر ما ذكره المقريزى عنها من حيث الموقع والمنشئة والجوارى والأوقاف والصوفية والقراء ونحو ذلك.

ومع تكراره لبعض ما ذكره المقريزى عن هذه الخانقاة إلا أنه ترك لنا معلومات هامة عن ساقيتها فقال – من واقع مشاهدته العينية – أن هذه الساقية كانت تجاه بابها فى علوة يصعد إليها بمزلقان، ويجرى الماء منها إلى الخانكاة على حائط به قنطرة مر من تحتها المارون، وتحت الساقية حوض لسقى الدواب[٤٨٧]، وظل الأمر بالنسبة لهذه الساقية على حاله المروى إلى أن ولى أوقاف الخانقاة الشخ الشرقاوى فأبطل تلك الساقية وبنى مكانها زاوية وعمل لنفسه بها مدفنا وعقد عله قبة وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عمال مربع على أركانه عساكر فضة وبن بجانبها قصرا يحتوى على أورقة ومساكن ومطبخ .. وذهبت الساقية وجعلها بئرا عليه خرزة ملؤون منها بالدلو[٤٨٨].

أما على باشا مبارك فقد أشار هو الآخر إلى ما ذكره المقريزى والجبرتى وقال أن هذه الخانقاة «بأول القرافة خارج باب البرقة المعروف الآن بالغريب، كانت موجودة ذات إيراد إلى زمن دخول الفرنساوية أرض مصر فتخربت وبنى فى مكانها الشيخ عبد الله بن حجازى الشرقاوى زاويته المعروفة وقد استولى على جهات إيرادها وكان الناظر عليها قبله شخصا من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهينى»[٤٨٩] ثم كرر بعد ذلك بالنص ما ذكره الجبرتى خاصا بالساقية من حيث موقعها ووصفها وحوض الدواب الذى كان تحتها وقصة الشيخ الشرقاوى من إبطالها وبناء زاويته ومدفنه وقصره فى مكانها، إلى أن قال «ولم يبق الآن هناك سوى جدران قديمة بجوار زاوية الشيخ الشرقاوى يظن أنها من آثارها فسبحان من له الدوام والبقاء»[٤٩٠].

والواقع أننا لم نستطيع الوقوف على أية معلومات تفصيلية عن أوقاف هذه الخانقاة التى لا شك فى أنها كانت قائمة بتأكيد أكثر من مصدر من المصادر العربية، يدل على ذلك أولا ما ذكره المقريزى بقوله «أنشأتها الخاتون طغاى .. وجعلت بها صوفية وقراء ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة وقررت لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها»[٤٩١] ويدل عليه ثانيا ما ذكره الجبرتى بقوله «وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهينى فلما مات تقرر فى نظرها المترجم (الشيخ الشرقاوى) واستولى على جهات ايرادها»[٤٩٢]، ويدل عليه ثالثا ما ذكره على باشا مبارك بقوله أنها «كانت موجودة ذات إيراد إلى زمن دخول الفرنساوية أرض مصر»[٤٩٣].

وإذا جاز لنا القول أن ما ذكره ابن الجيعان فى التحفة السنية خاصا بأوقاف الأمير أنوك أخى الأشرف شعبان كان من الأوقاف التى آلت إليه من أمه صاحبة هذه الخانقاة، أمكننا القول أن تلك الأوقاف كانت تشتمل على:

١ – الميما والعسكر:

مساحتها (١٠٠٥)فدان وعبرتها(٣٠٠٠) دينار، كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للأمير سودون العلائى[٤٩٤].

٢ – دبيق:

مساحتها (٣٦٣)فدانا وعبرتها (١٦٠٠)دينار، كانت ملك الأمير أنوك ثم صارت للمقطعين[٤٩٥].

٣ – دهتور:

مساحتها (٢٠٣٤)فدانا وعبرتها (٥٠٠٠)دينار، كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للمقطعين[٤٩٦].

٤ – شبين الكوم:

مساحتها (٣١٢١) فدانا وعبرتها (٧٥٠) دنار، كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للمقطعين [٤٩٧].

٥ – الصف:

مساحتها (لم تذكر) وعبرتها (٤٠٠٠) دنار كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت لديوان الذخيرة الشريفة [٤٩٨].

٦ – أهوى:

مساحتها (١٩٣٤) فدان وعبرتها (٧٠٠٠) دينار كانت باسم الأمير أنوك ثم صارت للأمير جانى بك [٤٩٩].

٧ – دلهاس:

مساحتها (١٣٠٠) فدان وعبرتها (٦٠٠٠) دينار كانت باسم الأمر أنوك ثم صارت للأمير جانى بك [٥٠٠].

وبذلك يتضح أن جملة هذه الأوقاف كانت قد بلغت – وفقا للحصر التالى – تسعة آلاف وسبعمائة وسبعة وخمسين فدانا، كانت عبرتها سبعة وعشرون ألفا وثلاثمائة وخمسين دينارا سنويا:

مسلسل	جهة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
١	المنا والعسكر	١٠٠٥	٣٠٠٠٠	التحفة السينية
٢	دبيق	٠٣٦٣	١٦٠٠٠	« الانتصار
٣	دهتور	٢٠٣٤	٥٠٠٠٠	« «
٤	شبين الكوم	٣١٢١	٠٧٥٠٠	« «
٥	الصف	–	٤٠٠٠٠	« «
٦	أهوى	١٩٣٤	٧٠٠٠٠	« «
٧	دلهاس	١٣٠٠	٦٠٠٠٠	« «
المجمـــــوع		٩٧٥٧	٢٧٣٥٠٠	

٢ – منشئة الخانقاة:

ترجم كل من ابن حجر والمقريزى وابن تغرى بردى وعلي باشا مبارك لمنشئة هذه الخانقاة الخوند الكبرى الناصرية طغاى أم أنوك[٥٠١]، فقال ابن حجر أن تنكزبغا كان قد اشتراها بتعسين ألف درهم قيمتها يومئذ نحو خمســة آلاف دينار، ثم باعها للناظر فأعتقها وتزوجها وحظيت عنده بعد أن ولدت له سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) ولده الأمير أنوك واستأذنته في الحج ففعل وبسببها أبطل عن مكة المكس الذى كان يؤخذ على القمح، وكانت عففة كريمة معظمة فى أيامه وبعده إل أن ماتت فى شوال سنة) ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) وبلغت عدة معتقاتها من الجوارى ألف نسمة ومن الخدام ثمانين طواشيا ولم يستمر الناصر على محبة غيرها من النساء ولم تنكب قط إلى أن ماتت[٥٠٢].

ومع أن المقريزى لم يذكر شيئا عن قصة شراء تنكزبغا لها وبيعها للناصر حين قال أنها كانت من جملة إماء الناصر فأعتقها وتزوجها، إلا أنه أضاف إلينا بعض المعلومات الأخرى عن شخصية هذه المرأة ومنها ما قيل من أنها أخت الأمير أقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء الملوك الترك بمصر، وتنعمت فى ملاذ ما وصل

سواها لمثلها ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها، وصارت خوند كبرى بعد ابنة توكاى أكبر نساء الناصر حتى من ابنة الأمير تنكز، وحج بها القاضى كريم الدين الكبير وحمل لها البقول فى محاير طين على ظهور الجمال كما أخذت الأبقار الحلابة فسارت معها طوال الطريق وكان يقلى لها الجبن فى الغذاء والعشاء، وكان القاضى وأمير المجلس يترجلون عند نزولها ويمشون فى محفتها ويقبلون الأرض لها كما يفعلون للسلطان، فلما مات الناصر استمرت عظمتها من بعده إلى أن ماتت - كما قلنا - فى شوال سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادما وأموال كثرة جدا ودفنت بخانقاتها هذه، وكانت عفيفة طاهرة كثرة الخير والصدقات والمعروف، جهزت سائر جواريها وجعلت على قبر ابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفا جعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء فى كل يوم[٥٠٣].

أما ابن تغرى بردى فقد اختصر الحديث عن ترجمتها كثيرا وقال «خوند طغاى أم أنوك زوجة السلطان الملك الناصر تركت مالا كثيرا جدا وهى صاحبة التربة بالصحراء .. .. وهى التى تولت تربية السلطان الملك الناصر حسن بعد موت أمه أيام الملك الناصر محمد وكانت من أعظم النساء وقتها وأحشمهن وأسعدهم[٥٠٤].

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ولم يزد فى تسميتها على كلمة «طغاى» ولم يخرج فى ترجمتها عما ذكره المقريزى من حيث تكرار القول عن زوجها وابنها وأخيها وحسنها وجمالها وحجها وترجل القاضى وأمير المجلس عند نزولها إلى أن ماتت فى الوباء سنة (٧٤٩هـ) عن ألف جارية وثمانين خصيا وأموال كثيرة(٥٠٥).

٣ - موظفوا الخانقاة:

طبقا لما لدينا من مادة تاريخية قليلة - لا تقاس بما أمكن الوقوف عليه خاصا ببعض الخانقاوات الكبيرة - فإنه يمكن تقسيم وظائف هذه الخانقاة إلى قسمين يتعلق أولهما ببعض وظائفها الدينية ولا سيما الناظر والصوفية، ويتعلق ثانيهما ببعض وظائفها الخدمية ولا سيما المؤذن والوقاد والكناس والملاء.

أولا : الوظائف الدينية :

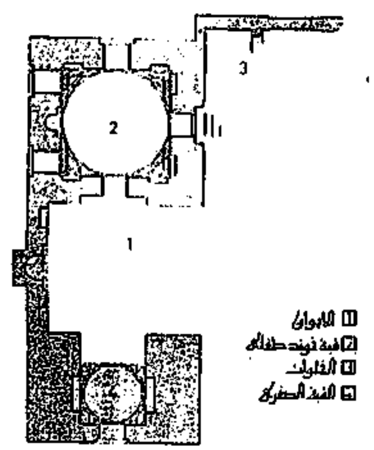
تنحصر معلوماتنا عن هذه الوظائف فيما ذكره كل من الجبرتى وعلى باشا مبارك خاصا بالنظارة والصوفية فقط، وهو رغم قلته وعدم التفصيل فيه، إلا أنه يعطينا اسماء بعض الشخصيات التى كانت قد وليت نظارة أوقاف هذه الخانقاة، فيقول الجبرتى فيما سبقت الإشارة إليه «وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهينى فلما مات تقرر فى نظرها الشيخ عبد الله بن حجازى الشرقاوى فاستولى على جهات إيرادها وأزال ساقيتها وبنى لنفسه فى محلها ضريحا فاستولى على جهات وبيتا»[٥٠٦]، وقد نقل على باشا مبارك ما ذكره الجبرتى بنصه خاصا بهاتين الشخصيتين اللتين وليتا نظارة أوقاف هذه الخانقاة ولم يزد عليه شيئا[٥٠٧].

أما ما يتعلق بالصوفية فلم تزد معرفتنا عنه أيضا على ما ذكره كل من المؤرخين السابقين، فيقول الجبرتى فيما سبقت الإشارة إليه «وقد دخلت هذه الخانقاة فى أواخر القرن الماضى فوجدت بها روحانية لطفة وبها مساكن وسكان قاطنون»[٥٠٨] وهو يقصد بالمساكن والسكان القاطنين خلوات الصوفية والمتصوفة الساكنين فيها، ويقول على باشا مبارك أن هذه الخانقاة «أنشأتها الخاتون طغاى تجاه تربة الأمير طشتمر الساقى فجاءت من أجل المبانى وجعلت بها صوفية وقراء»[٥٠٩].

ثانيا : الوظائف الخدمية :

ينحصر ما أمكن الوقوف عليه من هذه الوظائف فيما ذكره الجبرتى عندما دخلها ووجد فيها روحانية لطيفة ومساكن وسكان قاطنون بقوله «وفيهم(أى سكانها)أصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والملاء» [٥١٠]

٤ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ١٢)



لوحة ١٢ : الخانقاة الناصرية (خوند طغاى – أم أنوك)
أثر رقم ٨١ (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) مسقط أفقى

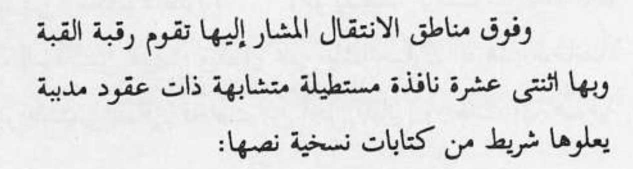
تقع هذه الخانقاة بشارع قارفة باب الوزير وكانت تشغل مساحة غير منتظمة لم يبق منها إلا

إيوان كبير وقبتان إحداهما جنوبية كبيرة والأخرى شمالة صغيرة بالإضافة إلى مساحة خربة كانت تشمل على مرافق الخانقاة.

القبة الجنوبية الكبيرة : (أنظر شكل : ٢١)


شكل ٢١ الخانقاة الناصرية (خوندطغاى – أم انوك) ٨١ (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨)
القبة من الخارج ويظهر معها ايوان الخانقاة

تقوم هذه القبة على حجرة مربعة طول ضلعها من الداخل(٧٫٠٥) متر فى أركانها الأربعة العليا أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من ثلاث حطات من المقرنصات كل وحدة منها عبارة عن حنية ذات عقد مدبب، وتحصر كل منطقتين من مناطق الانتقال هذه فيما بينها نافذتان مستطليتان كل منهما ذات عقد مدبب تعلوها نافذة ثالثة مستطلة ذات عقد مدبب أيضا.



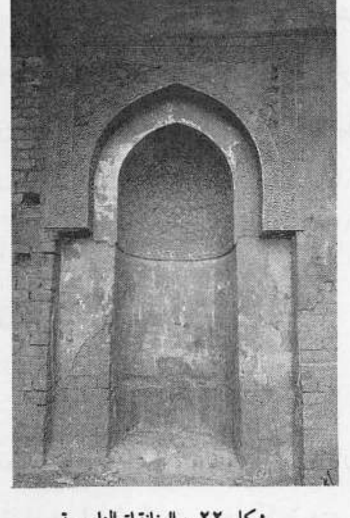
وفوق مناطق الانتقال المشار إليها تقوم رقبة القبة وبها اثنتى عشرة نافذة مستطيلة متشابهة ذات عقود مدببة يعلوها شريط من كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيدهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم»[٥١١].

أما صرة القبة من الداخل فبها دائرة إطارها عبارة عن كتابات نسخية بيضاء على أرضة زرقاء نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد»[٥١٢].

محراب القبة : (أنظر شكل : ٢٢)



شكل ٢٢ : الخانقاة الناصرية
(خوند طغاى – أم انوك) محراب القبة

يتوسط الجدار الشرقى لهذه القبة محراب عبارة عن حنية عرضها (١٫١٠) متر وعمقها (١) متر كان يكتنفها عمودان غير موجودين، ويعلوها عقد نصف دائرى متراجع تزينه فى المستويين صنجات مزررة بالألوان الأبيض والأسود والأحمر، وعلى جانبى هذا المحراب من الناحيتين الشمالية والجنوبية يوجد شباكان متشابهان عرض كل منهما (١٫٣٥) متر وعمقة (١٫٧٠) متر يغطيه سقف خشبى.

مدخل القبة :

يقع هذا المدخل فى جدار القبة الغربى داخل دخلة عمقها (١٫٤٠) متر وعرضها (١٫٥٠) متر يعلوها عقد نصف دائرى ممتد، على جانبيه يوجد شباكان متشابهان عرض كل منهما (١٫٤٠) متر وعمقها (٫٣٥) متر يعلوه سقف خشبى.

أما الجدارين الشمالى والجنوبى لهذه القبة فهما متشابهان تماما، يتوسط كل منهما شباك كبير (يشبه الشباكين القائمين على جانبى المحراب) يكتنفه عن يمين وشمال شباكان يشبهان الشباكين الواقعين فى الجدار الغربى إلا أنه يعلو الشباك الأوسط بالجدار الجنوبى نافذة مستطيلة، وكانت أرضيات هذه الشبابيك مفروشة بفسيفساء رخامية ملونة ضاعت معالمها.

وهذه القبة ذات بدن مضلع من الخارج يتكون من مخدات متجاورة تحملها رقبة كان يزينها شريط من بلاطات القاشانى الخضراء المنقوشة بكتابات نسخة بيضاء نصها بعد البسملة آية الكرس، إلا أن معالم هذه الكتابات قد ضاعت، وتعد هذه التكسية هى ثالث ظاهرة فى تغطية رقاب القباب المعمارية المملوكية فى مصر بالبلاطات الخزفية بعد قبة طشتمر (٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م) وقبة أصلم الهائى (٧٤٥هـ/ ١٣٤٥م)[٥١٣].

كذلك قد ضاعت معالم التركيبة الرخامية البيضاء التى عل قبر المنشئة والتى وصفها الجبرتى بقوله «ودخلت إلى مدفن الواقفة وعلى قبرها تركيبه من الرخام الأبض وعند رأسها ختمة شريفة كبيرة على كرس بخط جميل، وهى مذهبة وعليها اسم الواقفة رحمها الله تعالى فلو أن الشيخ الشرقاوى عمر هذه الخانقاة بدل هذا الذى ارتكبه من تخريبها لكان بذلك منقبة وذكر حتى فى حياته وبعد مماته وبالله التوفيق» (٥١٤).

القبة الشمالية الصغيرة:

يؤدى إلى هذه القبة مدخل فى جانبها الغربى يقع داخل دخلة عرضها (٢,٥٠) متر وعمقها (٥٥ر) متر تكتنفها مكسلتان حجريتان طول كل منهما (٦٥ر) متر وعرضها (٥٠ر) متر وارتفاعها (٨٠ر) متر يحد كلا منهما جفت لاعب ذو ميمات دائرية، أما المدخل نفسه فعرضه (١,٢٠) متر يعلوه عتب حجرى مستو فوقه عقد عاتق من صنجات مزررة بينهما طبلة عقد غير مزخرفة، ويعلو هذا العقد العاتق نافذة مربعة، ويتوج الدخلة مقرنصات مقعرة ذات دلايات، وعلى جانب هذا المدخل يوجد إزار غائر نقشت فية كتابات نسخية نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين»(٥١٥)، ويحدد هذا المدخل جفت لاعب ذو ميمات دائرية كما كان يحدد عتبه المستوى إطار رخامى قوام زخارفة أشكال هندسية تتكون من أجزاء من أطباق نجمية.

الحواصل:

وعلى يمين هذه القبة الصغيرة كانت توجد مجموعة من الحواصل لم يبق منها إلا بقايا حاصلين متهدمين، الشرقى منهما مستطيل الشكل طوله (٣,٩٠) متر وعرضه (٢,٩٠) متر يغطيه سقف نصف برميلى من قوالب الطوب الأحمر، فى جداره الجنوبى نافذة مستطلة عرضها(٥٥ر) متر تنتهى من الخارج بمزغلة، ويغلب على الظن أن حواصل الخانقاة كانت تمتد فى هذه الناحية تجاه الغرب وكانت تقوم فوقها خلوات الصوفية التى لم يبق منها لا فى هذه الناحية ولا فى الناحية المقابلة (الشمالية) شيئا.

وعلى يسار هذا المدخل يوجد إيوان مستطيل طوله (١٠) متر وعرضه (٨٫٦٠) متر يغطيه سقف نصف برميلى، ويفتح هذا الإيوان على الناحية الغربية بعقد نصف دائرى كبير كان يحده إطار من كتابات نسخية بارزة لم يبق منها إلا آثارها، يليه إطار ثالث من كتابات نسخية أيضا، ومما يؤسف له أن هذه الكتابات ضاعت معالمها تماما.

محراب الإيوان:

يتوسط الجدار الشرقى لهذا الإيوان محراب عبارة عن حنية عرضها (١٫٧٠) متر وعمقها (١٫١٠) متر كان يكتنفها عمودان (غير موجودين) يحملان عقدا نصف دائرى متراجع، أما زخارف هذا المحراب فكانت تتكون فى أسفل من وزرة رخامية ذات أشرطة رأسية ضاعت معالمها، وفى داخل الطاقية من أعلا من تفريعات نباتية بها أوراق ثنائية وثلاثية وأنصاف مراوح نخلية، وفى واجهة العقد من نفس العناصر النباتية الموجودة فى طاقيته.

ويعلو هذا المحراب منطقة مستديرة تزينها نفس الوحدات النباتية فى دائرتين متداخلتين تحصران بينهما دائرة ثالثة تتكون من أشكال دائرية وبيضاوية كانت بها كتابات نسخية لم يبق منها إلا البسملة فى إحدى وحداتها البيضاوية بينما ضاعت باقى معالمها تماما، وتذكرنا هذه الدوائر بالدوائر الحجرية الموجودة على واجهة الجامع الأقمر (١٩هـ/ ١١٢٥م) وبالزخارف المنقوشة فى مسجد ألماس الحاجب (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) وفى ضريح قوصون (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) [٥١٦].

وفوق المنطقة المستديرة المشار إليها توجد ثلاثة صفوف من النوافذ الصغيرة المستطيلة ذات العقود المدببة تتكون من ثلاث نوافذ فى الصف الأول تليها نافذتان فى الصف الثانى ثم نافذة واحدة فى الصف الثالث، (وتشبه فى ذلك تماما نوافذ رقبة القبة فى خانقاة قوصون)، وعلى جانبيها توجد وحدتان زخرفيتان متشابهتان كل منهما على شكل نافذة ذات عقد نصف دائرى ممتد تزينها نفس العناصر الزخرفية النباتية، أما جانبى المحراب فعلى كل منهما دخلتان متشابهتان عرض كل منهما (١٫٢٥) متر وعمقها (٠٫٦٠) متر.

أما الجدارين الشمالى والجنوبى لهذا الإيوان فهما متشابهان فى تكوينهما المعمارى بكل منهما دخلة عرضها (٤٫٣٥) متر وعمقها (٠٫٥٥) متر يعلوها عقد مدبب، يتوسطها فى الناحية

الجنوبية شباك عرضه (٦٠ر١) متر به أسياخ حديدية متقاطعة، وهو الشباك الذى يتوسط الجدار الشمالى للقبة الجنوبية.

ويعلو عقد هذا الدخلة منطقة دائرية تشبة زخارفها زخارف المنطقة الدائرية أعلى المحراب إلا أنه من المناطق البيضاوية والدائرية فى الدائرة الثانية يوجد بها صرر دائرية تحصر كل صرتين منها كتابات نسخية لآيات من القرآن الكريم غير واضحة المعالم. (أنظر شكل: ٢٣)

وكان يحيط بجدران هذا الإيوان (الشرقى والشمالى والجنوبى) شريط من الكتابات النسخية القائمة على أرضية مورقة نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. يس والقرآن الحكيم إلى قوله تعالى وما علينا إلا البلاغ المبين» (٥١٧)، وقد ضاعت هذه الكتابات تماما فى كل من الجدارين الشرقى والشمالى (راجع شكل: ٢٣).



شكل ٢٣ : الخانقاة الناصرية (خوند طغاى – أم أنوك) زخارف جصية وكتابات بالقبة

القبة المتهدمة :

فى جدار هذا الإيوان الشمالى دخلة تشبة الدخلة الموجودة ف الجدار الجنوبى بتكوينها المعمارى وبما يعلوها من دائرة ذات صرر بارزة إلا أن هذه الدخلة تفتح على قبة ثالثة فى هذه الناحية كانت تعلو حجرة مربعة طول ضلعها (٣٠ر٤)متر تقوم فى أركانها الأربعة مناطق انتقال تتكون كل منها من حطة واحدة من المقرنصات التى عملت على شكل حنية ذات عقد مدبب، وتحصر كل منطقتين من مناطق الانتقال هذه نافذتان متشابهتان متجاورتان، كل منهما ذات

شكل مستطيل يعلوه عقد مدبب، أما رقبة القبة فبها ستة عشر دخلة ذات عقود مدببة إلا أن القبة التى كانت تقوم فوق هذه الرقبة قد تهدمت، فى جدارها الشرقى والغربى بابان مسدودان متشابهان عرض كل منهما (٤٥ر٢)متر وعمقه (٥٥ر)متر يعلوه عتب من خشب مستو، أما الجدار الشمالى فبه شباك مسدود أيضا عرضه (٧٥ر١)متر وعمقه(٨٥ر)متر.

٥ - ترميمات الخانقاة :

لم تنل هذه الخانقاة من رعاية لجنة حفظ الآثار العربية إلا نذرا يسيرا انحصر فى مبلغ (-ر٥٠)جنيه صرفت سنة (٨٧ - ١٨٨٨م) على أعمال ترميمية لم تحدد[٥١٨] ومبلغ (-ر٣٠)جنيه صرفت سنة (١٩٠٨)على أعمال تقوية للتربة[٥١٩]، وبذلك لم يتعد ما صرفته اللجنة على هذا الأثر سوى ثمانين جنيها، وربما كان ذلك سببا جوهريا فى ضياع معالمها التى لم تبق لنا الأيام منها إلا الإيوان والقبتين.

الفصل السادس

خانقاوات النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى

النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى

٩ – الخانقاة الدوادارية يونس

ح : ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م

أثر رقم : ١٥٧

الواقع أن المعلومات التى أمكن الحصول عليها فيما يتعلق ببقايا هذه الخانقاة ليست بالوفرة التى وجدناها فى الخانقاوات الأخرى، والذى لا شك فيه أن هذا النقص فيما تركه المؤرخون والباحثون خاصا بها يرجع إلى أنه لم يبق منها إلا قبة صغيرة لا تستلفت النظر لا من حيث الضخامة ولا الفخامة التى اعتادها هؤلاء وأولئك فيما يكتبون عنه، وقد آثرنا ألا ننهج نفس منهجهم ونترك الحديث عنها رغم قلة ما تركته المصادر والمراجع فيما يتعلق بها عسى أن يكون ذلك مقدمة لإضافات أخرى عنها، وعلى ذلك فإن حديثنا عن بقايا هذه الخانقاة سينحصر طبقا لما لدينا من معلومات فى أربع نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ – منشئ الخانقاة.

٣ – موظفو الخانقاة.

٤ – وصف الخانقاة.

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها:

يقول المقريزى أن «هذه الخانقاة من جملة ميدان القبق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر، أدركت موضعها وبه عدة عواميد تعرف بعواميد السباق وهى أول مكان بنى هناك»[٥٢٠]، ومعنى ذلك أن هذه الخانقاة كانت قد اندثرت على عهد المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) ولم يبق منها إلا آثارها، بدليل قوله المشار إليه «أدركت موضعها وبه عدة عواميد تعرف بعواميد السباق».

أما على باشا مبارك فإنه رغم تكراره لما ذكره المقريزى عن هذه الخانقاة ترك لنا فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) معلومات أخرى عنها أكثر تفصيلا مما ذكره المقريزى، وقد أشار إليها فى ثلاثة مواضع من كتابه المشهور ذكرها فى أول موضع منها تحت مسمى «زاوية الشيخ يونس» وقال أن التى أنشأتها هى الست عائشة اليونسية وشعائرها مقامة وبها عمودان من الرخام وميضاة وحوض ماء وبيت خلاء، وفى مقابلتها برأس باب شارع الدوداري زاوية تعرف أضا بزاوية اليونسية كانت أول أمرها مدرسة أنشأتها الست عائشة اليونسية المذكورة نسبة إلى زوجها الأمير يونس السيفى الدوادار الكبير(٥٢١).

ثم تكلم فى موضع آخر من نفس الكتاب عن زاوية اليونسية فقال أنها «كانت أول أمرها مدرسة أنشأتها الست عائشة اليونسية نسبة إلى زوجها الأمير يونس السيفى الدوادار، فلما هدم رأس الزقاق لتوسعة الطريق هدم منها الجانب الذى به الباب، وبها ضريح الست عائشة اليونسية، ولما اختل نظامها جددها محمد مناو سنة (١٢٨٠) ولها أوقاف تحت نظره وشعائرها مقامة إلى الآن(٥٢٢) «ومعنى ذلك أن زاوية اليونسية هذه ظلت مقامة الشعائر من ريع أوقافها حتى القرن (١٣هـ/ ١٩م) ثم أضاف إلى ذلك فى موضع ثالث قوله» والظاهر أن هذه الخانقاة محلها الآن (أى على عهده فى القرن ١٣هـ/ ١٩م) زاوية الشيخ يونس السعدى التى خارج باب النصر، وهى زاوية صغيرة بداخلها قبر عليه قبة تقول العامة أنه قبر الشيخ يونس مجدد طريقة السعدية بالديار المصرية، وهذا القول ليس بصحيح، لأننا لم نجد ما يدل على ذلك فى كتب التاريخ ولا فى النقل الصحيح، فلعل هذا القبر أنشأه الأمير يونس النوروزى منشئ الخانقاة لنفسه ولم يدفن به كما تقـــدم(٥٢٣)»، ولا ندرى لماذا دار على باشا مبارك كل هذه الدورات الثلاثة فيما يتعلق بيونس السعدى إلى أن وصل إلى أنه قبر يونس الدوادار الذى هو جزء من خانقاته التى بين أيدينا.

أما فيما يتعلق بأوقاف هذه الخانقاة فإننا لم نعثر منها إلا على ما ذكره ابن الجيعان فى التحفة السنية، ومنه يتضح أن ما أمكن الوقوف عليه من أوقاف هذا الأمير كان يشتمل على ثلاث جهات هى:

١ – الغرفة :

مساحتها (١٨٣) فدانا وعبرتها (٢٠٠)دينار وكانت وقفا للأمير يونس الدوادار[٥٢٤].

٢ – دمشوية :

مساحتها (٥٤٥) فدانا وعبرتها (٤٠٠)دينار كانت للمقطعين ثم صارت وقفا للأمير يونس الدوادار[٥٢٥].

٣ – طوخ وجانة :

مساحتها (١٦١٩) فدانا وعبرتها (٤٠٠٠)دينار كانت باسم الأمير حاج بن مغلطاى ثم صارت للديوان المفرد والأمير يونس النوروزى (الدوادار)[٥٢٦].

وبذلك يتضح أن جملة أوقاف هذه الخانقاة كانت قد بلغت وفقا للاحصاء التالى ألفا وخمسمائة وثمانية وثلاثين فدانا كانت عبرتها ألفين وستمائة دينار سنويا.

مسلسل	جهة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
١	الغرفة	١٨٣	٢٠٠	التحفة السينية
٢	دمشوية	٥٤٥	٤٠٠	» »
٣	طوخ وجانة	٨١٠	٢٠٠٠	» »
المجمــــــوع		١٥٣٨	٢٦٠٠	

٢ – منشئ الخانقاة :

تنحصر معلوماتنا عن ترجمة منشئ هذه الخانقاة فقط فيما ذكره المقريزى فى القرن (٩هـ/ ١٥م) وما ذكره على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) الذى كان ينقل فى غالب الأحيان ما يذكره المقريزى بنصه ثم يعلله أو يضيف إليه من التفسيرات والإضافات ما يراه ضروريا.

يقول المقريزى أن الأمير النوروزى الدوادار (منشئ هذه الخانقاة) كان من مماليك الأمير سيف الدين جرجى الإدريسى أحد الأمراء الناصرية وأحد عتقائه، ترقى فى الخدم منذ أواخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن صار من جملة الطائفة اليلبغاوية، فلما قتل الأمير يلبغا الخاصكى خدم بعده الأمير أسندمر الناصرى الأتابك وصار من جملة دواداريته، وما زال يونس هذا يتنقل فى الخدم إلى أن قام الأمير برقوق بعد مقتل الأشرف شعبان فى طلب السلطنة فكان يونس ممن أعانه وقاتل معه فرعى له ذلك ورقاه إلى أمير مائة ومقدم ألف حتى جعله دواداره عندما تسلطن(٥٢٧).

ويبدو أن يونس هذا كان مغرما بالبناء والتشييد فقد ذكر المقريزى أنه أنشأ بالقاهرة ربعا وقيسارية بخط البندقانيين، وتربة خارج باب الوزير تحت القلعة، كما أنشأ بظاهر دمشق مدرسة بالشرف الأعلى، وخانا عظيما خارج مدنة غزة، بالإضافة إلى الخانقاة التى بين أيدينا والتى يقول المقريزى أنه جعل بجانبها مكتبا يقرأ فيه أيتام المسلمين كتاب الله تعالى وبنى بها صهريجا ينقل إليه ماء النيل(٥٢٨).

وظل يونس النوروزى الدوادار على وافر حرمته ونفاذ كلمته إلى أن خرج الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب على الملك الظاهر برقوق سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٨م) فجهز السلطان جيشا لقتاله جعل على رأسه الأمير أيتمش والأمير يونس الدوادار والأمير جهاركس الخليلى وعدة أخرى من الأمراء والمماليك، فلقوه بدمشق وقاتلوه فهزمهم وقتل الخليلى وفر أيتمش إلى دمشق ونجا يونس بنفسه يريد مصر فأخذه الأمير عنقا بن شطى أمير الأمراء وقتله يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الآخر سنة ٧٩١هـ)، ولم يعرف له قبر رغم أنه كان قد أعد لنفسه عدة مدافن فى غير ما مدينة من مصر والشام(٥٢٩).

وقد كرر على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) كل ما ذكره المقريزى خاصا بترجمة الأمير يونس الدوادار، إلا أنه أضاف أنه عندما تسلطن برقوق سلك يونس هذا طريقة جليلة من كثرة الصيام والصلاة ومحبة الفقراء وحضور السماع(٥٣٠).

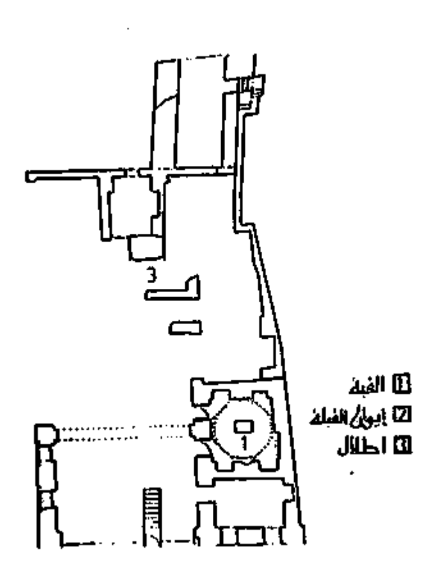
٣ – موظفو الخانقاة :

لم نعثر – فيما أمكن الاطلاع عليه من كتب التراجم – على كثير من سير الرجال الذين مارسوا العمل فى وظائف هذه الخانقاة الدينية مثل شيوخها ومدرسيها وناظر وقفها وصوفيتها، أو من الرجال الذين مارسوا العمل فى وظائفها الخدمية مثل المؤذنين والخدم وما إلى ذلك، وما أمكن الوقوف عليه من هؤلاء وأولئك ينحصر فى ترجمتين ذكر ابن حجر أولاهما بقوله : «محمود بن على بن اسماعيل بن يوسف التبريزى محب الدين بن الإمام علاء الدين القونوى ولد سنة (٧١٩هـ) واشتغل بالعلم فأفتى ودرس بالشريفية وغيرها وولى مشيخة الخانقاة الدوادارية إلى أن مات فى ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين و(سبعمائة)(٥٣١).

وذكر السخاوى ثانيتهما حين قال «عبد الرحمن بن احمد بن عمر بن عرفات بن عوض الزينى بن الشهاب بن السراج الأنصارى الاطفيحى القمنى ثم القاهرى الشافعى ولد سنة (٧٩٠هـ) باطفيح من الوجه القبلى ونشأ بها فحفظ ودرس وولى مشيخة الصوفية بتربة يونس الدوادار المجاورة لتربة الظاهر برقوق التى كان أحد صوفيتها .. مات فى سنة ستين ظنا أو قبلها يسيرا(٥٣٢).

٤ – وصف قبة الخانقاة :

(أنظر لوحة : ١٣)



لوحة ١٣ : بقايا الخانقاة الدوادارية (يونس) أثر رقم ١٥٧ (ح ٧٥٠هـ/ ح ١٣٤٩م) مسقط أفقى

إلى الشمال من مدخل تربة الناصر فرج بن برقوق بالقرافة هناك ممر مستطيل لم يبق منه إلا جانبيه الشمالى والغربى، بالجانب الغربى منهما سبع عقود نصف دائرية تحملها ستة أكتاف حجرية ضخمة وبالجانب الشمالى عقدان، يؤدى هذا الممر إلى قبة مضلعة مبنية بالطوب تقوم على مساحة مربعة طول ضلعها (٧,٦٠) متر هى كل تبقى من الخانقاة الدوادارية يونس.

مدخل القبة :

يقع هذا المدخل فى الواجهة الشمالية للقبة داخل دخلة عرضها (٢,٥٠)متر وعمقها (٥٠,)متر تكتنفها مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٥٠,)متر وطولها (١,٦٠)متر وارتفاعها (٧٠,)متر، أما المدخل نفسه فعرضه (١,١٠)متر يعلوه عقد حجرى فريد فوقه نافذة مستطيلة، وتنتهى دخلة هذا المدخل بعقد نصف دائرى ممتد تزينه زخارف مخدات متوازية، وكان على جانبى هذا المدخل إزار به كتابات نسخية ضاعت معالمها ولم يبق منها بعد البسملة إلا «أمر بانشاء هذه القبة والمدفن المبارك .. .. .. آمين».

ويؤدى هذا المدخل إلى الضريح وهو عبارة عن حجرة مربعة طول ضلعها من الداخل (٥,٧٠)متر تقوم فى أركانها الأربعة أربع مناطق انتقال تتكون كل منها من حطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، بين كل منطقتين منها توجد ثلاث نوافذ اثنتان سفليتان متجاورتان وثالثة تعلوهما، وفى رقبة القبة ثمان نوافذ أخرى مشابهة، أما القبة من الداخل فتزينها زخارف مضلعة متوازية.

محراب القبة :

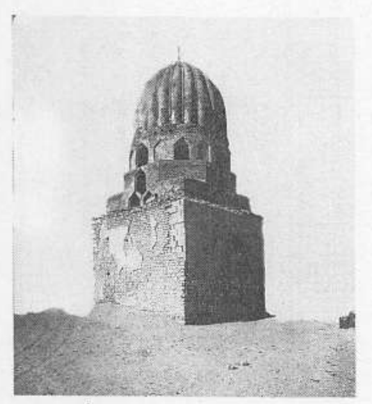
فى الجدار الشرقى لهذه القبة يوجد محراب عبارة عن حنية عرضها (٨٠,)متر ذات عقد نصف دائرى كان يكتنفها عمودان، ويزين طاقية هذا المحراب من الداخل زخارف لحطتين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا، ويمتاز هذا المحراب بوجود تجويفين متداخلين للداخل بينهما طاقية مخوصة لها مقرنص من ثلاث حطات، وهو بهذا الشكل يعد محرابا غريبا فى تصميمه فريدا فى شكله.

وعلى جانبى هذا المحراب من الشمال والجنوب يوجد شباكان متشابهان عرض كل منهما (٨٥ر)متر وعمقه (٥٥ر)متر إلا أنهما مسدودان الآن، أما الجدار الغربى فيقابل المحراب فيه دخله عرضها (٤٠ر١)متر وعمقها (٢٥ر)متر ذات عقد نصف دائرى يعلوه شباك قندلية يحمل عقديه السفليين فى الوسط عمود حجرى مثمن الأضلاع، وفوق هذا الشباك قمرية دائرية.

وعلى جانبى هذه الدخلة من الشمال والجنوب أيضا يوجد شباكان متشابهان مع الشباكين على جانبى المحراب، أما الجدار الجنوبى فتتوسطه دخله تشبه دخلة الجدار الغربى على جانبيها شباكان يشبهان باقى الشبابيك وفوقها شباك قندلية يشبه الشباك الموجود بالجدار الغربى.

ويغلب على الظن أن الدخلتين فى وسط الجدارين الغربى والجنوبى كل منهما كان عبارة عن باب يدخل منه إلى باقى الخانقاة من هاتين الناحيتين، كذلك يوجد على جانبى المدخل شباكان مستطلان يتشابهان مع باقى الشبابيك إلا أنهما مسدودان بسدات حديثة.

أما واجهات هذه القبة من الخارج (أنظر شكل: ٣٤) فالشرقية مصمته والجنوبية بها دخلة عرضها (٩٠ر١)متر وعمقها (٢٠ر)متر كان بأسفلها الباب المشار إليه بالداخل يعلوه عتب فوقه عقد عاتق يعلوه الشباك القندلية المشار إليه، وكان يتوج الدخلة مقرنصات تهدمت تماما، أما الواجهة الغربية فبها دخلة تشبه الدخلة الموجودة فى الواجهة الجنوبية، بها من أسفل شباك مستطيل الشكل عرضه (٤٠ر١)متر به أرماح ومخرزات حديدية ويعلوه عتب مستو نقشت فيه كتابات نسخية من سطرين نصهما:



شكل ٢٤ : الخانقاة الدوادارية (يونس) أثر رقم ١٥٧
(ح ٧٥٠هـ/ ح ١٤٩م) القبة من الخارج

«بسم الله الرحمن الرحيم. بتاريخ يوم السبت ثامن عشر شوال سنة ثمانين وسبعمائة توفى المقر المرحوم الشرفى[٥٣٣] تغمده الله برحمته والد المقر الأشرف العالى السيفى[٥٣٤] برقوق أتابك[٥٣٥] العساكر عز نصره».

ونظرا لوجود هذا النص الذى يشير إلى وفاة والد السلطان الظاهر برقوق فى ١٨ شوال سنة

(٧٨٠هـ) ودفنه بهذه القبة فقد نسبت القبة خطأ إليه، وهذا يعنى أن السلطان الظاهر برقوق كان لا يزال حتى بناء هذه الخانقاة آتابك العسكر، وقد أيدت ذلك بعض المراجع العربية الحديثة التى أوردت أن هذه القبة نسبت خطأ إلى والد السلطان برقوق لأنه مدفون فيها رغم أنها هى كل ما تبقى من خانقاة كبيرة كانت قائمة فى تلك الصحراء باسم الأمير يونس النوروزى الدوادار[٥٣٦].

١٠ - الخانقاة الشيخونية

٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م

أثر رقم : ١٥٢

كانت الخانقاة الشيخونية واحدة من أهم خانقاوات المماليك البحرية التى أنشئت بالقاهرة، يدل على ذلك ما تركته لنا المصادر والمراجع العربية من معلومات فى هذا الصدد، وقد أمكن تقسيم هذه المعلومات طبقا لما اشتملت عليه من موضوعات إلى ست نقاط رئيسية هى:

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ - منشئ الخانقاة.

٣ - موظفو الخانقاة.

٤ - صوفية الخانقاة.

٥ - وصف الخانقاة.

٦ - ترميمات الخانقاة.

١ - تاريخ الخانقاة وأوقافها:

حظيت هذه الخانقاة بكتابات كثيرة من المؤرخين القدامى مثل المقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى وعلى باشا مبارك، وبكتابات كثيره غيرهم من الباحثين المحدثين.

يقول المقريزى أن هذه الخانقاة فى خط الصليبة خارج القاهرة (يقصد القاهرة الفاطمية) تجاه جامع شيخو، أنشأها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العمرى الناصرى فى سنة ست وخمسين وسبعمائة، وكان موضعها من جملة قطائع ابن طولون اشتراه الأمير شيخو من المساكن التى كانت مقامه عليه وهدمها فى المحرم من هذه السنة، فكانت مساحة أرضها زيادة على فدان اختط فيها

الخانقاة وحمامين وعدة حوانيت تعلوها بيوت لسكنى العامة ورتب بها دروسا عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة ودرسا للحديث النبوى ودرسا لإقراء القرآن بالروايات السبع وجعل لكل درس مدرسا وعنده جماعة من الطلبة وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف(٥٣٧).

أما السيوطى فيقول أن «خانقاة شيخو بناها الأمير الكبير رأس نوبة الأمراء الجمدارية سيف الدين شيخو العمرى، جالبة خواجا عمر وأستاذه الناصر محمد بن قلاوون، ابتدأ عمارتها فى المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة وفرغ من عمارتها سنة سبع وخمسين وسبعمائة(٥٣٨)» وفى موضع آخر من نفس الكتاب يقول «ورتب فيها (منشئوها) أربع دروس على المذاهب ودرس حديث ودرس قراءات ومشيخة إسماع الصحيحين والشفاء»(٥٣٩) وبذلك أضاف لنا مشيخة الإسماع زيادة على ما ذكره المقريزى وهذا يعنى إما أن يكون المقريزى قد نسى ذكرها عندما تحدث عن دروس هذه الخانقاة وإما أنها لم تكن موجودة على عهده فى القرنين(٨ – ٩هـ/ ١٤ – ١٥م) ثم أضيفت إليها على عهد السيوطى فى القرنين (٩ – ١٠هـ/ ١٥ – ١٦م).

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وذكر هذه الخانقاة تحت اسم جامع شيخو حين قال أن «جامع شيخوا اسم جامعين بشارع الصليبة متقابلين ذكرهما المقريزى فى خططه، أحدهما باسم جامع شيخوا والآخر باسم خانقاة شيخو لأنه جعل الأول لخصوص الصلاة ونحوها والثانى جعل فيه صوفية، وبنى لهم مساكن وجعل فى الجامع عشرين صوفيا، ثم لما عمر الخانقاة تجاه الجامع نقل الصوفية إليها وزاد عدتهم»(٥٤٠) ثم عاد فى موضع آخر من نفس الكتاب وسماها بالخانقاة حين قال «خانقاة فى خط الصليبة تجاه جامع شيخو أنشأها الأمير شيخو العمرى سنة ست وخمسين وسبعمائة وهى عامرة إلى الآن وشعائرها مقامة»(٥٤١).

ولم يقتصر الحديث عن تاريخ الخانقاة الشيخونية على ما ورد فى المصادر العربية فيما سبقت الإشارة إليه، وإنما كان هناك مما أوردته فى هذا الصدد أيضا بعض المراجع العربية الحديثة ما لم يخرج عن دائرة ما ذكرته المصادر المشار إليها من حيث المنشئ وتاريخ الإنشاء ودروس المذاهب والحديث والقراءات ومشيخة الإسماع ونحو ذلك(٥٤٢)، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا صاحب فهرست وثائق القاهرة الذى ذكر أن بناء هذه الخانقاة كان قد تم بعد بناء الجامع بست سنوات

تماما[٥٤٣]، ولا ندرى من أين جاء بهذا الجزم رغم أن نص إنشاء الخانقاة سنة (٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م) كان قد سجل فى الكتابات المنقوشة على مدخلها ولم يترك بذلك مجالا لأى اجتهاد فيه.

وأخيرا يضيف القاضى مجير الدين الحنبلى إلى معلوماتنا عن شيخونيتى القاهرة (الجامع والخانقاة) شيخونية القدس فيقول أنها بالقرب من الصلاحية، عند سويقة باب حطة واقفها الأمير سيف الدين قطيشا بن على بن محمد من رجال حلقة دمشق كان مجاورا بالقدس الشريف وجعل نظرها لنفسه ثم من بعده لولده شيخون فسميت بالشيخونية نسبة لولد الواقف، وتاريخ وقفها مستهل صفر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة»[٥٤٤].

أما عن أوقاف هذه الخانقاة فقد وردت الإشارات إليها فيما ذكره كل من المقريزى وابن الجيعان والجبرتى وعلى باشا مبارك منذ القرن (٩هـ/ ١٥م) إلى القرن (١٣هـ/ ١٩م)، يقول المقريزى «ورتب (أى المنشئ) لكل من الطلبة فى اليوم الطعام واللحم والخبز، وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون، ووقف عليها الأوقاف الجليلة .. ولما حدثت المحن كان بها مبلغ كبير من المال الذى فاض عن مصروفها فأخذه الملك الناصر فرج، وأخذت أحوالها تتناقض حتى صار المعلوم يتأخر صرفه لأرباب الوظائف بها عدة أشهر، وهى إلى اليوم على ذلك»[٥٤٥] ومع أن هذا الذى ذكره المقريزى يشير صراحة إلى أن أوقافها كانت كثيرة وذات عائد وافر كان يفيض عن مصروفات أرباب الوظائف الكثيرة فيها، إلا أنه لم يوضح لنا ما هية هذه الأوقاف.

وعلى عكس ما ذكره المقريزى مجملا غير مفصل، فقد أشار ابن الجيعان إلى أن أوقاف منشئ هذه الخانقاة كانت تشتمل من الأراضى على ما يلى :

١ - طنبور والخريطة :

«مساحتها (٤٠٧) فدان وعبرتها (٧٠٠) دينار وهى وقف المرحوم شيخو والمرحوم منجك»[٥٤٦].

٢ – القصيعة :

«مساحتها (٢٦٣٩) فدانا وعبرتها (٦٣٠٠) دينار، كانت باسم الشوانى بثغر دمياط المحروس ثم صارت وقفا للخانقاة الشيخونية»[٥٤٧].

٣ – بنابوصير :

«وقف الخانقاة الشيخونية (ولم يزد)[٥٤٨].

٤ – حصة قسطة :

«مساحتها (١٩٠) فدانا وعبرتها (٤٠٠) دينارا وقف الأمير شيخو»[٥٤٩].

٥ – محلة الأمير :

«عبرتها (١٥٠٠) دينار ملك المرحوم شيخو»[٥٥٠].

٦ – الواقية :

«من كفور دير أسود مساحتها (٢٠٠) فدان وعبرتها (١٠٠٠) دينار وقف شيخو»[٥٥١].

٧ – قوارير بني أحمد :

«مساحتها (٢١٠) فدانا وعبرتها (٦٠٠) دينار وقف الجامع والخانقاة إنشاء الأمير شيخو العمرى بالصليبية الطولونية رحمه الله تعالى»[٥٥٢].

وبذلك يتضح أن جملة أوقاف هذه الخانقاة كانت قد بلغت وفقا للإحصاء التالى ثلاثة آلاف وستمائة وستة وأربعين فدانا، كانت عبرتها عشرة آلاف وخمسمائة دينار سنويا وذلك بخلاف ما لم تحدد مساحته ولا عبرته من هذه الأوقاف :

مسلسل	جهة	مساحة بالفدان	عبرة بالدينار	مصدر
١	طنبور والخريطة	٤٠٧	٠٧٠٠	التحفة السينية
٢	القصيمة	٢٦٣٩	٦٣٠٠	» »
٣	بنا بوصير	–	–	» »
٤	حصة قسطة	٠١٩٠	٠٤٠٠	» »
٥	محلة الأمير	–	١٥٠٠	» »
٦	الواقية	٠٢٠٠	١٠٠٠	» »
٧	قوارير بنى أحمد	٠٢١٠	٠٦٠٠	» »
	المجموع	٣٦٤٦	١٠,٥٠٠	

ثم جاء على باشا مبارك فى القرن (١٣هـ/ ١٩م) وكرر ما ذكره المقريزى والجبرتى خاصا بأوقاف هذه الخانقاة من حيث كثرتها ووفرة مالها الذى أخذ فائضه الناصر فرج وعطل صرف رواتب أصحاب الوظائف فيها حتى كانت حوادث سنة (١٢٣١هـ) عندما عين الشيخ أحمد الطهطاوى الحنفى ناظرا لوقف الشيخونيتين واستخلص أماكنهما وجمع إيردهما ثم شرع فى تعميرها، وساعده على ذلك كل من كان يحب الإصلاح فجدد عمارة المسجد وأنشأ بها صهريجا[٥٥٣]، ثم أضاف إلى ما ذكره نقلا عن الجبرتى فى حوادث سنة (١٢٠١هـ) «أن الأمير أحمد جاويش وضع فى خزانة هذا الجامع كتبا نفيسة ف علوم شتى وجعلها وقفا فى حال حياته تحت يد الشيخ موسى الشيخونى الحنفى»[٥٥٤].

٢ – منشئ الخانقاة :

ترجم كثير من المؤرخين القدامى لمنشئ هذه الخانقاة ولا سيما ابن حجر والمقريزى وابن تغرى بردى والقاضى مجير الدين الحنبلى وعلى باشا مبارك وغيرهم، كما ترجم له غير واحد من الباحثين المحدثين، فيقول الحنبلى أن شيخون هذا هو ابن الأمير سيف الدين قطيشا بن على بن محمد الذى كان من رجال حلقة دمشق[٥٥٥]، ويضيف ابن حجر أنه تقدم فى أيام المظفر حاجى

واستقر في أول دولة الناصر حسن أحد رؤوس المشورة إلى أن صار زمام الملك بيده فعظم شأنه، حتى كتب له في شوال سنة إحدى وخمسين (وسبعمائة) بنيابة طرابلس وهو في الصيد، فساروا به إلى دمشق غير أنه لم يلبث أن قبض عليه وسجن بالاسكندرية، فلما استقر الصالح صالح أفرج عنه في رجب سنة اثنتين وخمسين، إلا أنه قام في خلع الصالح وإعادة الناصر حسن في شوال سنة خمس وخمسين فحملها الناصر له حتى قرره مدبرا للمملكة إلى أن كان ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين فوثب عليه مملوك يقال له آى قجا أحد المماليك السلطانية المرتجعة عن منجك فجرحه بالسيف في وجهه ويده وهو في دار العدل بحضرة السلطان، فقبض على هذا المملوك وسمر وطيف به وظل شيخو متعللا بجراحه لا يطلع إلى القلعة والعسكر كله يتردد دون إليه ويقفون في خدمته، وتكرر نزول السلطان إليه لمعاودته إلى أن مات في سادس عشرى ذى القعدة من سنة ثمان وخمسين وسبعمائة[٥٥٦].

أما المقريزى فقد كان حديثه عن ترجمة الأمير شيخو أكثر تفصيلا مما ذكره ابن حجر، وأكثر تفسيرا للعديد من أحداث حياته حيث يقول أنه كان أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون ثم نال خطوة عند ابنه المظفر حاجى، وزادت وجاهته حتى أنه كان يشفع في الأمراء لإخراجهم من السجن، واستقر في أول دولة الملك الناصر حسن أحد امراء المشورة، فكانت القصص تقرأ عليه بحضرة السلطان في أيام الخدمة، وصار زمام الدولة في يده فساسها أحسن سياسة بسكون وعدم شر، وكان يمنع كل حزب من الوثوب على الآخر فعظم شأنه، فلما كان يوم السبت رابع عشرى شوال سنة إحدى وخمسين وسبعمائة أمسك السلطان الأمير منجك الوزير وكتب تقليدا لشيخو بنيابة طرابلس وهو في الصيد في ناحية طمان من الغربية وجهزه إليه مع الأمير سيف الدين طينال الجاشنكير فسار إلى دمشق حتى وصلها رابع ذى القعدة، وظهر مرسوم السلطان بإقامة شيخو في دمشق على إقطاع الأمير بليك السالمى وبتجهيز بيليك إلى القاهرة، وتم ذلك فعلا[٥٥٧].

وما كاد بيليك يصل إلى القاهرة حتى وصل دمشق مرسوم بإمساك شيخو وتجهيزه إلى السلطان وتقييد مماليكه واعتقالهم بقلعة دمشق، فأمسك وجهز مقيدا، فلما وصل إل قطيا توجهوا به إلى الاسكندرية فسجن بها إلى أن خلع الناصر حسن وتولى أخوه الصالح فأفرج عن شيخو في رابع شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة وأنزل في الأشرفية بالقلعة فأخذ في تتبع رؤوس

الفتنة ولا سيما الأمير يلبغا روس وابن دلغار والأحدب الذى خرج بالصعيد وغيرهم فأمسكهم جميعا ووسط بعضهم وحز رؤوس بعضهم الآخر وعلقها على باب زويلة فسكنت الفتن فى أواخر سنة أربع وخمسين وأوائل السنة التى بعدها، ثم حدث أن خلع شيخو الملك الصالح وأقام بدله أخاه الناصر حسن فى ثانى شوال، وأخرج الأمير طاز إلى حلب نائبا لها فصارت الأمور كلها راجعة إليه وزادت عظمته وكثرت أمواله وأملاكه ومستأجراته حتى كاد يكاثر أمواج البحر بما ملك وقل له قارون عصره وعزيز مصره(٥٥٨).

وكانت أمواله خير معين له على تقوية حزبه فجعل فى كل مدينة بعض أمرائه الكبار حتى قيل أن دخل ديوانه بلغ فى اليوم الواحد أكثر من مائتى ألف درهم نقرة، وهو ما لم يسمع بمثله فى الدولة التركية، وذلك غير الإنعامات السلطانية والهدايا التى كانت ترد إليه من مصر والشام، وما كان يأخذ من البراطيل (الرشوة) على ولاية الأعمال، ولم يزل على حاله هذه إلى كان يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة فخرج عليه شخص من المماليك السلطانية المرتجعة عن الأمير منجك يقال له باى فضربه بالسيف فى وجهه ويده وهو جالس بدار العدل فارتجت القلعة كلها، وركب عشرة من الأمراء الكبار بسلاحهم حتى أمسك باى هذا وسجن ثم سمر وطيف به فى الشوارع وبقى شيخو عليلا إلى أن مات ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ودفن بالخانقاة الشيخونية وقبره بها يقرأ عنده القرآن دائما(٥٥٩).

ورغم أن ترجمة ابن تغرى بردى للأمير شيخو لم تكن بالتفصيل الوافر الذى ذكره المقريزى، ولا حتى بالحديث المختصر الذى أشار إليه ابن حجر، إلا أنه لم يضيف إلينا بعضا مما اختلف فيه بين ابن حجر والمقريزى ولا سيما فيما يتعلق بالمملوك الذى طعنه بدار العدل فى حضرة السلطان، بل أضاف إلينا بعضا مما يتعلق بشخصيته هو مما لم يذكره أى منهما فعلى حين ذكر ابن حجر لطاعنه باسم أى قجا وذكر المقريزى له باسم أى، أفادنا ابن تغرى بردى أن اسمه قُطْلوخَجَا السلاح دار ثم أضاف أنه الأمير الكبير أتابك العسكر شيخون بن عبد الله العمرى الناصرى اللالا كان أصله من كتابية الملك الناصر محمد وكان تركى الجنس، وهو أول من سمى بالأمير الكبير، وليها بخلعة ثم صارت من بعده وظيفة(٥٦٠) وفى هذا ما يشير إلى أن شيخو كان مربيا لأبناء السلطان بدلالة التسمية التى ذكرها ابن تغرى بردى مضافا إليها لقب «لا لا».

وقد نقل على باشا مبارك ترجمته من المصادر التى سبقته ولا سيما المقريزى فأشار إلى أصله بين مماليك الناصر وحظوته عند المظفر حاجي وزيادة وجاهته حتى شفع فى الأمراء وأخرجهم من السجن، ثم ولايته لنيابة طرابلس ثم القبض عليه وإحضاره مقيدا إلى القاهرة حيث سجن بالاسكندرية إلى أن خلع الناصر حسن وتولى الصالح صالح فأفرج عنه وزادت عظمته وكثرت أمواله وممتلكاته[٥٦١].

ومع ذلك فلم تقتصر ترجمة الأمير شيخو على ما ذكرته المصادر العربية المشار إليها، وإنما تكلمت عنه أيضا بعض المراجع العربية الحديثة التى تناولت منشآته بالذكر، ومجمل ذلك لا يتعدى فى الواقع ما ورد فى المصادر مما سبقت الإشارة إليه تفصيلا رغم اشتماله على بعض الإضافات ولا سيما ما ورد فيها من أنه لما ولى الملك الصالح بن الملك الناصر محمد أفرج عنه من سجن الاسكندرية فى رجب سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) وأنعم عليه بتقدمه ألف، وأنه كان صاحب منشآت خيرية كثيرة لم يبق منها إلا سبيلا جميلا نادر المثال محفورا فى الصخر بالحطابة بالإضافة إلى الجامع والخانقاة بالصليبية[٥٦٢]، وأنه جلب من أواسط آسيا حيث المغول الذين وضعوا نهاية للخلافة العباسية فى بغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) ولذا يرجح البعض أنه مغولى الأصل[٥٦٣].

٣ – موظفو الخانقاة :

لقد حفظت لنا المصادر العربية كثيرا من تراجم الشخصيات التى وليت وظائف هذه الخانقاة، مما كان له أكبر الأثر فى وقوفنا على نوعيات هذه الوظائف ومن ثم على نوعيات التخصصات التى قرر المنشئ أن تمارس فيها، وطبقا لما أمكن الوقوف عليه من هذه التراجم فقد أمكن تقسيم وظائف هذه الخانقاة إلى قسمين رئيسيين يختص أولهما بالوظائف الدينية ويختص ثانيهما بوظائف الخانقاة الخدمية.

أولا الوظائف الدينية :

شملت وظائف هذه الخانقاة الدينية – طبقا لما أمكن الوقوف عليه من تراجم العديد من التخصصات ولا سيما شيوخ الخانقاة ومدرسو المذاهب والحديث والتفسير والقراءات بالإضافة إلى

شيوخ الإسماع والإقراء وإمام الخانقاة وخطيبها.

أ- شيوخ الخانقاة :

ترك لنا ابن حجر والمقريزى وابن تغرى بردى والسيوطى والسخاوى وابن العماد وعلى باشا مبارك وغيرهم كثيرا من تراجم شيوخ هذه الخانقاة ممن شرط الواقف فيهم أن يكونوا عارفين بالتفسير والأصول، وألا يكون أحدهم قاضيا، فكان ممن ذكرهم ابن حجر محمد بن محمد بن محمود بن احمد البابرتى الشيخ أكمل الدين الحنفى الذى قرره شيخو فى مشيخة الشيخونية بصفة شيخها الأكبر وعظم عنده جدا ثم عند من بعده إلى أن زادت عظمته عند الظاهر برقوق الذى كان يجئ إلى شباك الشيخونية فيكلمه وهو راكب وينتظره حتى يخرج فيركب معه، وقد أضاف المقريزى والسيوطى إليه علاوة على مشيخة الخانقاة تدريس الحنفية بها والنظر فى أوقافها، كان فاضلا صاحب فنون، مات سنة ست وثمانين وسبعمائة وقد جاوز السبعين[٥٦٤]، ومحمد بن محمد بن عبد الله القيصرى أبو الثناء جمال الدين الذى اشتغل وتفقه ومهر فى المعانى والعربية وقدم القاهرة فنزل بالصرغتمشية ثم ولى الحسبة سنة ثمان وسبعين (وسبعمائة) واستقر فى قضاء العسكر وتزوج بنت الطولونى وأختها تحت برقوق، ثم ولى نظر الجيش فى ربيع الأول سنة إحدى وتسعين (وسبعمائة) «ثم أضيفت إليه مشيخة الشيخونية فلم يزل (بها) إلى أن مات سنة تسع وتسعين (وسبعمائة)»[٥٦٥].

وكان من ذكرهم ابن تغرى بردى أحمد بن محمود بن عبد الله العلامة صدر الدين الحنفى الشهير بابن العجمى محتسب القاهرة وشيخ الشيخونية الذى ولد بالقاهرة سنة (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) ولازم علماء عصره إلى أن برع فى الفقه والأصول والعربية وتولى عدة وظائف منها نظر جيش دمشق وحسبة القاهرة ونظارة الجوالى ومشيخة الشيخونية وكان يجالس الملك المؤيد وينادمه حتى مات سنة (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)[٥٦٦].

أما السيوطى فقد ذكر كثيرا من مشايخ هذه الخانقاة بترتيب توليهم ابتداء من عز الدين يوسف بن محمود الرازى الذى وليها بعد أكمل الدين البابرتى ومات فى المحرم سنة (٧٩٤هـ) فولى بعده جمال الدين محمود ابن احمد القيصرى المعروف بابن العجمى، ثم عزل منها بعد عام

واحد سنة (٧٩٥هـ) ووليها الشيخ سيف الدين السيرامى مضافا لمشيخة الظاهرية، ثم وليها بدر الدين الكلسانى إلى أن عزل فوليها الشيخ زاده ثم الشيخ جمال الدين بن العديم سنة (٨٠٨هـ) ثم والده ناصر الدين سنة (٨١١هـ) ثم الشيخ أمين الدين بن الطرابلس سنة (٨١٢هـ) ثم أعيد إليها ابن العديم ثم وليها من بعده شرف الدين بن التبانى سنة (٨١٥هـ) إلى أن مات فى صفر سنة (٧٢٧هـ) فوليها الشيخ سراج الدين قارئ الهداية إلى أن مات سنة (٨٢٩هـ) فوليها الشيخ زين الدين التفهنى ثم صرف منها فى سنة (٨٣٣هـ) بالقضاء ووليها صدر الدين بن العجمى إل أن مات فى رجب من عامة ووليها البدر حسن بن أبى بكر القدسى[٥٦٧].

وإذا كان السيوطى قد ذكر كل هؤلاء الشيوخ إجمالا بترتيب توليتهم لمشيخة هذه الخانقاة دون أن يعطى أية معلومات عن سيرهم الشخصية، فقد غطى السخاوى من بعده بعض جزئيات هذه الحلقة (السيوطية) فى ترجمته لكثير من هؤلاء الشيوخ الذين كان منهم أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله الصدر بن الجمال القيسرى القاهرى الحنفى الذى عرف بابن العجمى وهو صاحب الترجمة الوحيدة التى ذكرها ابن تغرى بردى - فيما سبقت الإشارة إليه - وصاحب الوظائف العديدة المشار إليها إلا أن السخاوى أضاف إلى معلوماتنا عنه كثيرا من الصفات التى لا تحمد فقال أنه «ولى وظائف عدة ولم ينفصل عن واحدة منها بخير ولا شكر، ولى الحسبة فى الأيام المؤيدية فخرج منها خائفا يترقب، ونظر الجيش بدمشق فعزل عنه بالضرب والعصر والمصادرة، ونظر المواريث فى الأيام المؤيدية فخرج غير مشكور، وكذا نظر الكسوة، وآخر الأمر تولى مشيخة الشيخونية فأخذ من وقفها مقدار سبعين ألف ومات وهى فى ذمته (كأشياء كثيرة لأناس معينين)»[٥٦٨].

والحسن بن أبى بكر أحمد بن الشهاب القدسى ثم القاهرى الحنفى الذى عرف بابن بقيرة، ولد سنة (٨٦٨هـ) ببيت المقدس فاشتغل وأخذ بالقدس ودمشق والقاهرة «ثم استقر فى مشيخة الشيخونية لما أعيد التفهنى إلى القضاء فى رجب سنة (٨٣٣هـ)، مات فى ربيع الآخر سنة (٨٣٦هـ) وقد قارب السبعين ودفن فى جامع شيخون بالفسقية التى فيها العز الرازى»[٥٦٩].

وزاده العجمى الجرزبانى الحنفى الذى عرف بالشيخ زاده «قدم من بلاده إلى حلب سنة أربع وتسعين (وثمانمائة) ثم دخل القاهرة وولى بعد ذلك تدريس الشيخونية ومشيختها، ولم يلبث

أن مات واستقر جمال الدين بولده فى تدريس الحنفية بمدرسته جبرا لما وقع من إخراج الشيخونية عن أبيه مع كونه ناب عنه فيها(٥٧٠).

وعبد البر بن محمد بن محمود سرى الدين بن المحب الحلبى ثم القاهرى الحنفى سبط الولوى السفطى الذى عرف بابن الشحنة، ولد فى تاسع ذى القعدة سنة إحدى وخمسين (وثمانمائة) بحلب وانتقل منها إلى القاهرة فحفظ واشتغل حتى صار – كما يقول ابن الغزى – جليس السلطان الغورى وسميره ولما عجز أبوه ناب عنه فى الشيخونية تصوفا وتدريسا(٥٧١).

وقد وردت ألقاب ابن الشحنة فى السطور من (١٠ – ١٢) من وثيقة استبدال من القرن (١٠هـ/ ١٦م) نشرها الأستاذ الدكتور محمد أمين جاء فيها :

١٠ – قاضى قضاة المسلمين خالصة أمير المؤمنين أبو البركات عبد البر بن الشحنة الحنفى الناظر فى الأحكام

١١ – الشرعية بالديار المصرية وسائر المملكة الإسلامية كوالده وجديه لأبويه ذوى المناصب السنية وشيخ

١٢ – الشيوخ بالمدرسة الشيخونية كوالده ووالده وجده ذوى الرتب العلية وما أضاف إلى ذلك من الوظائف الدينية.

ويقول الناشر أن هذه الألقاب التى شغلت ثلاثة أسطر كاملة لم يظفر بها قاضى قضاة آخر، ولا غرابة فى ذلك خاصة وأن ابن الشحنة هذا سليل بيت من بيوت العلم فأبوه قاضى القضاة محب الدين محمد بن غازى الثقفى المتوفى سنة (٨٩٠هـ) ١٤٨٩م) وجده محب الدين أبو الدليد محمد المتوفى بحلب سنة (٨٢٥هـ/ ٢٤٢٢م)(٥٧٢).

وفى ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل الزين الكركى والد الإمام إبراهيم يقول السخاوى أنه «تنزل فى صوفية الشيخونية قديما وسمع فيها على القوى والجمال عبد الله الحنبلى وغيرهما كشيخنا، مات فى يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثمانين (وثمانمائة)(٥٧٣)، فإذا كان عبد الرحمن الكركى هذا كان قد سمع بالشيخونية على القوى والجمال الحنبلى وشيخ

السخاوى، فإن هذا يعنى أن ابن حجر علامة عصره كان أحد مدرسى هذه الخانقاة.

كذلك كان ممن ذكرهم السخاوى من شيوخ هذه الخانقاة عبد الوهاب بن محمد بن أحمد الشمس الطرابلسى الأصل القاهرى الحنفى الذى عرف بابن الطرابلسى، ولد فى ثامن عشرى ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين فحفظ ودرس ثم ولى قضاء العسكر ثم القضاء الأكبر فى ١٢ جمادى الثانية سنة (٨٠٣هـ) عقب موت الجمال الملطى، ثم صرف عنه الكمال بن العديم ثم أعيد إليه فى رجب سنة (٨١١هـ) ثم صرف عنه بناصر الدين بن العديم «واعتنى به الجمال الأستادار فانتزع له مشيخة الشيخونية منه (ابن العديم) فباشرها إلى رجب سنة (٨١٥هـ) فاسترجعها ابن العديم بمال، فاستمر بطالا حتى مات بالطاعون فى ربيع الأول سنة تسع عشرة (وثمانمائة)[٥٧٤].

وعمر بن على بن فارس السراج ابو حفص الكنانى القاهرى الحسينى الحنفى الذى عرف بقارئ الهداية، ولد بالحسينية .. واستقر بآخره فى مشيخة الشيخونية بعد الشرف بن التبانى فى صفر سنة سبع وعشرين (وثمانمائة)[٥٧٥].

أما ابن العماد فلم يذكر من شيوخ هذه الخانقاة إلا «سيف الدين سيف وقيل يوسف الذى سماه المقريزى ابن عيسى السيرامى الحنفى نزيل القاهرة، كان منشأه بتبريز ثم قدم حلب (مثل الشيخ زاده العجمى المشار إليه) وظل بها إلى أن استدعاه الظاهر من حلب وقرره فى التدريس بمدرسته ثم ولاه مشيخة الشيخونية بعد وفاة عز الدين الرازى»[٥٧٦].

ب – مدرسو المذاهب بالخانقاة :

اشتملت هذه الخانقاة على دروس للمذاهب الفقهية الأربعة (الشافعية والحنيفية والمالكية والحنابلة) وجعل لكل درس شيخا وطلبة اشترط عليهم – كما يقول على باشا مبارك – حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف[٥٧٧]، ففيما يتعلق بفقه الشافعية، أورد كل من ابن حجر والمقريزى

والسخاوى وابن ظهيرة وابن العماد بعض تراجمهم، فكان ممن ذكرهم ابن حجر ممن درسوا مذهب الشافعية بهذه الخانقاة بن سعد الله بن عثمان القرمى بن قاضى العزم العفيفى الشيخ ضياء الدين القزوينى الفقه الشافعى، قدم القاهرة وحظى عند الأشرف شعبان حتى ولاه مشيخة مدرسته والتدريس فيها قبل أن تكمل وسماه شيخ الشيوخ وأمر بإسقاط هذا الإسم عن شيخ سرياقوس(٥٧٨)، ولم يذكر المقريزى فى هذا الصدد أكثر من أن منشئها كان قد قرر فى تدريس شافعيتها الشيخ بهاء الدين أحمد بن على السبكى(٥٧٩).

أما السخاوى فقد ذكر من مدرسى الشافعية بهذه الخانقاة: أحمد بن محمد بن على بن موسى الشهاب الإبشيهى المحلى الشافعى، ولد بالمحلة فحفظ وكتب وأخذ، ثم قدم القاهرة فقرأ على النظام الحنفى فى العربية وبرع وناب فى القضاء، وأكثر من التردد للأمير تمراز حتى قرره فى تدريس الشافعية بالشيخونية، مات فى تاسع عشر ذى القعدة سنة اثنتين وتسعين (وثمانمائة)(٥٨٠).

وعبد الرحمن بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن على بن القطب القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى سادس رجب سنة سبع عشرة (وثمانمائة) فحفظ وقرأ وعرض ثم استقر فى تدريس الفقه بالشيخونية شركة بينه وبين ابن الجمال ابراهيم، ثم فى مشيخة الفقه بالشيخونية عقب السراج الوروري، مات فى ثالث شعبان سنة إحدى وسبعين (وثمانمائة)(٥٨١)، وهذا يدل على أن فقه الشيخونية الشافعى كان يدرس أحيانا شركة أو مناصفة بين شخصين.

كذلك فقد أشار السخاوى إلى عبد الرحمن بن محمد أحمد بن البدرى الأبيارى الأصل القاهرى الشافعى الذى عرف بابن الامانة ولد فى خامس صفر سنة ثلاثة وعشرين (وثمانمائة) بخزانة البنود من القاهرة فحفظ ودرس حتى ولى تدريس الفقه الشافعى بالزنكلونية نيابة وبالشيخونة استقلالا بعد الشهاب الإبشيهى، وكان متين العقل كثير التودد حسن العشرة(٥٨٢).

وعلى بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن على القطبى القرشى القلقشندى الأصل القاهرى الشافعى، ولد فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانين (وثمانمائة) بالقاهرة فحفظ ودرس وأخذ، وبعناية الدوادار الكبير تغرى بردى المؤذى استقر فى تدريس الفقه بالشيخونية(٥٨٣).

ولم يذكر ابن ظهيرة من مدرسى فقه الشافعية بهذه الخانقاة غير شيخه محمد بن على بن يعقوب العلامة شمس الدين القاياتى قاضى القضاة الشافعى النحوى (٧٨٥ – ٨٥٠هـ) الذى برع – كما قال – فى الفقه والعربية ودرس الشافعى بالشيخونية[٥٨٤].

أما أبن العماد فقد ذكر من تراجم هؤلاء صدر الدين أبو المعالى بن ابراهيم بن اسحق السلمى المناوى ثم القاهرى الشافعى الذى نشأ فى حجر السعادة فحفظ ودرس حتى قام بالتدريس فى المدرسة الشيخونية[٥٨٥]، شمس الدين محمد بن على بن محمد بن يعقوب القاياتى (نسبة إلى بلدة قايات قرب الفيوم) ثم القاهرى الشافعى قاضى القضاة، تولى التدريس فى المدرسة الشيخونية وولى قضاء الشافعية بمصر[٥٨٦]، وقد أضاف على باشا مبارك إلى كل هؤلاء الشيخ بهاء الدين أحمد بن على السبكى[٥٨٧].

ومن هذه التراجم يتضح لنا أن فقه الشافعية بالشيخونية كان أحد الدروس التى حظيت بمجموعة هائلة من شيوخ المذهب منهم ضياء الدين القرمى الذى سمى بشيخ الشيوخ وبهاء الدين بن على السبكى وأخيه أحمد، وأحمد الإبشيهى الحلى وعبد الرحمن بن القطب القلقشندى وأخيه على وابن الأمانة وشمس الدين القاياتى وصدر الدين المناوى.

ومع كثرة عدد من وقفنا على تراجمهم ممن تولوا تدريس الشافعية بهذه الخانقاة فإننا لم نعثر فيما يتعلق بمدرسيها من الحنيفة إلا على ما ذكره على باشا مبارك حين قال أن صاحبها «أقام الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود (البابرتى) فى مشيخة الخانقاة وفى تدريس الحنفية بها[٥٨٨].

أما فيما يتعلق بمدرسى المالكية، فقد ترك لنا كل من ابن حجر والمقريزى والسخاوى وابن العماد تراجم بعضهم، فكان ممن ذكرهم ابن حجر : أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد الاسكندرانى، ولى الدين المالكى الذى استغل وهو صغير وتقرر فى بعض وظائف والده بعد موته كالشيخونية، ثم أدركه الموت بعد يسير فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين (وسبعمائة)[٥٨٩].

وخليل بن اسحاق بن موسى المالكى المعروف بالجندى وكان يسمى محمدا ويلقب ضياء الدين، شرع فى الاشتغال بعد شيخه وتخرج به جماعة ثم درس بالشيخونية، وأفتى وأفاد وكان حييا عفيفا نزها، مات فى ربيع الأول سنة سبع وستين (وسبعمائة)[٥٩٠].

ولم يذكر المقريزى – كما فعل فى فقه الشافعية إلا واحدا من مدرسى الفقه المالكى بهذه الخانقاة حين قال «وقرر (المنشئ) فى تدريس المالكية الشيخ خليل وهو متجند الشكل وله اقطاع فى الحلقــــة»[٥٩١]، وهى نفس الترجمة التى ذكرها على باشا مبارك وزاد عليها أنه صاحب المختصر[٥٩٢].

كذلك فقد ترك لنا السخاوى ترجمتان من تراجم مدرسى المالكية بالشيخونية هما أحمد بن محمد بن على الشهاب بن التقى الدميرى القاهرى المالكى الذى عرف بابن تقى وبابن أخت بهرام، ولد بفوة سنة خمس وثمانين (وثمانمائة) وانتقل إلى القاهرة مع والده فحفظ وأخذ حتى ولى لتدريس الشيخونية برغبة البساطى عقب موت الجمال الاقفهسى، مات فى شوال سنة ثلاث وأربين (وثمانمائة)[٥٩٣].

وعبادة بن على بن صالح بن عمرو الزين الأنصارى الخرزمى الزرازارى القاهرى المالكى، ولد فى جمادى الأولى سنة سبع وسبعين (وثمانمائة) بزرزار من قرى مصر، ثم انتقل إلى القاهرة فحفظ وسمع حتى درس للمالكية بالشيخونية بعد ابن تقى، مات فى سابع شوال سنة ست وأربعين (وثمانمائة) وصلى عليه بالأزهر ولم يخلف بعده فى المالكية[٥٩٤].

كذلك لم يذكر ابن العماد من مدرسى المالكية بالشيخونية إلا شمس الدين أبو عبد الله محمد بن غنام البساطى المالكى الذى ولد ببساط ثم انتقل إلى مصر (القاهرة) واشتغل بها كثيرا فى عدة فنون إلى أن ولى تدريس المالكية بالشيخونية[٥٩٥].

أما فيما يتعلق بمدرسى فقه الحنابلة فلم نعثر منهم إلا على من ذكرهم ابن الصيرفى والمقريزى والسخاوى وعلى باشا مبارك، فكان ممن ذكرهم ابن الصيرفى فى ذكره لحوادث رمضان

سنة (٨٧٦هـ) القاضى بدر الدين السعدى الذى قرأ على الشيخ تقى الدين الشمنى وشهاب الدين الآمدى وعبد السلام البغدادى الحنفى وشيخ مشايخ الإسلام ابن حجر والشرف المناوى ولازم العز الحنبلى إلى أن رقاه وصيره كبير النواب، وأخذ تدريس الشيخونية عن شيخه عز الدين (الحنبلى) قاضى القضاة بعد وفاته(٥٩٦).

وكان ممن ذكرهم المقريزى قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى (ولم يزد)(٥٩٧) وقد نقل ذلك عنه على باشا مبارك دون زيادة(٥٩٨).

أما من ذكرهم السخاوى من مدرسى الحنابلة بالشيخونية فمنهم عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن الشمس الذى عرف بالزركشى صنعه أبيه، ولد فى السابع عشر من رجب سنة ثمان وخمسين (وثمانمائة) بالقاهرة فحفظ ودرس إلى أن استقر فى تدريس الحنابلة بالشيخونية مع الإسماع بها، مات فى ثامن عشر صفر سنة ست وأربعين (وثمانمائة)(٥٩٩).

وأحمد بن نصر الله بن أحمد المحب بن السراج أبى حفص التسترى الأصل البغدادى المولد والدار نزيل القاهرة الحنبلى، ولد فى سابع عشر رجب سنة خمس وستين وسبعمائة ببغداد، ولما استقر بالقاهرة امتدح الظاهر برقوق بقصيدة فقرره فى تدريس الحديث بمدرسته ثم فى تدريس الفقه بها سنة خمس وتسعين، ثم ولى تدريس الشيخونية بعد العلاء بن المغلى، مات فى النصف من جمادى الأولى سنة أربع وأربعين (وثمانمائة)(٦٠٠)، وفى هذا ما يشير صراحة إلى أن تعيين المدرسين فى علوم الدين كان يتم بقصيدة مدح وكفى بذلك شاهدا.

مدرسو غير المذاهب بالخانقاة :

ينحصر ما أمكن الوقوف عليه من تراجم غير مدرسى المذاهب فى هذه الخانقاة ممن سبقت الإشارة إليهم فى مدرس الحديث والتفسير والقراءات والإسماع بالإضافة إلى إمام الخانقاة وخطيبها.

١ – مدرسو الحديث :

ترك لنا كل من ابن حجر والسيوطى والسخاوى بعض تراجم من تولوا تدرس الحديث بالشيخونية، فكان ممن ذكرهم ابن حجر «خليل بن عثمان الشيخ جمال الدين الروم الحنفى خطيب جامع شيخون وشيخ الحديث بخانكاهه ذكره المقريزى فيمن مات سنة اثنتين وستين (وسبعمائة) من الأعيان»[٦٠١].

وعبد الله الزولى الحنف الذى سمع على الدمياطى وابن الصواف وغيرهما، ونسخ بخطه الصحيحين وقدمهما لشيخو، فقرره فى تدريس الحديث بالشيخونية فكان أول من وليها، وقرره أيضا فى خطابة الجامع فباشرهما إلى أن مات، فاستقر فى تدريس الحديث (بعده) صدر الدين عبد الكريم القونوى، فسعى عليه كمال الدين محمد بن عبد الباقى السبكى بجاه قريبه الشيخ بهاء الدين بسبب أنه أحد الطلبة بالدرس وأن الواقف شرط أن لا يقدم أحد من الغرباء عليهم فاستقر بها ولم يحضر القونوى أصلا[٦٠٢].

ومحمد بن عبد الرحيم بن يحيى أبو البركات السبكى كمال الدين تفقه قليلا وعنى بالحديث وقرر مدرسا له بالشيخونية بعناية ابن عمته بهاء الدين السبكى، مات فى شوال سنة ست وسبعين (وسبعمائة)[٦٠٣].

وكان ممن ذكرهم السخاوى أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الشمس الشطنوفى الأصل القاهرى الشافعى ولد سنة سبع وتسعين (وثمانمائة) بالقاهرة فحفظ وكتب واشتغل إلى أن ولى تدريس الحديث بالشيخونية، مات فى صفر سنة خمس وخمسين (ولمانمائة) واستقر بعده (فى الشيخونية) الفخر عثمان المقسى نيابة واستقلالا[٦٠٤].

وعبد الرحمن بن أبى بكر بن ناصر الدين السيوطى الأصل الطولون الشافع الذى عرف بابن الأسيوطى، ولد فى رجب سنة تسع وأربعين (وثمانمائة) مطعونا مبطونا غريبا، وقدم السخاوى للصلاة عليه ودفن بحوش البيبرسية[٦٠٥].

وعثمان بن عبد الله بن موسى الحسينى (نسبة إلى منية أبى الحسين من الشرقية) القاهرى

المقسى الشافعى الذى عرف بالمقسى، ولد فى ذى القعدة سنة ثمان عشرة وثمانمائة واستنيب عن والده أخى زوجة ابن شيخه المناوى فى تدريس الحديث بالشيخونية، مات فى رجب سنة سبع وسبعين وثمانمائة ولم يخلف بعده فى حسن تقدير الفقه مثله[٦٠٦].

٢ – مدرسو التفسير:

لم نعثر من تراجم مدرسى التفسير بالشيخونية – فيما أمكن الاطلاع عليه من مصادر – إلا على ترجمة واحدة ذكرها السخاوى هى ترجمة شيخه إمام الإئمة الشهاب ابو الفضل الكنانى العسقلانى المصرى ثم القاهرى الشافعى الذى عرف بابن حجر، ولد فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر العتيقة ونشأ بها يتيما فى كنف أحد أوصيائه فاشتغل وحفظ حتى درس فى أماكن عدة كالتفسير بالشيخونية إلى أن توفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة[٦٠٧].

٣ – شيخ الإقراء ومدرسيه:

لم نعثر فى هذا الصدد أيضا إلا على ترجمتين ذكر إحداهما السخاوى لشيخ إقراء الخانقاة حبيب بن يوسف بن عبد الرحمن الزينى الرومى القجمى الحنفى الذى قرأ واشتغل وسمع وأن بالأشرفية ثم «استقر فى مشيخة القراء بالشيخونية وبالمؤيدية سنة اثنتين وأربعين (وثمانمائة)[٦٠٨].

وذكر ثانيتهما ابن حجر وتخص محمد بن على بن عبد الله اليمنى شمس الدين أبو القاسم، أقام بمصر مدة ملازما للقاضى عز الدين بن جماعة «ثم ولى درس القراءات بالشيخونية إلى أن وقع الخلاف بينه وبين الشيخ أكمل الدين البابرتى فخرج إلى الشام واستوطنها حتى مات فى المحرم سنة تسع وسبعين وسبعمائة[٦٠٩].

٤ – شيوخ الإسماع بالخانقاة:

ذكر السخاوى ترجمتين لشيخين من شيوخ الإسماع بالشيخونية أولاهما هى ترجمة رضوان بن محمد بن يوسف بن شيخه (شيخ السخاوى) العقبى، ولد فى رجب سنة تسع وستين وسبعمائة بمنية عقبة بالجيزة ونشأ بخانقاة شيخو فحفظ ودرس إلى أن «ولى مشيخة الإسماع

بالشيخونية بعد الزين الزركشى، مات فى رجب سنة اثنتين وخمسين بسكنه بتربة قجماس ودفن بها»[٦١٠].

والثانية هى ترجمة ابن رضوان العقبى المشار إليه المسمى عبد الرحمن الذ ولد سنة أربع وثلاثين وثمانمائة بتربة قجماس أيضا، ونشأ بها فى كنف أبيه فحفظ وعرض إلى أن مات ابوه فأضيفت إليه جهاته كالإسماع فى الشيخونية، مات فى جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة[٦١١].

٥ – إمام الخانقاة وخطيبها:

أشار السخاوى إلى ترجمتين فى هذا الصدد أيضا تتعلق أولاهما بإمام الخانقاة أحمد بن محمد بن موسى بن الشمس القاهرى الصوفى الحنفى إمام الشيخونية وابن إمامها الذى عرف بابن إمام الشيخونية، مات فى جمادى الثانية سنة إحد وتسعين (وثمانمائة) بعد أبيه بقليل»[٦١٢].

وتتعلق الثانية بخطيبها محمد بن أحمد بن ابراهيم بن حزم الأذرعى الأصل القاهرى ولد سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بدمشق فحضر وسمع وأخذ إلى أن ولى مشيخة الجامع الجديد بمصر وخطابة الشيخونية حتى مات فى ذى القعدة سنة خمس وثمانمائه[٦١٣].

ثانيا: الوظائف الخدمية:

انحصر ما عثر عليه من تراجم أصحاب الوظائف الخدمية بهذه الخانقاة فى ناظر الوقف وأحد عدول الباب والخادم والسقاء.

١ – ناظر الوقف:

أشار على باشا مبارك فى خططه إلى ناظر وقف هذه الخانقاة حين قال «وأقام (أى المنشئ) الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود (البابرتى) فى مشيخة الخانقاة وتدريس الحنيفة وجعل إليه النظر فى أوقافها[٦١٤].

٢ – أحد عدول الباب :

ذكره السخاوى فى ضوئه حين قال «حسن بن على بن محمد البدر البهوتى القاهرى المالكى نزيل مدرسة السلطان حسن بالرملية وأحد العدول على باب خانقاة شيخو، ولد سنة خمس وسبعين وسبعمائة بالقاهرة ونشأ بها يتيما فاشتغل وسمع وحدث ومات فى عيد النحر سنة خمس وأربعين وثمانمائة رحمه الله»[٦١٥].

٣ – خادم الخانقاة :

أشار السخاوى إلى أحد خدم هذه الخانقاة فى ضوئه حين قال «أحمد بن اينال شهاب الدين الحنفى خادم الشيخونية، مات فى ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين (وثمانمائة) واستقر عوضه فى الخدمة أبو الطيب السيوطى ولم يلتفت لولده»[٦١٦].

٤ – سقاء الخانقاة :

ذكره السخاوى بقوله «ريحان الزنجى الحلبى ذكر بالخير والدين وأنه كان يتعاطى حلق رؤوس الأكابر من الأمراء وغيرهم (يعنى حلاق) ويسقى الماء بطاسة بين العشاءين بخانقاة شيخو سنين إلى أن استقر به الأشرف قايتباى بالسبيل الذى أنشأه بزيادة جامع ابن طولون، مات فى ذى الحجة سنة عشر بمكة ودفن بالمعلاة»[٦١٧].

٤ – صوفية الخانقاة ونزلائها :

كان لهؤلاء كما يقول على باشا مبارك وغيره من الباحثين المحدثين «مساكن أرضية فوقها مساكن علوية يسكنها جميعا جماعة من صوفية الأتراك ولهم مرتبات كافية وشيخ يقرأ لهم الدروس باللغتين التركية والعربية»[٦١٨] وقد ترك لنا كل من السخاوى وابن حجر وعلى باشا مبارك بعض تراجم صوفية هذه الخانقاة ودارسيها، فكان ممن ذكرهم السخاوى أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان بن المحب الطوخى الأصل القاهرى الشافعى سبط النور الفوى خطب جامع الفاكهى، ولد تقريبا سنة ثمان وثمانمائة فحفظ ودرس وعرض واقتصر على ما باسمه من مرتبات ووظائف كالتصوف بالشيخونية حتى مات فى جمادى الأولى سنة تسعين (وثمانمائة)[٦١٩].

وعبد الرازق بن أحمد بن أبى بكر البقلى (لسكناه بزاوية على البقلى) القاهرى الحنفى أحد صوفية الشيخونية ولد سنة خمس وأربعين (وثمانمائة) فحفظ وجود حتى قدم عل غيره فى تدريس القراءات بالبرقوقية بعد أبى الفضل بن أسد(٦٢٠).

وعمر بن عبد الرحمن بن يوسف السراج الأنصارى الشافعى البسطامى كان رأس صوفية الشافعية بخانقاة شيخو متقدما فى الفرائض والحساب إلى أن مات فى سنة تسع وعشرين (وثمانمائة)(٦٢١)، ويعنينا من هذه الترجمة ما ذكره السخاوى بقوله كان رأس صوفية الشافعية بخانقاة شيخو «لأن فى هذا ما يعنى أن صوفية الخانقاة كان لهم رأس أو متقدم، ربما كان عمله ذا شقين يختص أولهما بالعلاقات بين الصوفية بعضهم وبعض وحل ما قد ينشأ بينهم من مشكلات، ويختص ثانيهما بالعلاقة بين الصوفية وبين أولى الأمر فى الخانقاة فيكون رأس الصوفية بذلك هو حلقة الوصل بين الإثنين فى كل ما يعن للطرفين من أمور تجاه الآخر.

أما عن الدارسين بهذه الخانقاة فقد ترك لنا ابن حجر والسخاوى وعلى باشا مبارك بعض تراجمهم، فكان ممن ذكرهم ابن حجر حرمى بن هاشم بن يوسف الفاقوسى العامرى الفقيه الشافعى وكيل بيت المال، قرأ على الباجى والسيف البغدادى ومهر فى الفقه، كان طويلا رقيقا لازم الاشتغال مع الشيخونية حتى مات فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين (وسبعمائة)(٦٢٢).

وممن ذكرهم السخاوى عبد الباسط بن خليل بن ابرهيم القاهرى، ولد سنة أربع وثمانين وسبعمائة بدمشق ونشأ فى خدمة كاتب سرها البدر بن موسى ثم قدم إلى مصر بعد مقتل الناصر فرج، فلما تسلطن المؤيد شخ أعطاه نظر الخزانة والكتابة بها فلازم النجم القرمى فى العربية والمعانى والبيان، كما لازم الشرف يونس الرومى نزيل الشيخونية فى المنطق والحكمة والكلام، وبرع فى المباشرات بالشيخونية والأشرفية والمؤيدية والصلاحية وأثنى على مباشراته وشدة ضبطه ونزاهة قلمه حتى مات فى ذى القعدة سنة تسع وثمانين (وثمانمائة)(٦٢٣)، ويعنينا فى هذه الترجمة ما تشير إليه من أن الخانقاة كانت تشمل على دروس فى المنطق والحكمة والكلام إل جانب دروس الفقه والتصوف ونحوها، وهو ما يشير إلى سعة دائرة البحث والدراسة فى هذه الخانقاوات بما يثبت أنها كانت مدارس علم لمختلف أنواع العلوم الشرعية واللغوية والفلسفية ونحوها.

ومن ذكرهم السخاوى أيضا من دارسى هذه الخانقاة عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن هاشم الزين أبو هريرة التفهنى ثم القاهرى الحنفى، ولد سنة أربع وستين وسبعمائة بتفهنا بالقرب من دمياط، ثم قدم إلى القاهرة فتنزل بعناية أخيه فى مكتب الأيتام بالصرغتمشية ثم ترقى إلى عرافتهم وحفظ ولازم حتى صار من أفاضل طلبة الشيخونية حين كان الكمال شيخها يجلس ثانى من يجلس عن يمينه فى الدرس والتصوف إلى أن قرر فى مشيخة الشيخونية بعد السراج قارئ الهداية وانفصل عنها بالصدر بن العجمى واستمر قاضيا إلى أن مرض وطال مرضه ولم يلبث أن مات ى شوال سنة خمس وثلاثين (وثمانمائة)(٦٢٤).

وقد رتب المنشئ لهؤلاء الدارسين - كما يقول على باشا مبارك - فى اليوم اللحم والطعام والخبز، وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون(٦٢٥).

أما فيما يتعلق بنزلاء الخانقاة فإن ما أمكن الوقوف عليه من تراجمهم ينحصر فيمن ذكرهم السخاوى وابن تغرى بردى والجبرتى، فكان ممن ذكرهم السخاوى أحمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله اليمانى الأصل الرومى الزاهد نزيل الشيخونية الذ عرف بابن عرب، أصله من اليمن ثم انتقل أبوه منها إلى بلاد الروم فسكنها، وولد له صاحب الترجمة، فنشأ بمدينة برصا ثم قدم وهو شاب إلى القاهرة، وتنزل فى القاعة التى استجدها أكمل الدين البابرتى صوفيا بالشيخونية وكان الناس يبيتون بالخانقاة رجاء رؤيته، وأقام على هذه الطريقة أكثر من ثلاثين سنة، وكراماته كثيرة، مات فى ربيع الأول سنة ثلاثين (وثمانمائة) وتقدم العينى للصلاة عليه فى الرميلة وأعيد إلى الخانقاة فدفن بها بجوار شيخها الأكبر أكمل الدين المشار إليه(٦٢٦).

ومنهم أحمد بن ابى بكر بن اسماعيل بن سليم بن قايماز الكتانى البوصيرى القاهرى الشافعى، ولد فى المحرم سنة اثنتين وستين وسبعمائة بأبى صير من الغربية وتنزل فى صوفية الشيخونية ثم المؤيدية، مات فى المحرم عام أربعين (وثمانمائة) بالحسينية ودفن بتربة طشتمر الدوادار(٦٢٧).

وأحمد بن عبد الله بن محمد الشهاب القلع المصرى الحنبلى نزيل مكة الذى عرف بشيخ المنبر، تردد على القاهرة مرارا وتنزل فى الشيخونية حتى مات بها فى رمضان سنة اثنتين وثمانين

(وثمانمائة) ودفن من غده[٦٢٨].

وأحمد بن محمد بن صالح الشهاب الحلبى ثم القاهرى الحنفى نزيل الشيخونية الذى عرف بابن العطار، انتمى للزين التفهنى وأخذ عنه الفقه وغيره وتنزل بالصرغتمشية والشيخونية واستمر مقيما بالقاهرة يدرس ويحدث إلى أم مات رحمه الله[٦٢٩].

وأحمد بن محمد بن على بن عبد الدايم بن رشد الدين الشهاب السلمى المنصورى الشافعى ثم الحنبلى الذى عرف بالمنصورى، ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة بالمنصورة، ثم انتقل إلى القاهرة وتنزل فى حنابلة الصوفية بالشيخونية إلى أن مات فى جمادى الثانية سنة سبع وثمانين (وثمانمائة[٦٣٠].

وأحمد بن محمد بن يوسف بن سلامة بن ناصر الدين الشافعى الذى عرف بالعقبى، ولد سنة ثمان وستين وسبعمائة بمنية عقبة ثم انتقل إلى القاهرة واشتغل وقرأ وحضر وتنزل فى صوفية الشيخونية حتى مات فى ذى الحجة سنة إحدى وستين (وثمانمائة)[٦٣١].

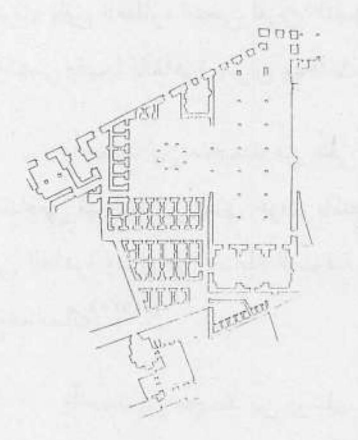
وحسين بن زيادة بن محمد البدر الفيومى الأزهرى الحنفى نزيل خانقاة شيخو، ولد سنة ثمان وستين وسبعمائة بالفيوم ثم انتقل أبوه إلى القاهرة فقرأ واشتغل وسمع جزءا من آخر السيرة لابن هشام على النور الفوى بخانقاة شيخو[٦٣٢].

وممن ذكرهم ابن تغرى بردى أحمد بن ابراهيم بن محمد اليمنى الأصل، البرصاوى المولد والمنشأ (نسبة إلى برصا أو بروسة فى آسيا الصغرى)، المصرى الدار والوفاة الحنفى الشهير بابن عرب، أحد أفراد الدنيا فى الزهد والورع والعبادة، نزيل الخانقاة الشيخونية وأحد الصوفية بها توفى فى ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة وحضر الملك الأشرف برسباى للصلاة عليه ثم أعيد إلى الخانقاة الشيخونية بالصلبية فدفن بها[٦٣٣].

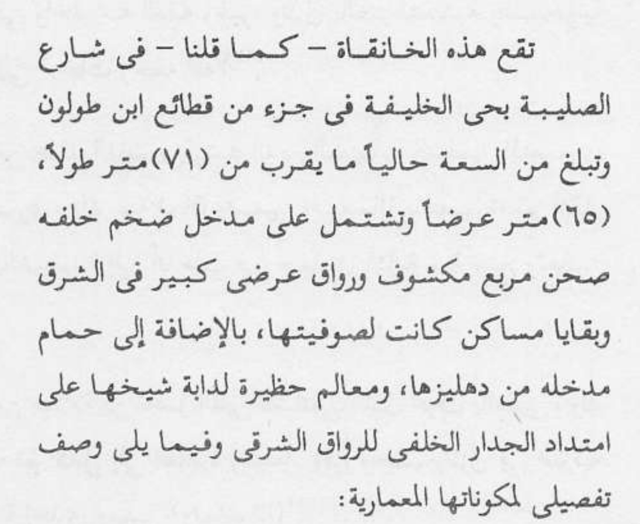
أما الجبرتى فقد أشار فى حوادث شهر صفر سنة (١٢١٨هـ) فى معرض حديثه عن مقتل طاهر باشا الوالى إلى أنه لو طال عمره لأهلك الحرث والنسل .. كان فيه هوس وانسلاب وميل للمجاذيب والدراويش حتى أنه عمل له خلوة بالشيخونية كان يبيت فيها كثيراً ويصعد مع الشيخ

عبد الله الكردى إلى السطح فى الليل ويذكر معه ثم سكن هناك بحرية[٦٣٤].

٦ – وصف الخانقاة : (أنظر لوحة : ١٤)



لوحة ١٤ : الخانقاة الشيخونية – أثر رقم ١٥٢ (٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) – مسقط أفقى



تقع هذه الخانقاة – كما قلنا – فى شارع الصليبة بحى الخليفة فى جزء من قطائع ابن طولون وتبلغ من السعة حالياً ما يقرب من (٧١) متر طولاً، (٦٥) متر عرضاً وتشتمل على مدخل ضخم خلفه صحن مربع مكشوف ورواق عرضى كبير فى الشرق وبقايا مساكن كانت لصوفيتها، بالإضافة إلى حمام مدخله من دهليزها، ومعالم حظيرة لدابة شيخها على امتداد الجدار الخلفى للرواق الشرقى وفيما يلى وصف تفصيلى لمكوناتها المعمارية:

أ – الواجهة الرئيسية والمدخل :

تقع هذه الواجهة فى الضلع الشمالى للخانقاة ويبلغ طولها (٨١,٥٠) متر وتتكون من جزئين أولهما طوله (٧١,٥٠) متر وثانيهما طوله (١٠) متر ويبرز ثانيهما عن أولهما بمقدار (٣,٥٠) متر ويضم القسم الأول من الواجهة حنية المدخل الرئيسى وثمان دخلات رأسية مستطيلة ضحلة ترتفع كل منها إلى أعلا جدار الواجهة حيث تنتهى بثلاثة صفوف من المقرنصات وتحتوى هذه التجاويف عل صفين من الشبابيك يرتفع السفلى منها عن الطريق بمقدار (٥٠,) متر ويشتمل على فتحات ذات أعتاب مزررة وعقود عاتقة، أما العلوية فهى عبارة عن شبابيك قندلية ترتكز على أعمدة من الرخام غطيت من الخارج بمصبعات خشبية، أما القسم الثانى من الواجهة فيضم ثلاثاً من هذه الدخلات الرأسية المتشابهة لدخلات القسم الأول. وتبدأ هذه الدخلات من الجانب الغربى للواجهة بدخلة عمقها (٢٣,) متر تنتهى من أعلا قرب الحافة العليا بحطتين من المقرنصات، ووجد بها من أسفل شباك مستطيل الشكل به أرماح ومخرزات نحاسية، ويعلو الشباك عتب حجرى مزرر فوقه عقد عاتق مكون من صنجات معشقة، ثم يعلو هذا الشباك المستطل نافذة

مربعة الشكل تقريباً ذات إطار خشبى بها أرماح ومخرزات حديدية. تعلوها قندلية تتكون من نافذتين مستطيلتين كل منهما ذات عقد نصف دائرى يحمله عمودان رخاميان دائريان، ويعلو العمود الأوسط قمرية دائرية، ويزين كل من النافذتين والقمرية زخارف جصية لوحدات زخرفية هندسية[٦٣٥].

ويلى الدخلة الأولى من الناحية الشرقية دخلة ثانية بها مدخل رئيسى عمقها (٢,١٠) متر ذات عقد ثلاثى الفصوص ملئت طاقيته بمقرنصات بدعة تكتنفه مكسلتان حجريتان طول كل منهما (٢,١٥) متر وعرضها (٦٠,) متر وارتفاعها (١,١٠) متر كان يزين كلا منهما أفاريز رخامية بارزة خالية من أية زخارف، وتنتهى هذه الدخلة بعقد ثلاثى الفصوص تزنه زخارف لمقرنصات غائرة ذات دلايات.

أما المدخل نفسه فعرضه (٢,١٠) متر به باب خشبى ذو مصراعين عليه شريطان من النحاس أحدهما فى أعلا الباب والآخر فى أسفله خاليان من الزخارف فيما عدا إطارى كل منهما العلوى والسفلى الذى يتزين بوحدة زخرفية مكررة لورقة ثلاثية الفصوص.

ويعلو هذا المدخل عتب حجرى من البازلت الأسود به بعض الكتابات المصرية القديمة (الهيروغليفية) فوقه لوحة تأسيسية من الرخام الأبيض طولها (٢,١٠) متر وعرضها (٧٠,) متر ذات كتابات نسخية بارزة من ستة أسطر نصها :

سطر١ : بسم الله الرحمن الرحيم. فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله[٦٣٦] أمر بإنشاء هذا المكان

سطر٢ : المبارك والموطن الذى ساهم العمل فيه النية وشارك العبد الفقير إلى ربه جلا وعلا وتبارك المغترف من بحر نواله المعترف من أفضاله بكل لطف تدارك الأمير شيخون.

سطر٣ : العمرى الناصرى عمره الله ببقائه ونصره وضاعف أسباب ثوابه وأجره وعوضه بقصور الجنان بعد امتداد عمره وتقبل أعماله الصالحة فى سر القول وجهره وجمله

سطر ٤ : خالصاً لوجهه جائزا به على الصراط المستقيم يوم معاده وحشره تقرب به إلى ربه احتساباً وإيماناً وابتغى به عند ربه فوزاً وغفراناً وآوى به كل أشعث أغبر لو أقسم

سطر ٥ : على الله لأبره فأولاه إحساناً وجمع به قوما كفاهم هَمّ المؤونة فكفاه الله شر يوم الفزع الأكبر ولقاه أمانا يواصلون العمل بالعلم ويقطعون الليل تسبيحاً وقرآنا (Sic)

سطر٦ : تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وكان ابتداء الشروع فيه فى شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبعمائة والفراغ منه ومما حواه فى شهر شوال من السنة المذكورة(٦٣٧).

وعلى يمين ويسار هذه اللوحة صنجات مزررة يعلوها نافذة مستطيلة الشكل ذات إطار خشبى به أرماح ومخرزات نحاسية يحيط بها عمودان دائريان يقوم كل منهما على كابولى حجرى يحملان كورنيشا مكونا من حطتين من المقرنصات.

هذا وعلى جانبى المدخل يوجد إفريز غائر نقشت فيه بخط النسخ البارز كتابات نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى جنات وعيون، ادخلوها بسلام آمنين، ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين، نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم، صدق الله العظيم»(٦٣٨).

وإلى الشرق من دخلة المدخل توجد دخلة ثالثة تشبه تماماً الدخلة الأولى من حيث التكوين المعمارى وما بها من نوافذ وشبابيك وزخارف، يجاورها فى الشرق نافذتان صغيرتان مربعتا الشكل لكل منهما إطار خشبى به أرماح ومخرزات حديدية.

ويلى هذه الدخلة الثالثة دخلة رابعة تشبه الدخلتين الأولى والثالثة إلا أن العمود الأوسط من أعمدة القندلية ذو شكل حلزونى مضلع، وفيما بين الدخلتين الثالثة والرابعة من الناحية الغربية توجد نافذتان مربعتا الشكل لكل منهما إطار خشبى به أرماح ومخرزات حديدية، إلى الشرق منهما يوجد شباكان مستطيلان يعلو كل منهما نافذتان مربعتان، وبكل من الشباكين والنافذتين أرماح ومخرزات حديدية متقاطعة، كما يعلو النافذتين ثلاث نوافذ أخرى بالعلويتين أرماح ومخرزات

حديدية، أما السفلية فقد استعيض فيها عن الأرماح والمخرزات بألواح خشبية.

وإلى الشرق من الدخلة الرابعة توجد دخلة خامسة تشبه الدخلات السابقة إلا أنه يوجد بين هاتين الدخلتين الأخيرتين مدخل عرضه (١,٠٥) متر يعلوه عقد فارسى مدبب فوق زاويته توجد نافذة مربعة ذات إطار خشبى به أرماح ومخرزات حديدية، ويلى هذه الدخلة الأخيرة أربع دخلات أخرى تتشابه مع باقى الدخلات السابق الإشارة إليها فى هذه الواجهة.

وتنكسر الواجهة بعد الدخلة الأخيرة ناحية الشمال إلى مسافة (٦,٥٠) متر حيث توجد بها دخلة أخرى تتشابه أيضاً مع كل الدخلات المشار إليها، ثم تعود الواجهة فتتجه ناحية الشرق حيث توجد دخلتان تتشابهان تماماً مع ما سبق ذكره من دخلات، ويمتد على طول هذه الواجهة أسفل مقرنصات الدخلات شريط من كتابات نسخية بارزة نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده () حفظهما وهو العلى العظيم، لا إكراه فى الدين قد تبن الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد (استمسك) بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم، الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[٦٣٩] لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدو ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير، آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين[٦٤٠] الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء وضرب الله الأمثال للناس والله بكل

شئ عليم، فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة[٦٤١]، وتنتهى الحافة العليا لهذه الواجهة بوحدة مكررة لشريط من شرافات مسننة.

ب – دركاة المدخل والممر:

يؤدى مدخل الخانقاة المشار إليها إلى دركاة مستطيلة الشكل طولها (٤,٧٠)متر وعرضها (٣,٩٥) متر أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى فى صدرها مصطبة طولها (٣,٣٠) متر وارتفاعها (٦٥,) متر وعمقها (عرضها) (١,٦٠) متر، ويغطى هذه الدركاة سقف من أقبية متقاطعة، وفى جدارها الشرقى مدخل عرضه (١,٧٥) متر ذو عقد مدبب يحيط به جفت لاعب ذو ميمات دائرية، ويفضى هذا المدخل إلى ممر منكسر ذو اتجاهين يتجه أولهما ناحية الشرق بطول (٣,٤٥) متر ويتجه ثانيهما ناحية الجنوب بطول (١٢,٢٠) متر، وعلى يسار الإتجاه الأول من هذا الممر توجد قاعة مستطيلة الشكل ذات سقف خشبى مجدد فى جدارها الشمالى شباك سبق ذكره فى الدخلة الثالثة من الواجهة.

أما الاتجاه الثانى لهذا الممر المنكسر ففيه بالجدار الغربى ثلاثة أبواب متشابهة كل منها عبارة عن فتحة عرضها (١,٢٠) متر يعلوها عقد فارسى مدبب يؤدى المدخل الأول منها إلى ممر مستطيل مغطى بقبو طولى مبنى بالطوب الأحمر، ويبدأ هذا الممر مما يلى الباب برحبة سماوية وينتهى ببابين أحدهما فى نهاية الجدار الشمالى عرضه (١,٢٥) متر يؤدى إلى إيوان مستطيل الشكل طوله (٧,٢٥) متر وعرضه (٤,٦٥) متر يتقدمه من الناحية الجنوبية عمودان رخاميان دائريان يقوم كل منهما على قاعدة مختلفة تاج الشرقى منهما على شكل ورقة الأكنش وتاج الغربى على شكل زهرة اللوتس.

أما فى الجدار الشرقى فيوجد شباك مستطيل عمقه (١,١٠) متر تعلوه نافذة سبقت الإشارة إليها عند الحديث عن الدخلة الأولى من الواجهة، ويغطى هذا الإيوان سقف من كتل خشبية كان مزخرفاً بطريقة المربوعات إلا أنه بحالة سيئة ولم يبق من زخارفه شئ، ويتقدم هذا الإيوان استطراق سماوى فى منتصفه تغطيه من الجانبين الشرقى والغربى كتل خشبية على هيئة مربوعات،

هذا وفى الناحية الجنوبية من الجدار الغربى توجد فتحة باب عمقها (٨٠ر) متر مسدودة بسدة حديثة.

ويؤدى الباب الثانى من أبواب المعر إلى سلم يتجه فى انكساره الأول ناحية الغرب ثم ينكسر فى اتجاهه الثانى ناحية الجنوب ثم ناحية الشرق ثم ناحية الشمال حيث توجد نافذة مربعة الشكل تقابل الممر المؤدى إلى داخل الخانقاة، ثم اتجاهين ناحية الغرب والجنوب حيث يوجد فى الأخير شباكان مستطيلان أحدهما مسدود والآخر مرمم، ثم اتجاهين ناحية الشرق والغرب حيث يؤدى الأخير إلى رحبة مستطيلة الشكل فى جدارها الغربى نافذة مربعة بها مصبعات خشبية، وفى جدارها الشرقى من الناحية الجنوبية مدخل عرضه (٨٥ر) متر يؤدى إلى ممر مستطيل يغطيه سقف حديث به فى الجدار الجنوبى نافذة صغيرة مستطيلة يليها دورتا مياه صغيرتان، ثم مدخل ثان فى الناحية الشمالية عرضه (١ر٥٠) متر يصعد منه بست درجات إلى بسطة مستطيلة فى جدارها الشرقى نافذة مستطيلة الشكل وفى جدارها الشمالى مدخل عرضه (١ر١٠) متر ذو عتب مستو يؤدى إلى حجرة مستطيلة فى جدارها الشرقى شباك مقسم إلى قسمين بالسفلى منهما أرماح ومخرزات حديدية وبالعلوى مصبغات خشبية متقاطعة.

وفى الجانب الشرقى من جدارها الجنوبى نافذة مستطيلة بها مصبغات خشبية متقاطعة، ويغطى هذه الحجرة سقف خشبى مجدد، أما جدارها الشمالى فبه فتحة عرضها (٢ر٧٠) متر تؤدى إلى دخلة ذات قبو اسطوانى يزينها إفريزان حجريان فى كل من الجانبين الشرقى والغربى، وفى جدار هذه الرحبة الشمالى توجد فتحة عرضها (١ر٥٠) متر تؤدى إلى رحبة ثانية مربعة الشكل فى جدارها الغربى شباك مستطيل به مصبغات خشبية عريضة، وعلى جانبى هذا الشباك فى الشمال والجنوب توجد دخلتان متشابهتان عمق كل منهما (٥٠ر) متر وعرضها (٧٠ر) متر.

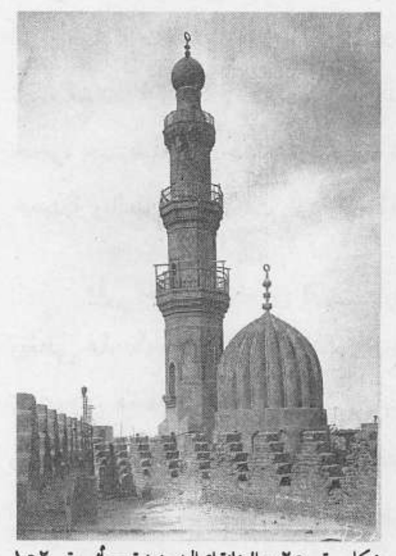
وفى الجدار الشمالى لهذه الرحبة يوجد مدخل آخر عرضه (١ر٦٠) متر يؤدى إلى حجرة مستطيلة ذات سقف عبارة عن كتل خشبية كان يزين وجوهها الثلاثة المرئية ويزين ما بينهما من مربوعات زخارف ملونة نباتية وهندسية، هذا ويحيط بأعلا جدران هذه القاعة أسفل السقف إفريز خشبى كانت تزينه زخارف تشبه زخارف السقف، أما فى جانب هذا السقف الشرقى فيوجد منور للتهوية والإنارة، وفى جدار هذه القاعة الشمالى توجد القندلية التى تعلو الشباك السابق وصفه

بالدخلة الأولى من الواجهة.

وفى النهاية الغربية لجدارها الجنوبى يوجد مدخل عرضه (٥٠ر١) متر يعلوه شباك من مصبعات خشبية يؤدى إلى قاعة ثانية مستطيلة الشكل أصغر حجماً من هذه القاعة، فى جدارها الشرقى يوجد شباك يشبه تماماً الشباك الذى سبق وصفه بالجدار الغربى للرحبة الثانية.

وينتهى السلم باتجاهين أحدهما شرقى والآخر غربى يؤديان إلى رحبة مستطيلة فى جدارها الشرقى مدخل صغير عرضه (١) متر يؤدى إلى حجرة صغيرة فى جدارها الغربى شباك مستطيل الشكل، ثم يصعد من الجانب الشمالى لهذه الرحبة إلى امتداد السلم حيث اتجاهين يؤدى الأخير منهما إلى السطح حيث المئذنة.

جـ – المئذنة : (أنظر شكل : ٢٥)


شكل رقم ٢٥ : الخانقاة الشيخونية – أثر رقم ١٥٢ (٧٥٧هـ / ١٣٥٥م) القبة و المئذنة

تقوم هذه المئذنة على قاعدة مستطيلة طولها (٣٠ر٤) متر وعرضها (٦٠ر٣) متر فوقها منطقة انتقال حولت المستطيل إلى مثمن بنى عليه بدن المئذنة التى تتكون من ثلاث دورات، الأولى مثمنة الأضلاع يزين كل ضلع منها وحدة زخرفية مكررة عبارة عن منطقة غائرة مربعة الشكل من أسفل تعلوها منطقة مستطيلة بنفس الغور ذات عقد فارسى مدبب، ويزين كلا من المنطقتين وحدات زخرفية نباتية لأوراق مكررة ثلاثية الفصوص وأنصاف مراوح نخيلية، هذا وفى ضلع هذه الدورة الشمالى توجد فوق المدخل شرفة بارزة تتكون زخارفها من ثلاث حطات من المقرنصات، ويعلو هذه الدورة أسفل أفاريزها الحجرية الثلاثة التى استعيض عنها بالمقرنصات شريط لكتابات نسخية نصها فى أضلاع الدورة الثمانية كما يلى:

ضلع ١ – بسم الله الرحمن الرحيم.

ضلع ٢ – وأذن فى الناس بالحج يأتوك

ضلع ٣ – رجالا وعلى كل ضامر

ضلع ٤ – يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا

ضلع ٥ – منافع لهم ويذكروا اسم

ضلع ٦ – اسم () الله فى أيام معلومات على ما رزقهم

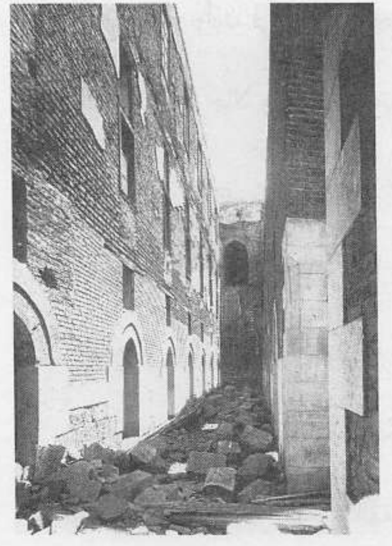
ضلع ٧ – من بهيمة الأنعام فكلوا منها

ضلع ٨ – وأطعموا البائس الفقير[٦٤٢].

أما الدورة الثانية للمئذنة فهى ذات بدن مثمن الأضلاع أيضاً إلا أنها خالية من الزخارف فيما عدا حطتين من خطوط رأسية متجاورة ومتوازية، ويعلو هذه الدورة الثانية جوسق سداسى البدن تعلوه حطة من المقرنصات كل واحدة منها أشبه بعقد ثلاثى الفصوص، ويلى الجوسق رقبة المئذنة وهى ذات بدن اسطوانى تقوم فوقه قلة بصلية الشكل كان يعلوها هلال نحاسى، والحقيقة أن هذه المئذنة مبنية كلها بالحجر خلافا لما عرف من مآذن المماليك البحرية.

وينتهى الممر المذكور المفضى إليه من الدركاة فى الناحية الجنوبية بجزء متخرب إلا أن فى جداره الشرقى مدخلان أولهما عرضه (١,٦٥) متر يفضى إلى الباب المؤدى إلى صحن الخانقاة، ويغطيه سقف نصف اسطوانى، وثانيهما عرضه (١,٢٠) متر يعلوه عقد نصف دائرى يؤدى إلى سلم يفضى بعد خمسة انكسارات إلى مدخل عرضه (١,١٠) متر ذو عتب مستو يؤدى إلى ممر مستطيل عرضه (١,٢٠) متر على جانبيه توجد مجموعة الخلوات.

د – خلوات الصوفية : (أنظر شكل : ٢٦)


شكل رقم ٢٦ : الخانقاة الشيخونية خلوات الصوفية

تتكون خلوات الصوفية التى تقع بالجهة الجنوبية الخلفية للخانقاة فى ثلاثة طوابق من ثلاث وحدات سكنية تقع أولاها فى أقصى الجنوب من ثلاث خلوات فردية كل منها ذات شكل منحرف، وتتكون ثانيتها من خمس خلوات حبيس مزدوجة كل منها ذا شكل مستطيل، وتتكون ثالثتها من ثلاثة أدوار فى الأرضى منها عشر خلوات حبيس مزدوجة فى قسمين، وفى كل من الدورين الثانى والثالث عشر خلوات متقابلة بينها ممر مسقوف، بالإضافة إلى ست خلوات تطل على الصحن منها اثنتان فى الجهة الشمالية وأربع خلوات فى الجهة الغربية. وتفصيلاً لهذا الوصف يمكن القول أنه على محور المدخل المشار إليه (المدخل الثالث بالممر) يوجد مدخل آخر عرضه (٨٠ر) متر يفضى إلى دورتى مياه وحمام، وعلى جانبى هذا الممر توجد خمس عشرة خلوة متشابهة، كل منها عبارة عن حجرة مستطيلة طولها (٢٫٦٠) متر وعرضها (٢٫٤٠) متر ذات سقف من عروق خشبية بكل منها شباك مستطيل الشكل عرضه (٨٠ر) متر به من أسفل أرماح ومخرزات حديدية ومن أعلى أرماح ومخرزات نحاسية، ثم دخلة ثانية عمقها (٣٠ر) متر وعرضها (٧٥ر) متر كانت تستخدم كتبية لحفظ متعلقات الصوفى القاطن فيها.

ومعنى ذلك أنه يوجد على كل جانب من جوانب هذا الممر سبع خلوات إلا أن الخلوة الشرقية فى جانبه الشمالى تتداخل مع خلوة أخرى تقع إلى الشرق منها وهى الخلوة الخامسة عشر.

وفى الجانب الغربى من هذا الممر يوجد ممر آخر فى بدايته من الناحية الجنوبية مدخل عرضه (٧٠ر) متر يؤدى إلى حجرة صغيرة يغلب على الظن أنها كانت دورة مياه فى جدارها الغربى نافذة مستطيلة الشكل، أما الجانب الشرقى من هذا الممر فبه مدخل ثالث عرضه (١٫١٠) متر يؤدى إلى خلوة تطل على الصحن ذات شكل مستطل تشبه الخلوات السابق وصفها فى الممر

الأول، تليها من الناحية الشمالية خلوة تشبه الخلوة الأولى فى الركن الغربى من جدارها الشمالى مدخل عرضه (٩٠ر) متر يؤدى إلى خلوة ثالثة.

ويؤدى هذا الممر إلى سلم من أربع درجات يصعد منها إلى استمرار لهذا الممر جانبه الغربى عبارة عن مصبعات خشبية تطل على الفتحة الثانية التى تعلو مدخل الدركاة، وعلى يمين هذا الممر توجد خلوة رابعة ينزل إليها بأربع درجات من سلم فى مواجهته مدخل يؤدى إلى خلوة خامسة عرضه (٩٠ر) متر وخلوة سادسة أكبر حجماً من الخلوات السابقة يطل شباكها فى الجدار الشمالى على الشارع ويطل شباكها فى الجدار الجنوبى على المنور المشار إليه.

ويجاور الخلوة الرابعة من الشمال خلوة سابعة تشبهها تماماً تليها خلوة ثامنة بها شباكان يطل الكبير منهما على الصحن ويطل الصغير على الشارع، ويهبط من الركن الشمالى الشرقى لهذه الخلوة بثلاث درجات تؤدى إلى مدخل عرضه (٨٠ر) متر يفضى إلى خلوة تاسعة بها أربعة شبابيك تطل على الشارع اثنان سفليان كبيران يعلوهما اثنان علويان صغيران وفى جدارها الجنوبى شباك خامس يطل على الصحن.

ويستمر السلم حتى يؤدى بعد خمسة انكسارات عبر مدخل عرضه (١٠ر١) متر إلى خلوات الدور الثانى، وتنقسم هذه الخلوات إلى قسمين يعلو الأول منهما الخلوات الخمسة عشر المشار إليها بالدور الأول، ويضم أربع عشرة خلوة بنفس النظام المعمارى، أما القسم الثانى فيقع فى الناحية الغربية فوق القسم الثانى من خلوات الدور الأول ويتكون من حمام فى ناحيته الجنوبية وخلوة صغيرة فى الجانب الجنوبى من جداره الغربى تعلو الحجرة الصغيرة التى أشير إليها بالدور الأول على أنها ربما كانت دورة مياه، وفى الجدار الشرقى لممر هذا القسم توجد خمس خلوات متشابهة تتشابه أيضاً مع الخلوات التى توجد تحتها فى الدور الأول.

وفى النهاية الشمالية لهذا الممر توجد خلوة سابعة أصغر حجماً من الخلوات السابقة وتشبه الخلوة التى تحتها فى الدور الأول، وينكسر هذا الممر ناحية الشرق حيث نجد فى جداره الشرقى شباك يطل على الصحن به أرماح ومخرزات حديدية من أسفل ومصبعات خشبية من أعلا، وينتهى هذا الإنكسار بمدخل عرضه (١) متر يؤدى إلى رحبة مستطيلة الشكل بها ثلاث نوافذ تطل على الشارع ونافذة رابعة تطل على الصحن.

وفى جدار هذه الرحبة الشرقى توجد فتحة مدخل عرضها (١٥ر١) متر تؤدى إلى خلوة كبيرة ذات سقف مجدد فى جدارها الجنوبى شباكان كبيران بهما مصبعات خشبية على جانبيها نافذتان مستطيلتان بهما مصبعات خشبية أيضاً، وتطل هذه الشبابيك على الصحن، وفى جدارها الشمالى دخلة عمقها (٧٠ر) متر ذات عقد نصف دائرى بداخلها شباك قندلية من الشبابيك المطلة على الشارع، وفى جدارها الشرقى شباكان مستطيلان كبيران مخربان ثم باب عرضه (٩٥ر) متر يؤدى إلى خلوة كبيرة فى جدارها الشرقى شباكان كبيران كل منهما ذو عقد نصف دائرى بداخله خشب من الخرط الدقيق قرأ على الشباك الجنوبى كلمتى « بسم الله» وعلى

الشباك الشمالي «ما شاء الله» ويطل هذان الشباكان على إيوان القبلة.

وفي جدارها الشمالي يوجد شباك آخر ذو عقد نصف دائري به خشب من الخرط الدقيق يطل على الشارع، وفي جدارها الجنوبي شباك آخر مستطيل الشكل ذو عتب مستو به مصبعات خشبية متقاطعة يطل على الصحن، وسقف هذه الخلوة متهدم وغير موجود.

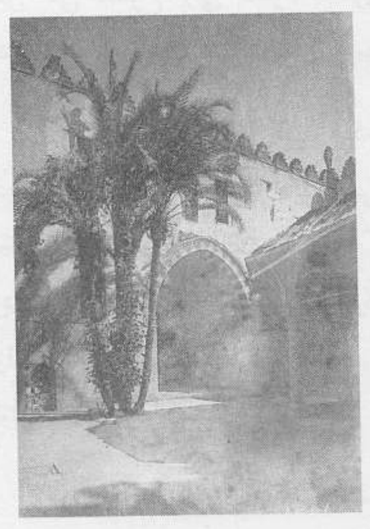
ويؤدي المدخل الأول في الإنكسار الثاني من الممر إلى ممر صغير مغطى بقبو نصف دائري ينتهي بباب عرضه (١,٤٥) متر يفضي إلى صحن مربع الشكل طول ضلعه (٢٠) متر في جداره الجنوبي توجد سبعة حواصل متشابهة كل منها عبارة عن حجرة مستطيلة مغطاة بقبو نصف دائري يؤدي إليها فتحة باب عرضها (٠,٩٠) متر ذات عقد مدبب يحيط به إفريز حجري مائل نقشت فوق زاويته بالحفر ورقة ثلاثية الفصوص تعلوها فتحة مستطيلة الشكل للتهوية والإنارة أشبه بالمزاغل طولها (٣) متر وعرضها (٢,٨٠) متر.

وفي الجدار الغربي توجد خمسة حواصل أخرى تشبه تماماً حواصل الجدار الجنوبي إلا أن عقودها نصف دائرية ممتدة، وفي الجدار الشمالي يوجد حاصلان متشابهان مع حواصل الضلع الجنوبي.

هـ – السبيل :

يلي الحاصل الشرقي بالجدار المشار إليه سبيل عبارة عن إيوان عمقه (٤,٢٠) متر وعرضه (٥,٩٠) متر واجهته المطلة على الصحن عبارة عن عقد على هيئة حدوة الفرس في جداره الشمالي يوجد شباك عبارة عن دخلة عرضها (٢,٠٥) متر وعمقها (١,١٠) متر ذات عقد نصف دائري، وفي جداره الغربي لوحة خشبية عليها كتابات نسخية نصها «بسم الله الرحمن الرحيم إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا، يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، فوقاهم ربهم شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا»[٦٤٣] ويغطى هذا السبيل سقف عبارة عن كتل خشبية قسمت الأجزاء فيما بينها إلى مربعات زينت بالإضافة إلى

الكتل بزخارف ملونة ذات أشكال هندسية بسيطة ومركبة وأشكال نباتية مختلفة، وكان يحيط بجدران هذا السبيل الثلاثة شريط زخرفى ملون، وفى مقدمة السبيل يوجد بئر له فتحة دائرية قطرها (٧٠ر) متر تغطيها خرزة من الرخام.



شكل ٢٧ : الخانقاة الشيخونية
الصحن والسدلة الشمالية

و – الصحن والفسقية : (أنظر شكل : ٢٧)

يقع هذا الصحن فى وسط الخانقاة وهو مربع الشكل تقريباً طوله (١٥ر٢٠) متر وعرضه (١٩,٦٥) متر وتتوسطه فسقية مثمنة الأضلاع تحمل أعمدتها الدائرية الثمانية عقودا خشبية نصف دائرية، ويغطى هذه الفسقية سقف خشبى مستو تزينه دوائر ملونة فى الوسط كان أصله – كما يقول ابن اياس – عبارة عن قبة خشبية من عمل نوروز الحافظى [٦٤٤].

ز – إيوان القبلة :

يقع هذا الإيوان فى الناحية الشرقية من الصحن وتطل واجهته على هذا الصحن بثلاثة عقود نصف دائرية ممتدة يحملها عمودان رخاميان ودعامتان بالجانبين الشمالى والجنوبى كل منهما مثمن الأضلاع يقوم على قاعدة بصلية وينتهى بشكل رمانى، ويرتفع هذا الإيوان عن أرضية الصحن بمقدار (٣٠ر) متر، وينقسم إلى ثلاث بلاطات وبه صفان من الأعمدة بكل منهما ستة أعمدة ذات أبدان مثمنة ودائرية تقوم على قواعد مختلفة الشكل وتعلوها تيجان مختلفة الشكل أيضاً، وتحمل هذه الأعمدة عقوداً نصف دائرية ممتدة يعلوها أسفل السقف ثلاثة أزر كل منها أسفل سقف بلاطة من البلاطات الثلاث التى يتألف منها الإيوان، وكلها كتابات بالبوية الزرقاء على أرضية من زخارف نباتية ملونة وتشتمل كلها على أبيات شعرية مختلفة لحكم ومواعظ.

حـ - المحراب:

يتوسط الجدار الشرقى لهذا الإيوان محراب عبارة عن حنية نصف دائرية قطرها (١٫٦٠) متر وعمقها (١٫١٥) متر يكتنفها عمودان رخاميان متشابهان كل منهما ذو بدن مثمن الأضلاع، ويزين هذه الحنية وحدات زخرفية مكررة تتكون من ورقة ثلاثية وورقة ذات فص واحد تنبثق كل منهما من تفريعات نباتية متمارجة، ويعلو كلا منهما تاج ذو زخارف ورقية بارزة، وتنتهى هذه الحنية من أعلا بطاقية المحراب وهى ذات عقد نصف دائرى متراجع تزينها زخارف مشعة باللونين البنى والأصفر، وكان يزين جانبي واجهة هذا العقد (كوشتية) زخارف نباتية ضاعت معظم معالمها ولم يبق منها إلا أنصاف مراوح نخيلية مكررة.

ويعلو عقد هذا المحراب قمرية دائرية تزينها زخارف جصية مجددة يكتنفها من الجانبين ست قمريات أخرى مستطيلة ذات عقود مدببة ملئت بزخارف زجاجية ملونة، ويغطى المنطقة أمام المحراب قبة خشبية تقوم فى أركانها الأربعة مقرنصات غائرة ذات دلايات، ورقبتها ذات الأضلاع الإثنى عشر إثنا عشر شباكا كل منها ذو عقد نصف دائرى كان به خشب من الخرط الدقيق.

ط - المنبر:

على يمين المحراب يوجد المنبر ويقوم على قاعدة خشبية طولها (٤٫٣٠) متر وارتفاعها (٢٥ر) متر، تقوم فوقها مجنبتان متشابهتان (ريشتان) تتكون زخارف كل منهما من مثلث فى أسفل به مجموعة من الأطباق النجمية وأنصافها يعلوه تسع حشوات من الخرط منها أربع حشوات رأسية مستطيلة تحيط بثلاث حشوات عرضية مستطيلة أيضاً، وفى الجانبين يوجد مثلثان بهما مصبعات خشبية، وفى مؤخرة المنبر يوجد بابا الروضة وعرض كل منهما (٦٠ر) متر تحيط بهما من أعلا وحدات زخرفية أشبه بأوراق نباتية، أما باب المنبر فيتكون من ستة أضلاع تزينها زخارف بأنواع الخرط المختلفة.

ويعلو هذه الأضلاع زخارف عبارة عن حطتين من المقرنصات يعلوها شريط من شرافات

على شكل ورقة نباتية مكررة، وفوقه قبة خشبية يعلوها شكلان رمانيان يتوجهما هلال ويصعد من قدمته السداسية عبر سلم صاعد إلى جلسة الخطيب، وهى ذات جوانب ثلاثة مفتوحة يعلو كل جانب منها زخارف أشبه بالزخارف التى تعلو بابى الروضة، وتعلوها مقرنصات ملونة باللونين الأزرق والذهبى تتألف من حطتين يتوجهما شريط من شرافات عبارة عن ورقة ثلاثية مكررة، وهذه الجلسة ذات سقف خشبى مستو تقوم فوقه قبة خشبية أشبه بالقبة التى تقوم فوق مدخل المنبر.

هذا وفى جدار القبلة ستة شبابيك مستطلة ذات عقود نصف دائرية يزين كل منها زخارف جصية مخرمة ذات أشكال نباتية وهندسية يتخللها زجاج ملون.

ويتوسط الجدار القبلى للصحن باب عرضه (١٫٧٠) متر وعمقه (١٫٢٠) متر تحيط به من الجانبين شباكان مستطيلان بكل منهما أرماح ومخرزات نحاسية متقاطعة، ولهذا الباب عتب خشبى مستو وهو يؤدى إلى حوش مستطيل الشكل تغطيه شخشيخة خشبية مجددة.

ى - الإيوان الشمالى :

قع هذا الإيوان فى الناحية الشمالية من الصحن وهو يطل عليه بعقد واحد نصف دائرى كبير، ويغطى هذا الإيوان سقف عبارة عن كتل خشبية كان يزينها ويزين المربوعات التى بها زخارف نباتية وهندسية ملونة، وأسفل هذا السقف يوجد إزار خشبى مثبت على الجدار الغربى لهذاذ الإيوان قوام زخارفه كتابات نسخية فى أربعة أسطر نصها :

سطر ١ - بسم الله الرحمن الرحيم إن ابرار (Sic) يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله

سطر ٢ - يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه

سطر ٣ - مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد جزاءا ولا شكورا إنا نخاف

سطر ٤ – من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، فوقيهم (Sic) الله ذلك اليوم ولقبهم (Sic) نضرة وسرورا. صدق الله العظيم[٦٤٥].

ويعلو الفتحات الثلاثة السفلية بجدار إيوان القبلة الجنوبى ثلاثة شبابيك تشبه الشبابيك الموجودة فى جدار القبلة مع بعض اختلاف فى التفاصيل الزخرفية النباتية والهندسية، أما الجزء الجنوبى من الجدار الغربى والذى يعتبر الجدار الشرقى لحواصل الجانب الجنوبى فيه شباكان مستطيلان الشمالى منهما أصلى وتزينه زخارف جصية مخرمة بأشكال نباتية وهندسية وكتابية.

والجانب الشمالى من هذا الجدار الغربى لإيوان القبلة فيه شباكان من خشب الخرط سبقت الإشارة إليهما عند وصف الخلوة الأخيرة من الدور الثالث، أما الجدار الشمالى فبه من أسفل أربعة شبابيك كل منها عبارة عن دخلة عمقها (١) متر وعرضها (٢) متر يعلوها عقد نصف دائر، ويعلو هذه الشبابيك أربع نوافذ أخرى مجددة زينت بالجص المخرم والزجاج الملون.

ك – الضريح :

فى النهاية الشمالية الشرقية للإيوان الشمالى توجد حجرة مستطيلة الشكل ترتفع عن أرضية الإيوان بمقدار (٥٠ر) متر يحدها من الجانبين الغربى والجنوبى حجاب خشبى عبارة عن قوائم يعلوها شريط من ورقة نباتية ثلاثية مكررة.

وفى كل من جداريها الشرقى والشمالى شباكان أشبه بالشبابيك السابقة يعلو كلا منهما شباكان آخران كان يزين كلا منهما زخارف جصية وزجاجية ملونة، ويزين الجدار الشرقى لهذه الحجرة طبقة جصية نقش عليها رسم مكرر لشكل الكعبة، أما باقى الجدار (وكذا الحال فى الجدار الشمالى ابتداء من محاذاة عقود الشبابيك إلى أسفل السقف) فقد نقشت فيه وحدة زخرفية مكررة كل منها عبارة عن شكل مربع بداخله زهرة أو وردة متعددة الفصوص.

ويغطى هذه الحجرة قبة خشبية تشبه القبة التى تعلو المنطقة أمام المحراب برقبتها التى عشر شباكا كانت تزينها زخارف نباتية وهندسية بالألوان، أما الأرضية فكان فيها بعض التراكيب لم يبق منها إلا بقايا تركيبتين لضريحين أحدهما للأمير شيخو والآخر لبعض مشايخ الخانقاة ولا سيما

الشيخ أكمل الدين البابرتى أول شيوخها المشهورين.

وفى الجدار الشمالى لهذا الضريح توجد لوحة رخامية غير كاملة نقشت عليها كتابات نسخية فى سبعة أسطر نص الباقى منها كما يلى :

سطر ١– بسم الله الرحمن الرحيم

سطر ٢ – .. .. شيخ أكمل

سطر ٣ – .. .. شارح الحديث

سطر ٤ – .. .. بالرحمة والرضوان فى شهر

سطر ٥ – .. .. وثمانين من الهجرة النبوية

سطر ٦ – .. .. العقد بلال أغا دار السعادة الناظر

سطر ٧ – سنة ١٠٩٥.

ويتقدم القبة التى تعلو المنطقة أمام المحراب فى البلاطة الوسطى على محور العقد الأوسط من عقود هذا الإيوان التى تفتح على الصحن شخشيخة خشبية مثمنة الأضلاع كان يوجد أسفلها زخارف لأشكال مقرنصات ملونة عليها زخارف نباتية.

أما السقف فهو عبارة عن كتل خشبية يزين وجوهها المرئية ويزين مناطق المربعات فيما بنها زخارف ملونة لوحدات زخرفية نباتية وهندسية مختلفة، كما أنه يحيط بأعلى العقود وأسفل السقف فى كل بلاطة من البلاطات الثلاثة إزار خشبى نقشت عليه كتابات نسخية باللونين الأزرق والأسود لبعض آيات من القرآن الكريم، هذا وأمام العقد الشمالى من عقود هذا الإيوان المطل على الصحن توجد دكة المبلغ وتقوم على أربعة أعمدة رخامية دائرية بغير قواعد ولا تيجان يعلوها سقف الدكة وهو عبارة عن عروق خشبية خالية من الزخارف، يعلوه من الجهات الأربع دروة خشبية عبارة عن حشوات من خشب الخرط.

وقد عثر فى جامع الكتابات العربة على نص منقول من مشكاة من الزجاج المموه بالمينا ارتفاعها (٣٦ر) متر محفوظة فى متحف الفن الإسلامى يقول :

« (مما عمل) برسم المقر الأشرف العالى المولوى المخدومى السيفى شيخو الناصرى»(٦٤٦) وواضح من النص أن هذه المشكاة كانت قد نقلت إلى المتحف المشار إليه من إحدى الشيخونيتين (المسجد أو الخانقاة).

٦ – ترميمات الخانقاة :

أولت لجنة حفظ الآثار العربية منذ نشأتها فى سنة (١٨٨٢م) وحتى سنة (١٩٠٩م) هذه الخانقاة بقدر لا بأس به من عنايتها ورعايتها.

فبين سنتى (٢٨٨٢ – ١٨٨٤م) صرفت اللجنة على أعمال ترميمية (لم تحدد) بهذه الخانقاة مبلغاً قدره (٢١٦,٨٢٨)جنيه،(٦٤٧) وفى سنة (١٨٩٥م) صرفت اللجنة مبلغاً قدره (٨,٧٠٨)جنيه على أعمال ترميمية تتعلق بفك بعض ألواح السماق التالف بالصحن وعمل بدلها ألواح وترابيع من رخام عادى[٦٤٨].

وفى سنة (١٨٩٦م) حدث أن حولت حجرة كانت توصل إلى داخل الخانقاة من خلال باب تم سده كان لها شباك على الشارع للتهوية والإنارة تحوى مصبعات حديدية، وقد خلعت هذه المصبعات وهدمت جلسة الشباك حتى مستوى أرضية الحجرة وعمل المكان دكانا، وقامت لجنة حفظ الآثار بمعاينة الموقع وطلبت إعادة الأثر إلى ما كان عليه[٦٤٩]، وفى سنة (١٨٩٩م) قررت اللجنة أن تؤخذ من بند الاحتياطى الوارد فى توزيع العشرين ألف جنيه المخصصة لأعمال الترميم عن هذه السنة مبلغا قدره (–ر٩٥)جنيه للأعمال الترميمية المطلوبة لسبيل الخانقاة[٦٥٠].

وفى سنة (١٩٠٠م) صرفت اللجنة مبلغا قدره (٦,٨٠٠)جنيه على ترميم برطوم من براطيم السقف غربى القبة، وعلى حاجز بالبناء فوق سطح الخانقاة حتى يمنع السكان المجاورين لها من استخدامه منشرا لهم وملعبا لأبنائهم كما ورد فى تقرير اللجنة[٦٥١]، وفى سنة (١٩٠٢م) حدث أن شخصاً يدعى محمد أبو عسكر قد أقام عشا على سبيل الخانقاة، ورأت اللجنة أن هذا

يضر بالسبيل لاسيما وأنه بالواجهة، وبعد مباحثات بين المالك والأوقاف قرر المالك أنه يمكن التنازل عن هذه العشش نظيير مبلغ قدره خمسون جنيها بصفة التعويض فوافقت اللجنة على تقسيم دفع هذا المبلغ بواقع خمسة وثلاثين جنيها من الأوقاف وخمسة عشر جنيها من اللجنة وقد تمت هذه العملية بدفع المبلغ المذكوروتحرير عقد التنازل وعمل رسم عنه أودع بمحكمة مصر المختلطة وسلم السطح للجنة فعلمت فيه حائطاً للفصل بين الأثر وبين ممتلكات الورثة[٦٥٢].

وفى نفس السنة المشار إليها صرفت اللجنة مبلغاً قدره (–ر٢٢٨) جنيه على ترميم السبيل بالخانقاة ولو أن تفاصيل هذا الترميم لم تحدد بالتقرير الذى أشار إليها[٦٥٣].

وفى سنة (١٩٠٩م) أجرت الأوقاف بعض الأعمال بصحن الخانقاة تنحصر فى إصلاح دورة المياه وتحويل الميضأة إلى حوض بحنفيات، فقام هرتس بك بمعاينة الموقع على الفور وقدم تقريرا للجنة يقضى بالاستعاضة عن تركيب الحنفيات فى الطرقة المسدودة الواقعة فى الزاوية الجنوبية الشمالية الغربية للصحن وبين الباب العمومى على أن يفتح فى جدار إحدى الخلوات الملاصقة له بابا يتوصل منه إلى الصحن، على أن يكون الوصول إلى هذا المكان الذى سيعد للوضوء عن طريق الدهاليز الواقعة بين مساكن الصوفية فوافقت اللجنة على ذلك وقررت تنفيذه[٦٥٤] وأخيرا قامت مصلحة الآثار سنة (١٩٥٧م) بصرف مبلغ قدره (–ر٥٩٥) جنيه على ترميم قبة الخانقاة.

وبذلك يتضح أن اللجنة الدائمة لحفظ الآثار العربية ومصلحة الآثار من بعدها قد قامتا بصرف مبلغ قدره (٣٣٦ر١٢٠٠) جنيه ألفا ومائتى جنيه وثلاثمائة وستة وثلاثين مليما) على ترميمات هذه الخانقاة حتى وصلت إلينا مبانيها بحالتها الراهنة التى لازالت فى حاجة إلى استكمال الترميمات اللازمة لها لتعود الخانقاة إلى سابق عهدها الزاهر الذى كانت عليه.

١١ – الخانقاة النظامية

٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م

أثر رقم : ١٤٠

تقوم هذه الخانقاة على المرتفع المستوى خلف القلعة من الناحية الشمالية الذى نهايته الشرقية حتى برج الصحراء وحدوده الغربية خلف قصور الحريم (المتحف الحربى حاليا) وحدوده الشمالية شارع قرافة باب الوزير وجزء من ميدان الجامع اليوسفى وشارع باب الوداع، وحدوده الجانبية سور القلعة الشمالى من جهة مسجد سليمان باشا (سارية الجبل) ويتوصل إليها من طريقين أحدهما من شارع باب الوداع التفرع من شارع الباب الجديد والآخر من طريق صلاح سالم.

ومن المعالم المحيطة بالخانقاة النظامية بقايا سور القاهرة الشرقى المتصل من خلفها، وهو سور من الدبش يختلف فى الشكل عن السور الشمالى، ويتصل من ناحية الجنوب ببقايا أسوارجامع السبع سلاطين وهو مسجد أثرى متخرب لم يبق منه إلا بعض أسوار بها محراب حجرى سليم وبعض قبوات فى الأرض كانت فى غالب الظن قبور من أهمها قبر االشيخ الترابى الذى كان مدفونا فى الجامع قبل تخريبه، كذلك يحيط بالخانقاة من المعالم الأثرية تجاه جامع السبع سلاطين من جهة القلعة بقايا سور القاهرة الشرقى يلاصقه بناء كان على ما يبدو ساقية تابعة لمسجد سارية الجبل.

والذى أنشأ هذه الخانقاة سنة (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) على عهد الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون هو شيخ الشيوخ نظام الدين الأصبهانى الحنفى، وطبقا لما لدينا من مادة علمية قليلة فإن حديثنا عن هذه الخانقاة سينحصر فى أربع نقاط رئيسية هى:

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها.

٢ – منشىء الخانقاة.

٣ – وصـف الخـانـقـــاة.

٤ – تـرميمـات الخانـقــاة.

١ – تاريخ الخانقاة وأوقافها:

لم نعثر – فيما أمكن الأطلاع عليه من المصادر العربية – على معلومات شافية عن هذه الخانقاة، على الرغم من أن المادة العلمية القليلة التى وقفنا عليها تثبت بما لا يدع مجالا للشك أنها كانت خانقاة فعلية أنشأها – كما قلنا – شيخ الشيوخ إسحق بن عاصم الأصفهانى الحنفى سنة (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) خلال عهد السلطان الناصر حسن.

يدل على ذلك أولا ما ذكره ابن تغرى بردى فى القرن (٩هـ/١٥م) حين قال فى ترجمته لابن عاصم المشار إليه «ومما يدل على اتساع ماله عمارته لخانقاته بالقرب من قلعة الجبل تجاه بب الوزير على بعد على شرف الجبل وما وقف عليه من الأوقاف، كل ذلك فى سنة ثلاثة وخمسين وسبعمائة» [٦٥٥] ويدل عليه ثانيا ما ذكره صاحب كتاب «جامع الكتابات العربية» علاوة على اقتباسه لقول ابن تغرى بردى المشار إليه حين قال «وفى ربيع الأول توفى الشيخ نظام الدين إسحاق بن عاصم الأصفهانى الحنفى وهو صاحب الخانقاة النظامية التى تحت القلعة». [٦٥٦]

كما يدل عليه ويؤكده ذلك النص الإنشائى الذى ورد فى المرجع المشار إليه ويقول «بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذه الخانقاة المسمى بالنظامية العبد الفقير إلى الله تعالى الجناب الكبير العالى المولوى نظام الملك والدين اسحق القرشى الأصفهانى نفع الله تعالى ببركته شيخ الشيوخ بالديار المصرية والبلاد الشامية وسائر المملكة الإسلامية من ولد الظهر والبطن سنة سبعة وخمسين وسبعمائة» [٦٥٧] ويدل هذا النص على أن التاريخ الذى ذكره ابن تغرى بردى لم يكن صحيحا وإنما جانبه التوفيق حين سبقه بأربع سنوات.

ويدل عليه أخيرا ما أشار إليه الجبرتى عند ذكره لأحدث سنة (١٢١٥هـ/ ١٨٠١م) مما ارتكبه الفرنسيون من أعمال الهدم والتخريب من أبنية رأس الصوة حيث الحطابة وباب الوزير تحت القلعة وعلى رأسها المدارس القديمة والقباب المرتفعة التى شيدت فى هذه المنطقة وفيها المدرسة

(الخانقاة) النظامية حيث قال « وهدموا أعلى المدرسة النظامية ومنارتها وكانت غاية فى الحسن وجعلوها قلعة ونبشوا ما بها من القبور فوجدوا الموتى فى توابيت من الخشب فظنوا داخلها دراهم فكسروا بعضها فواجدوا بها عظام الموتى فأنزلوا تلك التوابيت وألقوها إلى الخارج فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها وعملوا لها مشهدا ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج». (٦٥٨)

والواقع أن شكل بناء هذه الخانقاة الذى كان – على ما يبدو – على هيئة القلاع لأن جدرانها كانت سميكة صماء من أسفل وبها مزاغل من أعلا، علاوة على وقوفها على مرتفع يشرف على القاهرة من الشرق، كل ذلك ساعد الفرنسين عندما جاءوا إلى مصر سنة (١٧٩٨م) وأرادوا أن يحيطو القاهرة بعدد من القلاع لمحاصرتها وإخماد أية فتن تنشأ فيها ولم يجدوا لديهم الوقت الكافى لبناء مثل هذه القلاع، على لقيام بتخريب الأبنية الأثرية الواقعة فى أماكن ملائمة فى أطراف المدينة، وجعلوها أشبه بالقلاع المطلوبه عن طريق إحداث تغيرات وتبديلات معمارية فيها» وكان من أمثلة الأبنية الأثرية التى حولها إلى قلاع بهذه الصفات الخانقاة النظامية وتربة تنكزبغا ومسجد أذدمر وسبيل الوسية وقبة تمر باى الحسينى وغيرها.

ولم يقف الأمر بالنسبة لهذه الخانقاة على أعمال التخريب التى أحدثها الفرنسيون بها، بل لقد ظلت عرضه للكثير من أعمال العبث خلال السنوات التالية، فزالت أسقفها الخشبية كلية واختفت فوهة الصهريج بداخل الخانقاة بعد أن ردم وتهدمت غالبية أجزئها ولم يعد باقيا منها حتى الآن إلا المدخل وبعض حوائط االخلوات التى كانت تجاوره، بالإضافة الى ضريح المنشئ.

أما فيما يتعلق بأوقاف هذه الخانقاة فيدل عليها أولا ما ذكره ابن بردى فيما سبقت الإشارة إليه عن اتساع مال منشئها وعمارته لها الأوقاف عليها (٦٥٩)، ويدل عليه ثانيا ما ورد فى بعض الدراسات الوثائقية الحديثة التى نشرت فى ملحق الحوليات الإسلامية التى تصدر عن المعهد العلمى الفرنسى للدراسات الشرقية باالقاهرة من نشر لحجة من الحجج المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة باسم ابو زكريا يحى بن جمال الدين عبد الله بن شرف الدين موسى رئيس المجبرين والجراحين بالخدمة الشريفة والبيمارستان المنصورى (نسبة الى المنصور قلاوون)وهى حجة أوقف صاحبها وحبس وسبل جميع البناء القائم على الأرض المحتكرة ملكه بجهة القاهرة على الخانقاة النظامية وشرط على الواقف بعده أن يتولى عمارة العين الموقوف عليها ومرمتها وما فيه البقاء لعينها والدوام

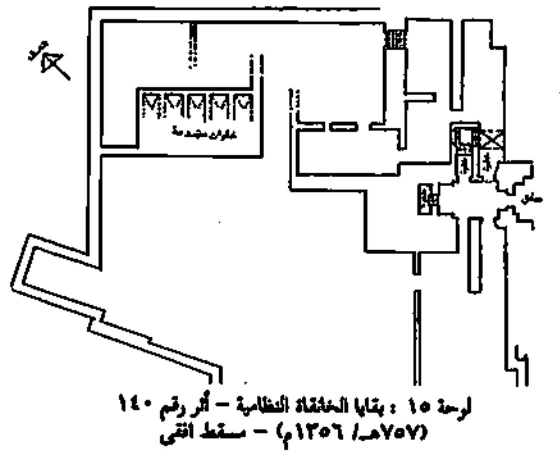
لمنفعتها، ولو أنفق فى ذلك جميع غلتها ومتحصلاتها. (٦٦٠)

٢ – منشىء الخانقاة:

لم نعثر – فيما أمكن الاطلاع عليه من المصادر العربية – على كثير من المعلومات المتعلقة بترجمة منشىء هذه الخانقاة، وكل ما وصل إلينا عنه وردذكره فى مصدر واحد ومرجع واحد فقط، أما المصدر فهو المنهل الصافى وقد ورد فيه أن أسحق بن عاصم بن محمد العلامة شيخ الشيوخ نظام الدين بن الشيخ مجير الدين بن سعد الدين الأصبهانى الحنفى، قدم إلى القاهرة بعد أن برع فى عدة علوم وصار معدودا من الفضلاء، فولى مشيخة خانقاة سرياقوس ووصف بشيخ مشايخ الإسلام، ثم توجه فى الرسلية إلى بلاد الهند وعاد وقد كثر ماله حتى أنه أهدى الذهب فى الأطباق إلى عظماء الدولة. (٦٦١)

أما المرجع الذى أشار إلى منشىء هذه الخانقاة فهو كتاب «جامع الكتابات العربية» وقد ورد فيه أن شيخ الشيوخ نظام الدن إسحق بن الشيخ مجير الدين عاصم بن الشيخ سعد الدين محمد الأصفهانى الحنفى توفى فى ليلة الأحد ثالث عشر ربيع الآخر سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) وتولى بعده ولده جلال الدين مشيخة خانقاة سرياقوس وتلقب بشيخ الشيوخ مثل والده. (٦٦٢)

ومن هذا يتضح أن منشىء النظامية هو الشيخ نظام الدين اسحق بن الشيخ مجير الدين عاصم بن الشيخ سعد الدين محمد الأصفهانى الحنفى المتوفى فى ثالث عشر من ربيع الآخر سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م).

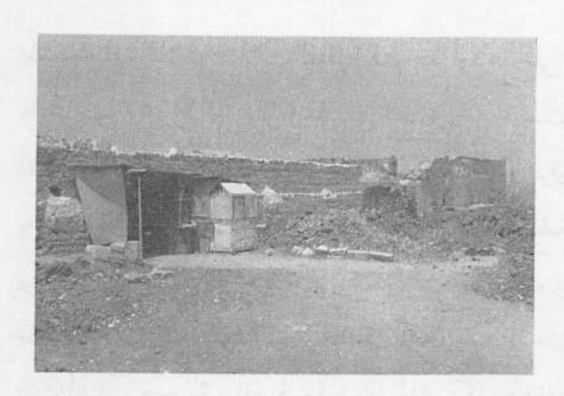

لوحة ١٥ : بقايا الخانقاة النظامية – أثر رقم ١٤٠ (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) – مسقط افقى

٣ – وصف الخانقاة:

(أنظر لوحة: ١٥ وشكلى ٢٨، ٢٩)

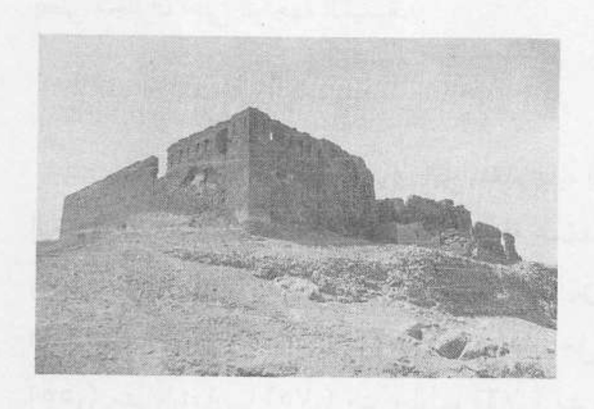
تقع هذه الخانقاة – كما قلنا –

على قمة تل تجاه القلعة رافة باب الوداع من ناحية الشمال، ويشرف على جبل المقطم من ناحية الشرق وعلى الدحديرة من ناحية الغرب، ويتوصل إليها حاليا عن طريقين، أحدهما من شارع باب الوداع المتفرع من شارع الباب الجديد، والآخر عن طريق صلاح سالم.



شكل ٢٨ : بقايا الخانقاة النظامية - أثر رقم ١٤٠ (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)
جزء من سور القاهرة القديم ومعه بقايا الخانقاة

وكان لما أحدثه الفرنسيون بها - فيما سبقت الإشارة إليه - وما أقيم على جزء من أطلالها من مدرسة حديثة فى الخمسينيات أسوأ الأثر فى تخريب هذه الخانقاة وتدميرها، ونتيجة لهذا وذاك لم يبق منها إلا أطلال وأنقاض تستدعى القيام بعمل ترميمى كبير يعيدها إلى ما كانت عليه.



شكل ٢٩ : بقايا الخانقاة النظامية - منظر من الخارج

والواقع أن هذه الخانقاة - كغيرها من الخانقاوات المصرية - كانت تشتمل على العديد من المكونات المعمارية التى عرفت عن هذه الخانقاوات، ولكن الدمار الذى أصابها لم يبق منها إلا ما يلى:

أ - الواجهة الرئيسية :

تقع هذه الواجهة فى الناحية الشمالية الغربية وتشرف - كم قلنا - على مقابر باب الوداع من الشمال وتمتد بطول (٢٧,١٠) متر وهى مقسمة إلى أربع دخلات رأسية احتوت لوسطى منها على المدخل الرئيسى، وترتفع هذه الواجهة حسب ما بقى منها الآن بمقدار (٩,٨٠) متر، أما

بالنسبة للدخلات الثلاث الباقية فتوجد أولاها على يمين المدخل من الناحية الشمالية الغربية واتساعها (١١,٦٥) متر وتقل فى العمق عن سمت الواجهة بمقدار (٠,٩١) متر، أما لدخلتان الأخريان على يسار المدخل من الناحية الشمالية الشرقية، فإحداهما تجاور دخلة المدخل وتقع على يساره اتساعها (٤,٣٥) متر والأخرى فى الزاوية الشمالية الشرقية واتساعها (٦,٦٥) متر وهما يرتدان عن سمت الواجهة إلى عمق (٠,٨٨) متر، ويفصل بين هاتين الدخلتين سمت الجدار بمسافة (٢,٤٥) متر، كم يوجد فى أعلا هذه الدخلات الثلاث ثلاث فتحات شبابيك مستطيلة ذات أعتاب حجرية بواقع فتحة شباك أعلى كل دخلة، ولكنها سدتحديثا، ويرى فى أعلى الواجهة صف من الكوابيل الحجرية العارية من الزخارف كانت تحمل الطابق الثانى الذى لم يبق منه سوى بعض الجدران أعلى الواجهة الرئيسية.

ب - المدخل الرئيسى :

يرتفع هذا المدخل عن مستوى التل المقام عليه الخانقاة بحوالى (٢,٤٥) متر وكان يؤدى إليه سلم غير موجود حاليا، وهو يقع داخل دخلة عمقها (١) متر وارتفاعها (٤,٥٠) متر غير أن ربع القبة وبقية المدخل من أعلا غير موجود الآن ولم يبق منه سوى حطتين ونصف من المقرنصات الحاملة لها بارتفاع (٠,٩٧) متر، ويكتنف هذا المدخل مكسلتان حجريتان عرض كل منهما (٠,٥٥) متر وارتفاعها (٠,٧٥) متر وطولها (٠,٧٦) متر، أما فتحة المدخل فعمقها (٠,٣٠) متر واتساعها (١,٤٥) متر وارتفاعها (٢,٦٣) متر يغطيها عتب من الحجر لوردى على شكل هرمى فى قمته دائرة رنك ممحو، وفى أعلاه فتحة شباك مستطيلة كانت تقع أسفل الطاقية التى أزيلت، كما يوجد على جانبى هذا المدخل بارتفاع (١,٣٤) متر من المكسلتين شريط كتابى فى إزار عرضه (٠,٢٩) متر نص الباقى من كتابى :

«أمر بإنشاء هذه الخانقاة المسمى بالنظامية العبد الفقير إلى الله تعالى الجناب الكريم العلى المولوى نظام الملك [٦٦٣] والدين اسحق القرشى الأصفهانى نفع الله تعالى ببركته شيخ الشيوخ بالديار المصرية والبلاد الشامية وسائر المملكة الاسلامية من ولد الظهر والبطن سنة سبع وخمسين وسبعمئة».

جـ - دركاة المدخل وأبوابها :

يؤدى المدخل الرئيسى لهذه الخانقاة إلى دركاة عبارة عن مساحة مستطيلة طولها (٤ر١٠) متر وعرضها (٥٦ر٣) متر وترتفع عن مستوى الأنقاض حتى أعلى جزء فيها حاليا بمقدار (٤ر٧٥) متر وتشتمل هذه الدركاة على أربع مداخل (اثنان منها على اليمين فى الجدار الغربى واثنان على اليسار فى الجدار الشرقى) وكانت تفضى إلى الملحقات المختلفة للخانقاة، وفيما يلى وصف لكل منها :

المدخل الأول :

يقع هذا المدخل فى الجدار الغربى للدركاة على يمين الداخل إليها واتساعه (٢٠ر١) متر وعمقه (٣٠ر) متر وسقفه عبارة عن عقد من صحنجات معشقة قمته مدببة وأحجاره مشهرة أعلاه فتحة شباك مستطيلة عرضها (٤٩ر) متر وطولها (٩٠ر) متر، ويوصلنا هذا المدخل إلى دهليز طوله (٣٥ر٤) متر وعرضه (٦٠ر٢) متر سقفه مكون من مستويين أولهما علوى يلى فتحة المدخل مباشرة وهو عبارة عن جذوع أشجار مستحدثة وثانيهما سفلى عبارة عن قبو مدبب عرضه (٧٩ر١) متر يشرف على قاعة مستطيلة طوالها (٣٠ر٨) وعوضها (٢٥ر٤) متر فى صدرها دخلة أخرى عرضها (٨٥ر٢) متر وعمقها (٤٧ر١) متر ويوجد بهذه القاعة ثلاث فتحات مستطيلة مسدودة من الخلف ربما كانت خزائن حائطية طول الواحدة منها (٩٠ر٢١) متر وعرضها (٨٩ر) متر سقوفها غير موجودة حاليا وقاعها ملىء لالأنقاض إلى منتصفها، وعلى يسار الخزانة الموجودة فى الجدار الشرقى فتحة باب مستطيلة عمقها (٥٠ر) متر وعرضها (٢٥ر١) متر سقف بجذوع من الأشجار وسدت لالأنقاض لأعلى من منتصفها، وتوصلنا هذه الفتحة إلى منطقة مستطيلة تملؤها الأنقاض إلى أعلى جزء باق منها، وعلى يمين الخارج من الباب المشار إليه نجد فى الجدار الغربى مدخل مستطيل عرضه (٨٥ر) متر وعمقه (١٠ر١) متر يوصلنا إلى قاعة أخرى مستطيلة موازية للقاعة السالفة الذكر طولها (١٠ر٧) متر وعرضها (٢٦ر٤) متر، فى أرضيتها مستطيل محاط بجدران من الجهات الجنوبية والشرقية والشمالية غير جدران القاعة وينخفض هذا المستطيل عن مستوى أرضية القاعة بحوالى (٣٥ر١) متر، كما يوجد بهذه القاعة شباك بنفس الجدار الشرقى الموجود به المدخل اتساعه (٦٣ر) متر وارتفاعه (١) متر وعمقه (٧٣ر) متر، وفى

الجدار الجنوبي لهذه القاعة يوجد مدخل آخر به درجات سلم ربما كانت توصيل إلى طباق الصوفية، وهذ المدخل ارتفاعه (٢,٤١) متر وعمقه (٨٧ر) متر وسقفه عبارة عن عتب مسطح، وما تجب الإشارة إليه أن سقف هذه لقاعة غير موجود حاليا وصدرها هو نفسه السور الخارجي للخانقاة من الناحية الشمالية الغربية، والناظر لهذا الجدار من داخل القاعة يجد انه كانت به فتحة مستطيلة أسفلها لوح من الرخام في وضع أفقي يبرز عن سمت الجدار بحوالي (٣٥ر) متر سمكه (١٥ر) متر ومن المرجح أن هذه القاعة كانت سبيلا ملحقا بالخانقاة.

المدخل الثاني :

يقع هذا المدخل في نفس الجدار الغربي للدركاة على يمين الداخل إليها وهو يلي لمدخل السابق وعمقه (٣٠ر) متر واتساعه (١,١٩) متر يعلوه عتب مكون من صنجات معشقة ذات أحجار مشهرة، ويوصلنا هذ المدخل إلى دهليز طوله (٢,٧٥) متر واتساعه (٥٠ر)، تتصدره ٥ درجات سلم تنكسر إلى اليمين اتساعها (١,٢٣) متر كانت توصل إلى الطبق الثاني من طباق الصوفية المندثرة حاليا يبق منها سوى أربع صفوف من المداميك الحجرية المشكلة لجدار الواجهة الرئيسية.

وإلى يسار القادم من دهليز نجد فتحة شباك اتساعها (٨٧ر) متر وعمقها (٦٢ر) متر سقفها غير موجود أيضاً.

المدخل الثالث :

هو أول المدخلين الموجودين بالجدار الشرقي للدركاة اتساعه (١,١٩) متر وعمقه (٣٠ر) متر يتشابه مع المدخل المقابل له في الجدار الغربي للدكارة في طريقة التسقيف حيث أن سقفه عبارة عن عقد مدبب من أحجار مشهرة ولكن في قمته صنجة مفتاحية للعقد، وأعلاه فتحة شباك مستطيلة عرضها (٤٩ر) متر وطولها (١٣,٩٢) متر وعرضها تشتمل على ثلاثة مستويات أولها

طوله (٥,٧١) متر، وعرضه (٢,٦٨) متر وثانيها يرتد إلى الخلف قليلا بعرض (٣,١٢) متر وطول (٢,٦٠) متر، وثالثها يرتد إلى الخلف أيضاً بعرض (٤,٧٤) متر وطول (٥,٤١) متر، ونجد من خلال الأنقاض التى تملأ هذه القاعة الطويلة بقايا جدران كانت تقسمها إلى هذه المستويات الثلاث السابقة ولكننا لا نستطيع أن نتبين الوسيلة التى كان يتوصل بها من المستوى السفلى إلى المستوى العلوى للقاعة كما أننا لا نستطيع القول بأنها كانت تفتح على ملحقات أخرى أم لا.

المدخل الرابع :

يتشابه هذا المدخل مع المدخل المقابل له فى الجدار لغربى للدركاة من حيث الاتساع (١,١٩) متر والعمق (٣٠,) متر ومن حيث التسقيف الذى يتكون من عتب مؤلف من صنجات معشقة ذات أحجار مشهرة، وتعلوه فتحة شباك مستطيلة عرضها (٤٩,) متو وطوله (٩٠,) متر ويوصلنا هذا المدخل إلى دهليز طوله (٥,١٣) متر وعرضه (١,٤١) متر، قبل نهايته من جهة اليمين فى الجدار االجنوبى نجد فتحة مدخل اتساعها (١,٢٠) متر وعمقها (٣٠,) متر سقفها غير موجود، غير أن البلاط الذى كان يكسو جدار هذا الدهليز مازال موجوداً، وينكسر الدهليز عند نهايته بزاوية قائمة إلى الناحية الجنوبية ليوصلنا إلى دهليز آخر طوله (٤,٧٤) متر وعرضه (١,٤٠) متر، والواقع أننا لا نستطيع تحديد اتصالات هذه الدهاليز لأن الأنقاض تغمرها عن آخرها ولا سيما الدهليز الثانى، إلا أنه من المعتقد أن هذا الدهليز المنكسر هو الذى كان يتوصل منه إلى (صحن) لخانقاة المملوء خاليا بالأنقاض (أنظر شكل : ٣١).



شكل ٣١ : بقايا الخانقاة النظامية – منظر داخلى

وفى صدور دركاة المدخل نجد دخلة مستطيلة اتساعها (٢,٦٠) متر وعمقها (١,٦٣) متر فى صدرها فتحة طولها (١,٤٧) متر وعرضها (٧١,) متر بها درجات سلم كانت توصل إلى طباق الصوفية بالدور الثانى غير أن الأنقاض تملأ هذه الدركاة وتصل إلى مستوى هذه الفتحة التى تعلو مستوى أرضية الدخلة.

د – خلوات الصوفية الثانى :
(أنظر شكلى ٣٢، ٣٣)

لم يبق من خاوات الصوفية هذا الطابق سوى أجزاء من السور الخارجى للواجهة الرئيسية (الشمالية الغربية) بارتفاع (٢٫٥٠) متر بها دخلة مستطيلة عمقها (١٫٢٧) واتساعها (١٫٢٩) متر فى أركانها وصدرها ثلاث مزاغل لمراقبة الجهات الثلاث الشمالية والشرقية والغربية، كما توجد مزاغلة أخرى فى الركن الشمالى الشرقى، أما الجدار لشمالى الغربى للخانقااة فلا تزال فيه ست مزاغل مستطيلة طول الواحدة منها (١٫١٩) متر واتساعها (٤٢ر) متر وعمقها (٧٩ر) متر، ويفصل بين جدار الطبق الأول والجزء الباقى من جدار الطابق الثانى فلوق من جذوع النخل المستحدثة.


شكل ٣٢: بقايا الخانقاة النظامية – مدخل خلوات الصوفية


شكل ٣٣: بقايا الخانقاة النظامية – بقايا خلوات الصوفية

ومن بينالمكونات العلوية التى قاومت عوامل الدمار والخراب الذى أصاب هذه الخانقاة ومازالت موجودة فى الطابق الثانى قاعة مستطيلة تلى الدهليز الذى يتوصل إليه من فتحة السلم القائم فى مواجهة الدخلة الموجودة فى صدر اللدركاة، وتطل هذه القاعة على الدهليز عن طريق جدار ارتفاعه من مستوى سقف الطابق الأول حتى أعلى جزء باق فيه (٤٫٣٥) متر، ويضم هذا السور قاعة مستطيلة تمتد ناحية الصحن فى الاتجاه الجنوبى بعد دركاةالمدخل طولها (١٢٫٦٨) متر وعرضها (٤٫٣٨) متر، وسمك هذا الجدار (٦٨ ر) متر والجدار الغربى لهذه القاعة مزود بثلاث فتحات من المزاغل وهو يرتد عن السور االشمالى الغربى للخانقاة بما يدل على أن الواجهة

الشمالية الغربية لم تكن على ارتفاع واحد من مستوى الأرض المقامةعليها الخانقاة.

هـ – قاعة الشيخ :

في الجدار الشمالي الشرقي للقاعة المستطيلة المشار إليها يصعد إلى سلم سقطت درجاته يؤدي إلى فتحة عرضها (٨٤ر) متر وعمقها (٥٣ر) متر وارتفاعها (١,٨٣) متر ذات سقف خشبي توصلنا إلى غرفة مستطيلة طولها (٤,٣٢) متر وعرضها (٥,٨٨) متر غطيت جدرانها بملاط حديث وترتفع أرضيتها عن أرضيتها عن أرضية القاعة المستطيلة بحوالي (١,٦٧) متر، وكنت هذه الأرضية مفروشة ببلاط حجازي في أحد أركانها لوح حجري مسجل عليه تاريخ «أربع وستين وسبعمائة» يغلب على الظن أنه يعبر عن ستكمالت تمت بهذه الخانقاة بعد بنائها بسبع سنين، وفي وسط هذه الأرضية فتحة مستحدثة عبارة عن ثقب أطوله (٣٧ت٤٥ر) متر مفتوح في قبو كان يغطي قاعة أخرى أسفل القاعة التي بين أيدينا.

و– الخلوات الخلفية :

تقع هذه الخلوات في جهة الخلفية من الخانقاة ورغم أنها مليئة بالأنقاض إلا أنه يمكن القول أن أبعاد كل منها كانت (٢,٣٩) متر طولا، (١,٥٦) متر عرضا بالجدار الشرقي لكل منها مدخل عرضه (٨٥ر) متر وكان مرسوما على الجدار الجنوبي الشرقي لكل منها محراب بسيط يؤكد أنها كانت فعلا تمثل الخلوات التي استحدثت سنة (٧٦٤هـ) للصوفية الذين قررهم المنشيء فيها.

٤ – ترميمات الخانقاة :

لم تكن ترميمات الخانقاة أحسن حالا من مادتهاالتاريخية والأثرية، فلم نعثر فيما يتعلق بهذه الترميمات في كراسات لجنة حفظ الآثارر العربية (على كثرتها بدءا من الكراسة الأولى سنة (١٨٨٢م) وانتهاء بالكراسة الحادية والأربعين سنة (١٩٥٦م) على شيء يشير إلى أن هذه اللجنة كانت قد أولت تلك الخانقاة رعاية في أعمال الترميم الكثيرة التي قامت بها في العديد من الأبنية الأثرية الأخرى، وربما كان السبب في ذلك أنه كان على رأس هذه اللجنة وفي عضويتها

شخصيات فرنسية لم يكن بعينها فى هذ الوقت أن تنازع جيش وطنها الذى كان قد استولى عليها وحوليها – كما قلنا – إلى قلعة عسكرية تشرف على القاهرة من ناحية الشرق، بدل على ذلك أنه لم يرد فى كراسات هذه للجنة إلا ذكر لطلب «للبناء بداخل جامع نظام الدين الكائن بالحطابة» (٦٦٤) وربما كانت ترميمات الدبش البلدى ذو المداميك الكائنة فى أعلاها وتجاه واجهتها، ربما كانت بعض هذه الترميمات من أعمال الحملة الفرنسية ولا سيما مبانى الدبش الكائنة أعلى جدران الخانقاة ذات المزاغل الرفيعة البارزة، وربما كان بعضها الآخر لحماية مدخل الخانقاة إبقاء عليه من الضياع والإندثار.

وصفوة القول أن هذه الخانقاة لا زالت فى حاجة ماسة إلى مشروع متكامل تزال فيه أول طبقات الأتربة والأنقاض التى لا زالت تغطى كثيرا من أجزائها ويكشف ثانيا عن كافة أطلالها المندثرة، ويعاد فيه ثالثا بناء كافة الأجزاء المتهدمة منها ليعود للخامقاة سابق عهدها الذى كانت عليه عند بنائها.

حواشى وتعليقات فصول

خانقاوات الأيوبيين والمماليك البحرية

حواشى وتعليقات فصول

خانقاوات الأيوبيين والمماليك البحرية

١- المقريزى : الخطط جـ٢ ص٤١٤ وراجع أيضا : ابن ظهيرة: الفضائل اباهرة ص ١٨٨ ح٤، على باشا مبارك : الخطط التوفيقية : جـ٤ ص ٢١١.

٢- المقرزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤ وانظر أيضا : فتحى الحديدى: حى الجمالية ص ١٣٠.

٣- ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ١ ص ١٧٩ ج٧، السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين : ص٢١٧.

٤- السيوطى : حسن المحاضرة: جـ٢ ص ٢٥٦.

٥- نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٥٧.

٦- نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٦٠.

٧- المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص٤١٤، ابن تغرى بردى : المصدر السابق : جـ١ ص ١٧٩ ح٧، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة : ص١٨٨ ح٤، على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص٥٠.

٨- على باشا مبارك : نفس المصدر : جـ٤ ص ٢١١ - ٢١٢، جـ٥ ص٥٠، جـ٦ ص٥٠.

٩- كمال سامح : العمارة الإسلامية فى مصر : ص٣٣.

١٠- صالح لمعى مصطفى: التراث المعمارى الإسلامى فى مصر: ص ص٢٤ - ٢٥.

١١- ابن حجز : الدرر الكامنة فى أعلام المائة الثامنة : جـ٤ ص ٦٧.

١٢- القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا : جـ ١٢ ص ١٠٥.

١٣ – القاضى مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل : جـ٢ ص ص ٤١,٤٧ .

١٤ – عبد الجليل عبد المهدى : المدارس فى بيت المقدس: جـ١ ص ٤٠٣ .

١٥ – الحنبلى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٩٦ .

١٦ – القلقشندى : المصدر السابق : جـ١٢ ص ١٠٥ .

١٧ – عبد الجليل عبد لمهدى : المرجع السابق : جـ١ صص ٤٠٥ – ٤٠٦ .

١٨ – ابن الجيعان : لتحفة السنية بأسماء البلاد المصرية : ص١٣٩ .

١٩ – نفس المصدر : ص ١٣٩ .

٢٠ – نفس المصدر : ص ١٥٢ .

٢١ – نفس المصدر : ص ١٥٩ .

٢٢ – نفس المصدر : ص ١٦٦ .

٢٣ – نفس المصدر : ص ١٧٣ .

٢٤ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٤١٤ – ٤١٥ .

٢٥ – ابن دقماق : الإنتصار لواسطة عقد الأمصار : جـ٢ ص٨.

٢٦ – نفس المصدر : جـ٢ ص ١٢٨ .

٢٧ – راجع : وقفية أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن موسى رئيس المجبرين والجرائحيين رقم (١٥٤ / ٢٤) تاريخها ٢٢ ذو الحجة سنة (٨٧١ هـ) بدار الوثائق القومية وانظر عنها أيضاً ك محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة : ص ٧٣،

Doris Behrens Abouseif : Fath'Allah and Abu Zakariyya,

phhysicians under Mamluks, I.F.A.O.Le caire1987,PP.45-52

٢٨ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٦ ص ٢١.

٢٩ – متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، رقم سجل ٣٠ صالة ٥ وراجع عنه ايضاً :

Van Berchem (M.):corp. Inscrip. Arab. tome, xix, Fascv, P.645.

٣٠ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٠٥.

٣١ – ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : جـ٥ ص ١٣٩.

٣٢ – ابن تغرى بردى : النجوم الزهراءة فى ملوك مصر والقاهرة : جـ٦ ص ص ٣-٦.

٣٣ – ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور : جـ١ ص ص ٦٩ – ٧٣،

– ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ٤٢،

– زامبور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى : ص ٥٠.

٣٤ – الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار : جـ١ ص ص ١٤ – ١٥.

٣٥ – ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول : ص ٢٢٣.

٣٦ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤.

٣٧ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣٩٧ ترجمة رقم ٢٤٨٠ وراجع أيضا:

– ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ٢ ص ٨٠.

٣٨ – ابن حجر : المصدر السابق: جـ٤ ص ص ٢٥٦ – ٢٥٧ ترجمة رقم ٧٠٩.

٣٩ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٢٨٦ ترجمة رقم ٧٥٦.

٤٠ – نفس المصدر : جـ٣ ص ١٩٨ ترجمة رقم ٤٧٨.

٤١ – نفس المصدر : جـ٣ ص ترجمة رقم ٥٤.

٤٢ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٢٠ – ٢١ ترجمة رقم ١٥٢٥.

٤٣ – ابن تغرى: المنهل الصافى : جـ١ ص ص ١٧٨ – ١٧٩.

٤٤ – نفس المصدر : جـ٢ ص ١٤٦.

٤٥ – ابن الصيرفى : إنباء الهصر بأبناء العصر: ص ص ١٠٣ – ١٠٤.

٤٦ – السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: جـ٢ ص ٨٣ ترجمة رقم ٢٤٧.

٤٧ – نفس المصدر: جـ٢ ص ص ٢٥٧ – ٢٥٨ ترجمة رقم ٧٤١.

٤٨ – نفس المصدر : جـ٣ ص ص ٧٠ – ٧١ ترجمة رقم ٦٥٦.

٤٩ – نفس المصدر: جـ٤ ص ص ١١٥ – ١١٧ ترجمة رقم ٣٠٩.

٥٠ – نفس المصدر : جـ٦ ص ص ٨١ – ٨٣ ترجمة رقم ٢٧٨.

٥١ – نفس المصدر : جـ٣ ص ١٨١ ترجمة رقم ٧٠٤.

٥٢ – نفس المصدر : جـ٤ ص ص ٤٦ – ٤٨ ترجمة رقم ٢٤٨.

٥٣ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٤.

٥٤ – السيوطى : المصدر السابق : جـ٢ ص ١٤٢.

٥٥ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٢٥٧ – ٢٦١.

٥٦ – السخاوى : المصدر السابق: جـ١ ص ٤٠.

٥٧ – نفس المصدر: جـ١ ص ص ١٧٥ – ١٧٨.

٥٨ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٣٦ – ٤٠ ترجمة رقم ١٠٤.

٥٩ – نفس المصدر: جـ٢ ص ص ٦٠ – ٦١ ترجمة رقم ١٨٠.

٦٠ – نفس المصدر : جـ٢ ص ١٨٥ ترجمة رقم ٥١٠.

٦١ – نفس المصدر : جـ٥ ص ص ١٦١ – ١٦٣ ترجمة رقم ٥٥٧.

٦٢ – نفس المصدر : جـ١ ص ص ٧ – ٨.

٦٣ – نفس المصدر : جـ١ ص ٣٢٢.

٦٤ – نفس المصدر: جـ٢ ص ١٥٥ ترجمة رقم ١٤٤٣.

٦٥ – المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٤١٤ – ٤١٥.

٦٦ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٤١٥.

٦٧ – السيوطى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٥٧.

٦٨ – السخاوى : المصدر: جـ٣ ص ص ١٩٢ – ١٩٣ ترجمة رقم ٧٣٥.

٦٩ – المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤ وأنظر أيضا:

– السيد الباز العرينى: مصر فى عصر الأيوبيين : ص ٢١٧.

٧٠ – المقريزى : المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٥،

– على باشا مبارك : المصدر السابق: جـ٤ ص ٢١١،

– السيد الباز العرينى: المرجع السابق : ص ٢١٧.

٧١ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٤.

٧٢ – على باشا مبارك : المصدر السابق: جـ٤ ص ٢١١.

٧٣ – ابن ظهيرة : المصدر السابق: ص ص ١٨٨ – ١٨٩.

٧٤ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ١ ص ١١٦ ترجمة رقم ٣٢٣.

٧٥ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٣٨٥ ترجمة رقم ١٠١٧ .

٧٦ – نفس المصدر : جـ٣ ص ص ٣٨٧ – ٣٨٨ ترجمة رقم ١٠٢٥.

٧٧ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٥ ترجمة رقم ١٣.

٧٨ – نفس المصدر : جـ ٢ ص ١٦ ترجمة رقم ٤٨.

٧٩ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٧ ترجمة رقم ٧٤.

٨٠ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ١١٧ – ١١٨ ترجمة رقم ٣٤٧.

٨١ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٦٣ ترجمة رقم ٧٨٩.

٨٢ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٢٢٩ رقم ٨٥٨.

٨٣ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٤٣ ترجمة رقم ١٣٩ .

٨٤ – نفس المصدر: جـ٤ ص ١٤٢ ترجمة رقم ٣٧٣.

٨٥ – ابن حجر : المصدر السابق: جـ٤ ص ١٢٥ ترجمة رقم ٣٢٥.

٨٦ – ابن تغرى بردى : المنهل الصافى: جـ٢ ص ١٩٢ ترجمة رقم ٣٠٨.

٨٧ – ابن حجر : المصدر: جـ١ ص ٢٤٣ ترجمة رقم ٦٢٩.

٨٨ – السخاوى : المصدر السابق: جـ١ ص ١٧ .

٨٩ – نفس المصدر: جـ١ ص ٤١ .

٩٠ – نفس المصدر : جـ١ ص ٨٨.

٩١ – نفس المصدر : جـ١ ص ٢٢٥ .

٩٢ – نفس المصدر : جـ١ ص ٣٥٠.

٩٣ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٩٩ ترجمة رقم ٢٩٩.

٩٤ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ١٢٦ – ١٢٨ ترجمة رقم ٣٧٩.

٩٥ – نفس المصدر : جـ١ ص ص ٢٨٨ – ٢٨٩ ترجمة رقم ٩٠١.

٩٦ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٥٢ ترجمة رقم ٢٠٣.

٩٧ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٩٣ ترجمة رقم ٣٧٦.

٩٨ – نفس المصدر : جـ٣ ص ١٠٦ ترجمة رقم ٤٢٢.

٩٩ – نفس المصدر : جـ٥ ص ٢٢١ ترجمة رقم ٧٤٩.

١٠٠ – الجبرتى : المصدر السابق: جـ٢ ص ٨٧.

١٠١ – ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ١ ص ٢٠٦.

١٠٢ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٦٧ ترجمة رقم ٢٠٣.

١٠٣ – نفس المصدر : جـ ٣ ص ص ٦٧ – ٦٩ ترجمة رقم ٢٧٨.

١٠٤ – نفس المصدر : جـ٥ ص ٣٢١ ترجمة رقم ١٠٦٤.

١٠٥ – نفس المصدر : جـ٥ ص ص ٢٧٧ – ٢٧٨ ترجمة رقم ٩٤٤.

١٠٦ – نفس المصدر : جـ٢ ص ١٨٦ ترجمة رقم ٥١٥.

١٠٧ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١٩٣ ترجمة رقم ٤٨٨.

١٠٨ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١١٥ ترجمة رقم ٣١٤.

١٠٩ – نفس المصدر : جـ٦ ص ٤٤ رقم ١٢٤.

١١٠ – دولت عبد الله : معاهد تزكية النفوس فى مصر : ص ٣٢٥.

١١١ – المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٥.

١١٢ – على باشا مبارك: المصدر السابق:جـ٤ ص ص ١٠٢ –١٠٣، ٣١١ – ٣١٣.

١١٣ – دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

١١٤ – المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٩.

١١٥ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٥.

١١٦ – نفس المصدر : جـ٦ ص ص ٤٩ – ٥٠.

١١٧ – لين بول : سرة القاهرة : ص ٢٥٥.

١١٨ – صالح لمعى مصطفى : المرجع السابق : ص ٣١.

١١٩ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٤١٩ – ٤٢٠.

١٢٠ – ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ٧ ص ١٠٧.

١٢١ – المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك : جـ١ ص ٥٣٣.

١٢٢ – أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتيين : ص ٥٥.

١٢٣ – المقريزى: الخطط : جـ٢ ص ٣٩٤، السلوك جـ١ ص ٤٠٢.

١٢٤ – ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ٧ ص ٣٦٧.

١٢٥– عل باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٢ ص ٥.

١٢٦– سرد شرح هذه الألقاب عند الحديث عن وصف الخانقاة كل فى موضعه من هذا الوصف.

١٢٧– راجع: Lamm : Mittelaterlische Glaser, P. 427

وأنظر أيضاً سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون : جـ٣ ص ٥٩.

١٢٨ – السخاو : المصدر السابق : جـ٥ ص ١٦٥ ترجمة رقم ٥٦٢.

١٢٩ – ابن الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة : جـ٣ ص ٦.

١٣٠ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٧٦.

١٣١ – نفس المصدر : جـ١ ص ص ٢٤١١ – ٢٤٢.

١٣٢ – سورة البقرة : آية ٢٥٥.

١٣٣– الجناب لغة هو الفناء أو ما يقرب من محلة القوم ويجمع على أجنبة وجنبات، وهو من اللقاب الأصول التى كانت تعبر عن الرجل بفنائه أو م يقرب من محلته من باب التعظيم، وأقدم من تلقب بهذا اللقب هو السلطان سنجر لسلجوقى لذى لقب «بالجناب العالى الشاهنشاه الأعظمى» وانتقل استعمال هذا اللقب إلى الأيوبيين إلا أنه لم يستعمل للسلاطين وإنما استعمل للوزراء حيث تلقب به القاضى الفاضل، وتدرج لقب الجناب فى عصر المماليك البحرية إلى عدة مراتب منها «الجناب الكريم العلى» ودونه «الجناب لعالى» ثم «مجلس العلى» إلى أن زاد الككتاب درجاته فكانت «الجناب الشريف العالى» و«الجناب الكريم العالى» و «الجناب العالى» وأورد القلقشندى أنه كان أرفع الألقاب بالنسبة لطبقة العلماء والقضاة، ولم يختلف المصطلح كثيراً فى عصر المماليك البرجية عنه فى عصر المماليك البحرية باستثنىء ما استجد من الوظائف لجديدة التى استدعت استحداث ألقاب جديدة قللت من قيمة هذا اللقب.

– راجع : القلقشندى : صبح الأعشى : جـ٥ ص ٤٩٩، جـ٧ ص ٨٥،

– ابن منظور : لسان العرب : جـ١ ص ٢٦٧ وأنظر أيضا،

– حسن الباشا : الألقاب الإسلامية : ص ص ٢٤١ – ٢٤٧،

– محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة : ص ٢٣٦.

١٣٤–كان لقب العالى فى عصر المماليك من الألقاب الفروع التى وصفت كل الألقاب الأصول تقريباً، وكانت رتبه أعلى درجة من السامى وربما سبق بلقب تابع مثل الأشراف

والكريم فقيل «المقر الأشراف العالى» و«المقر الكريم العالى» وربما اقتصر التلقيب عليه وحده فقيل «المقام العالى» و«المقر العالى» و«الجانب العالى» و«المجلس العالى»، وجرى هذا اللقب فى عصر المماليك البحرية مجرى التشريف لغير الإنسان فأطلق على متعلقات النائب الكافل، على حين أطلق الشريف على متعلقات السلطان، أما فى عصر المماليك البرجية فقد استقر الحال على استعمال اللقبين (العالى والشريف) لكل من السلطان ونوابه فقيل فى حالة توقيع النائب «رسم بالأمر الشريف العالى» وفى حالة توقيع السلطان «امتثل الأمر العالى» كذلك كان يرد هذا اللقب على صيغة التفضيل «الأعلى» ضمن ألقاب ملوك المغرب.

- راجع:القلقشندى:المصدر السابق: جـ٦ ص ص ١١٥-١١٦، ١٨٨ وأنظر أيضاً.

- حسن الباشا : المرجع السبق : ص ص ٣٩٠ - ٣٩٢.

١٣٥- الأجل هو أفعل التفضيل من الجليل «العظيم»، وهو لقب شاع استعماله فى العالم الإسلامى كله، إلا أنه لم يكن يطلق فى عصوره الأولى إلا على أصحاب لنفوذ من رجال الدولة الذين كانوا يتمتعون بسلطان واسع فى الحكم المدنى مثل الأمير سيف لدولة الحمدانى صاحب حلب والأمير بدر بن حسنويه صاحب كردبسان، وكان يلحق أيضاً بالقاب الوزراء الذين فوضت إليهم سلطات الأشراف على سياسة الدولة وتدبير أمورها مثلما حدث مع الوزير يعقوب بن كلس على عهد العزيز الفاطمى الذى لقبه «بالوزير الأجل» وحتم مخاطبته بهذا اللقب، فلما تعطلت الوزراة بعد موت ابن كلس اختفى هذا اللقب ولم يعد إلا بظهورها من جديد سنة (٤١٨هـ) حين أسندها الظاهر إلى وزيره الجرجرائى فلقبه «بالوزير الأجل» ثم أصبح هذا اللقب بعد منحه لبدر الجمالى فى عهد المتنصر لقب عاما لكل من جاء بعده من أمراء لجيوش حتى نهاية العصر الفاطمى، وحين انتهى لقب الأجل، إلى الدولة الأيوبية كان قد عم استعماله فى طبقات مختلفة شملت من السلاطين إلى التجار حتى أنه اصبح يتفرع على ألقاب كثيرة لكل هؤلاء، أما فى عصر المماليك فقد تعرض هذا اللقب لكثير من التصنيف والتبويب كما حدث للكثير من الألقاب المستعملة فى هذا العصر، واستمر يطلق على السلاطين منذ البداية كما حدث بالنسبة لبيبرس والأشرف خليل وحتى النهاية كما حدث بلنسبة لبرسباى وقايتباى، إلا أنه لم يطلق فقط

على السلاطين وإنما أطلق على أمراء الجند كما حدث بالنسبة للأمير شمس الدين سنقر السعدى فى نص إنشاء بضريحه (١٧٥ هـ)، والأمير يشبك فى نقش بحوش بردق تاريخه (٨٨٠هـ)، ورغم أن هذا اللقب كان قد استخدم لكثير من الطبقات الدنيا إلا أنه ظل يطلق على السلاطين مما يشير إلى احتفاظه بمدلوله القديم.

– راجع : ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة : ص ٢١، ٣٥،

– المقريزى : الخطط : جـ٢ ص ٦،

– القلقشندى : المصدر السابق: جـ١٠ ص ١٤٥، ١٦٠ وانظر أيضاً،

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ١٢٦ – ١٣٤.

١٣٦– المولى لغة هو لقب يطلق على السيد وعلى المملوك وعلى العتيق وعلى المنتسب إلى قبيلة، وقد استعمل كلقب بمعنى السيادة أحيانا وبمعنى الإنماء أحيانا أخرى، وكان فى كلتا الحالتين مشتقا من المعنى الأصلى للكلمة على سبيل الكتابة، أما فى عصر المماليك فقد صار لقب المولوى فضلا عن استعماله للسلاطين يرد ضمن ألقاب رجال الدولة من الأمراء والمدنيين، ولو أنه لم يكن يخاطب به أحد منهم عن السلطان، وقد اصطلح كتاب هذا العصر على وضع لقب «المولوى» فى سلسلة الألقاب قبل اللقب الدال على الوضع دلالة خاصة كالأمير والقاضى فقيل «المقر الشريف العلى المولوى الأمير» وكان هذا اللقب أيضا يدخل فى تكوين بعض الألقاب المركبة مثل «مولولى العرب والعجم» و «مولولى ملوك الترك والعرب والعجم» ونحوها.

– راجع القلقشندى : المصدر السابق : جـ٦ ص ص ٣١، ١١١ وأنظر أيضاً:

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٥١٦ – ٥١٩.

١٣٧– المالك خلاف المملوك وهو من الألقاب الملكية فى العصر الإسلامى وقد شاع استعماله فى عصر المماليك فورد مثلا ضمن ألقاب الأشراف شعبان والأشراف قايتبى وقانصوة الغورى وغيرهم، كما استعمل مضافا إلى ياء النسب «المالكى» فى نفس العصر المشار إليه وورد ضمن ألقاب أكابر العسكريين لأنه لم يكن يكتب بهذه الصيغة عن السلطان لأحد، مثال ذلك ما ورد فى ألقاب الأمير سيف الدين صرغتمش رأس نوبة الملك الناصر فى نص

على مشكاة صنعت لمدرسته سنة (٧٥٦هـ)، كما أضيفت إليه بعض كلمات لتكوين لقب مركب منه «مالك البحرين» و «مالك بلاد الله».

- راجع القلقشندى : المصدر السابق : جـ٦ ص ٢٥ وانظر أيضا،

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٤٤٤ - ٤٤٦.

١٣٨- الكبير لغة خلاف الصغير ويقصد به رفيع الرتبة والقدر، وغلبا ما سبق هذا اللقب بلقب الأمير حتى اعتبر بعض الكتاب اللقبين وحدة لقبية فخرية واحدة، وقد استعمل لقب «الكبير» مضافا إلى ياء النسب فقيل «الكبيرى» وكان حكمها حكم اللقب المجرد، وقد وضعه كتاب هذ لعصر بعد لقب التمييز الدال على الوظيفة فقيل «المقر العالى الأمير الكبير» أو «الجناب العالى القاضوى الكبير» أو «المجلس العالى الشيخى الكبير»، كذلك فقد استعملت الصفة المؤنثة من هذا اللقب «الكبيرة»ضمن ألقاب النساء كما حدث مثلاً لأم الرشيد بن المعتمد على الله فى نص إنشاء تاريخه سنة ٤٧٨هـ بأشبيلية،

- راجع : القلقشندى : المصدر السابق : جـ٦ ص ١١٧،

Sauvaget,Combe et Wiet, Repertoire Chronologique d'Epigraphie

Arabe, vii No2750,

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٤٣٦ - ٤٣٧.

١٣٩- نحتت كلمة استفهلار من مقطعين أحدهما فارسى هو «أسفه» ومعناه المقدم والآخر تركى هو «سلار» ومعناه العسكر، وبذلك تكون الكلمة دالة على «مقدم العسكر» أو قائد الجيش وهذا اللقب هو أحد الألقاب التى استعملت فى عصر الدولة الفارسية ثم انتقل إلى عصر لدولة العبسية فى بغداد بعد كثرة الاعتماد على العنصر الفارسى، ثم انتقل إلى الدولة الفاطمية وكان يلى فى الرتبة «صاحب الباب» ثم انتقل عن طريق الدولتين الفاطمية والنورية إلى العصر لأيوبى فكان قراقوش يلقب به، أما فى عصر المماليك فقد ورد أن هذا اللقب كان يختص بأمراء الطلبخانة، ثم ترك استعمله لهم فى أوائل القرن (٩هـ/ ١٥م) حين صار لقبا عاما للعسكرين، واستعمل اللقب مضافا إلى ياء النسبة «سفهلارى» كغيره

من الألقاب التى استعملت فى هذ العصر، وربما كان أقدم مثال له م ورد على مبخرة من النحاس من مصر ترجع إلى سنة (٦٧٥هـ) باسم الأميرى بيسرى الظاهرى محفوظة فى التحف البريطانية بلندن.

– راجع : القلقشندى : المصدر السابق : جـ٣ ص ٤٨٣،

– وانظر أيضاً :Saubaget, Combe et Wiet: OP. cit. x1 No4725,

– حسن الباشا : المرجع لسابق : ص ١٥٧.

١٤٠– العضد لغة اسم للساعد الذى يقوم بالمساعدة مقام العضد الحقيقى للإنسان، ومنه قوله تعالى لموسى عليه لسلام «سنشد عضدك بأخيك» وقد استعمل اللقب مضافا إليه ياء النسبة فقيل «العضدى» كما استعمل مضافا إليه كلمات أخرى لتوين لقب مركب فقيل «عضد الدولة»، «عضد أمير المؤمنين» ونحوهما.

– أنظر : حسن باشا : المرجع السابق : ص ص ٤٠٣ – ٤٠٤.

١٤١– كان النصيرى فى عصر المماليك لقبا من ألقاب العسكريين من درجة المجلس الساهى، وكانت تضاف إليه أحياناً بعض الألفاظ الأخرى لتكوين ألقاب مركبة مثل «نصر لدين»، «نصير الحق بالبراهين» ونحوهما.

– أنظر : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٥٣٣٤.

١٤٢– سورة الرحمن : آية ٢٧.

١٤٣– سورة الفتح : آية ١ – ٢.

١٤٤– سورة الأعراف : آية ٤٣.

١٤٥– المقر لغة هو موضع لاستقرار ، وقد استخدم فى المكاتبات للإشارة إلى صاحب المكان تعظيما له عن التفوه باسمه، وقد كان فى عصر المماليك أحد الألقاب الأصول ويلى فى المرتبة لقب «المقام»، ومع أنه كان ضمن ألقاب المنصور قلاوون فى عهد السلطنة الذى

صيغ له سنة (٦٧٨هـ) بمعرفة القاضي محي الدين عبد الظاهر إلا أنه لم يحتفظ طويلا بمكانته السلطانية بل أطلق على كبار الأمراء من العسكريين طوال القرن الثامن وحتى منصف القرن التاسع مثلما حدث بالنسبة للأمير سيف الدين قوصون ولأمير إينال العلائي وغيرهما، ليس هذا فقط بل إنه في ربيع الأول سنة (٨٦٠هـ) أطلق على أحد رجال الدولة من المدنيين كم حدث بالنسبة للقاضي جمال الدين يوسف الذى لقب «بالمقر الأشراف» ولو أن استخدامه لأكابر الأمراء من العسكريين ظل قاءماً حتى عصر المماليك.

- راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ١ ص ص ١١٦- ١١٧

Van Berchem (M.), Corpus Inscriptiunm,Tome,I,Nos. a121,272,278.

- وانظر أيضا:

- حسن لباشا: المرجع السابق: ص ص ٤٨٩ - ٤٩٤،

- محمد أمين: المرجع السابق: ص ٣٥٦.

١٤٦- الأشراف هو أفعل التفضيل من «شريف» وهو لقب من الألقاب التوابع التى كانت تتفرغ على الألقاب الأصول مثل المقام والمقر اللذان كانا يستعملان للسلاطين والملوك، ولقب الأشراف هو أعلى الألقاب التوابع رتبة، ودونه «الشريف» ثم «الكريم» ثم «العالى» ثم «السامى»، واستعمل هذا اللقب لكثير من الملوك منهم موسى بن العادل، محمد بن صلاح الدين وخليل بن قلاوون وغيرهم، ويشير إقبال السلاطين والملوك فى عصر المماليك على التقلب به إلى أنه كان لقبا رفيع القدر،

- راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ٦ ص ٩٨،

: ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين: جـ١ ص صض ٢٧٦ - ٢٧٧،

: ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور: جـ١ ص ١١٩ وانظر ايضاً،

: حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص: ٦٢٠ - ١٦١.

١٤٧ - الصلح صفة من صفات أهل الصلاح من رجال العلم والدين وغيرهم، ولعل إطلاقه

على ذى النون ابراهيم بن المصرى فى نص جنائزى تاريخه سنة (٢٥هـ) من الفسطاط هوخير شاهد على ذلك وقد عرف هذا اللقب كنعت خاص لبعض الملوك والأمراء، وكان أول من تلقب به هو الملك الصالح طلائع بن رزيك فى عصر الفائز، كما تلقب به الصالح إسماعيل بن نور الدين، ثم الصالح أيوب ثم المنصور حاجى بن الأشرف شعبان وغيرهم، وقد أضيف اللقب إلى ياء النسبة فقيل «الصالحى»

- راجع: Sauvaget, Combe et Wiet:: Op.cit: Tom. II,No440.

- المقريزى: المصدر السابق: جـ١ ص ٣٥٧، جـ٢ ص ٢٩ وانظر أيضا:

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ٣٧٧.

١٤٨ - الأمير لغة هو صاحب الأمر والتسلط وهو لقب من ألقاب الوظائف ويرجع استخدامه إلى عصر الرسول (ص) حين كان يقصد به الولاية على الحكم أو رئاسة الجيش أو نحو ذلك، وتشير أقدم النصوص المعروفة إلى أنه أطلق على عبد العزيز بن مروان فى نقش تاريخه سنة (٦٩هـ) على إحدى القناطر بالفسطاط ورد فيه «عبد العزيز بن مروان الأمير» كما استعمل هذا اللقب أيضا بمعنى لوالى خلال حكم الدولة الفاطمية فأطلق على أنوشتكين الدزبرى حين كان وليا على الشام، وقد عم إطلاق هذا القب على عهد الدولة المشار إليها على أبناء الخلفاء مثلما حدث بالنسبة لحسن بن الحافظ وأبى الفتوح بن العاضد، كما أطلق أيضا على بعض رجال الدولة المقربين مثلما حدث بالنسبة للأمير المختار المسبحى والأمير أبى الحسين عمار بن محمد، كذلك فقد أطلق هذا اللقب على أفراد الأسرة الأيوبية كما حدث بالنسبة للأمير شمس الدولة توران شاه أخو السلطان صلاح الدين، وقد أشاع استخدام هذا اللقب مضافا إلى ياء النسبة فى عصر المماليك البحرية كما حدث بالنسبة للنائب الكافل من العسكريين ولنقيب الأشراف من المدنيين، أما فى عصر المماليك البرجية فقد عمم القلقشندى استعماله للعسكرين فقط.

- راجع: Sauvaget,Combe et Wiet : Op.cit. Tome. I,No8.

- ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق : ص ٧١،

– المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٧،

– ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان: جـ١ ص ٦٥٣،

– ابن الصيرفى: المصدر السابق ص ٣٣،

– ابن العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف: ص ٦٦،

– القلقشندى: المصدر السابق: جـ١١ ص ص ١٦٢ – ١٦٣ وانظر أيضا،

– حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ١٧٩ – ٢١٤.

١٤٩ – المخدوم لقب من الألقاب الدالة على أن الملقب به كان في درجة تؤهله لأن يكون مخدوما لعلو رتبته وسمو محله، ونظر لإشارته إلى أن الكاتب له هو خادم للمكاتب إليه فإنه لم يستخدم فى المكاتبات التى كانت تصدر عن السلطان واختص من ثم بالمكاتبات التى كانت تصدر عن الأمراء، ومن هنا كان هذا اللقب غالب الظهور فى مكاتبات الأمراء، واستخدم فى هذه الحالة مضافا إليه ياء النسبة فقيل «المخدومى».

– راجع : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٤٦٤،

– محمد أمين : المرجع السبق : ص ٣٥٦.

١٥٠– الملك لغة هو الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية فى الدولة، وهو لقب عرفته اللغات السامية وورد ذكره فى النقوش العربية القديمة ولا سيما نقش صرواح الذى تركه «ركرب آل وتر» ملك سبأ، أما فى العصر الإسلامى فإن لقب الملك لم يعرف صدر الإسلام ولا حتى فى عهد الدولة الأموية حيث اقتصر تلقيب الولى الأعلى حينذاك بالخليفة أحياناً وبأمير المؤمنين أحياناً أخرى، بينما تلقب الولاة الفرعيين لالعمال والأمراء، ولكن عندما أخذ بعض الولاة يستقلون عن مركز الخلافة فى العصر العباسى، وعندما استبد بعضهم بالسلطة السياسية دون الخليفة ظهر لقب الملك الذى حمل فى طياته معنى السيادة العليا، يدل على ذلك أنه أطلق على أمراء بنى سامان وبنى بوية والسلاجقة، وتلقب به فى العصر الفاطمى رضوان

بن ولخشى عندما وزر للحافظ سنة (٥٣٠هـ) وقيل له «السيد الأجل الملك الأفضل» واحتفظت الدولة الأيوبية عندما جاءت بنفس اللقب كما حدث بالنسبة لصلاح الدين أول الأمر، ثم أطلق هذا اللقب بعد ذلك على ولاة هذه الدولة من الأمراء وانفرد رب الأسرة الأكبر بلقب السلطان مثلما حدث بالنسبة للسلاجقة، أما فى عصر المماليك فقد استمر إطلاق هذا اللقب بمدلولاته المختلفة التى عرفت عنه فى الأيوبيين فصار يطلق إلى جانب لقب «السلطان» كنعت خاص لرئيس الدولة مثلما حدث بالنسبة لأيبك وقطز وبيبرس وغيرهم وقد استعمل اللقب ولا سيما بالنسبة للأمراء مضافا إلى ياء النسب فقيل «الملكى».

١٥١- المنصور لغة هو لقب يشير إلى أن صاحبه مؤيد من الله سبحانه وتعالى لأن النصر هو من عند الله وقد وردت فى ذلك آيات كثيرة منها «ولينصرن الله من ينصره»، «ولقد نصركم الله وأنتم أذلة»، «وإن تنصروا الله» وقد استعمل هذا اللقب فى عصر المماليك كإحدى لصفات الجارية مجرى التفؤل فقيل « لجيوش المنصورة» و «العسكر المنصورة» و «القلع المنصورة» و«البريد المنصور» ونحو ذلك تيما بأشرف متعلقات هذه الأشياء وهو النصر على الأعداء، وكان أول من تلقب بهذا اللقب هو الخليفة أبى جعفر (المنصور) ثانى خلفاء بنى لعباس، ثم نعت ذلك كثيرون مثلما حدث بالنسبة لعضد الدولة أبى شجاع فناخسرو والخليفة عبد الله بن هشام وغيرهما، واستمر استعمال هذا للقب فى عصر المماليك، كما استعمل مضافاً إلى ياء لنسب ولا سيما بالنسبة للأمراء فقيل المنصورى.

- راجع القلقشندى: المصدر السابق: جـ٦ ص ص ١٨٣ - ١٨٤،

Sauvget, Combe et Wiet,Op. cit. Tome, V, No.20991

- وانظر أيضا:

- حسن الباشا: المرجع السابق: ص ص ٥١٢ - ٥١٣.

١٥٢ - سورة البقرة: آية: ٢٥٥.

١٥٣ – آل عمران: آية ١٨٥.

١٥٤– أطلق لقب «العبد الفقير» أصلا كنوع من التواضع والتذلل لله تعالى واستوى فى ذلك السلاطين والأمراء وكان بهذا المدلول غالب الورود فى النصوص الجنائزية، إذا لم يعثر على أنه كان قد ورد بهذه الصفة ضمن ألقاب سلطان أو أمير قائم، ومن ذلك وروده فى نقش على مشكاة زجاجية كانت قد عملت برسم تربة نائب السلطنة الأمير سيف الدين سلار، ومع ذلك فقد ورد هذا اللقب أيضاً بصيغة «الفقير إلى رحمة ربه» كترجمة عن صلاح الدين عندما بعث إلى صاحب المغرب، أما فى عصر المماليك فإنه لم يستعمل – كما قلنا – ضمن ألقاب سلطان أو أمير قائم.

– راجع: Van Berchem (M.); OP. cit, I, Nos. 465,336,

– أبو شامة: المصدر السابق : جـ٢ ص ص ١٧١ – ١٧٤ وأنظر أيضاً:

– محمد أمين : المرجع السابق : ص ٣٧.

١٥٥ – ورد لقب «علاء الدين» فى عصر المماليك ضمن القاب العسكرين سواء كانوا من الترك أو من المولدين، وكان يختص فى حالة الجماعة الأولى ببعض الأسماء ولا سيما طيبغا والطبغا وقرابغا كما ورد بالنسبة للأمير طيبغا الطويل فى نقوش ضريحه، بينما اختص فى حالة الجماعة الثانية بالإسم «على» كما ورد بالنسبة للأمير أيدكين البندقدار.

–راجع : Van Berchem (M.), OP, cit, Tome, I, P.175

– القلقشندى : المصدر السابق : جـ٥ ص ٨٨.

١٥٦ – مجموعة ١٨ عن سنة ١٩٠١ ص ١١١.

١٥٧ – المجاهد لغة هو اسم الفاعل من الجهاد الذى ورد ذكره كثيرا فى القرآن الكريم ومنه قوله تعالى «فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما»، وقد أطلق هذا اللقب على

سلاطين المماليك كما حدث بالنسبة للناصر محمد بن قلاوون كما أطلق على صغار الأمراء ممن كانوا يخاطبون «بالمجلس السامى» من غير ياء النسب، أما فى حالة استخدامه مضافا إلى ياء النسبة فإنه كان يعنى أكابر العسكريين كنواب السلطنة ونحوهم، واللقب فى أى من هذه الحالات هو اختصار «للمجاهد فى سبيل الله» أو «المجاهد فى الله» وما إلى ذلك،

– راجع: سورة النساء: الآيتان : ٩٥ – ٩٦،

– القلقشندى : المصدر السابق: جـ٦ ص ٢٦ وأنظر أيضا،

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٤٥١.

١٥٨ – محمود أحمد : دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة : ص ص ٥ – ٦.

١٥٩ – مجموعة ١٨ عن سنة (١٩٠١) ت. ق. هـ. رقم (٢٩٢) محضر جلسة رقم ١٠٩.

١٦٠ – مجموعة ٢٦ سنة (١٩٠٩) ص ٥٠.

١٦١ – المقريزى : الخطط : جـ٢ ص ٤٢٠.

١٦٢ – على باشا مبارك : المصدر السابق: جـ٦ ص ٥٠.

١٦٣ – عبد الرحمن زكى : القاهرة (تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ: ص ١٣.

١٦٤ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : جـ٨ ص ٢٧٧، جـ٩ ص ٣٢٥.

١٦٥ – الحنبلى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣٨.

١٦٦ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٦٧.

١٦٧ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٦٨،

– القلقشندى : المصدر السابق : جـ٣ ص ٤٣٢، جـ ١٣ ص ١٨١.

١٦٨ – السخاوى : المصدر السابق : جـ ٣ ص ص ٨ – ١٠.

– المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٤٢،

– الحنبلى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٧٤.

١٦٩ – عبد الجليل المهدى : المرجع السابق : جـ٢ ص ٢١.

١٧٠ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٧٤، ١٥٥، ١٥٦.

١٧١– Van Berchem (M.) Op. cit Tome: xix Fasc. III PP. 518-519, Text.344.

١٧٢ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ١٧٩ – ١٨٢، ٢٧٧ – ٢٧٨،

– محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٣ ح١.

١٧٣ – ابن تغرى بردى: المصدر السابق : جـ٨ ص ص : ٢٢٠ – ٢٢٢.

١٧٤ – ابن دقماق : المصدر السابق : ق١ ص ٧١.

١٧٥ – الجبرتى : المصدر السابق : جـ١ ص ١٨.

١٧٦ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٧٥، ١٥٧ – ١٥٨.

١٧٧ – محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر: ص ٣٨.

١٧٨ – حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية: جـ٢ ص ١٢٥ وانظر أيضا:

– ترجمة أخرى مطولة للأمير سلار فى،

– سعاد ماهر : مساجد مصر : جـ٣ ص ص ١٤٠ – ١٤٢.

١٧٩ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ٢ ص ١٢٥.

١٨٠ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٦٦.

١٨١ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ١٧٠ – ١٧٢ .

١٨٢ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٦٧ .

١٨٣ – ابن تغرى بردى : المصدر السابق : جـ٨ ص ص ١٩٧ – ١٩٨ .

١٨٤ – الحنبلى المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٣٨، ٢٧١ – ٢٧٢ ،

– ولمعلومات أخرى أكثر تفصيلا عن صاحب هذه الترجمة ينظر:

– الأسنوى : طبقات الشافعية الكبرى : جـ ١٠ ص ١ ،

– المقريزى : السلوك : جـ٢ ق ٣ ص ١٧٤ ،

– السيوطى : المصدر السابق : جـ١ ص ٣٩٥ ،

– ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : جـ٦ ص ١٤٤ ،

– المقريزى : خطط : جـ٢ ص ٣٩٨ .

١٨٥ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٧٤ – ٧٥ ص ص ١٥٦ – ١٥٧ .

١٨٦ – محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٣ ،

– حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ص ١٢٤ – ١٣٠ ،

– عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ٢٣٠ ،

– وزارة الأوقاف : مساجد مصر : جـ١ ص ص ٤٩ – ٥٢ ،

– سنية قراعة : مساجد ودول : ص ١٨٧ ،

– عبد المهدى : المرجع السابق : جـ٢ ص ص ١٩ – ٢١ .

- سعاد ماهر : مساجد مصر : جـ٣ ص ص ١٤٣ - ١٤٤.

١٨٧ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ١ ص ص ٢٤٠ - ٢٤١ ترجمة رقم ٦١٤.

١٨٨ - نفس المصدر : جـ١ ص ٥٣٢ ترجمة رقم ١٤٣٥.

١٨٩ - السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٩٩ - ١٠١ ترجمة رقم ٣٠٤.

١٩٠ نفس المصدر : جـ١ ص ٣٨٠.

١٩١ - نفس المصدر : جـ٥ ص ١٦٩ - ١٧١ ترجمة رقم ٥٨٩.

١٩٢ - نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٩٩ - ١٠١ ترجمة رقم ٣٠٤.

١٩٣ - نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٩٩ - ١٠١ ترجمة رقم ٣٠٤.

١٩٤ - نفس المصدر : جـ٥ ص ٧٦ ترجمة رقم - ٢٨١.

١٩٥ - المقريزى : خطط : جـ٢ ص ٤٢١،

- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٥،

- لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤١.

١٩٦ - كمال سامح : المرجع السابق : ص ٤٠،

- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٥،

- سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٤٥.

١٩٧ - سورة التوبة : آية : ١٨.

١٩٨ - Van Berch em (M.) Op. cit. Tome, II, P. P. 156-7, Text, 105,

- على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ١٥٥،

- محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١٠٩،

- حسن عبد الوهاب : المرجع السابق جـ١ ص ١٢٧،

- دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ٥١،

- لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ت : ١٣٠ ص ص ٤١ - ٤٣.

١٩٩ - محمود أحمد : المرجع السابق : ص ص ١١٣ - ١١٤.

٢٠٠ - سورة الرحمن : الآيتان : ٢٦ - ٢٧.

٢٠١ - كان سيف الدين هو أشهر الألقاب التي أضيفت إلى «الدين» وقد نعت به كثير من رجال الدولة كما حدث بالنسبة لغازى بن عماد الدين زنكى صاحب الموصل والعادل أبى بكر بن أيوب الذى ورد اسمه مقرونا بهذا اللقب فى نقش تاريخه سنة (٦١٥هـ) على تحفة من النحاس فى متحف بناكى فى أثينا، وقد ذكر القلقشندى لمناسبته لحالهم من حيث رغبتهم فى الانتساب إلى القوة والشدة، وقد ورد ذلك فى عصر المماليك البحرية مع كثير من أسماء العسكريين الأتراك ولا سيما يلبغا ومنكلى بغا وتغرى بردى وتغرى برمش وغيرهم، كما ورد مع كثير من أسماء العسكريين المولدين ولا سيما من تسمى منهم بأبى بكر واقتصر هذا اللقب فى عصر المماليك البرجية على رجال الطوائف العسكرية، يدل على ذلك أن عشرة من سلاطين هذه الدولة السبعة عشر (وجميعهم كانوا من العسكريين) كانوا يلقبون بسيف الدين

- راجع : أبو شامه : المصدر السابق : جـ١ ص ٦٥،

Sauvaget, Combe et Wiet. Op. cit, Tome, x, No 3815,

- القلقشندى : المصدر السابق : جـ٥ ص ٤٨٨ وأنظر أيضاً:

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٣٤٣ - ٣٤٥.

٢٠٢ – المعظم لقب من ألقاب السلاطين والملوك وقد أطلق على السلطان ألب أرسلان فى نقش تاريخه سنة (٤٥٩هـ) على صينية فضية من إيران واستعمله ديوان الإنشاء فى عصر المماليك كلقب لمن كاتبهم سلاطين هذا العصر من ملوك الدول غير الإسلامية، أما صيغة المؤنث منه «المعظمة» فكانت لقبا من ألقاب نائب السلطنة المملوكية الذى قيل عنه نائب السلطنة «المعظمة الملكى الناصرى»

– راجع : Sauvaget, Combe et Wiet. Op. cit, Tome, VII, No 2661

– القلقشندى : ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر : ص ٣٦٠ وانظر أيضاً:

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٤٨٧ – ٤٨٨.

٢٠٣ – الناصر لغة هو اسم الفاعل من «نصر» وكان يقصد به «الناصر لدين الله» واتخذه بعض الولاة بهذه الصفة نعتا خاصا تيمنا بالانتصار للحق الذى جاء به دين الله الإسلام، وقد ورد هذا اللقب ضمن الألقاب التى أضفاها الخليفة العاضد على الناصر صلاح الدين حين عهد إليه بالوزارة، كما ورد ضمن ألقاب بعض سلاطين المماليك ولا سما الناصر محمد بن قلاوون، وقد دخل لفظ «الناصر» فى تكوين كثير من الألقاب المركبة مثل «ناصر الاسلام» و«ناصر الإمام» و«ناصر أمير المؤمنين» ونحو ذلك، كما استعمل اللقب مضافا إلى ياء النسب ولا سيما بالنسبة للأمراء فقيل الناصرى.

– راجع : القلقشندى : صبح الأعشى : جـ٥ ص ٤٨٨،

– وانظر أيضا : Van Berchem (M.): Op. cit, Tome, I, P-317

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٥٢٥.

٢٠٤ – Van Berchem (M.): Op. cit, Tome, II, P-157, text, 106,

– على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٧٤، ١٥٥،

– حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٨،

– سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٤٨.

٢٠٥ – سورة الحج : آية ٤١.

٢٠٦ – سورة الأعراف : آية ٥٤.

٢٠٧ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٨.

٢٠٨ – سورة البقرة : آية ٢٥٥.

٢٠٩ – سورة آل عمران : الآيات : ١٩٠ – ١٩٥ وانظر أيضا:

– على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ١٥٦.

٢١٠ – سورة القصص : آية ٧٧.

٢١١ – سورة الرحمن : آية ٢٧.

٢١٢ – الأصل فى الأستاذ أنه لقب من الألقاب العامة التى استعملت منذ العصر العباسى حيث كان يطلق على الخصيان من الغلمان الذين سموا فى عصر المماليك بالطواشية، واستمر استخدام هذا اللقب خلال عصر الدولة الفاطمية وكان أبرز من تلقب به هو «الاستاذ برجوان» الذى كان وصيا على الحاكم، أما فى عصر المماليك فقد استعمل هذا اللقب للإشارة إلى رب النعمة من الجلاب أو المربين أو المحررين، كما استعمل أضا للإشارة إلى معلم الصنعة، وقد ورد بهذه الصفة فى نقش تاريخه سنة (٧٩٨هـ) على كرسى من النحاس المكفت كان فى بيمارستان المنصور قلاوون من صناعة «الأستاذ محمد بن سنقر الأستاذين» وقد لقب به «غبن» قائد القواد فى العصر الفاطمى، ومنه «أستاذ الدار» وهو لقب من أسندت إليه أمور البيوت السلطانية كلها من المصالح والنفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك وهو من أمراء المئين.

– راجع : القلقشندى : المصدر السابق : جـ٥ ص ٤٨٩،

– ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : جـ٩ ص ٢٥٠،

– ابن خلكان : المصدر السابق : جـ١ ص ص ١١، ١١٠،

– ابن الصيرفى : المصدر السابق : ص ١٣٥،

– المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٩٧،

– السيوطى: حسن المحاضرة فى ملوك مصر والقاهرة : جـ٢ ص ص ١٣٠ – ١٣٢،

– وانظر أيضا : زكى حسن : أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية: ص ٤٦٣،

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ١٣٩ – ١٤٠.

٢١٣ – Van Berchem (M.): Op. cit, Tome, II, P-157, text, 107,

– على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٧٤، د ١١٥،

– حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٨.

٢١٤ – سورة الدخان : الآيات : ٥١ – ٥٨.

٢١٥ – سورة البقرة : الآيات : ٢٨٤ – ٢٨٦.

٢١٦ – كمال سامح : المرجع السابق : ص ٤٠.

٢١٧ – وزارة الأوقاف : المرجع السابق جـ١ ص ص ٤٩ – ٥٢،

– لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤٢.

٢١٨ – سورة الحج : آية ٧٧.

٢١٩ – سورة آل عمران : آية ١٥٨.

٢٢٠ – دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ص ٢٣٥، ٢٣٩.

٢٢١ – سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٤٨،

– دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ص ٥٥ – ٥٦.

٢٢٢ – سورة النور : الآيات : ٣٦ – ٣٨.

٢٢٣ – لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤٣،

– سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٥١.

٢٢٤ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٧،

– محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٠،

– وزارة الأوقاف : المرجع السابق : جـ١ ص ٥٠،

– دللى : العمارة العربية : ص ١٦٤.

٢٢٥ – عبد العزيز سالم : المآذن المصرية ص ٢٦،

– كمال سامح : المرجع السابق : ص ٤٠.

٢٢٦ – عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص ٢٦،

– مارتن برجز : تراث الإسلام (مقال عن الهندسة المعمارية) ص ص ٢٢٧ – ٢٥٨.

٢٢٧ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٧.

٢٢٨ – سورة الأنبياء : الآيات : ١٠١ – ١٠٣.

٢٢٩ – سورة آل عمران : الآيتان : ١٣٥ – ١٣٦ وانظر أيضا:

– دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ٥٩،

– سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٥٠.

٢٣٠ – محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٣ ،

– على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٧، ١٥٦،

– حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٨ ،

– وزارة الأوقاف: المرجع السابق : جـ١ ص ٤٩ .

٢٣١ – محمود احمد : المرجع السابق : ص ص ٥ – ٦.

٢٣٢ – كمال سامح : المرجع السابق : ص ١٠٦،

– إرنست كونل : الفن الإسلامى : ص ١٧١.

٢٣٣ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ص ١٢٦ – ١٢٧ .

٢٣٤ – سورة آل عمران : آية : ١٨٥ .

٢٣٥ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٢٩ .

٢٣٦ – لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤٢ .

٢٣٧ – سورة الشعراء : الآيات : ٦١ – ٧٠.

٢٣٨ – سورة الأحزاب : آة ٥٦ .

٢٣٩ – محمود أحمد : المرجع السابق : ص ١١٠،

– حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٣٠ ،

– لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ٩ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤١ .

٢٤٠ – لجنة بحفظ الآثار العربية : نفس المجموعة: ص ٤٣ .

٢٤١ – لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١٠ عن سنة (١٨٩٢م) ص ٤٧ بند اولا .

٢٤٢ – لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١١ عن سنة (١٨٩٤م) ص ٧٥.

٢٤٣ – لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١٢ عن سنة (١٨٩٥م) ص ص ٢٤ – ٢٥.

٢٤٤ – لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة ١٤ عن سنة (١٨٩٧م) ص ٢٣.

٢٤٥ – Van Berchem (M.): op.cit. tome XIX, Fasc,iv,p.653 Tex.465

٢٤٦– لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة٨ عن سنة (١٨٩١م) ص ٤٥.

٢٤٧– لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة١١ عن سنة (١٨٩٤م) ص١١٧.

٢٤٨– لجنة حفظ الآثار العربية : مجموعة١٢ عن سنة (١٨٩٥م) ص٧٧.

٢٤٩ – لجنة حفظ الآثار العربية: مجموعة ١٤ عن سنة (١٨٩٧م) ص ١٦٠.

٢٥٠ – لجنة حفظ الآثار العربية: مجموعة ١٦ عن سنة (١٨٩٩م) ص ص ٢٨ – ٢٩.

٢٥١ – لجنة حفظ الآثار العربية: مجموعة ٤١عن سنة (١٩٥٤– ١٩٦١م) ص ٧٢.

٢٥٢ – المقريزى: الخطط: جـ٢ ص ٤١٥ وانظر ايضا:

– حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣١.

٢٥٣ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٥.

٢٥٤ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٣٣.

٢٥٥ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٢ ص ٦٨.

٢٥٦ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٤١٥ – ٤١٦.

٢٥٧ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٤١٦ وراجع أيضا :

– ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ٢ ص ص ١٩ – ٢٠.

٢٥٨ – السيوطى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ١٥ ، ٢٦٥.

٢٥٩ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٢ ص ٦٨، جـ٦ ص ٥٠.

٢٦٠ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١٤٣.

٢٦١ – راجع فى ذلك : حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٣٢،

– عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى : جـ١ ص ١٠٨،

– فتحى الحديدى : المرجع السابق : ص ١٢٦،

– صالح لمعى : المرجع السابق : ص ٢٥.

٢٦٢ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٥٦ ترجمة رقم ٧٢٦.

٢٦٣ – عبد الرحمن زكى : المرجع السابق : ص ١٦٨.

٢٦٤ – لهذه الخانقاة وثيقتان تكمل إحداهما الأخرى بدار الوثائق القومية بالقلعة، أولاهما برقم (٤/٢٢) تاريخها ٢٦ شوال سنة (٧٠٧هـ) والأخرى برقم (٤/٢٣) وبنفس التاريخ وهى حجة ممزقة طولها (١٩) مترا، فاقد جزء من أولها وأطرافها وتشتمل على وصف للخانقاة والرباط والقبة، مع ذكر أوقافها التى نصت الوثيقة على أنها كانت وقفا شرعيا على الصوفة والمتصوفة الشيوخ والكهول والشبان العرب منهم والعجم على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم الملتزمين بآدابهم وطرائقهم المقيم منهم بهذا المكان المذكور، وإلى أن يكون هذا المكان خانقاة للصوفية المشار إليهم ومسكناً لمن يختار سكنا به، ثم أوردت الوثيقة أوجه الصرف بالخانقاة ولاسيما شروط الأكل ورواتب وجرايات الصوفية وخادمهم ومشرف المطبخ والطباخ والكحال والمغسل والمبلغ وإمام الرباط وشيخه وفراشه وعامل الوقود بالحمام والبواب والرشاش والوازن، وغيرهم مما سيرد ذكره عند الحديث عن وظائف الخانقاة، أنظر عن هذه الوثيقة أيضاً :

– ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ٢ ص ص ١٩ – ٢٠ حاشية ٩،

– محمد أمين: فهرست وثائق القاهرة: ص ص: ٨ – ٩ مسلسل (٢٥ – ٢٦ – ٢٧).

٢٦٥ – ابن الجيعان : المصدر السابق : ص ٦٢.

٢٦٦ – نفس المصدر : ص ١٤٥.

٢٦٧ – المقريزى : خطط : جـ٢ ص ٤٩٦،

- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة: جـ١ ص ٥٠٧.

٢٦٨ - على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ ص ص ٦٨، ١٤٢ - ١٤٤٣.

٢٦٩ - كلمة جاشنكير كانت تعنى الأمين على تذوق لأطعمة قبل تقديمها إلى السلطان للتحقق من سلامتها.

أنظر: حسن عبد االوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣٦ ولنفس المؤلف:

- مجلة العمارة سنة ١٩٤٢ عدد (٢٢١) ص٥٩.

٢٧٠ - كانت وظيفة الأستادار تعنى الإشراف على الشئون المالية لخاصة بالسلطان أو الملك، فكان الأستادار فى الدولة المملوكية من ثم هو ناظر الخاصة أو وكيل الخراج والمؤونة، وهى بصفة عامة وظيفة من وظائف أرباب السيوف، وموضعها التحدث فى أمر البيوت السلطانية، ولصاحبها حديث مطلق وتصرف تام فى استدعاء كل ما يحتاجه كل من فى بيوت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى للمماليك وغيرهم.

راجع:

- القلقشندى: المصدر السابق: جـ٤ ص ٢٠،

- حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية: جـ١ ص ١٣١،

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ١٦٢ حاشية ١.

٢٧١ - ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ٥٠٢، جـ٢ص ٠،

سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ١٦٢.

٢٧٢ - ابن إياس: المصدر السابق: جـ١ ص ١٥٠،

- الجبرتى: المصدر السابق: جـ١ ص ١٨،

– على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٩١–٩٢، جـ٤ ص ص ٦٨ – ٦٩، ١٤٣ – ١٤٤

– محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق: ص ٤٤،

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ١٦٢.

٢٧٣ – ابن إياس: المصدر السابق: جـ١ ١٥٠

– حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣١.

٢٧٤ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٥٠٢ – ٥٠٧ ترجمة رقم ١٣٧٣،

– على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ١ ص ٩٢،

– زامبور: المرجع السابق: جـ١ ص٥٣.

– وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ١ ص ٥٣.

٢٧٥ – المقريزى: خطط: جـ٢ ص ٤١٦،

– على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ١ ص ٩١،

– حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣١.

٢٧٦ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ص ٤١٦ – ٤١٧،

– حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ص ١٣١ – ١٣٢ ولنفس المؤلف:

– مجلة العمارة: سنة (١٩٢م) عدد (٢٢١) ص ٥٩.

٢٧٧ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٧.

٢٧٨ – نفس المصدر: ج٢ ص ص ٤١٦ – ١٧،

– ابن تغرى بردى: النجوم الزهرة: جـ٨ ص ٢٤٣،

– على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٩١ – ٩٢،

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ١٦٣.

٢٧٩ – ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ٨ ص ص ٢٣٢ – ٢٣٣،

– ابن إياس: المصدر السابق: ج١ ص ص ١٤٩، ١٥٤،

– ابن ظهيرة: المصدر السابق: جـ١ ص ١٨.

٢٨٠ – حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ص ١٣١ – ١٣٥ ولنفس المؤلف :

– مجلة العمارة: سنة (١٩٤٢م) عدد (٢٢١) ص ٥٩،

– محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق: ص ٤٤،

– محمود أحمد: المرجع السابق: ص ٩٨،

– زامبور : المرجع السابق : ص ١٦٢،

– وزارة الأوقاف : المرجع السابق : جـ١ ص ص ١٧٢ – ١٨٩.

٢٨١– ابن حجر : المصدر السابق : جـ١ ص ٤٤١ ترجمة رقم ١١٦٨،

– الإسنوى : المصدر السابق : جـ١ ص ص ١٧ – ١٨.

٢٨٢– ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٢٠٩ – ٢١٠ ترجمة رقم ١٩٨٨.

٢٨٣ – نفس المصدر : جـ٢ ٤٤٠ ترجمة رقم ٢٥٨٠.

٢٨٤ – ابن تغرى بردى:المنهل الصافى : جـ٢ ص ص ١٩ – ٢٠ ترجمة رقم ٢٢٣،

– السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ٣٦ – ٤٠ ترجمة رقم ١٠٤،

– فتحى الحديدى : المرجع السابق : ١٢٦.

٢٨٥ – ابن الصيرفى : إنباء الهصر ص ص ١٩٤ – ١٩٥.

٢٨٦ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ١٥٣ – ١٥٤ ترجمة رقم ٤٣٥.

٢٨٧ – نفس المصدر : جـ٣ ص ص ١٢٣ – ١٢٤ ترجمة رقم ٤٧٤.

٢٨٨ – نفس المصدر : جـ٤ ص ص ١٤٥ – ١٤٩ ترجمة رقم ٣٨٧.

٢٨٩ – نفس المصدر : جـ٣ ص ص ١٢١ – ١٢٢ ترجمة رقم ٤٧٢.

٢٩٠ – نفس المصدر : جـ١ ص ٣٢٢.

٢٩١ – ابن حجر المصدر السابق : جـ٣ ص ٣٤٩ ترجمة رقم ٩٢٦.

٢٩٢ – نفس المصدر : جـ٤ ص ص ٢٤ – ٢٥ ترجمة رقم ٦٨.

٢٩٣ – السخاوى : المصدر السابق : جـ١ ص ص ٣٣٦ – ٣٣٧.

٢٩٤ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٢٣٧ ترجمة رقم ٨٠٦،

– ابن العماد : المصدر السابق : جـ٧ ص ١٠٣.

٢٩٥ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٣٧ – ٣٩ ترجمة رقم ١١٧.

٢٩٦ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ١ ص ٤٧٠ ترجمة رقم ١٢٦٥.

٢٩٧ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ص ١٤٧ – ١٤٨ ترجمة رقم ٤١٦.

٢٩٨ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٣١٠ ترجمة رقم ٩٧٠.

٢٩٩ – نفس المصدر : جـ١ ص ٥٢.

٣٠٠ – نفس المصدر : جـ١ ص ٨٤ – ٨٥.

٣٠١ – نفس المصدر : جـ١ ص ١٤.

٣٠٢ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٥٢ ترجمة رقم ١٥٨.

٣٠٣ – نفس المصدر : جـ٥ ص ٨٣ ترجمة رقم ٣١٢.

٣٠٤ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٤ ص ٥٣ ترجمة رقم ١٥٠.

٣٠٥ – السخاوى : المصدر السابق : جـ١ ص ١٩٤.

٣٠٦ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٩٢ ترجمة رقم ٢٧٦.

٣٠٧ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٢٩٩ – ٣٠٠ ترجمة رقم ٩٢٣.

٣٠٨ – نفس المصدر : جـ٦ ص ٢٤٧ ترجمة رقم ٨٥٩.

٣٠٩ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤١٦.

٤١٠ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٤ ص ص ٦٨، ١٤٢ – ١٤٣.

٣١١ – السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٧٠ – ٧١، ١٥١ – ١٥٢.

٣١٢ – نفس المصدر: جـ١ ص ١٥١.

٣١٣ – نفس المصدر: جـ٢ ص ص ٦٥ – ٦٧ ترجمة رقم ٢٠٢.

٣١٤ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٢٠٣ – ٢٠٤ ترجمة رقم ٥٣٩.

٣١٥ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٣١٠ ترجمة رقم ٩٧٢.

٣١٦ – نفس المصدر : جـ٣ ص ١١٧ ترجمة رقم ٤٥٠.

٣١٧ – نفس المصدر : جـ٣ ص ض ٢١٥ – ٢١٦ ترجمة رقم ٨٠٦.

٣١٨ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ١٢٠ – ١٢١ ترجمة رقم ٣٦٠.

٣١٩ – فتحى الحديدى : المرجع السابق : ص ١٢٦.

٣٢٠ – السخاوى : المصدر السابق : جـ١ ص ٣٣٠.

٣٢١ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ٧٣ – ٧٤ ترجمة رقم ٢١٩.

٣٢٢ – نفس المصدر : جـ٥ ص ١٢٨ ترجمة رقم ٤٤٥٨.

٣٢٣ – نفس المصدر : جـ١ ص ٢٥٣.

٣٢٤ – نفس المصدر : جـ١ ص ص ٢٧٧ – ٢٧٨.

٣٢٥ – نفس المصدر : جـ٦ ص٢ ترجمة رقم ١.

٣٢٦ – أنظر أيضا عن هذا النص :

– سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٦٧،

– سعد زغلول عبد لحميد – العمارة والفنون فى دولة الإسلام:ص ص٤٧٨– ٤٨٠،

– كمال سامح : المرجع السابق : ص ٤١،

– حسن باشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية : ص ١٧٦.

٣٢٧ – سورة النور : الآيات : ٣٦ – ٣٧.

٣٢٨ – سورة الحجر : الآيات ٦ – ٨.

٣٢٩ – سورة النور : الآيات : ٣٦ – ٣٨.

٣٣٠ – كان أول استعمال للقب «ركن الدين» خاص برجال الدين، وكان أول من أطلق عليه

هو أبو إسحاق الأسفراييني الذى توفى سنة (٤١٨هـ) ثم أطلق على رشيد الدين عزيزى الزنجانى التاجر فى نقش تاريخه سنة (٥٥٩هـ) على سطل من البرونز المكفت من إيران، أما فى عصر المماليك فقد أطلق على الظاهر بيبرس، وكانت العادة قد جرت حينئذ على ألا يطلق هذا اللقب على السلطان متوفى أو على حاكم غير شرعى، وقد اختص «ركن الدين» زمن القلقشندى فى حالة استعماله لطائفة العسكريين من المولدين بالإسم «عمر».

راجـع : Sauvaget, Combe et Wiet: Op. cit. ix, No 3260, Van Berchem (M.): Op. cit. Tome, I, No 74,

– القلقشندى : المصدر السابق : جـ٥ ص ٤٨٨ وأنظر أيضا،

– حسن باشا : المرجع السابق : ص ص ٣٠٦ – ٣٠٧.

٣٣١ – حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٣٣ وراجع أيضاً

Van Berchem (M.): Op. cit. II, P. 126 text. 108, XIX, Fasc. IV, P. 731. text, 108 bis,

– كراسة لجنة حفظ الآثار العربية رقم (١٢) لوحة ١٠،

– سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٦٦،

– حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية: ص ١٧٥.

٣٣٢ – سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ص ١٦٧– ١٦٨،

– كمال سامح: المرجع السابق: ص ١،

– وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ١ ص ص ٥٣ – ٥٤.

٣٣٣ – سورة الدخان: الآيات: ٥١ – ٥٩.

٣٣٤ – دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ٣١،

– صالح لمعي: المرجع السابق: ص٣١،

– حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣٢.

٣٣٥ – سورة البقرة: الآية: ٢٩ وأنظر أيضاً:

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ١٧١.

٣٣٦ – حسن عبد الوهاب:المرجع السابق: جـ١ ص ١٣.

٣٣٧ – سورة الملك: الآيات: ١–١٣.

٣٣٨ – محمود أحمد: المرجع السابق: ص ٧،

– حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣٣،

– وزارة الأوقاف: المرجع السابق: جـ١ ص ٥٤ وأنظر أيضاً:

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ص ١٧١– ١٧٢،

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ص ١٠٨ ـ ١١٠ حيث ورد فيهما وصف يختلف مع الحقيقة تماما.

٣٣٩ – المجموعة (٨) عن سنة (١٨٩١م) ص ٣٦.

٤٣٠ – المجموعة (٩) عن سنة (١٨٩٢م) ص ٢٧.

٣٤١ – نفس المجموعة: ص ص ٧٢– ٧٤.

٣٤٢ – المجموعة (١١) عن سنة (١٨٩٤م)ص ص ١٧، ٩١.

٣٤٣ – نفس المجموعة: ص ص ١١٧، ١٢٦.

٣٤٤ – المجموعة (١٣) عن سنة (١٨٩٦م) ١١٧.

٤٣٥ – المجموعة (١٥) عن سنة (١٨٩٨م) ص ٧٨.

٣٤٦ – المجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ١٧.

٣٤٧ – نفس المجموعة: ص ص ٢٨ – ٢٩.

٣٤٨ – المجموعة (٢٥) عن سنة (١٩٠٨م)ص ص ١١ – ١٢، ٣٠، ١١٠– ١١١.

٣٤٩ – المجموعة (٢٦) عن سنة (١٩٠٩م) ص ص ١٣٣– ١٣٤.

٣٥٠ – المقريزى: الخطط: جـ٢ ص ص ٣٩٨، ٤١٧.

٣٥١ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٠١، جـ٦ ص ص ٤٤,٥١.

٣٥٢ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ٨١.

٣٥٣ – السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ١٢٦.

٣٥٤ – نفس المصدر: جـ١ ص ص ١٥٩– ١٦١.

٣٥٥ – نفس المصدر: جـ٥ ص ٢٢٩ ترجمة رقم ٧٦٥.

٣٥٦ – سورة البقرة : آية ٢٥٥.

٣٥٧ – كان المهمندار لقبا من ألقاب الوظائف المملوكية التى أختص متوليها بتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان وإنزالهم دار الضيافة والتحدث فى كافة الأمور المتعلقة بهم.

راجع: السيوطى: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٣٠ حاشية٣.

٣٥٨ – سورة النور: الآيات: ٣٦ – ٣٨ وانظر أيضا:

– دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ص ٧٢ – ٧٣،

Van Berchem (M.): Op. cit. II,P.172, text, 116.

٣٥٩ – سورة التوبة: آية ١٨.

٦٣٠ – سورة البقرة: آية ٢٥٥.

٣٦١ – سورة آل عمران: آية ١٨٥.

٣٦٢ – سورة الفتح: الآيات ١–٣.

٣٦٣ – الكراسة الثانية عن سنة (١٨٨٤م) ص ١٣ بند ٤، ص ٤٢ بنود أ، ب، جـ.

٣٦٤ – الكراسة الرابعة عن سنة (١٨٨٦م) ص ١٣.

٣٦٥ – الكراسة الخامسة عن سنة (٨٧/ ١٨٨٨م) ص ص ٧، ٣٤.

٣٦٦ – نفس الكراسة: ص ٤١.

٣٦٧ – الكراسة السادسة عن سنة (١٨٨٩م) ص ٦٥.

٣٦٨ – الكراسة السابعة عن سنة (١٨٩٠م) ص ١١٢.

٣٦٩ – الكراسة التاسعة عن سنة (١٨٩٢م) ص ١٠.

٣٧٠ – نفس الكراسة: ص ١٠١.

٣٧١ – نفس المصدر: ص ص ٢٨، ٩٦.

٣٧٢ – الكراسة (١١) عن سنة (١٨٩٤م) ص ٥٠.

٣٧٣ – الكراسة (١٤) عن سنة (١٨٩٧م)ص ١٧.

٣٧٤ – الكراسة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م)ص ٨٦.

٣٧٥ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٧.

٣٧٦ – أنظر: سعاد ماهر: مساجد مصر: جـ٣ ص ١٨٠،

– دولت عبد الله: المرجع السابق: جـ٢ ص ٤١٧،

– عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٣٠.

٣٧٧ – راجع المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٧،

– على باشا: المصدر السابق: جـ٦ ص ٥٠.

٣٧٨ – أنظر: فتحى الحديدى: المرجع السابق: ص ١٣٠،

– عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٦٨.

٣٧٩ – أنظر لين بول: المرجع السابق: ص ٢٥٥.

٣٨٠ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤١٧.

٣٨١ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٢ ص ٧٥.

٣٨٢ – نفس المصدر: جـ٦ ص ٥٠.

٣٨٣ – فتحى الحديدى: المصدر السابق: ص ١٣٠.

٣٨٤ – أنظر: محمد أمين: فهرست وثائق القاهرة: ص ١٣.

٣٨٥ – أنظر أيضاً: سعيد عاشور: المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك: ص ١٥١.

٣٨٦ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٩١.

٣٨٧ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ص ٤٠ – ٤١.

٣٨٨ – نفس المصدر: ص ٩١.

٣٨٩ – نفس المصدر: ص ١١٨.

٣٩٠ – نفس المصدر: ص ١٣٣.

٣٩١ – نفس المصدر: ص ١٥٣.

٣٩٢ – نفس المصدر: ص ١٩٠.

٣٩٣ – ابن دقماق: المصدر السابق: ق ٢ ص ٦.

٣٩٤ – نفس المصدر: ق ٢ ص ١٠.

٣٩٥ – نفس المصدر: ق ٢ ص ١١.

٣٩٦ – نفس المصدر: ق ٢ ص ١٦.

٣٩٧ – نفس المصدر: ق ٢ ص ١٧.

٣٩٨ – نفس المصدر: ق٢ ص ١٨.

٣٩٩ – نفس المصدر: ق ٢ ص ٩٤.

٤٠٠ – أنظر: عبد الله اللطيف ابراهيم: دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية ص ص ٢٧ – ٢٨،

– عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٦٨،

– فتحى الحديدى: المرجع السابق: ص ١٦٨،

٤٠١ – عبد الرحمن زكى: المرجع السابق: ص ١٦٩.

٤٠٢ – نفس المرجع: ص ١٦٩.

٤٠٣ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ وانظر أيضاً:

- سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ص ١٨٠ - ١٨١.

٤٠٤ - السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: جـ٥ ص ٢٥٧ترجمة رقم ٨٦١.

٤٠٥ - المقريزى: المصدر السابق: ج٢ ص ٤١٧.

٤٠٦ - ابن الصيرفى : إنباء الهصر: ص ص ١٩٤ - ١٩٥.

٤٠٧ - السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٨٨ - ٩٩.

٤٠٨ - نفس المصدر: جـ٤ ص ص ١١٥ - ١١٧ ترجمة رقم ٣٠٩.

٤٠٩ - نفس المصدر: جـ٦ ص ص ٨١ - ٨٣ ترجمة رقم ٢٧٨.

٤١٠ - نفس المصدر: جـ٥ ص ٢٥٧ترجمة رقم ٨٦١.

٤١١ - نفس المصدر: جـ٢ص ١١٠ ترجمة رقم ٣٣٢.

٤١٢ - نفس المصدر: جـ٢ ص ص ٣٦ - ٤٠ ترجمة رقم ١٠٤.

٤١٣ - ابن الصيرفى: المصدر السابق: ص ٢٧٦.

٤١٤ - السخاوى: المصدر السابق: جـ٤ ص ٦٣ ترجمة رقم ٤٢٥.

٤١٥ - المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٩١.

٤١٦ - السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

٤١٧ - نفس المصدر: جـ١ ص ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

٤١٨ - نفس المصدر: جـ٤ ص ص ٢٠٣ - ٢٠٦ ترجمة رقم ٥١٤.

٤١٩ - نفس المصدر : جـ٤ ص ص ٢٨٠ - ٢٨١ ترجمة رقم ٧٤٤.

٤٢٠ - نفس لامصدر : جـ٤ ص ص ٤٦ - ٤٨ ترجمة رقم ١٤٨.

٤٢١ – نفس المصدر : جـ٤ ص ص ٣٣ – ٣٥ ترجمة رقم ١٠٢.

٤٢٢ – نفس المصدر : جـ٤ ص ص ٥ – ٦ ترجمة رقم ١٢.

٤٢٣ – نفس المصدر : جـ٣ ص ص ١٧٩ – ١٨٠ ترجمة رقم ٦٩٨.

٤٢٤ – نفس المصدر : جـ١ ص ١٠.

٤٢٥ – نفس المصدر : جـ١ ص ١٣.

٤٢٦ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢١٦ ترجمة رقم ٥٩٦.

٤٢٧ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص ١٧٦ – ١٨ ترجمة رقم ٥١.

٤٢٨ – نفس المصدر : جـ٢ ص ١٦٦ ترجمة رقم ٤٧٢.

٤٢٩ – سورة النور : الآيات ٣٦ – ٣٨.

٤٣٠ – الكريم لغة هو الخالص من اللؤم، وكان يطلق كلقب فخرى على العسكريين والمدنيين على السواء وجرى العرف فى عصر المماليك أن يكون هذا اللقب هو أحد التوابع المباشرة للألقاب الأصول ولا سيما «المقر» و «الجناب»، وعلى الرغم من استعماله فى وصف «القرآن الكريم» فقد اصطلح كتاب هذا العصر على أن يجعلوه أقل مرتبة من «الشريف» حين وصفوا متعلقات السلطان بالشريف ومتعلقات من هم دون السلطان رتبة بالكريم فقالوا «مرسوم كريم» و «توقيع كريم» و «مكاتبة كريمة» ونحو ذلك عملا – على ما يبدوا – بما ورد فى قولة تعلى على لسان بلقيس ملكة سبأ تعليقاً على رسالة سليمان عليه السلم «إنى ألقى إلى كتاب كريم».

– راجع : القلقشندى : المصدر السابق : جـ٦ ص ص ٢٤٠٢٥ وأنظر أيضاً:

– حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٤٣٧ – ٤٣٨.

٤٣١ – المجير لغة هو المنقذ والمغيث، وقد أضيفت إليه بعض الكلمات لتكوين لقب مركب منه

فقيل «مجير الدين» و «مجير العباد» ونحو ذلك، كما استخدم اللقب فى عصر المماليك مضافا إلى ياء النسب بالنسبة للأمراء فقيلب «المجيرى».

- راجع : حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٤٦٠.

٤٣٢ - العمدة لغة هو ما يعتمد عليه وقد استعمل فى عصر المماليك مضافا إلى بعض كلمات لتكوين لقب مركب فقيل «عمدة الأحكام» و «عمدة الإمام» و «عمدة الأنام» و «عمدة الملوك» و «عمدة الملوك والسلطين» وقد ورد لقب «عمدة الملوك» مثلا ضمن ألقاب الأمير طيبغا فى نقش فى ضريحه تاريخه سنة (٧٦٤ - ٧٦٨هـ).

- راجع : Van Berchem (M.): OP. cit. .Tome, I,No157

- حسن الباشا : المرجع السابق : ص ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

٤٣٣ - راجع : سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٨٢ حيث أوردت النص كاملاً من أوله إلى آخره رغم أن الآيات فى بداية النص بعد البسملة من قولة تعالى «فى بيوت أذن الله أن ترفع» إلى قوله تعالى «يخافون» غير موجود فى الأصل ورغم أن التاريخ فى نهاية النص غير موجود أيضاً.

٤٣٤ - يبدو أن هذه لخانقاة كانت تشتمل على بعض التفاصيل المعمارية الأخرى حتى وقت قريب، لأن الوصف الذى أوردته الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر يشير إلى أن المدخل الرئيسى يفضى إلى دهليز يؤدى إلى صحن مربع طول ضلعه (١٤٫٥) متر يحتوى ضلعه الشمالى على مئذنة وحاصلين مساحة أحدهما (٢٫٦٠ X ٢٫٣٠) متر ومساحة الآخر (٢X٢٫٧٠) متر، وبالجهة الجنوبية بقايا مسكن شيخ الخانقاة وقد أصبح شبيها بحواصل ثلاثة سقوفها مقببة بلطوب تبلغ مساحة أحدهما (٢٫٢٥ X ٢) متر ومساحة الآخرين متساوية، كل منهما مربع طول ضلعه (٢٫٢٥) متر لم تشير ألى إيوان القبللة فى الضلع الشرقى للصحن وإى بقايا مساكن الصوفية وغير ذلك من التفاصيل التى أكدتها وثيقة الخانقاة المحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (١٦٦٦) باسم مغلطاى الجمالى، ومنها يتضح أن الخانقاة كانت تشتمل على قبة وفسقية لدفن الواقف وأولاده وإيوان كبير

للصلاة وقاعة الشيخ الصوفية وخزائن كتب لحفظ الكتب والمصاحف ومئذنة وميضأة ومطبخ ومكتب للأيتام. راجع : سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ١٨٢ – ١٨٣ وأنظر أيضا : – دولت عبد الله : المرجع السابق : ص ٧٧، ١١١، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٠.

٤٣٥ – سورة الحجر : الآيات :٤٦ – ٤٩.

٤٣٦ – سورة البقرة : آية ٢٥٥.

٤٣٧ – راجع مجموعة (٢) عن سنة (١٨٨٤م) ص ٣٢.

٤٣٨ – مجموعة (٨) عن سنة (١٨٩١م) ص ٧١، ٧٤.

٤٣٩ – مجموعة (٩) عن سنة (٢٨٩٢م) ص٢٢.

٤٤٠ – مجموعة (١٠) عن سنة (١٨٩٣م) ص ٢٩، ٤٣، ٥٣.

٤٤١ – مجموعة (٢٠) عن سنة (١٩٠٣م) ص ٣٤.

٤٤٢ – مجموعة (٢٠) عن سنة (١٩٠٣م) ص ٣٤.

٤٤٣ – المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٤.

٤٤٤– ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى : جـ١ ص ٣٣٧ح ٧.

٤٤٥ – السيوطى : المصدر السابق : جـ٢ ص ١٤٥، ٢٦٦ وأنظر ايضا :

– عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق : جـ١ ص ١٠٩.

٤٤٦ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٦ ص ٥١.

٤٤٧ – نفس المصدر: جـ٢ ص ١٠٣.

٤٤٨ – أنظر أيضاً : عبد العزيز سالم: المآذن المصرية: ص ٢٥.

٤٤٩ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٦.

٤٥٠ – نفس المصدر: ص ١٥٠.

٤٥١ – ابن دقماق: المصدر السابق: ق ٢ ص ١٣٦.

٤٥٢ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ١٥٢.

٤٥٣ – نفس المصدر: ص ١٥٧.

٤٥٤ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ٣ ص ٢٥٧ – ٢٥٨ ترجمة رقم ٦٦٣.

٤٥٥ – وهى قرية من قرى بخارى: راجع: ياقوت: معجم البلدان: جـ٢ ص ١٤٩.

٤٥٦ – المقريزى: المصدر السابق: جـ١ ص ١٣٩.

٤٥٧ – حسن عبد الوهاب: المرجع السابق: جـ١ ص ١٣٩.

٤٥٨ – ابن حجر: المصدر السابق:جـ٤ص ٣٢٧ – ٣٢٨ ترجمة رقم ٨٩١.

٤٥٩ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤ وراجع ايضا.

– السيوطى: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٤٥ ,٢٦٦ وأنظر:

– عبد اللطيف حمزة السابق: ج١ص ١٠٩.

٤٦٠– ابن تغرى بردى: المنهل الصافى: جـ١ ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

٤٦١ – السخاوى: المصدر السابق: جـ١ ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

٤٦٢ – ابن تغرى بردى: المصدر السابق: جـ١ص ٢٣٧ ح ٨.

٤٦٣ – السخاوى: المصدرالسابق: جـ٥ ص ٢٩٢ – ٢٩٣ ترجمة رقم ٩٨٧.

٤٦٤ – نفس المصدر: جـ٥ ص ٦٥ ترجمة رقم ٢٣٦.

٤٦٥ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ١ ص ٣٠٤.

٤٦٦ – الجبرتى: المصدر السابق: جـ١ ص ٣٠٤.

٤٦٧ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤.

٤٦٨ – السخاوى: المصدر السابق: جـ٥ ص ٦٥ ترجمة رقم ٢٣٦.

٤٦٩ – نفس المصدر جـ٤ ص ٩٢ ترجمة رقم ٢٧٢.

٤٧٠ – نفس المصدر: جـ٣ ص ١٠٧ – ١٠٨ ترجمة رقم ٤٢٧.

٤٧١ – نفس المصدر: جـ٣ ص ٢٠٠ ترجمة رقم ٧٥٨.

٤٧٢ – ابن الغزى: المصدر السابق: جـ١ ص ٢٢٦ – ٢٣١.

٤٧٣ –السخاوى: المصدر السابق: جـ٤ ص ١٥٢ – ١٥٣ ترجمة رقم ٣٩٤.

٤٧٤ – سورة البقرة: آية: ١٤٤.

٤٧٥ – سورة يس: الآيات: ١٣ – ١٥.

٤٧٦ – سورة الحج: آية: ٤١.

٤٧٧ – سورة الأحزاب: الآيات: ٤١ – ٤٤.

٤٧٨– سورة التوبة: آية: ١٨.

٤٧٩ – سورة الأحزاب: آية ٤٥.

٤٨٠ – مجموعة (٧)عن سنة (١٨٩٠م) ص ١٠٨.

٤٨١ – مجموعة (٩)عن سنة (١٩٠٢م) ص ٥٦، ٦١، ٧٥.

٤٨٢ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٢١.

٤٨٣ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤.

٤٨٤ – الجبرتى: المصدر السابق: جـ٤ ص ١٦٢.

٤٨٥ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤ وأنظر أيضاً:

– لين بول: المرجع السابق: ص ٣٥٧،

– صالح لمعى: المرجع السابق: ص ٢٥.

٤٨٦ – الجبرتى: المصدر السابق: جـ٤ ص ١٦٢.

٤٨٧ – نفس المصدر: جـ٤ ص ١٦٢.

٤٨٨ – نفس المصدر: جـ٤ ص ١٦٢.

٤٨٩ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٤٩.

٤٩٠ – نفس المصدر: جـ٦ ص ٤٩.

٤٩١ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٤.

٤٩٢ – الجبرتى :المصدر السابق: جـ٤ص ١٦٢.

٤٩٣ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٤ص ٤٩.

٤٩٤ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص٧٠.

٤٩٥ – نفس المصدر: ص ٧٦.

٤٩٦ – نفس المصدر: ص ٧٩.

٤٩٧ – نفس المصدر: ص ١٠٧.

٤٩٨ – نفس المصدر: ص ١٤٨.

٤٩٩ – نفس المصدر: ص١٦٣.

٥٠٠ – نفس المصدر: ص١٦٦.

٥٠١ – الخوند لفظة فارسية أصلها «خدا وند» ومعناها السيد أو الأمير، وقد خوطب بها الذكور والإناث على السواء، ثم انتشر هذا اللقب عند المسلمين بمعنى السيدة أو الأميرة، وأضيفت إليه فى هذه الحالة (تاء التأنيث) فقيل «خوندة»، أما فى عصر المماليك فقد تم استعمال لقب خوند كلقب من ألقاب النساءالتى تتفرغ عن الأصول المؤنثة تأنيثا حقيقيا وأطلق كذلك على زوجة السلطان.

راجع: القلقشندى: المصدر السابق: جـ٦ ص ٧٨،

المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٦،

خليل الظاهرى: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك: ص ٢٦ – ٢٧،

حسن الباشا: المرجع السابق: ص: ٢٨٠ – ٢٨١،

سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون: جـ٣ ص ٢٤٢.

٢٠٥ – ابن حجر: المصدر السابق: جـ٢ ص ٢٢١ ترجمة رقم ٢٠٢٥.

٤٠٣ – المقريزى: المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٥ وأنظر أيضا:

– سعاد ماهر: المرجع السابق: جـ٣ ص ٢٤٢ – ٢٤٣.

٥٠٤ – ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة: جـ١٠ ص ٢٣٨.

٥٠٥ – على باشا مبارك: المصدر السابق: حـ٦ ص ٤٩.

٥٠٦ – الجبرتى: المصدر السابق: حـ٤ ص ١٦٢.

٥٠٧ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٤٩.

٥٠٨ – الجبرتى: المصدر السابق: حـ٤ ص ١٦٢.

٥٠٩ – على باشا مبارك: المصدر السابق: جـ٦ ص ٤٩.

٥١٠ – الجبرتى: المصدر السابق: حـ٤ ص ١٦٢.

٥١١ – سورة البقرة: آية: ٢٥٥.

٥١٢ – سورة الإخلاص: الآيات: ١ – ٤.

٥١٣ – أنظر أيضاً: محمود أحمد: المرجع السابق: ص ٥ – ٦،

– سعاد ماهر : المرجع السابق جـ٣ ص ٢٤٦.

٥١٤ – الجبرتى: المصدر السابق: جـ٤ ص ١٦٢.

٥١٥ – سورة الدخان : الآيات: ٥١ – ٥٣.

٥١٦ – أنظر أيضا: دولت عبد الله: المرجع السابق: ص ١٢٣.

٥١٧ – سورة يس: الآيات : ١ – ١٧.

٥١٨ – مجموعة(٥) عن سنة (٨٧/ ١٨٨٨م) ص ٥.

٥١٩ – مجموعة(١٥) عن سنة (١٩٠٨م) ص ١١ – ١٣.

٥٢٠ – المقريزى : المصدر السابق: جـ٢ ص ٤٢٥.

٥٢١ – على باشا مبارك : المصدر السابق: جـ٢ ص ٣٤.

٥٢٢ – نفس المصدر: جـ٦ ص ٤٥.

٥٢٣ – نفس المصدر: جـ٦ ص ٥٢.

٥٢٤ – ابن الجيعان: المصدر السابق: ص ٤٩.

٥٢٥ – نفس المصدر: ص ١٣٠.

٥٢٦ – نفس المصدر: ١٣٠.

٥٢٧ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٥.

٥٢٨ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٤٢٥.

٥٢٩ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٤٢٥.

٥٣٠ – على باشا مبارك : المرجع السابق : جـ٦ ص ٥١ – ٥٢.

٥٣١ – ابن حجر : المصدر السابق : ص ٣٢٨ – ٨٣٩.

٥٣٢ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٤ ص ٥٤ – ٥٥ ترجمة رقم ١٦٩.

٥٣٣ – الشرف لغة هو علو المكانة وسمو الرتبة، وقد استخدم هذا اللفظ فى عصر المماليك مضافا إلى بعض الكلمات الأخرى لتكوين بعض الألقاب المركبة فقيل «شرف الملوك والسلاطين» وكان ذلك لقبا من الألقاب الملكية، كما قيل «شرف الدولة» لكبار رجالها و«شرف الرؤساء» لأكابر المواظفين المدنيين و «شرف العلماء» لقضاة القضاة ونحوهم و «شرف الأصفياء لكبار التجار». راجع : القلقشندى : المصدر السابق : جـ٦ ص ٥٥–٥٦،

حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٣٥٥.

٥٣٤ – كان لاستعمال لقب «السيفى» وترتيبه مع الإسم الملقب به دلالة على معان اصطلاحية ثلاثة: فإذا جاء أول الإسم مثلا كأن يقال «السيفى يلبغا» كان معناه أن لقب هذا الأمير سيف الدين، وإذا جاء بين اسمين كأن يقال «أرغون السيفى دمرداش» كان معناه أن ارغون هذا من مماليك الدمرداش، وإذا جاء آخر الإسم كأن يقال «أيدمر السيفى» كان معناه أن صاحب هذا اللقب مات عنه سيده أو أستاذه ونقل إلى ديوان السلطان فصار ضمن المماليك السيفية. راجع : المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك : جـ١ ص ٧٣٦ حاشية٦ ،

محمد أمين : المرجع السابق : ص ٣٣٦.

٥٣٥ – تتكون كلمة أتابك من مقطعين تركيين أولهما «أطا» بمعنى أب وثانيهما «بك» بمعنى أمير، وبذلك يكون معناها هو «الأب الأمير» أو «القائد الأمير» وغالب الظن أن هذا اللقب كان أحد الموروثات التركمانية التى أحياها السلاجقة عندما ورد ضمن ألقاب نظام الملك فى نقش تاريخه سنة (٤٧٥هـ) بالجامع الأموى بدمشق، وكانت العادة أنه إذا منح هذ اللقب لأمير فانه يكتسب صفة الدوام حتى وإن انقطع صاحبه من الوظيفة التى كانت سببا فى منحه إياه، وكانت مهمة الأتابك فى نشأتها هى الوصاية على الأمير القاصر الذى أسند إليه السلطان السلجوقى حكم ولاية من ولايات الدولة وتعهد تربيته وتعليمه حتى يكون عينا للسلطان عليه يحول بينه وبين الاستقلال عنه، وكثيرا ما تزوج

هذا الأتابك بأم هذا الأمير لايجاد سند شرعى له فى الاستحواذ على سلطة هذه الولاية، وبذلك انقسمت الدولة السلجوقية إلى وحدات إقليمية خضعت لسيطرة هؤلاء الأوصياء، وانتقل لقب «الأتابكية» من السلاجقة إلى المماليك وأطلق على القائد العام للجيش فسمى «أتابك العسكر» ثم أضيفت إليه صلاحيات النائب الكافل منذ سنة (١٣٤١م) وبذلك أصبح أتابك العسكر هو الرجل الأول فى الدولة بعد السلطان وكثيرا ما كان وصيا على العرش وكثيرا ما أطاح بالسلطان الصغير وتسلطن مكانه.

راجع : القلقشندى: المصدر السابق : جـ٤ ص ١٨،

Sauvaget, Combe et wiet: OP. cit. tome, VII, P. 214,

حسن الباشا: المرجع السابق: ص ١٣٣ - ١٣٥.

خليل ضومط: الدولة المملوكية: ص ٦٩.

٥٣٦ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المعالم الأثرية فى البلاد العربية جـ ٣ ص ٦٥.

٥٣٧ - المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٠ وأنظر أيضا:

- سعاد ماهر: المرجع السابق : جـ٣ ص ٢٥٩، ولم يخرج عن هذه المعلومات ذلك التعليق الذى أورده محقق المنهل الصافى لابن تغرى بردى عند ذكر المؤلف لهذه الخانقاة راجع:

- ابن تغرى بردى: المصدر السابق : جـ١ ص ٢١٧ حشية: ٨.

٥٣٨ - السيوطى: المصدر السابق: جـ٢ ص ١٤٥ ويتضح من نص إنشاء هذه الخانقاة الذى يقول «وكان ابتداء الشروع فيه فى شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبعمائة والفراغ منه ومما حواه فى شهر شوال من السنة المذكورة» أن الصواب كان قد جانب السيوطى فى قوله أن الفراغ منهما كان سنة (٧٥٧هـ).

٥٣٩ - السيوطى : المصدر السابق : ج٢ ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

٥٤٠ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٤ – ٣٥.

٥٤١ – نفس المصدر : جـ٦ ص ٥٢.

٥٤٢ – أنظر : عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق : جـ١ ص ١٠٩،

– لين بول : المرجع السابق : ص ٢٥٧،

– صالح لمعى : المرجع السابق : ص ٢٦.

٥٤٣ – محمد امين : المرجع السابق : ص ٤٨٦ حاشية ٣.

٥٤٤ – القاضى مجير الدين الحنبلى : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: جـ٢ ص ٤١ – ٤٢.

٥٤٥ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٠.

٥٤٦ – ابن الجيعان : المصدر السابق : ص ٣٦.

٥٤٧ – نفس المصدر : ص ٦٨.

٥٤٨ – نفس المصدر : ص ٧٣.

٥٤٩ – نفس المصدر : ص ٧٥.

٥٥٠ – نفس المصدر : ص ١٣٧.

٥٥١ – نفس المصدر : ص ١٧٦.

٥٥٢ – نفس المصدر : ص ١٨٢.

٥٥٣ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥، ٨٦.

٥٥٤ – نفس المصدر : جـ٥ ص ٨٦ ولهذه الخانقاة حجة لا تزال محفوظة فى أرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (١٢٧٩) باسم شيخو العمرى.

٥٥٥ - الحنبلى : المصدر السابق : جـ٢ ص ١٩٦، ٢٩٢.

٥٥٦ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣١٢.

٥٥٨ - نفس المصدر : جـ٢ ص ٣١٣ وراجع أيضا:

- ابن العماد : المصدر السابق : جـ٢ ص١٨٤.

٥٥٩ - المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣١٣.

٥٦٠ - ابن تغرى بردى : المصدر السابق : جـ١ ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

٥٦١ - على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥.

٥٦٢ - أنظر أيضا: حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ١٥٦،

- سعاد ماهر : القاهرة القديمة : ص ٤٩ - ٥٠.

٥٦٣ - سعاد حسين : أعمال الأمير شيخو، رسالة ما جيستير كلية الآداب، ج القاهرة ١٩٧٧م.

٥٦٤ - راجع: ابن حجر : المصدر السابق : جـ٤ ص ٢٥٠ - ٢٥١ ترجمة رقم ٦٨٦؛

- المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٠،

- السيوطى : المصدر السابق: جـ٢ ص ١٤٥، ٢٦٦ - ٢٦٧ وانظر أيضا،

- عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق : جـ١ ص ١٠٩،

- على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥.

٥٦٥ - ابن حجر : المصدر السابق : جـ٤ ص ٣٣٦ - ٣٣٧ ترجمة رقم ٩١٧.

٥٦٦ - ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ٢ ص ٢١٢ ترجمة رقم ٣١١،

- السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ترجمة رقم ٦٢٣.

٥٦٧ – السيوطى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٦٧.

٥٦٨ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٢٣ ٢٢٤ ترجمة رقم ٦٢٣.

٥٦٩ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٩٦ – ٩٧ ترجمة رقم ٣٨٩.

٥٧٠ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٢٣١ – ٢٣٢ ترجمة رقم ٨٨٢.

٥٧١ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٣٣ – ٣٥ ترجمة رقم ١٠٢ وراجع أيضا:

– ابن الغزى : المصدر السابق جـ١ ص ٢١٩ – ٢٢١،

– ابن العماد : المصدر السابق : جـ٨ ص ٩٨.

٥٧٢ – محمد أمين : المرجع السابق : ص ٤٨٦ والوثيقة المشار إليه محفوظة فى أرشيف وزارة الأوقاف تحت رقم (١٢٧٩) راجع أيضا:

– السخاوى : المصدر السابق : جـ٩ ص ٢٩٥ ترجمة رقم ٧٥٥، ج ١٠ ص ٣ ترجمة رقم ٥،

– ابن العماد : المصدر السابق : جـ٧ ص ١١٣، ٣٤٩.

٥٧٣ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٤ ص ١٢٤ ترجمة رقم ٣٣٠.

٥٧٤ – نفس المصدر : جـ٥ ص ١٠٦ – ١٠٧ ترجمة رقم ٣٩٣.

٥٧٥ – نفس المصدر : جـ٦ ص ١٠٩ – ١١٠ ترجمة رقم ٣٤٤.

٥٧٦ – ابن العماد: المصدر السابق : جـ٧ ص ٨٨.

٥٧٧ – على باشا مبارك : المصدر لسابق : جـ٣ ص ٣٥ وأنظر أيضا:

– سعاد ماهر : مساجد مصر : جـ٣ ص ٢٥٩.

٥٧٨ – ابن حجر المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٠٩ – ٢١٠ ترجمة رقم ١٩٨٨.

٥٧٩ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٠.

٥٨٠ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ١٤٢ – ١٤٣ ترجمة رقم ٤٠٨.

٥٨١ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٤٦ – ٤٨ ترجمة رقم ١٤٨.

٥٨٢ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١١٩ – ١٢١ ترجمة رقم ٣٢٠.

٥٨٣ – نفس المصدر : جـ٥ ص ١٦١ – ١٦٣ ترجمة رقم ٥٥٧.

٥٨٤ – ابن ظهيرة : المصدر السابق : ص ١٨٨، حاشية ٣ بنفس الصفحة.

٥٨٥ – ابن العماد : المصدر السابق : جـ٧ ص ٣٤.

٥٨٦ – نفس المصدر : جـ٧ ص ٢٦٨.

٥٨٧ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥.

٥٨٨ – نفس المصدر : جـ٥ ص ٣٥.

٥٨٩ – ابن حجر المصدر السابق : جـ١ ص ١٦٨ ترجمة رقم ٤٢٧.

٥٩٠ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٨٦ ترجمة رقم ١٦٥٣.

٥٩١ – المقريزى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٠.

٥٩٢ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥، ٨٣.

٥٩٣ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٢ ص ٧٨ – ٨٠ ترجمة رقم ٢٣٦.

٥٩٤ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١٦ – ١٧ ترجمة رقم ٦٦.

٥٩٥ – ابن العماد : المصدر السابق : جـ٧ ص ٢٤٥.

٥٩٦ – ابن الصيرفى : إنباء الهصر ص ٤١٥.

٥٩٧ – المقريزى: المصدر السابق : جـ٢ ص ٤٢٠ .

٥٩٨ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥، ٨٣.

٥٩٩ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٤ ص ١٣٦ – ١٣٧ ترجمة رقم ٣٥٧.

٦٠٠ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٣٣ – ٢٣٩ ترجمة رقم ٦٥٦.

٦٠١ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٨٩ – ٩٠ ترجمة رقم ١٦٦٢ .

٦٠٢ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٣١١ – ٣١٢ ترجمة رقم ٢٢٥٣ وراجع أيضا:

– السيوطى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٢٦٧ .

٦٠٣ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١٥ ترجمة رقم ٣١.

٦٠٤ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٦٧ – ٦٨ ترجمة رقم ٢٠٥ .

٦٠٥ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٦٥ – ٧١ ترجمة رقم ٢٠٣ .

٦٠٦ – نفس المصدر : جـ٥ ص ١٣١ – ١٣٢ ترجمة رقم ٤٦٤ .

٦٠٧ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣٦ – ٤٠ ترجمة رقم ١٠٤ .

٦٠٨ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٨٨ – ٨٩ ترجمة رقم ١٠٤.

٦٠٩ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٣ ص ٧٠ – ٧١ ترجمة رقم ٢٠٧ .

٦١٠ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٣ ص ٢٢٦ – ٢٢٩ ترجمة رقم ٨٥٥.

٦١١ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٧٨ – ٧٩ ترجمة رقم ٢٢٧ .

٦١٢ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢٠٩ ترجمة رقم ٥٦٣.

٦١٣ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٣٩ ترجمة رقم ٨١.

٦١٤ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥.

٦١٥ – السخاوى: المصدر السابق : جـ٣ ص ١١٦ ترجمة رقم ٤٤٨.

٦١٦ – نفس المصدر : جـ١ ص ٢٤٧.

٦١٧ – نفس المصدر : جـ٣ ص ٢٣١ ترجمة رقم ٨٧٨.

٦١٨ – على باشا مبارك: المصدر السابق : جـ٥ ص ٨٦، جـ٦ ص ٥١ وأنظر أيضا:

– حسن عبد الوهاب : المرجع السابق : جـ١ ص ٥٧،

– سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ٢٥٩.

٦١٩ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٢ ص ترجمة رقم ٢٦٤.

٦٢٠ – نفس المصدر : جـ٤ ص ١٩٢ ترجمة رقم ٣٥٠.

٦٢١ – نفس المصدر : جـ٦ ص ١١١ ترجمة رقم ٤٨٧.

٦٢٢ – ابن حجر : المصدر السابق : جـ٢ ص ٨ ترجمة رقم ١٤٨٥.

٦٢٣ – السخاوى : المصدر السابق : جـ٤ ص ٢٤ – ٢٨ ترجمة رقم ٨١.

٦٢٤ – نفس المصدر : جـ٤ ص ٩٨ – ١٠٠ ترجمة رقم ٢٨٥.

٦٢٥ – على باشا مبارك : المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٥.

٦٢٦ – السخاوى : المصدر السابق : جـ ص ٢٠٠ – ٢٠١.

٦٢٧ – نفس المصدر : جـ١ ص ٢٥١ – ٢٥٢.

٦٢٨ – نفس المصدر : جـ١ ص ٣٧٧٠.

٦٢٩ – نفس المصدر : جـ٢ ص ١١٥ ترجمة رقم ٣٤٤.

٦٣٠ – نفس المصدر : جـ٢ ص ص١٥٠ – ١٥١ ترجمة رقم ٤٢٧.

٦٣١ – نفس المصدر : جـ٢ ص ٢١٢ ترجمة رقم ٥٧٣.

٦٣٢ – نفس المصدر : جـ٣ ص ١٤٤ ترجمة رقم ٥٥٥.

٦٣٣ – ابن تغرى بردى : المنهل الصافى : جـ١ ص ٢١٧ – ٢٠ ترجمة رقم ١١١.

٦٣٤ – الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار : جـ٣ ص ٢٤٨.

٦٣٥ – أنظر أيضا: سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ٢٦١ – ٢٦٢.

٦٣٦ – سورة النور : الآيتان : ٣٦ – ٣٧.

٦٣٧ – راجع قراءات هذه اللوحة أيضا فى:

– على باشا مبارك: المصدر السابق : جـ٥ ص ٣٦ والتصحيح الذى عمله عليه بخطه فى هامش الصحيفة المرحوم يوسف أحمد بتاريخ ١٤ اكتوبر (١٩٠٠م) وانظر أيضا:

– سعاد ماهر : المرجع السابق : جـ٣ ص ٢٦٢ – ٢٦٣،

Van Berchem (M.): OP. cit. II, P 233,text, 158.

٦٣٨ – سورة الحجر : الآيات : ٤٥ – ٤٩.

٦٣٩ – سورة البقرة : الآيات : ٢٥٥ – ٢٥٧.

٦٤٠ – سورة البقرة الآيات : ٢٨٤ – ٢٨٦.

٦٤١ – سورة النور : الآيان : ٣٥ – ٣٧.

٦٤٢ – سورة الحج : الآيتان: ٢٧ – ٢٨.

٦٤٣ – سورة الانسان الآيات : ٥ – ١٢.

٦٤٤ – ابن اياس : المصدر السابق : جـ١ ص ٣٢١.

٦٤٥ – سورة الإنسان : الآيات ٥ – ١٠، وقد ذكر على باشا مبارك أن هذا الإزار الخشبى كان فى باب من الخشب بداخل الخانقاة، وبذلك يكون هذا الإزار قد نقل من الباب الذى كان فيه إلى هذا المكان بالإيوان الشمالى فى عملية ترميمية لاحقة لعلها العملية التى أجراها التاجر بلال أغا دار السعادة سنة (١٠٩٥هـ)، أنظر أيضا على باشا مبارك : المصدر السابق: جـ٥ ص ٣٦.

٦٤٦ – Van Berchem (M.): OP. cit. XIX, Fasc. IV, P. 662.

٦٤٧ – مجموعة (٢) عن سنة (١٨٨٤م) ص ١٣.

٦٤٨ – مجموعة (١٢) عن سنة (١٨٩٥م) ص ٦، ٣١.

٦٤٩ – مجموعة (١٣) عن سنة (١٨٩٦م) ص ١٠١.

٦٥٠ – مجموعة (١٦) عن سنة (١٨٩٩م) ص ١٢٣.

٦٥١ – مجموعة (١٧) عن سنة (١٩٠٠م) ص ٨٦.

٦٥٢ – مجموعة (١٩) عن سنة (١٩٠٢م) ص ٥١ – ٥٢، ١٣٥.

٦٥٣ – نفس المجموعة : ص ٥٦.

٦٥٤ – مجموعة (٢٦) عن سنة (١٩٠٩م) ص ١٠٨، ١٣٤.

٦٥٥ – ابن تغرى بردى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣٦٢.

٦٥٦ – Van Berchem (M.): OP. cit. II. P.245, interpr.2.

٦٥٧ – ibd: II, P. 252, text, 163.

٦٥٨ – الجبرتي : المصدر السابق : جـ٤ ص ٤٢٠١.

٦٥٩ – ابن تغرى بردى : المصدر : السابق جـ٢ ص ٣٦٢.

٦٦٠ – هذه الحجة محفوظة بدار الوثائق القومية تحت رقم (٢٠٠ / ٣٢) وهى باسم أبو زكريا يحيى بن جمال الدين عبد الله بن شرف الدين موسى رئيس المجبرين والجرائحيين فى البيمارستان المنصورى (قلاوون) ومؤرخة فى ٧ رمضان سنة (٨٩١هـ) راجع أيضا:

Fath Allah and Abu Zakariyya, physicians under Mamluks

By: Doris Behrens, Abouseif, I. F. A. O., Le caire, 1987,

Supp. aux Annales Islamologoques, cheir, No, 10, P. P. 45-57

٦٦١ – ابن تغردى بردى : المصدر السابق : جـ٢ ص ٣٦٢ ترجمة رقم ٤٠٨ وانظر أيضا: ترجمة أسلم بن إسحاق بن عاصم الذى توفى سنة (٨٠٢هـ) فى :

– الدليل الشافى : جـ١ ص ١١٩.

٦٦٢ – Van Brchem (M.): OP. cit. II, P. 245, interpr 2.

٦٦٣ – النظام لغة هو الإجتماع والالتئام، وقد أضيفت إلى هذا اللفظ بعض الكلمات الأخرى لتكون ألقاب مركبة منه فقيل «نظام الدين» و «نظام الملك» و «نظام الدولة»، كما استعمل هذا اللقب فى عصر المماليك مضافا إلى ياء النسب فقيل «النظامى» كلقب للوزراء ومن فى معناهم.

راجع القلقشندى : المصدر السابق : جـ٦ ص ٣٣،

حسن الباشا : المرجع السابق : ص ٥٣٣.

٦٦٤ – مجموعة (٧) عن سنة (١٩٩٠م) ص ٨٨.

مصادر ومراجع الكتاب

مصادر ومراجع الكتاب

أولا : المصادر العربية

أ - المصادر العربية المخطوطة :

– البكرى (محمد توفيق)

نشأة التصوف والصوفية

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٣٨ تاريخ

– الجاشنكير (السلطان بيبرس بن عبد الله)

– حجة رقم (٢٢ / ٤)، (٢٣ / ٤)

تاريخ كل منهما ٢٦ شوال سنة (٧٠٧هـ)

دار الوثائق القومية.

– الجمالى (الأمير مغلطاى بن عبد الله)

– حجة رقم ١٦٦٦ تاريخها ٢٩ ربيع آخر سنة (٧٢٩هـ)

أرشيف وزارة الأوقاف

– العسقلانى (شهاب الدين أحمد بن حجر)

إنباء الغمر بأبناء العمر

مخطوط بدار لكتب المصرية فى جزأين تحت رقم ٢٤٧٦ تاريخ

ابن موسى (أبو زكريا يحى بن عبد الله رئيس المجبرين بالمارستان المنصورى)

حجةرقم (١٥٤ / ٢٤)

تاريخها ٢٢ ذو الحجة سنة (٨٧١ هـ)

دار الوثائق القومية

(اللالا) (الأمير جوهر)

حجة رقم (١٠٢١) تاريخها: (٨٣٣هـ / ١٤٢٩م)

أرشيف وزارة الأوقاف.

ب - المصادر العربية المطبوعة:

ابن الأثير (عز الدين)

الكامل فى التاريخ. ط. بولاق (١٢٩٠هـ)

الإسنوى (الشيخ جلل الدين)

طبقات الشافعية

تحقيق عبد الله الجبورى

مطبعة الإرشاد – بغداد (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م)

الألبانى (محمد ناصر الدين)

تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد

طبعة ثالثة – المكتب الإسلامى – دمشق وبيروت (بدون)

ابن إياس (محمد أحمد الحنفى)

بدائع الزهور فى وقائع الدهور
تحقيق د. محمد مصطفى
الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة (١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م)
البخارى (الإمام أبو عبد الله بن اسماعيل بن المغيرة)
الصحيح
٩ أجزاء – طبعة بولاق (١٣١٢هـ)
ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد إبراهيم اللواتى)
الرحلة – دار بيروت للطباعة والنشر (١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م)
البغدادى (الحافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب)
تاريخ بغداد أو مدينة السلام
طبعة القاهرة (١٣٤٩ هـ/ ١٩٣١م)
ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)
– النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
تحقيق د. جمال الدين الشياك، فهيم
شلتوت طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة
(١٩٣٦م) الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة
١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - جزءان
تحقيق د. محمد أمين، د. سعيد عاشور
الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٤ - ١٩٨٥م)
الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن محبوب)
البيان والتبيين
طبعة القاهرة (١٣٣٢هـ)
الجبرتى (الشيخ عبد الحمن)
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار - ٤ أجزاء
طبعة الشعب (مصورة عن طبعة بولاق سنة (١٢٩٧هـ).
ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد)
الرحلة
طبعة مكتبة مصر سنة (١٩٥٥م)
ابن الجيعان (شرف الدين يحيى بن المقر)
التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية
مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة (١٩٧٤م)
ابن الحاج (أبو عبد الله محمد العبدرى)
المدخل

دار الحديث - بيروت (١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

الحلاج : كتاب الطواسين

مطبعة باريس سنة (١٩١٣م)

الحنبلى (القاضى مجير الدين)

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - جزءان

دار الجليل - بيروت (١٩٧٣م)

ابن خلدون (الشيخ عبد الرحمن المغربى)

المقدمة

القاهرة (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٧م).

ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد الشافعى)

فيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان

تحقيق د. إحسان عباس

(نسخة مصورة عن نسخة المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٨٩٢)

دار الثقافة - بيروت (بدون)

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد العلائى)

الإنتصار لواسطة عقد الأمصار - القسمان الأول والثانى

(نسخة مصورة عن طبعة بولاق ١٣١٠هـ/١٨٩٣م

(المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت (بدون)

الذهبى (الحافظ شمس الدين محمد)

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام

طبعة القاهرة سنة (١٣٦٨هـ)

الرازى (محمد بن أبى بكر بن عبد القادر)

مختار الصحاح

طبعة دار الكتب العربية - بيروت (بدون)

السبكى (أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين)

طبقات الشافعية الكبرى

٦ أجزاء طبع المطبعة الحسنية بالقاهرة

(١٣٢٤هـ/١٩٠٦م)

السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٦ أجزاء فى ٣ مجلدات

دار مكتبة الحياة - بيروت (بدون)

- الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواه

تحقيق جودة هلال، محمد محمود صبح مراجعة على البجاوى

الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة (بدون)

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ
(نسخة مصورة عن نسخة الخزانة التيمورية نشرها القدسى)
دار الكتاب العربى - بيروت (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)
- التبر المسبوك فى ذيل السلوك ط. بولاق (١٨٩٦م)
السخاوى (أبو الحسن نور الدين على بن أحمد بن عمر)
تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم
والبقاع المباركات.
تحقيق محمود ربيع، حسن قاسم. القاهرة (١٩٣٧م)
السيوطى (الشيخ جلال الدين عبد الرحمن)
حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة
المطبعة الشرقية بالقاهرة (١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩م)
أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن المقدسى)
كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين جزءان
تحقيق د. محمد حلمى أحمد
القاهرة (١٩٥٦م)
الشربينى (يوسف بن محمد بن عبد الجواد)
هز القحوف فى قصيد أبى شادوف

طبعة بولاق (١٨٩٠م)

الشرانى (أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على)

لواقح الأنوار فى طبقات السادة الأخيار المعروف

بالطبقات الكبرى – جزءان.

طبعة القاهرة (١٨٨١م)

الصيرفى (على بن داود الجوهرى)

إنباء الهصر بأبناء العصر

تحقيق حسن حبشى

دار الفكر العربى – القاهرة (١٩٧٠م)

ابن ظهيرة (أبو برهان الدين إبراهيم)

الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة

تحقيق مصطفى الشقا، كامل المهندس

مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة (١٩٦٩م)

ابن عبد الهادى (يوسف)

ثمار المقاصد فى ذكر المساجد

نشر محمد أسعد أطلس الجزء الثالث من مجموعة النصوص الشرقية مطبوعات

المعهد العلمى الفرنسى – دمشق (١٩٤٣م)

ابن العبرى: غريغو ريوس الملطى)

تاريخ مختصر الدول

طبعة أولى (بدون مكان ولا تاريخ)

ابن العربى (الفتوحات المكية)

طبعة بولاق (١٢٥٩هـ)

العسقلانى (شهاب الدين أحمد بن حجر)

- الدار الكامنة فى أعيان المائة الثامنة

طبعة دار الجيل - بيروت (بدون)

- فتح البارى بشرح صحيح البخارى (نسخة مصورة عن نسخة لمطبعة البهية

المصرية بالأزهر طبعة ثانية (١٤٠٢هـ)

على (جواد)

تاريخ العرب قبل الإسلام .ط. بغداد (١٩٥٢م)

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى)

شذارت الذهب فى أخبار من ذهب

دار أحياء التراث العربى - بيروت (بدون)

ابن العمرى (أحمد بن يحيى الكرمانى)

التعريف بالمصطلح الشريف

طبعة القاهرة (١٣١٢هـ)

الغزالى (الإمام أبو حامد)

إحياء علوم الدين

طبعة القاهرة (١٣١٢هـ)

الغزى (الشيخ نجم الدين)

الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ٣ أجزاء

تحقيق جبرائيل سليمان جبور

دار الأوقاف الجديدة - بيروت طبعة ثانية (١٩٧٩م)

القرآن الكريم

القشيرى (الرسالة)

مطبعة القاهرة (١٣٤٦هـ)

ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة)

ذيل تاريخ دمشق

طبعة بيروت (١٩٠٨م)

القلقشندى (الشيخ أبو العباس أحمد)

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا

المطبعة الأميرية بالقاهرة (١٣٣١هـ/ ١٩١٣م)

الكتبى (محمد شاكر بن أحمد)

فوات الوفيات

تحقيق د. إحسان عباس

دار صادر – بيروت (١٩٧٣م)

الكلاباذى (محمد بن إبراهيم بن يعقوب)

التعرف لمذهب أهل التصوف

طبعة مصر (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م)

الكندى (محمد بن يوسف بن يعقوب التجيبى)

الولاة والقضاة

تحقيق د. حسين نصار

دار صادر بيروت (بدون)

الكنوى (أبو الحسنات محمد بن عبد الحى)

الفوائد البهية فى تراجم الحنفية

تصحيح محمد بدر الدين الغسانى

مطبعة السعادة – القاهرة (١٣٢٤هـ)

مبارك (على باشا)

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة

طبعة مصورة عن طبعة بولاق (١٣٠٦هـ/ ١٩٦٩م)

الهيئة المصرية العامة للكتاب. لقاهرة (١٩٨٠م)

المقدسى (شمس الدين محمد بن أبى بكر البشارى)

أحسن التقاسيم فى معرفة الآقاليم

طبعة ليدن سنة (١٩٠٩م)

المقرى (أحمد بن محمد بن على)

المصباح المنير

طبعة خامسة المطبعة الأميرية – القاهرة (١٩٢٢م)

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على)

– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

نسخة دار التحرير للطبع والنشر فى ٣ أجزاء عن طبعة بولاق (١٢٧٠هـ)

أعدها للنشر د. محمد مصطفى زيادة. القاهرة (١٩٦٧ – ١٩٦٨م)

– السلوك لمعرفة دولة الملوك

الجزأين ١، ٢ فى ٦ مجلدات تحقيق د. محمد مصطفى زيادة القاهرة (١٩٥٨)،

الجزأين ٣، ٤ فى ٦ مجلدات تحقيق.

د. سعيد عاشور القاهرة؟ (١٩٧٠م).

المكى (أبو طالب)

قوت القلوب

طبعة مصر سنة (١٣١٠هـ).

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد المصرى)

لسان العرب

دار صادر بيروت - (بدون)

النبهانى (يوسف إسماعيل)

كتاب جامع كرامات الأولياء وبهامشه كتاب نشر المحاسن الغالية فى فضل المشايخ الصوفية للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى

مطبعة دار الكتب العربية الكبرى (بدون)

ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادى)

الفهرست

دار المعرفة - بيروت (بدون)

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)

نهاية الأرب فى فنون الأدب

مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م)

ياقوت (أبو عبد الله الحموى الرومى البغدادى)

معجم لبلدان

دار إحياء التراث العربى - بيروت (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح)

تاريخ اليعقوبى - جزءان

دار بيروت للطباعة والنشر (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)

ثانيا: المراجع العربية المنشورة:

إبراهيم (عبد اللطيف) - دكتور

دراسات فى الكتب والمكاتبات الإسلامية

وثيقة (١٨٦/ ٢٨ محكمة، ٢٧٨/ ٤٣ محكمة - القاهرة (١٩٦٢م).

أحمد (محمود)

دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة

القاهرة (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)

إدارة حفظ الآثار العربية

- رسالتها فى رعاية الآثار الإسلامية فى القاهرة والأقاليم

دار المعارف بمصر (بدون)

- كراسات لجنة حفظ الآثار العربية

من الكراسة الأولى طبعة بولاق سنة ١٨٨٤م)

إلى الكراسة الحادية والأربعون طبعة بولاق سنة (١٩٦٣م)

الألفى (أبو صالح)

الفن الإسلامى (أصوله - فلسفته - مدارسه)

دار المعارف بمصر - طبعة ثانية - القاهرة (١٩٧٤م)

أمين (محمد محمد) - دكتور

فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك

(٢٣٩ - ٩٢٢هـ/ ٨٥٣ - ١٥١٦م)

مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى - القاهرة (١٩٨١م)

الأوقاف (وزارة)

مساجد مصر (من سنة ٢١ - ١٣٦٥هـ/ ٦٤١ - ١٩٤٦م)

جزءان طبع مصلحة المساحة المصرية (١٩٤٨م)

الباشا (حسن) - دكتور

- الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار

مكتبة النهضة المصرية (١٩٥٧م)

- مدخل إلى الآثار الإسلامية

دار النهضة العربية (١٩٧٩م).

بليق (عز الدين)

منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين

دار الفتح للطباعة والنشر – بيروت طبعة أولى

(١٣٩٨ هـ – ١٩٧م)

تيمور (أحمد باشا)

المهندسون فى العصر الإسلامى

دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة (١٩٧٩م)

الجر (خليل) – دكتور

المعجم العربى الحديث (لاروس)

مكتبة لاروس – باريس (١٩٧٣)

الحديدى (فتحى حافظ)

دراسات فى مدينة القاهرة – حى الجمالية

الشركة المصرية للطباعة والنشر – القاهرة (١٩٨٢م)

حسن (زكى محمد) دكتور

فنون الإسلام

دار الرائد العربى – بيروت (١٤٠١ هـ / ١٩٨١م)

حسين (سعاد) – دكتورة

أعمال الأمير شيخو

رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة القاهرة (١٩٧٧م)

حمادة (محمد ماهر) دكتور

المكتبات فى الإسلام – نشأتها وتطورها ومصائرها

طبعة ثالثة – بيروت (١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م).

حمزة (عبد اللطيف – دكتور

الحركة الفكرية فى مصر العصرين الأيوبى والمملوكى الأول

طبعة ثانية – دار الفكر العربى – القاهرة (١٩٦٨م)

دائرة المعارف الإسلامية

الطبعة الأوربية الأولى

(ماكتبة ماسينون عن الزهد والتصوف فى الجزء الرابع)

دراج (أحمد) – دكتور

المماليك والفرنج فى القرن التاسع لهجرى

دار الفكر العربى – القاهرة (١٩٦١م).

رزق (عاصم محمد) – دكتور

مسجد القاضى أبرو بكر مزهر بالقاهر

رسالة كاجستير – كلية الأداب – جامعة القاهرة (١٩٧١م)

رشدى (صبيحة رشيد)

الملابس العربية وتطورها فى العهود الإسلامية

طبعة أولى – بغداد (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م)

الرفاعى (أنور)

تاريخ الفن عن العرب والمسلمين

طبعة ثانية – دار الفكر – دمشق ١٣٩٧م / ١٩٧٧م)

زكى (عبد الرحمن) – دكتور

– القاهرة – تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتى

المؤرخ)٩٦٩ – ١٨٢٥م)

الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة (١٩٦٦م).

– بنك القاهرة فى ألف عام

المكتبة الثقافية عدد (٢٢٠) – دار الكاتب العربى

القاهرة (بدون)

زيدانا (جورجى)

تاريخ التمدن الإسلامى

مطبعة الهلال (١٩٣١م)

سالم (السيد محمود عبد العزيز) دكتور

المآذن المصرية – نظرة عامة عن أصلها وتطورها من الفتح العربى حتى الفتح العثمانى.

مؤسسة شباب الجامعة – الاسكندرية (بدون)

سامح (كمال الدين) - دكتور

العمارة الإسلامية فى مصر

مطبعة جامعة القاهرة (١٩٧٠م)

سرور (محمد جمال الدين) - دكتور

- دولة الظاهر بيبرس فى مصر.

دار الفكر العربى - القاهرة (١٩٦٠م)

- دولة بنى قلاوون فى مصر - الحالة السياسية والقتصادية

فى عهد بوجه خاص

دار الفكر العربى - القاهرة (بدون)

سزكين (فؤاد) - دكتور

تاريخ لترث العربى - المجلد الأول من الجزء الرابع

(العقائد والتصوبف)

نقله إلى العربية د. محمود فهمى حجازى وآخرون

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامى بالرياض

(١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م).

شافعى (فريد محمود) - دكتور

العمارة العربية الإسلامية - ماضيها - حاضرها - مستقبلها

طبعة أولى – جامعة الملك سعود الرياض (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م)

الشافعى (ليلى كامل)

مدرسة الأمير جوهر اللالا

رسالة ماجستير –كلية الآداب – جامعة القاهرة (١٩٧٧م)

شتا (إبراهيم الدسوقى) – دكتور

دور المتصوفة الإيرانيين فى ميدان التصوف الإسلامى

بحث فى كتاب :

دراسات فى الحضارة الإسلامية – البقاء الثقافتين العربية

والفارسية (ص ٢٤٥ – ٢٧٠) دار الثقافة – القاهرة

(١٩٧٩م).

الشعيبى (كامل مصطفى)

الصلة بين التصوف والتشيع

طبعة ثانية – القاهرة (بدون)

ضومط (أنطوان خليل) – دكتور

الدولة المملوكية – التاريخ السياسى والقتصادى والعسكرى

(١٢٩٠ – ١٤٢٢م)

طبعة أولى – دار الحداثة – بيروت (١٩٨٠م)

الطويل (توفيق)

التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى

الاسكندرية (١٣٦٥ هـ ١٩٤٦م)

عاشور (سعيد عبد الفتاح) – دكتور

– المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك

طبعة أولى – دار النهضة العربية – القاهرة (١٩٦م)

– مصر فى عصر دولة المماليك البحرية

سلسلة الألف كتاب عدد (٢٢٧) مكتبة النهضة – القاهرة (بدون)

عبد الله (دولت عبد الكريم) – دكتورة

معاهد تركية النفوس فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى

مطبعة حسان – القاهرة (١٩٨٠م)

عبد الحميد (سعد زغلول) – دكتور

العمارة والفنون فى دولة الإسلام

طبع منشأة المعارف بالإسكندرية (١٩٨٦م)

عبد المنعم (محمد نور الدين) – دكتور

الألفظ الفارسية فى العامية المصرية

بحث فى كتاب:

دراسات فى الحضارة الإسلامية - التقاء الثقافتين العربية
والفارسية (ص ٢٠٧ - ٢٤٣) دار الثقافة - القاهرة (١٩٧٩م)
عبد المهدى (عبدالجليل حسن) - دكتور
المدارس فى بيت المقدس فى العصرين الأيوبى والمملوكى
جزءان، مكتبة الأقصى - عمان الأردن (١٩٨١م)
عبد الوهاب (حسن)
- تاريخ المساجد الأثرية جزاءن (نص وكتالوج)
مطبعة دار الكتب المصرية (١٩٤٦م)
- جتمع السلطان حسن وما حوله
المكتبة الثقافية عدد (٥٦) - القاهرة (١٩٦٢م)
العرينى (السيد الباز) - دكتور
مصر فى عصر الأيوبيين
سلسلة الألف كتاب عدد (٢٦٩)
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآدب القاهرة - (بدون)
عكاشة (ثروت) - دكتور
القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية
دار المعارف بمصر (١٩٨١م).

على (محمد كرد)

خطط الشام

مطبعة التركى - دمشق (١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥م)

فكرى (أحمد) دكتور

مساجد القاهرة ومدارسها (العصر الأيوبى)

دار المعارف بمصر (١٩٦٩).

قراعة (سنية)

مساجد ودول

مطابع أخبار اليوم

طبعة أولى - القاهر (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م)

لمعى (صالح مصطفى) دكتور

التراث المعمارى الإسلامى فى مصر

جامعة بيروت العربية - بيروت (١٩٧٥م)

ماهر (سعاد محمد) دكتور

- القاهرة القديمة وأحياؤها

الكتبة الثقافية عدد (٧٠) زكتوبر (١٩٦٢م)

- مساجد مصر وأولياؤها االصالحون

طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
القاهرة (١٣٩١ هـ / ١٩٧١م)

مبارك (زكى)
التصرف الإسلامى فى الأدب والأخلاق
جزاءان – القاهرة (١٩٣٨م)

مجلة العمارة:
سنة (١٩٤٢م) عدد (٢٢١).

مرزوق (محمد عبد العزيز) دكتور
الناصر محمد بن قلاوون
سلسلة أعلام العرب رقم (٢٨)
مطبعة مصر – القاهرة (بدون)

مصطفى (محمد) – دكتور
دليل موجز متحف الفن الإسلامى
الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م)

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
المعالم الأثرية فى البلاد العربية
جـ ٣ جمهورية مصر العربية القاهرة

(١٩٧٢م)

مؤنس (حسين) – دكتور

ابن بطوطة ورحلاته – تحقيق ودراسة وتحليل

دار المعارف بمصر (١٩٨٠م)

الموسوعة العربية الميسرة

طبعة الشعب – القاهرة (بدون)

النبراوى (فتحية) دكتورة

تاريخ النظم والحضارة الإسلامية

دار المعارف بمصر – طبعة ثانية (١٩٨١م)

وصفى (محمود) دكتور

دراسات فن الفنون والعمارة العربية الإسلامية

دار الصلاح للطباعة والنشر، لدمار بالسعودية

(١٩٧٧م).

ثالثا: المراجع الأجنبية المعربة :

آرنولد (توماس)

تراث الإسلام

تأليف جمهرة من المستشرقين.

تعريب جرجيس فتح الله المحامى

طبعة ثالثة – دار الطليعة – بيروت (١٩٧٨م).

برجز (مارتن)

بحث بعنوان «الهندسة المعمارية» فى كتاب: تراث الإسلام (ص ٢٢٧ – ٢٥٨)

الكتاب : تأليف جمهرة مستشرقين

تعريب: جرجيس فتح الله المحامى

دار الطليعة – بيروت – طبعة ثالثة (١٩٧٨م)

دللى (الفريد جوزيف)

العمارة العربية بمصر فى شرح المميزات الرئيسية للطراز

العربى فى القرن (١٤ – ١٥م)

تعريب محمود أحمد

القاهرة (١٩٢٣م)

زامبور

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى

إخراج د. زكى حسن وآخرون

دار الرائد العربى – بيروت (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م)

كونل (إرنست)

الفن الإسلامى .

ترجمة د. أحمد موسى

دار صادر – بيروت (١٩٦٦م)

لين پول (ستانلى)

سيرة القاهرة

ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرون

مكتبة النهضة المصرية القاهرة (١٩٥٠م)

ميتز (آدم)

الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة

فى الإسلام. جزءان.

ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده

مكتبة الخانجى بالقاهرة طبعة رابعة (١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م)

(علوم الدين ص ٣٥١ – ٣٨٦).

رابعا: المراجع الأجنبية :

- Abd ar - Raziq (Ahmad): (PH, D)

La femme au temps des Mamlauksen Egypt 1. F. A. O. Tome. V

Le Caire (1973)

- Berchem (M. V)

Corpus Inscriptionum Arabicarum

Tome, I, II, Egypt

(Mamluks Bahrits) Paris (1900).

- Tome XIX Fascicule IV

P aris, (1903).

- Combe (Et.), Sauvaget (J.) et Wiet (G.)

Repertoire Chronolgique d'Epigraphie

Arabe, I_ F_ A_ O.

Le Caire (1931 _ 1950).

- Hautcoeur (L.) et Wiet (G.):

Les Mosquees du Caire

Paris, (1932).

- Lamm (C.J)

Mittelalterlische Glaser und Steinschnittarbeiten aus dem

Nahen Osten, 2 Vol.

Berlin (1930)

- Riter (H.)

Studien Zur Geschichte der Islasmischen Frommigkiet,

Isilam (21, 1933) P. P _ (1 _ 83)

- Supplement, aux Annales Islamohogique, Cahier No, 10,

I. F. A. O.

Le Caire, (1987). P. P. (27 - 30).

فهرس الأشكال واللوحات

١ - فهرس الأشكال

شكل ١٤ – الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) – أرضية القبة وتركيبة الضريح.

شكل ١٥ – الخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) – المئذنة والقبة وجزء من الواجهة.

شكل ١٦ – لخانقاة الجاشنكيرية (بيبرس) – حواصل مطلة على الصحن.

شكل ١٧ – الخانقاة المهندارية (أحمد) أثر رقم ١١٥(م٧٢هـ/ ١٣٢٤م) – الواجهة والمئذنة.

شكل ١٨ – الخانقاة الجمالية (مغلطاى) – أثر رقم ٢٦ (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) – جزء من الواجهة.

شكل ١٩ – الخانقاة الجمالية (مغلطاى) – مقرنص القبة.

شكل ٢٠ – الخانقاة القوصونية (قبة الغفير) – أثر رقم ٢٩١ (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) القبتان من الخارج.

شكل ٢١ – الخانقاة الناصرية (خوند طغاى – أم أنوك) أثر رقم ٨١ (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) – القبة من الخارج ويظهر معها إيوان الخانقاة.

شكل ٢٢ – الخانقاة الناصرية (خوند طغاى – أم انوك محراب القبة.

شكل ٢٣ – الخانقاة الناصرية (خوند طغاى – أم أنوك) زخارف جصية وكتابات لقبة.

شكل ٢٤ – الخانقاة الدوادية (يونس) أثر رقم ١٥٧ (ح ٧٥٠هـ/ ح ١٣٤٩م) – القبة من الخارج.

شكل ٢٥ – الخانقاة الشيخونية – أثر رقم ١٥٢ (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) – القبة والمئذنة.

شكل ٢٦ – الخانقاة الشيخونية – خلوات الصوفية.

شكل ٢٧ – الخانقاة الشيخونية : الصحن والسدلة الشمالية.

شكل ٢٨ – بقايا الخانقاة النظامية – أثر رقم ١٤٠ (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) – جزء من سور القاهرة القديم ومعه بقايا الخانقاة.

شكل ٢٩ – بقيا الخانقاةة النظامية – منظر من الخارج.

شكل ٣٠ – بقايا الخانقاة النظامية – الواجهة الرئيسية والمدخل.

شكل ٣١ – بقايا الخانقاة النظامية – منظر داخلى.

شكل ٣٢ – بقايا الخانقاة النظامية – مدخل خلوات الصوفية.

شكل ٣٣ – بقايا الخانقاة النظامية – بقايا خلوات الصوفية.

٢ – فهرس اللوحات

لوحة ١٣ – بقايا الخانقاة الدوادارية (يونس) – أثر رقم ١٥٧ (ح ٧٥٠هـ/ ح ١٣٤٩م) مسقط أفقي.

لوحة ١٤ – الخانقاة الشيخونية – أثر رقم ١٥٢ (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) مسقط أفقي.

لوحة ١٥ – بقايا الخانقاة النظامية – أثر رقم ١٤٠ (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م) – مسقط أفقي.